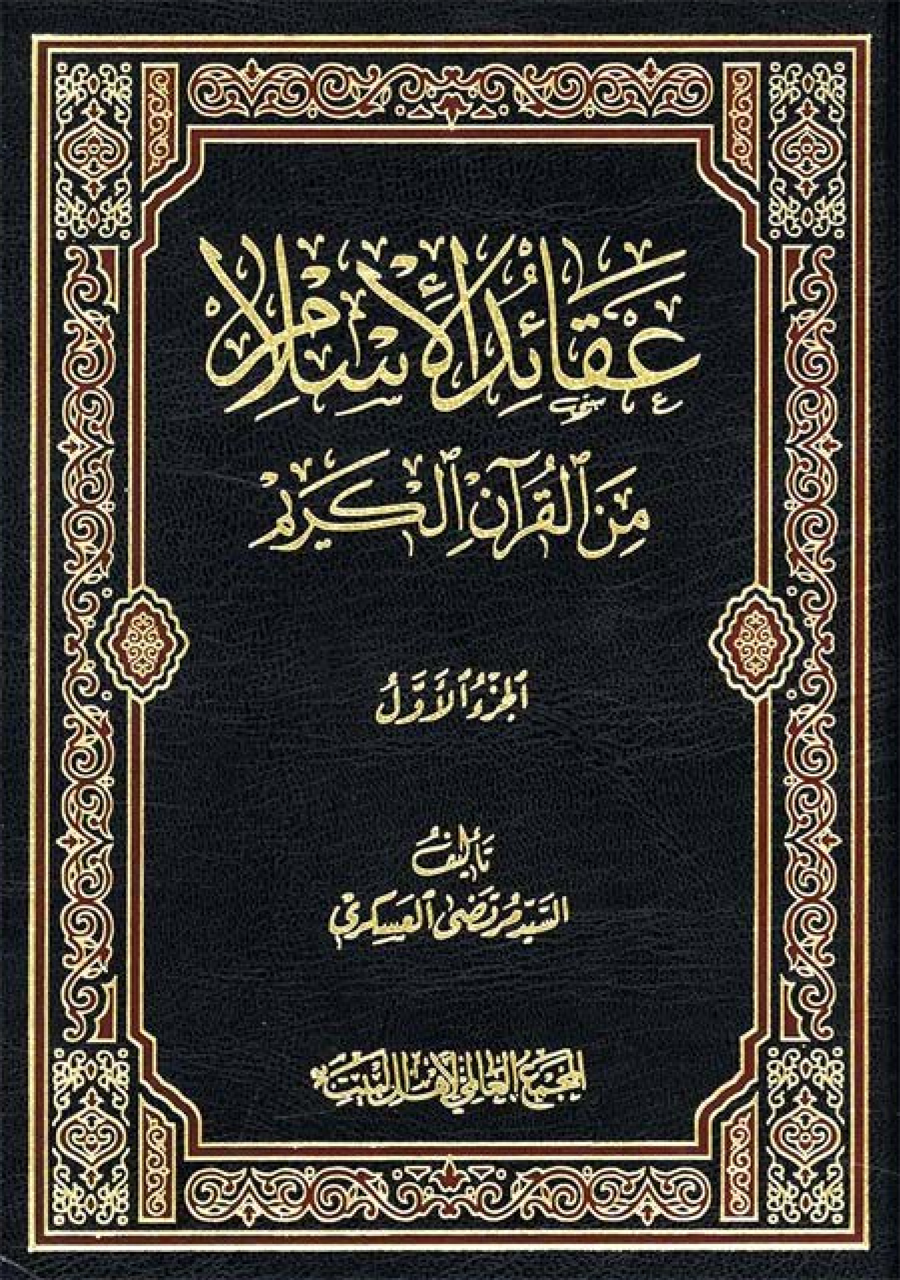

عقائد الإسلام
من القرآن الكريم
الجزء الأول
تأليف
السيد مرتضى العسكري
المجمع العلمي الإسلامي


عقائد الإسلام
من القرآن الكريم



من القرآن الكريم

الجزء الأول

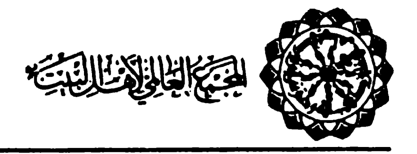
تأليف

السيد مرتضى العسكري

المجمع العالمي لأهل البيت

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



العنوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسنين
ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠
المستودع: حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء

الإهداء

إلىٰ أوّل مسلمة آمنت بالله ورسوله (ص) وبذلت في سبيل الإسلام النفس والنفيس حتّىٰ فارقت الحياة.

إلىٰ أولىٰ أمهات المؤمنين الطاهرات (ع).

إلىٰ أمّ عترة الرسول (ص) وذرّيّته الباقية.

إلىٰ أمّ فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (ع).

إلىٰ جدّتي خديجة عليها السّلام أهدي ثواب هذا الكتاب. سائلاً المولىٰ جلّ وعلا أن ينفع به المسلمين إنّهُ سَميعٌ مُجيبٌ.

مرتضىٰ العسكري

بسم ٱلله ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحيم

﴿الٓمٓ ❁ ذٰلِكَ الكِتابُ لا رَيبَ فيهِ هُدىً لِلمُتَّقِين ❁ ٱلّذينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ وَيُقيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقُونَ ❁ وَٱلَّذينَ يُؤمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُم يُوقِنُون﴾ (البقرة ١ ـ ٤).

﴿إِنَّ هٰذا ٱلقُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلمُؤمِنينَ ٱلَّذينَ يَعمَلونَ ٱلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجراً كَبيراً﴾ (الإسراء ٩).

﴿فَأَقِمْ وَجهَكَ لِلدِّين حَنيفاً فِطرَةَ ٱللّهِ ٱلَّتي فَطَرَ ٱلنّاسَ عَلَيها لا تَبديلَ لِخَلقِ ٱللّهِ ذٰلكَ ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠).

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللّهِ الإِسلامُ وَما ٱختَلَفَ ٱلَّذينَ أُوتُوا ٱلكِتابَ إِلّا مِنْ بَعدِ ما جاءَهُمُ ٱلعِلمُ بَغياً بَينَهُم وَمَن يَكفُر بِآياتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَريعُ ٱلحِسابِ ❁ فَإِن حاجُّوكَ فَقُل أَسلَمتُ وَجهِيَ لِلّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَقُل لِلَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ وَٱلأُمِّيِّينَ ءَأَسلَمتُم فَإِن أَسلَمُوا فَقَدِ ٱهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّما عَلَيكَ ٱلبَلاغُ وَٱللّهُ بَصيرٌ بِالعِبادِ﴾.

﴿أَفَغَيرَ دِينِ ٱللّهِ يَبغُونَ وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِي ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً وَإِلَيهِ يُرجَعُونَ ❁ قُل آمَنّا بِاللّهِ وَما أُنزِلَ عَلَينا وَما أُنزِلَ عَلىٰ إِبراهِيمَ وَإِسماعِيلَ وَإِسحاقَ وَيَعقُوبَ وَٱلأَسباطِ وَما أُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ ❁ وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلامِ دِيناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلخاسِرِينَ﴾ (آل عمران ١٩ ـ ٢٠ و ٨٣ ـ ٨٥).

﴿ٱليَومَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسلامَ دِيناً﴾ (المائدة ٣).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لله رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين، والسلام على أصحابه المنتجبين.

وبعـد: فقد أستعنت الله وقمت بتأليف هذا الكتاب رجاء أن يحقّق لي الأهداف الآتية:

أ ـ لمّا رأيتُ المـدارس الفكـرية البشـرية خالفت القرآن الكريم مدى العصور فيما تقوّلته عن بدء الخلق، وأنّ أصحاب الأنظمة الاجتماعية بَنَت عليها ما شرّعت من قوانين للمجتمـع البشـري التي تنـاقض الأحكـام القرآنية وأستندَتْ إليها كذلك جيلاً بعد جيل، وأنّ ذلك أدّىٰ ببعض علماء المسلمين إلى أن يقوموا بشتّىٰ المحاولات للتوفيق بين نظريات المخلوقين عن بدء الخلق وما أعلن الخالق عنه في القرآن الكريم وأستند إليه الوحي في ما أنزل من تشريع، وأدّت تلك المحاولات إلى أنعدام الرُّؤية الصحيحة لما بيّنه القرآن الكريم عن بدء الخلق وصلة الخلق بالله الخالق الرّبّ.

لمّا رأيتُ كلّ ذلـك قمتُ في بحـوث هذا الكتـاب بمحاولة متواضعة في أستنباط بعض ما قاله القرآن الكريم عن الله الخالق الرّبّ وأسمائه الحسنىٰ،

وبعض ماقاله عن الخلق وعن صلته بخالقه منذ بداية خلقه إلى يوم المعاد، دون أيِّ أنحراف عنها إلى شيءٍ مما قاله أصحاب النظريات من الخلق. فإن كنتُ قد نجحتُ في هذه المحاولة المتواضعة فللّه الحمدُ على ما وفَّق، وله الشكر على ما أنعم، وإن كنت قد زللت في بعض عملي فإنّه من قصوري وأسأله تعالى أن يتجاوز عنّي بفضله وكرمه.

ب ـ بعد مناقشتي في المجلد الثاني من مجلّدات (القرآن الكريم وروايات المدرستين) روايات مدرسة الخلفاء الّتي أسندت إلى رسول الله (ص) انّه أجاز تبديل أسماء الله في القرآن الكريم، بعضها ببعض، وجدت أنّ إيفاء البحث حقّه بحاجة إلى دراسة مقارنة بين موارد أستعمال أسمين من أسماء الله، في القرآن الكريم بتفصيل.

وكان في دراستي أسمي: (الإلهُ) و (الرَّبُّ) في هذا الكتاب مثالاً يوضّح مبلغَ بُعد هذا القول عن الحقّ والصواب، وعدم صحة نسبة تلك الروايات الى رسول الله (ص) وأصحابه.

وأيضاً، كنّا بحاجة ـ لدراسة روايات النسخ بمدرسة الخلفاء في ذلك الكتاب ـ إلى دراسة النسخ في مسيرة الرسل كما جاء في هذا الكتاب.

ج ـ بعد أن أنتهينا في المجمع العلمي الاسلامي من تنظيم ما أردنا تنظيمه من الكتب الدراسية للحوزات العلمية، ولم أجد كتاباً يفي بحاجة أهل العصر في دراسة العقائد الإسلامية، أستعنتُ الله وقمتُ بتقديم بحوث هذا الكتاب رجاء أن تسدّ هذا الفراغ بإذنه تعالى.

د ـ لمّا رأيت ـ بعد قيام الجمهورية الإسلامية ـ تَطَلُّعاً من الناس في كلّ

مكان إلى معرفة الإسلام في بلادهم، وما شاهدت من هجرة جماهير المسلمين إلى بلاد الغرب وأنقطاع صلتهم بمنابع الإسلام في بلدانهم، رأيتُ من الواجب علينا أن نقدّم سلسلة من الكتب لتعليمهم الإسلام في مستويات فكرية مختلفة. فاستعنتُ الله وقمتُ بوضع مخطّط لذلك، من ضمنه سلسلة (قيام الأئمة بإحياء السنّة)، وطبع الجزء الأوّل منه تحت عنوان: مصطلحات اسلامية، وجعلته مقدّمة لهذا الكتاب.

وفي هذا الكتاب عندما تقدّمت إلى رحاب القرآن الكريم للقيام بدراسة عقائد الإسلام، وجدتُ القرآن العظيم قد عرض عقائد الإسلام بسلاسة يفهمها كل لبيب عربيّ اللّسان بلغ سنّ الرُّشد، وأصبح مخاطباً فيه بقوله تعالىٰ: ﴿يَا أيُّها ٱلنَّاس﴾.

غير أنّ العلماء أعتمدوا في تفسير القرآن فلسفة الفلاسفة، وعرفان المتصوّفة، وكلام المتكلّمين، وروايات إسرائيلية، وأخرى رويت عن رسول الله(ص) دون أن يقوموا بتمحيصها، وأوّلوا ما ورد في القرآن الكريم بها، وبذلك جعلوا من عقائد الإسلام طلاسم وألغازاً وأحاجي لايفهمها غير من مارس حلّها بطرق رسمها العلماء في علوم البلاغة والمنطق والكلام والفلسفة وأمثالها، وأدّى عملهم ذلك إلى تفرقة المسلمين إلى معتزلة وأشاعرة ومرجئة و... و... و...الخ.

هـ ـ كذلك وجدت عقائد الإسلام في القرآن الكريم سلسلة متّصلة الحلقات يهدي بعضها إلى بعض، وهي في مجموعها وحدة منسجمة الأجزاء يكمّل بعضها بعضاً.

وعندما عرضها العلماء في تآليفهم فصلوا بعضها عن بعض، فأختفت بذلك حكمة عقائد الإسلام عن دارسيها.

وللأسباب الّتي ذكرتها سرت في بحوث الكتاب وفق المنهج الآتي:

منهاج البحث

استقيت - في بحوث هذا الكتاب - عقائد الإسلام من معين القرآن الكريم. وبما أنّ الله تعالى أنزل كتابه المجيد بلغة العرب، وقال سبحانه وتعالى:

أ - في سورة يوسف:

﴿إنَّا أنزَلناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعقِلُون﴾ (الآية ٢).

ب - في سورة الشعراء:

﴿نَـزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأمِينُ* عَلىٰ قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلمُنذِرِينَ* بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين﴾ (الآيات ١٩٣ - ١٩٥).

ولِبُعدنا عن لغة العرب في عصر نزول القرآن الكريم، رجعت أحياناً في تفسير الآيات إلى معاجم اللغة.

ورجعتُ لمعـرفة تفسير الآيات إلى روايات السيرة والحديث التي قمت بتمحيصها في مؤلّفاتي الأخرى، ودرست القليل منها عند قيامي بهذه البحوث.

ومن ثمّ اعتمدت في بحوث الكتاب ثلاثة أنواع من تفسير القرآن الكريم:

١ - التفسير بالمأثور: (أي المروي) مثل ما فعله السيوطي (ت ٩١١هـ) في الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، والبحراني (ت ١١٧٠هـ أو ١١٠٩هـ) في تفسيره البرهان، غير أنّي اعتمدت ما ثبتت عندي صحّته، والسيوطي ذكر كلّ ما وجد من رواية وفيها ما يناقض بعضها بعضاً، وقد ناقشت بعضاً مما رواه.

ورجعت في الأحـاديث التي اعتمدتها إلى ما لدىٰ عامّة المسلمين من كتب الحـديث، من صحـاح ومسانيد وسنن وغيرها، ولم اقتصر على ما لدىٰ مذهب إسلامي دون آخر، وأحياناً قمت بدراسة مقارنة بين حديث وآخر ورأي اعتمـد حديثاً وآخر مع إسناد الرأي إلى صاحبه، ودعمت رأيي بما لدينا من دليل عليه.

وفي دراية الحـديث أعتمـدت نهج مشايخ الحديث إلى القرن السادس الهجري كما بيّنته في بحث: (أئمة أهل البيت وضعوا مقاييس لمعرفة الحديث) في المجلد الثالث من معالم المدرستين.

٢ ـ التفسير اللّغوي: كما فعله السيوطي في أعتماده على ما رواه عن أبن عباس وغيره.

ولـّما كان علماء اللغـة ـ أحياناً ـ يطيلون البحث بإيراد المعنى الحقيقي للكلمة مع المعاني المجازية لها، تجنبت ذلك و أوردت ممّا ذكروا في معنى الكلمة مايناسب سياق الآية، وتركت إيراد غيره مما ذكروه.

٣ ـ التفسير الموضوعي: مثل ما فعله الفقهاء في تفسيرهم: (آيات الأحكام).

والأنواع الثلاثة من التفسير هي الصحيحة والمرويّة عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام.

ولـمّا كان في آيات القرآن الكريم أكثر من مقصد واحد غالباً، فإنّي أذكر من ألفـاظ الآيات مايخصّ مقصـد البحث، وأحـذف ما عداه ليسهـل على الدارسين أستيعاب البحث، ومن ثمّ قد يتكرّر ذكـر آية أو آيات في بحث بعد بحث حسب تناسب معانيها مع موضوعات البحوث. وكذلك قد يتكرّر ذكر معنى اللّفظ القـرآني لبعد الموضع الثاني عن الموضع الأوّل بما يسبّب نسيان المعنى أو لتغيير معنى اللّفظ في الموضع الثاني عن معناه في الموضع الأوّل وفي ذكـر الروايات رجعت أحياناً بالإضافة إلى الروايات التي تفسّر الآيات إلى روايات فيهـا شرح وتـوضيح لبعض أطـراف البحث لمسيس الحـاجـة في استيعاب جميع جوانب البحث اليها. واستشهدتُ في بعض البحوث بما جاء في التوراة والإنجيل مصدّقاً لما ذكرناه وخاصّة في:

أ ـ أخبار الأنبياء؛ لأنّ في العهدين أقدم نصّ تاريخي عن سيرة الأنبياء قبل النبي الخاتم (ص)، وقد استشهد الله جلّ ذكره في القرآن الكريم بما جاء في التوراة في خبر تحريم إسرائيل على نفسه ما حرّم، بقوله تعالى في سورة آل عمران ٩٣ : ﴿كلّ الطّعام كان حلاّ لبني إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.

ونترك من أخبارهما ما نسب فيه إلى الله جلّ ذكره ما هو منزّه عنه وإلى رسله وأنبيائه ما هم منزّهون عنه، وكذلك نترك ما يخالف العقل والعلم.

ب ـ ما جاء فيهما من بشارات ببعثة النبي الخاتم (ص) كما استشهد القرآن الكريم ببشارة عيسى (ع) ببعثته في قوله تعالىٰ في سورة الصف ٦: ﴿وإذ قال عيسىٰ بن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾.

وتجنّبت في التعبير ـ ما أمكنني ـ ذكـر الإصطلاحات العلمية في البحوث، وبدّلتها بما يفهمه القارئ العربيّ اللّسان غير المتخصّص بتلك العلوم.

واَقتصرت على ذكر الأقوال في موضوع البحث بالقول الذي نختاره مع بيان دليله. وأحياناً أختار رأياً مجانباً لآراء من سبقني من العلماء وأقدّم الدليل على ما اَخترته بإذنه تعالىٰ.

ثمّ إنّي سلسلت عقائد الإسلام في هذا الكتاب ـ كما وجدتها في القرآن الكريم ـ مجموعة متناسقة يكـمّل بعضها بعضاً، ويهدي البحث المتقدّم إلى موضوع البحث المتأخّر، وبذلك تدرك عقائد الإسلام وحكمتها، ولذلك لايتيسّر اَستيعـاب البحث المتـأخّـر في هذا الكتاب قبل اَستيعاب ماجاء في البحوث المتقدّمة عليه، كما يرى ذلك في مخطط البحوث الآتي:

مخطَّط البحوث

١ ـ الميثاق: «أَلَسْتُ بِرَبّكم».

٢ ـ بحوث الأُلوهيّة:

أ ـ هل خلق الخلق مصادفة ؟

ب ـ معنىٰ الإله.

ج ـ معنىٰ «لا إله إلّا الله».

د ـ أ لِلّهِ بنات وبنون.

٣ ـ أصناف خلق الله في القرآن الكريم:

أ ـ الملائكة.

ب ـ السمٰوات، والأرض وسماؤها.

ج ـ الدواب.

د ـ الجنّ والشياطين.

هـ ـ الإنسان.

و ـ شرح الآيات وتفسيرها من الروايات.

٤ ـ بحوث الربوبية:

أ ـ الربّ.

ب ـ وما ربّ العالمين؟

ج ـ أنواع هداية ربّ العالمين لأصناف الخلق:

أوّلاً ـ التعليم المباشر لصنف الملائكة.

ثانياً ـ التسخير للمُسَخَّرات.

ثالثاً ـ الإلهام الغريزيّ للحيوان.

رابعاً ـ التعليم بالوحي بواسطة الرسل للإنس والجنّ.

٥ ـ الدين والإسلام.

٦ ـ مُبلِّغون عن الله ومعلِّمون للنّاس.

آدم الى آباء النبي من ذرية اسماعيل.

٧ ـ صفات المبلِّغين عن الله.

٨ ـ معارك الرسل مع أممهم حول ربوبية ربّ العالمين وتشريعه الإسلام لهم.

٩ ـ النسخ في مسيرة الرسل أصحاب الشرايع بعد آدم (نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين):

أ ـ وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم.

ب ـ مصطلحا النسخ والآية ومعناهما.

ج ـ تفسير آية ﴿ماننسخ من آية...﴾ ، وآية ﴿وإذا بدّلنا آية مكان آية﴾.

د ـ اختصاص شريعة موسىٰ ببني اسرائيل.

هـ ـ إنتهاء أمد شريعة موسى (ع) ببعثة خاتم الأنبياء.

و ـ معنى النسخ في شريعة نبي واحد.

١٠ ـ ربّ العالمين يجزي الإنسان بآثار عمله:

أ و ب ـ في الدنيا والآخرة.

ج ـ عند الممات.

د ـ في القبر.

هـ ـ في المحشر.

و ـ في الجنّة والنار.

ز ـ جزاء الصبر.

ح ـ توارث جزاء العمل.

١١ ـ الشفاعة جزاءً لبعض الأعمال.

١٢ ـ حبط الأعمال جزاءً لبعض الأعمال.

١٣ ـ مشاركة الجن والانس في أمر جزاء الأعمال.

١٤ ـ من صفات ٱلرَّبِّ، أسماؤُه:

أ ـ ذُو ٱلعَرشِ وَرَبُّ ٱلعَرشِ.

ب ـ ٱلرَّحْمٰن.

ج ـ الرَّحيم.

د ـ معنى الاسم.

١٥ ـ ولله الأسماء الحسنىٰ:

أ ـ الله.

ب ـ معنىٰ الكرسي.

ج ـ معنى العبد والعبادة.

(مايتبع بحث الأسماء والصفات).

١٦ ـ مشيئة الله ربّ العالمين.

أ ـ معنىٰ المشيئة.

ب ـ في الرزق.

ج ـ في الهداية.

د ـ في الرحمة والعذاب.

١٧ ـ البداء أو يمحو الله مايشاء ويُثْبِت:

أ ـ معنى البداء.

ب ـ البداء في مصطلحات علماء العقائد الإسلامية.

ج ـ البداء في القرآن.

د ـ في روايات مدرسة الخلفاء.

هـ ـ في روايات مدرسة أهل البيت (ع).

١٨ ـ الجبر والتفويض:

معنى الجبر والتفويض والإختيار.

١٩ ـ القضاء والقدر.

أ ـ معاني القضاء والقدر.

ب ـ روايات أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر.

ج ـ أسئلة وأجوبة.

٢٠ ـ خلاصة وخاتمة. اسلوب القرآن في طرح عقائد الاسلام.

أسأله تعالى أن يجعل الكتاب معيناً لمن أرادَ أن يأخذ عقائد الإسلام من القرآن الكريم بيسرٍ وسهولةٍ، ووسيلةً لمن شاءَ من المسلمين أن يتركوا التفرقة ويوحّدوا كلمتهم حول راية القرآن. وصدق الله العظيم حيث يقول في سورة النساء:

﴿ياأيُّها النّاسُ قد جاءَكُم بُرهانٌ من ربِّكُم وأنْزَلنا إليكُم نوراً مُبيناً* فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتَصَموا به فسَيُدخلهُم في رَحمةٍ منه وفَضلٍ وَيَهديهِم إليه صِراطاً مستقيماً﴾ (الآيتان ١٧٤ ـ ١٧٥).

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المؤلّف

-١-

الميثاق

ميثاق الإله الرّبّ مع بني آدم

أ ـ آية: ﴿أَلَستُ بِرَبِّكُم﴾.

ب ـ حركتا المعدة والدماغ في طلب الطعام والمعرفة.

ج ـ تفسير الآية.

د ـ المحيط والوالدان لايجبران الإنسان على أمر.

(١) و (٢)
أَلَستُ بِرَبِّكُمْ وحركة الدماغ

أخذ اللّهَ سبحانه الميثاق من ذرّيّة بني آدم كما أخبر عن ذلك وقال في سورة الأعراف:

﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَني آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَىٰ أَنفسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا بَلَىٰ، شَهِدنَا أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هٰذَا غَافِلِينَ ۞ أَو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبطِلُون﴾ (الآيتان ١٧٢ ـ ١٧٣).

نحتاج في تفسير هاتين الآيتين إلىٰ المقدّمة الآتية:

عندما ينفصل الطفل عن بطن أمّه وينقطع منه الحبل الّذي كان متّصلاً بسرّته لنقل الغذاء من جسم أمّه إليه، تدفعه غريزة الجوع إلى التحرّك لطلب الغذاء، فيتشنّج جسمه كما يظهر ذلك على سحنات وجهه، فيبكي ويصرخ ولا يهدأ حتّى يلتقم الثدي ويدرّ اللّبن في فمه ويجري منه إلى معدته، وتستمرّ هذه الغريزة في دفع الإنسان للتحرّك والعمل الدائب في طلب الطعام طوال حياته. ويشارك الحيوانُ الإنسان في هذه الغريزة والّتي نسمّيها بحركة المعدة في طلب الطعام، وهي الغريزة الأولى الّتي تدفع الإنسان إلى التحرّك والعمل في الحياة، وبعد ذلك بسنوات تتدرج الغريزة الثانية بالنمو فيه وذلك بعدما ينمو الطفل ويصبح صبيّاً وتتدرج خلاياه الدماغية في التحرّك لطلب طعام المعرفة، عندئذٍ يلفت نظره وجود كلّ موجود وحدوث كلّ حادث يراه ويوجّه السؤال إلى والديه

عن سبب وجود الحادث. فإذا رأى الشمس ـ مثلاً ـ تغرب في الأفق يسأل أبو يه ويقول:

أين تذهب الشمس في اللّيل؟

وإذا رأى عيناً نابعة في أسفل الجبل يجري منها الماء، يسألها:

من أين يأتي هذا الماء؟

وإذا رأى الغيوم تسير في السماء يسألها:

أين تذهب هذه الغيوم؟

وهكذا يطّرد انتباهه للموجودات وحركاتها وإيراده السؤال عن أسبابها من والديه أو أي إنسان آخر أكبر سنّاً منه يصحبه، وهذه هي الغريزة الثانية الّتي تدفع الإنسان إلى التحرّك لإشباع نهم هذه الغريزة، وهذه الغريزة في حقيقتها هي حركة العقل البشري في سبيل كسب المعرفة عن طريق البحث لمعرفة أسباب الحوادث، ويطّرد عمل هذه الغريزة طوال عمر الإنسان في البحث عن سبب وجود كلّ موجود، وسبب حركة كلّ موجود وسبب سكونه. وهذا هو السبيل الوحيد لكسب المعرفة الإنسانية واكتساب جميع العلوم البشرية. وينتهي بحث الإنسان عن سبب وجود الموجود إلى معرفة موجد الموجودات أي وجود الإله الخالق، وفي بحثه عن سبب حركة الموجودات وسكونها إلى معرفة موجد النظام لحياة كلّ موجود، مثل سير القمر حول الأرض، والأرض حول الشمس، أو حركة الذّرّة في داخلها وحركة الكريّات البيض والحمر في الدّمّ، وإلى ما لا يعدّ ويحصى من أنظمة الحركة والسكون للموجودات. يهتدي الإنسان في هذا النوع من البحث إلى أنّ للموجودات في عالمنا الأرضي والسماوي وما بينهما ربّاً نظّم حياة كلّ فرد من الموجودات، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ...﴾ الآية.

(٣)

تفسير الآية

﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم﴾، أي عندما أخذ الله من كلّ فرد من بني آدم ذرّيّتــه ونسلت الذرّيّة من ظهر أبيه ﴿أَشْهَدَهُم عَلىٰ أنفُسِهِم﴾؛ استشهد كلّ فرد منهم على نفسه وسأله بما وهبه من فطرة البحث عن أسباب وجود كلّ موجود وأسباب حركة كلّ موجود وما أدركه بعقله أنّ لكلّ مخلوق خالقاً ولكلّ منظّم منظِّماً، وهي الغريزة الفطريّة التي بها يمتاز الإنسان عن كلّ ما عداه من مخلوق، وبها يستنتج ويتعلّم مالا يتعلّمه غيره من الخلق كما يأتي بيانه في تفسير ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ إن شاء الله تعالىٰ.

(٤)

المحيط والوالدان لايجبران الإنسان على أمر

بالغريزة الّتي جبلهم الله عليها ﴿أَشْهَدَهُمْ علىٰ أَنْفُسِهِم﴾ وقال لهم:

﴿أَلستُ بِرَبِّكُم﴾؟ وأجابوا بلسان الفطرة ـ أيضا ـ: (بَلىٰ شَهِدْنا)، وهذا هو معنىٰ الحديث المروي عن رسول الله (ص):

«كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلىٰ الفِطرَةِ حَتّىٰ يَكُونَ أَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ وَيُنَصِّرانِه»[١].

---

(١) مادة (الفطرة) من سفينة البحار.

وفي رواية أخرىٰ بعدها: «وَيُمَجِّسانِه»[٢].

أي أنّ كل إنسان يولد على فطرة معرفة الربوبيّة كما يأتي شرحها إن شاء الله تعالىٰ، وانّ والديه يحرفانه عن فطرته السليمة، ويدخلانه في دين اليهود أو النصارىٰ أو المجوس المنحرفين عن دين الفطرة والمحرّفين لدين الله جل اسمه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وإنّما أشهدهم على الإيمان بالرّبّ دون الإشهاد على الإيمان بالإله لأنّ الإيمان بالرّبّ المشرّع لنظام الحياة للخلق يستلزم الإيمان بوجود الإلٰه الخالق لهم دون العكس، كما يأتي بيانه ضمن تفسير: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ إن شاء الله تعالىٰ.

أشهدهم الله تعالىٰ بذلك علىٰ أنفسهم لئلّا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ﴾ ولم نتنبّه لربوبيّتك، ولم تُقِم لنا حجّة عليها، ولم تكمل عقولنا لندرك بها الربوبية.

أو يقول قائل منهم: ﴿إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِن قَبلُ وَكُنّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم﴾.

أي: إنّما نشأ آباؤنا قبلنا على الشرك بالألوهية والكفر بالربوبيّة، وكنّا ذرّيّة

---

(٢) اللفظ لمسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة الأحاديث: ٢٢ ـ ٢٥، ص: ٢٠٤٧ ـ ٢٠٤٩.

وصحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ١/ ١٦١ ـ ١٦٢، وباب ما قيل في أولاد المشركين، ١/١٦٧، وكتاب التفسير، تفسير سورة الروم، ٣/١١٦، وكتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ٤/٩٦.

وسنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في ذراري المشركين، ٤/ ٣١٦ ـ ٣١٧، الحديث: ٤٧١٤.

وسنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء كلّ مولود يولد على الفطرة، ٨/٣٠٣.

وموطأ مالك، كتاب الجنائز باب جامع الجنائز ١/٢٤١، ح: ٥٢.

ومسند أحمد ٢/٢٣٣ و٢٥٣ و ٢٧٥ و ٢٨٢ و ٣١٥ و ٣٤٦ و ٣٩٣ و ٤١٠ و ٤٨١ و٣/٤٣٥ و ٤/٢٤.

جئنا إلى الدنيا من بعدهم لانعرف شيئا من الحياة، وهم الّذين وجّهونا إلىٰ الكفر بالألوهية والشرك بالربوبيّة، فنشأنا على ماربّونا ووجّهونا، فالذنب ذنبهم وتقع التبعة عليهم: ﴿أَفتُهلِكُنا بما فَعَلَ ٱلمبطِلُون﴾؛ أفتعذبنا بما ربّانا عليه الآباء والأمّهات، وذلك ما يعبّر عنه في عرفنا اليوم بأثر المحيط علىٰ الطفل خاصّة وعلىٰ الإنسان بصورة عامّة، وقال الله سبحانه: ليس لكم أن تقولوا ذلك لأنّنا فطرناكم علىٰ غريزة البحث عن الأسباب. وبذلك اكتشف الخلف بعد السلف ما لم يعرفه الأسلاف، وكانوا ينكرون بعضها ويكفرون ببعض مثل؛ قوة البخار، وطاقة الكهرباء، وسير النور، ودوران الكواكب بعضها حول بعض وإلىٰ مايتعسّر إحصاؤها من أمثالها مما تمكّن الخلف من إثبات بطلان أقوال السلف وعقائدهم حولها.

وهكذا قال الله تعالى لنا: بما فطرناكم عليه من غريزة البحث عن الأسباب ومنحناكم العقل الذي تميّزون به الصحيح من الخطأ والحقّ من الباطل، أتممنا الحجّة عليكم، وليس لكم أن تقولوا: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا واتّبعناهم وأثّر فينا محيطنا. وقد ضرب الله تعالى مثلاً في القرآن الكريم على تمكّن الإنسان من مخالفة المحيط الّذي نشأ فيه كما جاء في سورة التحريم:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذينَ كَفَرُوا ٱمرَأَةَ نُوحٍ وَٱمرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحتَ عَبدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَين فَخَانَتَاهُمَا فَلَم يُغنِيَا عَنهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيئاً وَقيلَ ٱدْخُلا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلينَ* وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذينَ آمَنُوا ٱمرَأَتَ فِرعَونَ إذ قَالَت رَبِّ ٱبنِ لي عِندَكَ بَيتاً في ٱلجَنَّةِ وَنَجِّني مِن فِرعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّني مِن ٱلقَومِ ٱلظَّالِمينَ* وَمَريَمَ ٱبنَتَ عِمرَانَ ٱلَّتي أحصَنَت فَرجَهَا فَنَفَخنا فيهِ مِن رُوحِنا وَصَدَّقَت بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَت مِنَ ٱلقَانِتين﴾ (الآيات ١٠ ـ ١٢).

كانت آسية في أسرة كافرة ومحيط كافر وزوجة لمن يدّعي الألوهية والرّبوبية. إذاً فإنّ آسية كانت ربّة وآلهة على حدّ زعم قومها، ومع ذلك فإنّها

خالفت قومها وأسرتها وزوجها وآمنت بربّ العالمين، وتبرّأت من فرعون وعمله وقالت: ﴿نَجِّني مِن فِرعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّني مِنَ ٱلقَومِ الظّالمين﴾ أي قومها، وقاومتهم حتّى آستشهدت في سبيل الإيمان بربّ العالمين.

وكذلك كانت كلّ من آمرأة نوح وآمرأة لوط في بيت نبيّ يدعو الخلق إلى ربّ العالمين، فكفرتا بربّ العالمين وبزوجيهما. وكان أكثر خلافاً منهنّ للمحيط آبن نوح الّذي أخبر الله تعالى عنه في سورة هود (ع) أنّه عصى أباه نوحاً (ع) لما ركب السفينة فقال:

﴿وَهِيَ تَجري بِهِم في مَوجٍ كَالجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ آبنَهُ وَكانَ في مَعزِلٍ يابُنَيَّ آركَب مَعَنَا وَلاتَكُن مَعَ ٱلكَافِرِين* قَالَ سَآوِي إلىٰ جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱليَومَ مِن أمرِ الله إلّا مَن رَحِمَ وَحَالَ بَينَهُمَا ٱلموجُ فَكَانَ مِنَ المُغرقين﴾ (الآيتان ٤٢ ـ ٤٣).

إنّ كلّا من زوجة نوح ولوط خالفت زوجها، وإنّ آبن نوح(ع) خالف أباه وآمتنع من ركوب السفينة وهو يرى آثار عذاب الله: (الأمواج الّتي ظهرت كأنّها الجبال) متابعة منها ومنه لهوى النفس.

وإنّ امرأة فرعون خالفت قومها وأسرتها وزوجها مخالفة منها لهوى النفس وآتّباعاً لأمر ربّها، وإنّ مريم (ع) آبنة عمران صدّقت بكلمات ربّها وكتبه وهي في أسرة مؤمنة. إذاً إنّ الأسرة والمحيط لايقسران الإنسان على الكفر أو الإيمان، وإنّما توجد في الإنسان الرغبة في متابعة المحيط كما أخبر الله في سبعة مواضع من كتابه الكريم، أنّ الأمم قالت لأنبيائها إنّها تتّبع آباءها في عبادة الأصنام والملائكة، مثل ما جاء في خبر إبراهيم (ع) مع قومه:

أ ـ في سورة الأنبياء:

﴿وَلَقَد آتينا إبرَاهِيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ وَكُنّا بِهِ عالِمين* إذ قَالَ لأبيهِ وَقَومِهِ مَا هٰذِهِ التَّماثيلُ الّتي أنْتُم لَهَا عَاكِفُون* قالُوا وَجَدنَا آباءَنا لَهَا عابِدين﴾ (الآيات ٥١

ـ ٥٣).

ب ـ في سورة الشعراء:

﴿وَاْتلُ عَلَيهم نَبَأَ إبراهِيمَ* إذ قالَ لِأبيهِ وَقومِهِ ماتَعبُدُونَ* قالُوا نَعبدُ أصنامـاً فَنَظَلُّ لَهَا عاكِفين* قالَ هَل يَسْمَعُونَكُمْ إذ تَدعُون* أو يَنفَعُونَكم أو يَضُرُّونَ* قالُوا بل وَجدنَا آباءَنَا كَذلِكَ يَفعَلُون﴾ (الآيات ٦٩ ـ ٧٤).

وجاء في خبر موسى (ع) مع قومه في سورة يونس:

﴿قالَ مُوسىٰ أتَقُولُونَ لِلحَقِّ لَـمَّا جاءَكُم أَسِحرٌ هٰذَا وَلَا يُفلِحُ السَّاحِرُونَ* قالُوا أجِئتَنَا لِتَلفِتَنَا عَمَّا وَجدْنَا عَليهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُما الكِبرِياءُ في ٱلأرضِ وَمَا نَحنُ لَكُما بِمُؤمِنِين﴾ (الآيتان ٧٧ ـ ٧٨).

ومثل ماجاء في خبر خاتم الأنبياء مع قومه في:

أ ـ سورة المائدة:

﴿وَإذا قِيلَ لَهُم تَعالَوْا إلىٰ ما أنْزَلَ اللّهُ وَإلىٰ الرَّسول قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَليهِ آباءَنا أوَلَوْ كانَ آباؤُهَم لايَعلمُونَ شَيئاً ولا يَهتَدُون﴾ (الآية ١٠٤).

ب ـ سورة لقمان:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجادِلُ في ٱللّهِ بغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدىً وَلا كتابٍ مُنير* وإذا قيل لَهُمُ ٱتَّبعوا ماأنزلَ اللّهُ قالُوا بَل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَليهِ آباءَنا أوَ لَو كانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إلىٰ عَذابِ ٱلسَّعير﴾ (الآيات ٢٠ ـ ٢١).

ج ـ سورة الزخرف:

﴿وَجعَلُوا ٱلمَـلائكَـةَ ٱلَّذِينَ هُم عِبادُ الرَّحمٰنِ إناثاً أشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُم وَيُسأَلُون* وَقالُوا لَو شاءَ ٱلرَّحمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَا لَهُم بِذلكَ مِن عِلمٍ إنْ هُم إلاّ يَخْرُصُون* أمْ آتَيناهُم كتاباً مِن قَبلِهِ فَهُم بِهِ مُستَمسِكُون* بَل قالُوا إنّا وَجَدْنا آباءَنا علىٰ أُمّةٍ وَإنّا علىٰ آثارِهِم مُهتَدُون﴾ (الآيات ١٩ ـ ٢٢).

د ـ وجاء في خبر الأمم السابقة في قوله تعالى في السورة نفسها:

﴿وَكَذلكَ ما أَرْسَلْنا مِن قَبلِكَ في قَرْيَةٍ مِن نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها إنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلىٰ أُمَّةٍ وَإنّا عَلىٰ آثارِهِم مُقتَدُون* قالَ أَوَلَو جِئتُكُم بأَهدىٰ مِمّا وَجَدتُم عَلَيهِ آباءَكُم قالُوا إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرُون* فَٱنتَقَمنا مِنهُم فَٱنْظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبين﴾ (الآيات ٢٣ ـ ٢٥).

شرح الكلمات[٣]

١ ـ التمثال: ماصُنِعَ من فلز أو نُحِتَ من حجرٍ أو خشب يحاكى به ماخلق الله، أو يُرمز به إلى شيءٍ من ذلك.

٢ ـ عاكفون: ملازمون للمعبد ومقيمون فيه لعبادة الأصنام.

٣ ـ تلفتنا: تَصْرِفُنا.

٤ ـ سعير: السعير: لهيب النار أو النار الملتهبة، والمراد منه في الآية: نار جهنّم.

٥ ـ يَخرُصُون: يكذبون.

٦ ـ أُمّة: الأُمّة: كلّ جماعة يجمعهم أمر ما، ديناً واحداً كان أو زماناً واحداً أو مكاناً واحداً.

٧ ـ المترف: المتنعّم؛ المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها والّذي أبطرته النعمة فبغىٰ.

تفسير الآيات

في هذه الآيات أخبر الله سبحانه أنّ خليله إبراهيم (ع) سأل قومه قائلاً لهم: ماهـذه التـماثيل الّتي أنتم عاكفـون على عبادتها؟ هل يسمعونكم حين

---

(٣) رجعنا لتفسير الألفاظ المذكورة في المتن إلى مفردات الراغب أولاً، ثم إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم، ثم لسان العرب، ثم المعجم الوسيط.

تدعونهم؟ أو ينفعونكم أو يضرّونكم؟ قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!

وأخبر عن موسى أنّه قال لقوم فرعون: أتقولون للآيات الّتي هي حقّ إنّها سحرٌ؟ فقالوا: أجئتنا لتصرفنا عمّا وجدنا عليه آباءنا!

وأخبر عمّا جرىٰ لخاتم الأنبياء مع مشركي قريش فقال تعالىٰ:

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُم تَعالَوْا إِلىٰ ماأَنْزَلَ اللّهُ، قالوا حَسبُنا ما وَجَدْنا عَلَيهِ آباءَنا﴾.

وقال: ﴿ومِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجادِلُ فِي ٱللّهِ بِغَيرِ عِلمٍ ولاَ هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾ (الحج ٨).

وإنّ كفّار قريش كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنّها إناث ـ بنات الله ـ فيسأل سبحانه وتعالى على سبيل الاستفهام الاستنكاري ويقول: أشَهِدُوا خلق الملائكة ورأوا أنّهم خُلقوا اناثاً؟ أم أنزل الله عليهم كتاباً مثل التوراة والإنجيل ذكر فيه ذلك، فهم به مستمسكون؟ لا لم يقولوا ذلك بل، قالوا: إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون.

وأخبر الله سبحانه رسوله (ص) مسليّاً له، وقال تعالى: وكذلك ما أرسلنا قبلك في مدينة ممن بعثوا لإنذار الناس إلاّ وقد قال المترفون في المدينة إنّا وجدنا آباءنا على دين وإنّنا نقتدي بهم، فقال لهم الّذي بعثه الله لينذرهم: أوَلَو جئتكم بأهدىٰ ممّا وجدتم عليه آباءكم، قالوا: إنّا بما أرسلتم به كافرون.

إذاً فإنّ العصبيّة القومية الجاهلية هي الّتي توجد هوىً في نفس الإنسان، وتجعلها تخالف فطرته السليمة الّتي تهديه إلى معرفة الإله الخالق والرّبّ المربّي للخلق!

خلاصة البحث

إذا كانت نفس الإنسان طُلَعَة[٤] تبحث عن المعرفة طوال حياته، كما تطلب معدته الشرهة الطعام طوال حياته، فإنّه عندما يبحث عن سبب حركة كلّ متحـرّك ووجـود كل موجود؛ يحكم عقله بأنّ لكلّ حركة سبباً محرّكاً، ولكلّ مخلوقٍ منـظّمٍ وجودُهُ، ومُتّزنٍ بموازينَ محكمةِ الصنعِ : خالقاً، والخالق اسمه الإله. إذاً ليس لأحد من الناس أن يقول يوم القيامة:

﴿إنّا كُنّا عَن هٰذا غافِلين﴾.

أو يقول:

﴿إنّـما أشـرَكَ آبـاؤنـا مِن قَبـلُ وَكُنّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم أفَتُهلِكُنا بِما فَعَلَ المبطِلُون﴾ لأنّ مثلهم في ذلك مثل الناس في الحياة الدنيا، فإنّ الناس كانوا يعيشـون قبـل كشف الـطاقـة الكهربائية في ظلام دامس، وبسبب ما أُوتوه من غريزة البحث توصّـل الأبنـاء إلى كشف الـطاقـة الكهـربـائية، وكذلك الشأن في كشف كلّ جيل من المكتشفات العلمية مالم يبلغها أسلافه، ولهذا السبب ليس لأحد أن يقول: كان آبائي في ظلام الشرك أو الإلحاد ـ إنكار الخالق ـ واتّبعتهم اضطراراً، أضف إلى ذلك أنّ الله أتم الحجّة على الناس بارسال الرسل لتذكير الغافلين، كما قال سبحانه لخاتم أنبيائه (ص) في سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إنّما أنتَ مُذَكِّر * لَستَ عَلَيهم بمُصَيطِر﴾ (الآيات ٢١ ـ ٢٢).

وَسَمّى ٱلقُـرْآنَ بالذِّكْر، وَقالَ تَعالىٰ في سُورَة النَّحل: ﴿...وَأنزلنا إلَيكَ الذِّكر لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ مانُزِّلَ إلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرون﴾ (الآية ٤٤).

وفي البحث القادم ندرس ما أجملنا ذكره هنا بالتفصيل بحوله تعالى.

---

(٤) نفسٌ طُلَعَة: كثيرةُ التطلّع إلى ما تهواه، والمعنىٰ هنا: كثيرة التطلّع إلىٰ كسب المعرفة.

-٢-

بحوث الإلوهيَّة

أ ـ هل خلق الخلق مصادفة؟

ب ـ معنىٰ الإلٰه

ج ـ معنىٰ لا إلٰه إلّا الله

الإلٰهُ هو الخالق، ولا خالق غير الله.

ولا يعبد غير الخالق.

أي: لا خالق ولا معبود غير الله الأحد.

إذاً: لا إلٰه إلّا الله.

د ـ أ لِلّهِ بنات وبنون؟

أ ـ هل خلق الخلق مصادفة؟

في الناس من يقول ما خلاصته: إنّ الخلق والنظام وجدا مصادفة دون أن يكون للخلق خالق وللنظام منظم، أي أنّهم قالوا:

إنّ ما لايعدّ ولا يحصىٰ من الخلق خُلِقَ (بطريق المصادفة) أي إنّ الذرّات تلاقت وتجمّعت على نِسَبٍ وأوضـاع خاصـة (عن طريق المصادفة) فكوّنت العنـاصـر الأصلية: (الأوكسجـين والهيدروجين و... و...الخ.) ثم تلاقت هذه العناصر وتجمّعت وتمازجت (بالمصادفة) على نسب صالحة (بالمصادفة) وفي مدد كافية (بالمصادفة) وأجواء ملائمة (بالمصادفة)، فتكوّنت هذه الأنواع التي لاتعد ولاتحصى من الخلق، وخلقت الحياة من هذه المصادفات!!!

ونذكر المثال الآتي لإيضاح زيف هذا القول بحوله تعالى:

خذ عشر كريات صغار بحجم واحد، رَقِّمْهَا من ١ ـ ١٠ ثم ضعها في كيس وهزّها هزّاً شديداً، ثمّ حاول أن تسحبها من الكيس حسب ترتيبها من ١ ـ ١٠.

إنّ احتمال سحب الكرية رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠، واحتمال سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠، واحتمال سحب الكريات المرقمة: ١ و ٢ و ٣ متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠، واحتمال سحب الكريات المرقمة: ١ و٢ و ٣ و ٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠، وهكذا حتى يصبح احتمال سحب الكريات العشر بترتيبها الأول أي من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ إلى عشرة

ملايين[٣].

إذا كان هذا رأي العلم في تحقق إخراج عشرة أعداد متوالية من كيس واحد مصادفة، فما رأي العلم في ايجاد هذه النظم التي نعلمها اليوم لما لايعدّ ولايحصىٰ من الخلق؟!! وهل يصحّ لعاقل أن يقول: خُلقت جميعها مصادفة، وأصبح لكلّ فرد منها جزيئة، ولكلّ جزيئة من أجزائها هذه النظم مصادفة؟!!

وصدق الله العظيم حيث يقول:

أ ـ في سورة الحجر:

﴿وَلَقَد جَعَلنا في ٱلسَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنّاها لِلنّاظِرِينَ﴾ (الآية ١٦).

﴿وَالأرضَ مَدَدناها وَألقَينا فِيها رَواسِيَ وَأنبَتنا فِيها مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزونٍ﴾ (الآية ١٩).

ب ـ في سورة البقرة:

﴿إنَّ في خَلقِ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأرضِ وَٱختِلافِ اللَّيلِ وَٱلنَّهارِ وَٱلفُلكِ ٱلّتي تَجري في ٱلبَحرِ بِما يَنفَعُ ٱلنّاسَ وَماأنْزَلَ ٱللّهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن ماءٍ فَأحيا بِهِ ٱلأرضَ بَعدَ مَوتِها وَبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دابَّةٍ وَتَصريفِ ٱلرِّياحِ وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّماءِ وَٱلأرضِ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ١٦٤).

إي وربّي إنّ في خلق السماوات والأرض، والنظام المتقن في بروج السماء وكواكبها، والميزان المحكم في كلّ مانبت من الأرض لآيات لقوم يعقلون.

ولكن هوى النفس يمنع الإنسان العاقل من التعقّل!!!

---

(٣) العلم يدعو للايمان، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ، ص٤٩، بتصرف، تأليف: أ. كريسي موريسون A. CRESSY MORRISON ترجمة محمود صالح الفلكي.
رد به على مؤلّف كتاب: الانسان يقوم وحده MAN STANDS ALONE وسمّاه: الانسان لايقوم وحده MAN DOES NOT STAND ALONE.

ب ـ معنىٰ الإلٰه

أوّلاً ـ في معاجم اللغة:

موجز ما في المعاجم حول الـ «إلٰه»:

«إلٰـه» على وزن كتـاب من مادة أَلِهَ يأْلَه بمعنى عبد، يعبد، عبادة: أي أطاع إطاعة بتذلّل وخضوع، ثمّ إنّ لفظ «إلٰه» كـ «كتاب» مصدر واسم مفعول معاً، فكما أنّ الكتاب مكتوب، فإنّ الذي جاء بمعنىٰ «مألوه» يأتي أيضاً بمعنىٰ: معبود أو مُطاع.

إذاً إلٰه في اللغة يعني:

١ ـ العبادة: بتذلّل وخضوع.

٢ ـ الإطاعة المطلقة.

كان ذلكم معنىٰ (إله) في اللغة.

ثانياً ـ في محاورات العرب:

جاء الإله في محاورات العرب بمعنيين:

١ ـ أَلِهَ: أي أجرى للمعبود العبادات الدينية مثل: الصلاة والدعاء وتقديم القرابين. و(إلٰهاً) على وزن كتاباً: بمعنى المألوه أي المعبود الذي يُعبَد وتُجرى له الطقوس الدينية كما أن الكتاب يرد بمعنى المكتوب. والعرب تسمي كل

مايُعبد: (إلهاً)، وجمعها: (الآلهة) خالقاً كان ذلك الإله أو مخلوقاً، مثل الأصنام والتماثيل والشمس والقمر والأبقار التي يعبدها الهنود.

٢ ـ يأتي الإلٰه أحياناً بمعنىٰ المطاع[1] كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة الفرقان:

﴿أرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَواهُ أفأنتَ تَكُونُ علَيهِ وَكيلاً﴾ (الآية ٤٣).

٢ ـ في سورة الجاثية:

﴿أفَرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ وَأضَلَّهُ اللّهُ علىٰ عِلْمٍ﴾ (الآية ٢٣).

والمعنىٰ في الآيتين: ﴿أرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَوَاه﴾: أي أطاع هوى نفسه، ويدل على ذلك قوله تعالىٰ في سورة القصص:

﴿وَمَن أضَلُّ مِـمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيرِ هُدىً مِنَ اللّهِ﴾ (الآية ٥٠).

٣ ـ في سورة الشعراء في حكاية قول فرعون لموسىٰ (ع):

﴿لَئِنِ اتَّخَذتَ إلٰهاً غَيرِي لأجعَلَنَّكَ مِنَ المسجُونِين﴾ (الآية ٢٩).

ويدل علىٰ ذلك (أي علىٰ أنّ فرعون وقومه كانت لهم آلهة يعبدونها) كما حكى عنهم سبحانه وتعالىٰ في سورة الأعراف فقال:

﴿وَقَـالَ المَـلأُ مِن قَومِ فِرعَونَ أتَذَرُ مُوسىٰ وَقَومَهُ لِيُفسِدُوا في الأرضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الآية ١٢٧).

إنّ الآلهـة التي ذكـرت هنا كانت معبودات فرعون وقومه، يقرّبون لها القرابين ويُجرون لها الطقوس الدينيّة. أمّا فرعون نفسه فقد كان إلهاً، أي مطاعاً.

ومن المحتمـل أنّ فرعـون ـ أيضاً ـ كان يدّعي لنفسه الألوهية بالمعنى

---

(١) راجع مادة (ألَه) في مفردات الراغب. وكتاب «التحقيق في كلمات القرآن».

الأول، كما جاء عن بعض الأقوام أنهم كانوا يزعمون انّ ملوكهم من سلالة الآلهة (شمساً كانت أو غيرها)، ويجرون لهم بعض الطقوس العبادية.

* * *

كان ذلكم معنىٰ الإله لدى العرب وغيرهم من الأقوام البائدة والحاضرة.

ثالثاً ـ في المصطلح الإسلامي:

الإله في المصطلح الإسلامي من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المعبود، وخالق الخلق. وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي مع وجود قرينة تدلّ على أنّ المقصود معناه اللغوي، مثل قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿ٱلَّذِينَ يَجعَلُونَ مَعَ اللّهِ إلٰهاً آخَرَ﴾ (الآية ٩٦).

فإنّ لفظي: (آخر) و(مع الله) في الآية يدلّان على أن المقصود من الإلٰه: معناه اللغوي: المطاع والمعبود، وجاء مطلقاً في معناه الاصطلاحي في آيات كثيرة أخـرىٰ من القرآن الكريم، والتي تحصرالألوهية في الله سبحانه كما سنذكره مفصلاً في البحث الآتي.

واجمـع القول في معنىٰ الاله ما نقله ابن منظور في مادة (اله) من لسان العرب عن أبي الهيثم أنه قال:

قال الله عزّ وجلّ: ما اتَّخذَ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه من إلَهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بما خَلَقَ. قال: ولا يكون إلَهاً حتىٰ يكون مَعْبُوداً، وحتىٰ يكونَ لعابده خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً، وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلْماً، بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد.

ج ـ معنىٰ لا إلٰه إلاّ الله

إنّ معنىٰ الإلٰه في القرآن الكريم يتّضح بالتدبّر في الآيات التي جاءت في دحض أقوال المشركين في الألوهية وحصرها في الله العلي القدير، وما حكاه من محاورات الأنبياء معهم حولها، كما نراها في الآيات الآتية من سورة المؤمنون.

قال الله سبحانه:

﴿وَلَقَد خَلَقنا الإنسانَ مِن سُلالَةٍ مِن طين* ثُمّ جَعَلناه نُطفَةً في قَرارٍ مَكين* ثُمّ خَلَقنَا النُّطفةَ عَلَقَةً فَخَلَقنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحماً ثُمّ أنشَأناهُ خَلقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أحسَنُ الخالقين﴾ (المؤمنون ١٣ ـ ١٤).

شرح الكلمات

أ ـ سُلالَة:

سلّ الشيء من الشيء: انتـزعه وأخرجه برفق، يقال: سلّ الشعرة من العجـين. والسـلالـة: الصفو الذي ينتزع برفق، وسمّيت النطفة سلالة لأنّها مستخلصة من الغذاء.

ب ـ نُطْفَة:

اَلنُّطْفَة: القليل من الماء. وسمّي ماء الرجل والمرأة (أي منيُّهما): نطفة.

ج ـ قَرار:

قرّ الشيءُ في مكانه قراراً: إذا ثبت ثبوتاً جامداً مستقراً. وأُريد به مقر

النطفة.

د ـ مَكِين:

مَكُنَ الشيء مكانه: استقر وثبت في موضعه لايتزلزل فهو مكين.

والمعنىٰ: جعلنا النطفة في مقرّها ـ الرحم ـ.

هـ ـ العَلَق: الدم الجامد الغليظ الذي يعلق بها مسّه، والقطعة منه علقة.

و ـ مُضْغَة:

مضغ اللّحم: حرّكه في فمه وقطّعه بأسنانه ليبتلعه، ويقال لقطعة اللحم التي هي قدر مايمضغ: مُضغة، ومن ثمّ يقال للجنين في بطن الحامل حين يصير قطعة لحم قدر مايمضغ في الفم: مضغة بعد أن كان علقة.

ز ـ أنشَأ:

أنشَأ الشيء: أوجده وأحدثه وربّاه.

وأنشأ الله الخلق: خلقهم وربّاهم.

تفسير الآيات

ولقد خلقنا الانسان من صفو منتزع من طين الأرض، ثم جعلناه نطفة في مكان مستقر وهو الرحم، ثم صيّرنا النطفة دماً جامداً غليظاً يلزق بها مسّه، ثم صيّرنا ذلك الدم الجامد لحماً كالممضوغ وبقدر مايحويه الفم.

ثمّ صيّرنا المضغة عظاماً.

فكسونا العظام لحماً، ثم صيّرناه خلقاً آخر له أعضاء وروح، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي خلق هذا المخلوق.

عود على بدء:

يأتي بعد الآيات: (١٢ و ١٣ و ١٤) من سورة (المؤمنون) ذكر بعض المخلوقات التي سخّرت للإنسان، ثمّ الحديث عن أنواع مخلوقات الله، ثمّ يقول تعالى في السورة نفسها:

﴿وَلَقَد أرسَلنَا نُوحاً إلىٰ قَومِهِ فَقالَ ياقَومِ اعبُدُوا اللّهَ مَالَكُم مِن إلٰهٍ غَيرِهِ أَفَلا تَتّقون﴾ (الآية ٢٣).

ثمّ يذكر إنشاء الأمم الأخرى التي خلقها الله عزّ وجلّ، ويفصّل بيان كفرها حتى الآية الحادية والتسعين التي يقول فيها:

﴿مَااتّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَما كَانَ مَعَهُ مِن إلٰهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعضُهُم عَلىٰ بَعض...﴾ (الآية ٩١).

وهكذا نرىٰ في هذه الآيات أنّ الصفة البارزة للألوهية هي (الخالقية)، ولهذا نجد أنّ الله عزّ وجلّ يسأل المشركين بعد قوله تعالى في سورة الأحقاف:

﴿مَاخَلَقنَا السّمٰوَاتِ وَالأرْضَ وَمَابَينَهُمَا إلاّ بالحَقّ﴾ (الآية ٣).

قائلاً: ﴿قُل أرأيتُم ماتَدعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أرُوني ماذا خَلَقُوا مِنَ الأرضِ أم لَهُم شِرْكٌ في السّمٰوات...﴾ (الآية ٤).

وكذلك الأمر في قوله تعالى:

أ ـ في سورة الرعد:

﴿أم جَعَلُوا للّهِ شرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم﴾ (الآية ١٦).

ب ـ في سورة الرعد أيضاً:

﴿قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّار﴾ (الآية ١٦).

ج ـ في سورة المؤمنون:

كما مرّ أعلاه.

د ـ في سورة النحل:

﴿أفَمَن يَخلُقُ كَمَن لايَخلُقُ أفلا تَذكُرون﴾ (الآية ١٧).

ويتكرر هذا المعنى في الآية (٢٠) من سورةالنحل والآية (٣) من سورة الفرقان و (١٩١) من سورة الأعراف.

في كلّ هذه الآيات نجد التحدّي ومحاججة المشركين في مسألة توحيد الالوهية بأحدية الخالق، ففي الآية الأولى يسأل الله عزّوجلّ الكفار ويقول:

أروني ماتَدعونَ مِن دونِ اللّهِ ماذا خَلقوا لَكُم مِنَ الأرضِ.

وفي الآية الثانية يقول:

هل جعلتم لله شركاء لأنّكم وجدتم لهم مخلوقات مثل مخلوقات الله وتشابه عليكم خلق الله بخلق غيره؟

ويتساءل في الآية الثالثة ويقول:

هل يستوي من يخلق مع من لايخلق؟

وكذلك يقول عزّ وجلّ:

ما كان معه من إله.

وفي آية أُخرى ـ أيضاً ـ يقول:

قُل اللّهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّار.

هكذا نرى القرآن الكريم يحتجّ في مقام الاستدلال على المشركين الذين يعبدون آلهة أخرى ويشركونهم في العبادة مع الله الواحد الأحد، ويقول إنّ خلق الخلق خاص بالله. والآلهة الأخرى ليست لها أية قدرة على الخلق.

ومن ثمّ ندرك أنّ الصفة البارزة للإله هي الخالقية.

وفي الآيات التالية يظهر ذلك بشكل أوضح، حيث قال الله تعالى:

أ ـ في سورة الأنعام:

﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم لا إِلٰهَ إلاّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاْعبُدُوه﴾ (الآية ١٠٢).

ب ـ في سورة هود:

﴿قالَ ياقومِ اْعْبُدُوا اللّهَ مَالَكُم مِن إلٰهٍ غَيرِهِ هُوَ أنشأكُم مِنَ الأَرضِ﴾ (الآية ٦١).

ج ـ في سورة فاطر:

﴿هل مِن خالِقٍ غَيرُ اللّهِ يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأرضِ لَا إلٰهَ إلاّ هُو...﴾ (الآية ٣).

د ـ في سورة الفرقان:

﴿وَاْتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَايَخْلُقونَ شَيئاً وَهُم يُخلَقُونَ...﴾ (الآية ٣).

هـ ـ في سورة الحج:

﴿ياأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاْسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الَّذينَ تَدْعونَ مِنْ دُونِ اْللّهِ لَنْ يَخلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اْجتَمَعُوا لَهُ وَإنْ يَسلُبهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لَايَستَنقِذُوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطلُوبُ ۞ مَا قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الآيتان ٧٣ ـ ٧٤).

إنَّ الله تعالى يخاطب في هذا الموضع من القرآن الكريم كلَّ الناس الذين يدعون آلهة من دون الله ويقول لهم:

استمعوا لهذا المثل: إنَّ الذين تدعون من دون الله (فراعنة كانوا أم أبقاراً أم آلهة أخرى) لَن يخلقوا ذباباً.

إنَّ أيَّ فرعون من الفراعنة وأيّة بقرة معبودة من الأبقار، وأيَّ إلٰهٍ آخر من آلهـة الناس، لن يخلقوا أقذر حشرة يعرفها الناس (كلّ الناس) ومنتشرة في مجتمعات الناس كلّها، ويتقذّر منها الناس كلّ الناس!

لن يستـطيع أي واحد من تلكم الآلهة أن يخلق وحده ذبابة قذرة، ولن

تستطيع كلّ الآلهة لو اجتمعت وتظاهرت على خلق ذبابة واحدة.

وان يسلب الذباب تلكم الآلهة: (أبقاراً كانت، أو فراعنة، أو آلهة أُخرى) شيئاً فلن تستطيع استنقاذه منه، فلو امتصّ الذباب ـ مثلاً ـ من بقرة من آلهة الهندوس دماً لما استَطاعت تلك البقرة من آلهة الهندوس أن تستنقذ حقّها: دمها المسلوب.

كم هي عاجزة وضعيفة تلك البقرة من آلهة البشر!؟ وكم هو عاجز وضعيف من يطلب حاجة من هذه الآلهة الضعيفة! ضعف الطالب والمطلوب!؟ وأخيراً ماقدروا الله حق قدره، الله الذي خلق الخلق أجمعين إنّه لقويٌّ عزيز.

وبناءً على هذا فإن الخلق كلّه من الله تعالى وحده، وهو الذي يخلق الخلق ويوجد كلّ موجود ويحيي ويميت، وهو مالك كلّ شيء.

فلا يوجد مؤثّر آخر في عالم الخلق غير الله تعالى كي نتّجه إليه في طلب حاجاتنا، ومن ثمّ يجب أن نعبده وحده ونطلب الحوائج منه وحده.

والآيات التالية ـ أيضاً ـ توضّح هذا المعنى حيث يقول الله تعالى في:

أ ـ سورة الأنعام:

﴿قُل أَرَأَيتُم إِن أَخَذَ اللهُ سَمعَكُم وَأَبصَارَكُم وَخَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُم مَن إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِهِ﴾ (الآية ٤٦).

ب ـ سورة الأعراف:

﴿اَلَّذي لَهُ مُلكُ اَلسَّمٰواتِ وَاَلأَرضِ لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ يُحيِي وَيُميت﴾ (الآية ١٥٨).

ج ـ سورة القصص:

﴿مَن إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأتيكُم بِضِياءٍ أَفَلا تَسمَعُون﴾ (الآية ٧١).

د ـ سورة الزمر:

﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلكُ لاَ إِلٰهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّىٰ تُصْرَفون﴾ (الآية ٦).

هـ ـ سورة الدخان:

﴿لاإِلٰهَ إلاّ هُوَ يُحيي وَيُميتُ رَبُّكم وَرَبُّ آبائكُم الأَوَّلين﴾ (الآية ٨).

و ـ سورة طه:

﴿إِنَّما إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذي لا إِلٰهَ إلاّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلماً﴾ (الآية ٩٨).

ز ـ سورة الإسراء:

﴿قُل لَو كانَ معهُ آلِهَةٌ كَما يَقولونَ إذاً لاَبْتَغَوا إلىٰ ذي ٱلعَرشِ سَبيلاً﴾ (الآية ٤٢).

ح ـ سورة مريم:

﴿وَاتَّخَذوا مِن دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكونوا لَهُمْ عِزّاً﴾ (الآية ٨١).

ط ـ سورة الأنبياء:

﴿أم لَهُم آلِهَةٌ تَمْنَعُهم مِن دُونِنا﴾ (الآية ٤٣).

ي ـ سورة يس:

﴿ءَأَتَّخِـذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إن يُرِدنِ ٱلرَّحمٰنُ بِضُرٍّ لاتُغنِ عَنّي شَفاعَتُهم شَيئاً وَلايُنقِذون﴾ (الآية ٢٣).

ك ـ سورة يس ـ أيضاً ـ:

﴿وَاتَّخَذوا مِن دُونِ اللّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُم يُنْصَرون﴾ (الآية ٧٤).

ل ـ سورة هود:

﴿فَما أغنَت آلِهَتُهُمُ ٱلَّتي يَدعونَ مِن دُونِ ٱللّهِ مِنْ شَيء﴾ (الآية ١٠١).

وهكذا يصرّح القرآن الكريم بأنّ كلّ أنواع خلق الخلق مخصوص بالإله الواحد، من إنزال المطر، وإنبات النبات، وشفاء الأمراض، والنصرة على العدوّ المقتدر، وإزالة الفقر، كلّ هذه الأمور وأمثالها، وكلّ فعل آخر في الوجود إنّما هو من الله تعالى وحده، فهو الإله الحقيقي للعالم، ليس له شريك في قدرته وأفعاله، وهو أحد لا شبيه له: ﴿لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أحَد﴾ وهو الله عزّ وجلّ.

كما وصف نفسه جلّ اسمه وقال تعالى في:

أ ـ سورة النساء:

﴿إنّما ٱللهُ إلهٌ واحدٌ سُبحانهُ أن يَكونَ لهُ وَلَد﴾ (الآية ١٧١).

ب ـ سورة المائدة:

﴿لَقد كَفَرَ الَّذين قالوا إنَّ ٱللّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِن إلهٍ إلاّ إلهٌ واحِد﴾ (الآية ٧٣).

ج ـ سورة النحل:

﴿وَقالَ اللّهُ لاتَتَّخِذوا إلٰهين اثنَين إنَّما هُوَ إلهٌ واحِد﴾ (الآية ٥١).

ولمّا كانت الألوهية لله وحده فالعبادة إذاً لاتكون إلاّ له وحده، ولايجوز عبادة غيره معه كما قال تعالى في:

أ ـ سورة طه:

﴿إنَّني أنا اللّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فاعْبُدْني وَأقِمِ ٱلصَّلاةَ لِذِكْري﴾ (الآية ١٤).

ب ـ سورة الأنبياء:

﴿وَما أرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إلاّ نُوحي إليهِ أنّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فاعْبُدون﴾ (الآية ٢٥).

وصدق الله العظيم حيث يقول في سورة النمل:

﴿أمَّن خلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَالأرضَ وَأنزَلَ لكُم مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً فأنبَتنا بهِ حَدائقَ ذاتَ بَهجَةٍ ما كانَ لكُم أن تُنبِتوا شَجَرَها ءَإلهٌ مَعَ ٱللّهِ بَل هُم قومٌ يَعْدِلونَ* أمَّن جَعلَ ٱلأرضَ قَراراً وجعلَ خِلالَها أنهاراً وَجَعلَ لها رَواسِيَ وَجَعلَ بَينَ البَحرَينِ حاجزاً ءَإلهٌ مَعَ اللّهِ بَل أكثَرُهم لايَعلَمون* أمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دَعاهُ ويَكشِفُ السّوءَ وَيَجعَلُكم خُلَفاءَ الأرضِ ءَإلهٌ مَعَ اللّهِ قَليلاً ماتَذَكَّرون* أمَّن يَهديكُم في ظُلُماتِ ٱلبَرِّ وَالبَحرِ وَمَن يُرسِلُ ٱلرِّياحَ بُشراً بَينَ يَدَي رَحْمَتِهِ ءَإلهٌ مَعَ ٱللّهِ تَعالَى ٱللّهُ عَمّا يُشرِكون* أمَّن يَبدأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدهُ وَمَن يَرزُقُكم مِنَ ٱلسَّماءِ وَالأرضِ

ءَإِلَهٌ مَعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِين﴾ (الآيات ٦٠ ـ ٦٤).

إذاً فإنّه لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، وكذلك ليس لله بنات وبنون كما زعمه من ندرس قوله في مايأتي بحوله تعالى.

أَلِلَّهِ بنات وبنون؟

قال بعض المشـركين في عصر الرسول (ص): إنّ الملائكة بنات الله!

وقال بعض اليهود: إنّ عزيراً ابن الله!

وقد انقرض الفريقان وبادوا.

وقالت النصارى: إنّ المسيح ابن الله!

وأنّىٰ يكون لله بنات وبنون ولم يتّخذ صاحبة ليكون له ولد!

أَلِلّهِ بنات وبنون؟

في القائلين بتعدد الآلهة من خرقوا لله بنات وبنين كما أخبر الله سبحانه عنهم فقال:

أ ـ في سورة الصافات:

﴿فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ البَناتُ وَلَهُم البَنون﴾ (الآية ١٤٩).

﴿أم خَلَقنا الملائكةَ إناثاً وَهُم شاهِدون﴾ (الآية ١٥٠).

﴿ألا إِنَّهُم مِنْ إفْكِهِم لَيَقُولون﴾ (الآية ١٥١).

﴿وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُم لَكَاذِبون﴾ (الآية ١٥٢).

﴿أصطَفَى البَناتِ على البَنين﴾ (الآية ١٥٣).

﴿مَالَكُم كَيفَ تَحكُمون﴾ (الآية ١٥٤).

ب ـ في سورة الزخرف:

﴿وَجَعَلوا الملائكةَ الّذينَ هُم عِبادُ الرَّحمٰنِ إناثاً أَشَهِدُوا خَلقَهُم سَتُكتَبُ شَهادَتُهُم وَيُسأَلونَ* وَقالُوا لَو شاءَ الرَّحمٰنُ ماعَبَدناهُم﴾ (الآيتان ١٩ ـ ٢٠).

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمّا يَخلقُ بَناتٍ وَأَصْفاكُم بالبَنين﴾ (الآية ١٦).

﴿وَإذا بُشِّرَ أَحدُهُم بِما ضَرَبَ لِلرَّحمٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدّاً وَهُوَ كَظيم﴾ (الآية ١٧).

إنّ أُولئك المشركين عبدوا الملائكة في عبادتهم اللّات والعزّىٰ ومناة، الأصنام الثلاثة التي كانوا يعتقدون أنّها تماثيل للملائكة كما أخبر عنهم الله سبحانه

وتعالى في سورة النجم حيث قال:

﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزّىٰ * ومَناةَ الثالثةَ الأخرىٰ * ألكُمُ الذَّكرُ ولهُ الأنثىٰ * تلكَ إذاً قِسمةٌ ضِيزىٰ * إن هِيَ إلاّ أسماءٌ سَمَّيتُموها أنتُم وآباؤُكم ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ إن يتَّبعونَ إلاّ الظَّنَّ وما تَهوىٰ الأنفُسُ ولقد جاءهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدىٰ﴾ (الآيات ١٩ ـ ٢٣).

﴿إنَّ الذينَ لايؤمِنونَ بالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ الملائكةَ تَسْمِيَةَ الأنثىٰ﴾ (الآية ٢٧).

﴿وما لهم به مِن علمٍ إن يتبعونَ إلاّ الظنَّ وإنَّ الظنَّ لايُغني مِنَ الحقِّ شيئاً﴾ (الآية ٢٨).

ومنهم من كان يعبد الجنّ كما أخبر الله سبحانه عنهم وقال:

أ ـ في سورة الأنعام:

﴿وَجعلوا للّهِ شُركاءَ الجِنَّ وَخلَقَهُمْ وَخرَقوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ سُبحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يَصِفُونَ * بَديعُ السَّمٰواتِ وَالأرْضِ أنّىٰ يَكونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تَكُن لَهُ صاحِبةٌ وَخلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليم﴾ (الآيتان ١٠٠ ـ ١٠١).

ب ـ في سورة سبأ:

﴿وَيَومَ يَحشُرُهم جَمِيعاً ثُمَّ يَقولُ لِلملائكَةِ أهٰؤلاءِ إيّاكُم كانُوا يَعبُدُون * قالُوا سُبحانَكَ أنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهِم بَل كَانُوا يَعبُدُونَ الجِنَّ أكثَرُهُم بِهِم مؤمِنُون﴾ (الآيتان ٤٠ ـ ٤١).

وأُولئك المشركون الذين عبدوا الملائكة قد انقرضوا وبادوا وبقي ذكر عملهم.

وبقي إلى عصرنا من الذين قالوا بأنّ للّهِ ولداً النصارىٰ؛ كما أخبر الله عنهم وقال في:

أ ـ سورة التوبة:

﴿وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيرٌ ابنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارىٰ المَسيحُ ابنُ اللهِ ذٰلِكَ قَولُهُم

بِأَفواهِهِم يُضاهِئُونَ قَولَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ قَبلُ قاتَلَهُمُ اللهُ أنّىٰ يُؤفَكون﴾ (الآية ٣٠).

ب ـ سورة النساء:

﴿ياأهلَ الكتابِ لاتَغْلُوا في دِينكُم وَلاتَقُولوا علىٰ اللّهِ إلاّ الحَقّ إنَّما المسيحُ عيسى ابنُ مَريمَ رَسولُ اللهِ وَكَلِمتُهُ ألقاها إلىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ فآمِنوا باللّهِ وَرُسلِهِ وَلا تَقولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيراً لَكم إنَّما اللهُ إلهٌ واحِدٌ سُبحانَهُ أن يَكونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السَّمٰواتِ وَما في الأرضِ وَكَفَىٰ باللّهِ وكيلا﴾ (الآية ١٧١).

﴿لَن يَستَنكِفَ المَسيحُ أنْ يَكونَ عَبداً للّهِ وَلا المَلائكَةُ المُقَرَّبونَ وَمَن يَستَنكِفْ عَن عِبادَتِهِ وَيَستَكبِرْ فَسَيَحشُرُهم إلَيهِ جَميعاً﴾ (الآية ١٧٢).

ج ـ سورة المائدة:

﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إنَّ اللَّهَ هُوَ المَسيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقالَ المَسيحُ يابَني إسرائيلَ ٱعبُدوا ٱللّهَ رَبّي وَرَبَّكُم إنَّهُ مَن يُشرِكْ باللّهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِن أنصار* لقد كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِن إلٰهٍ إلاّ إلٰهٌ وَاحدٌ وَإن لَم يَنتَهُوا عَمّا يَقُولونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَروا مِنهُم عذابٌ أليم* أفَلا يَتوبونَ إلىٰ ٱللّهِ وَيَستَغفِرُونَهُ وَٱللهُ غفورٌ رَحيم* مَا المَسيحُ ٱبنُ مَريَمَ إلاّ رَسولٌ قد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأكُلانِ الطَّعامَ ٱنْظُر كَيفَ نُبَيِّنُ لَهم الآياتِ ثُمّ ٱنظُر أنّىٰ يُؤفَكُون* قُل أتَعبُدونَ مِنْ دُونِ ٱللّهِ مالاَ يَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلاَ نَفعاً وَاللهُ هُوَ ٱلسَّميعُ العَليم﴾ (الآيات ٧٢ ـ ٧٦).

د ـ وقال فيها ـ أيضاً ـ:

﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قَالوا إنَّ اللّهَ هُوَ المسيحُ ٱبنُ مَريَمَ قُل فَمَن يَملِكُ مِنَ ٱللّهِ شَيئاً إن أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ٱبنَ مَريَمَ وَأُمَّهُ وَمَن في الأرضِ جَميعاً وَللّهِ مُلكُ السَّمٰواتِ وَالأرضِ وَمابَينَهما يَخلقُ مَايَشاء وَاللهُ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدير﴾ (الآية ١٧).

هـ ـ سورة آل عمران:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (الآية ٥٩).

و ـ سورة مريم:

﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً • لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً • تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلجِبَالُ هَدّاً • أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً • وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً • إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْداً﴾ (الآيات ٨٨ ـ ٩٣).

وقد ردَّ الله سبحانه أقوالهم جميعاً بقوله تعالى في سورة الإخلاص:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ • ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الآيات ١ ـ ٤).

شرح الكلمات

أ ـ إِفْكهم:

الإِفْكُ: الكذب والافتراء، والصرف من الحق إلى الباطل.

ب ـ كَظِيمٌ:

الكظيم معناه: شديد الشعور بالغم والكرب.

ج ـ ضِيزَىٰ:

ضازَ وضَأَزَ: جار في الحكم، وقسمة ضيزى: قسمة جائرة.

د ـ سُلطانٍ:

السُّلطانُ هنا بمعنى: الحجّة والبرهان.

هـ ـ خَرَقوا:

خرق الشيء: ادّعاه كذباً.

و ـ بَديعُ:

بدع الشيء: أنشأه وبدأه على غير مثال سابق.

وبديع السمٰوات والأرض: أي موجدهما بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان. ولا يقال لغير الله بديع.

ز ـ يُضاهئونَ:

ضاهاهُ: شابهه، ويضاهئون: يشابهون ويشاكلون.

ح ـ إدّاً:

الإدّ: الداهية والشيء المنكر والأمر الفظيع.

ط ـ هَدًّ:

الهَدُّ: الهدم الشديد، وهو نقض البناء واسقاطه.

ي ـ المَسيحُ:

لُقّب عيسىٰ بن مريم (ع) بالمسيح تعريب (مشيحا) بالعبرانية لأنّه كان يمسح الأبرص والأكمه، فيبرءان باذن الله تعالى.

ك ـ الكلمة:

المخلوق الذي خلقه الله تعالى بكلمة (كن) أو نحوها دون توسّط المألوف من أسباب الخلق. وقد اطلقت الكلمة بهذا المعنى على عيسىٰ (ع) لأنّ الله خلقه بها كما قال سبحانه:

أ ـ مخاطباً زكريّا (ع):

﴿أنّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحيىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمةٍ مِنَ ٱللّهِ﴾ (آل عمران/ ٣٩).

ب ـ ومخاطباً مريم عليها السلام:

﴿إِنَّ ٱللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ ٱسمُهُ ٱلمسيحُ عيسَىٰ ٱبنُ مَريَمَ﴾ (آل عمران/ ٤٥).

ج ـ وفي الآية المذكورة:

﴿إنّما المسيحُ عِيسىٰ ٱبنُ مَريَمَ رَسولُ ٱللّهِ وَكلمتهُ﴾.

وإطلاق الكلمة على عيسىٰ (ع) من قبيل إطلاق السبب على المسبّب.

ل ـ صِدّيقَةٌ:

الصدّيق: منْ لا يكذب قطّ؛ من لايتأتّىٰ منه الكذب، لتعوّده الصدق، من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله، والصديقون: هم دون الأنبياء في الفضيلة.

م ـ عَبْداً:

العبد هنا: المملوك الّذي لايملك لنفسه نفعاً ولاضرّاً ولا حياة ولا موتاً.

ن ـ الصَّمَدُ:

الصَّمَدُ: الذّي لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَد.

أي: لم يخرج منه شيءٌ كثيفٌ كالولد وسائر الأشياء الكثيفة تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، لاتأخذه سنة ولانوم ولايعتريه همٌّ وحزن وخوف وبكاء ورجاء ورغبة وبهجة وضحك وجوع وشبع وسأم. ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من نظائرها مثل: الدواب من الدواب، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار.

ولم يتولّد من شيء كالنار من الجمر، ولم يصدر من شيء مثل الكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والضوء من الشمس، والنور من القمر.

لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ماخلق للفناء بمشيّته، ويبقى ماخلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصَّمَدُ الّذي لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَد.

تفسير الآيات

في الآيات الآنفـة أخـبر الله سبحـانـه عن بعض اليهـود في عصـر الرسول (ص) أنّهم قالوا: عزير ابن الله، وهؤلاء بادوا كما باد المشركون الذين كانوا يقولون في عصر الرسول (ص): إنّ الملائكة بنات الله. وبقي النصارى حتى عصرنا الحاضر يقولون في المسيح، كما أخبر الله عنهم وقال:

﴿وَقالَتِ النَّصارىٰ المَسيحُ ٱبنُ الله﴾.

وقالت: إنّ الله ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، وليس يدرى كيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. إنّ النصارى شابهوا الذين كفروا في قولهم هذا؛ وبهذا القول اعتقدوا بأن المسيح هو الله. وما المسيح إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وكانت أمّه صدّيقة، وكانا يأكلان الطعام كسائر البشر، ومن يأكل الطعام لابدّ له من التغوُّط كسائر من يأكل الطعام وليس بإله، بل كان عيسى ابن مريم كلمة الله؛ ألقاها إلى مريم. وإن كانت النصارى تقول: إنّه ابن الله لأنّه ولد بلا أب؛ فإنّ مثله عند الله كمثل آدم الذي خلقه من تراب ثم قال له كن فكان. وإن يك يُجعَلُ لله البنون، تعالى الله عـمّا يصفون، فإنّ آدم أحرىٰ أن يكون لله ابناً. ومعاذ الله من هذا القول الباطل بل انّهما ـ آدم وعيسى ـ والملائكة والجنّ والإنس والسمٰوات والأرضون من خلق الله. وصدق الله حيث يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل هُوَ ٱللَّهُ أَحَد* ٱللَّهُ ٱلصَّمَد* لَم يَلِد وَلَم يُولَد* وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَد﴾

(التوحيد ١ ـ ٤).

وقال الامام في جواب كتاب أهل البصرة يسألونه عن الصمد) فكتب إليهم:

بسم الله الـرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن بغير علم، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار وان الله سبحانه وتعالىٰ قد فسر الصمد. فقال الله احد الله الصمد ثم فسره فقال: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـواً أحـد﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وساير الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع تعالىٰ الله ان يخرج منه شيء وان يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ولم يولـد ولم يتـولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العـين والسمـع من الاذن والشم من الانف والـذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتميز من القلب وكالنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا علىٰ شيء مبدع الاشياء وخالقها ومنشيء الاشياء بقدرته يتلاشىٰ ما خلق للفناء بمشيته ويبقىٰ ما خلق للبقاء بعلمه فذالكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[1].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن/ البحراني/ ج٤. ص٥٢٥.

نتيجة البحث

في القـائلين بتعـدد الآلهة من قال: انّ الملائكة بنات الله؛ مثل مشركي قريش، وأولئك قد بادوا وانقرضوا.

ومـنـهم من قال: انّ عزيراً ابن الله؛ مثـــل بعض اليهـــود في عصـــر الرسول (ص)، وأولئك أيضاً بادوا وانقرضوا.

ومنهم من قال: انّ عيسى بن مريم ابن الله وانّ الله ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ولاتزال النصارىٰ تقول ذلك.

ومنهم من كان يعبد الجنّ، وأولئك اختلفت أقوالهم ومذاهبهم في الجنّ في العصور المختلفة.

وقد أبان الله زيف أقوالهم في القرآن مثل قوله عن عبّاد الملائكة، انّهم حين يقولون: انّ الملائكة بنات الله وانّهم اناث، أ شهدوا خلق الملائكة ورأوها اناثاً؟!

وقوله في المسيح وامّه: اِنّهما كانا يأكلان الطعام في حين انّا نعلم انّ آكل الطعام يلزمه خروج الغـائط منه؛ والأكل والتغوّط من صفات البشر.

وقال سبحانه: انّ مثل عيسى في ولادته بغير أب كخلق آدم من تراب بغير أب ولا أُمّ.

وانّ عيسى والملائكة والجنّ ومن في السمٰوات والأرض كلّهم عبيد الله.

وانّ الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

* * *

كذلكم يستدلّ القرآن بحصر الإلوهيّة أي الخالقية في الله جلّ اسمه وحده لاشـريك له، وانّ ماعدا الخالق الواحد الأحد المتعال مخلوقون لله، وسوف ندرس في البحث الآتي بإذنه تعالى أصناف خلق الله حسب تسلسلهم في الوجود.

(٣)
أصناف خلق الله في القرآن الكريم

أ ـ الملائكة.

ب ـ السمٰوات والأرض والكواكب.

ج ـ الدواب.

د ـ الجنّ والشياطين.

هـ ـ الإنسان.

و ـ شرح الآيات وتفسيرها من الروايات.

- ١ -

الملائكة

ومفـرده الملك: صنف من خلق الله لهم أجنحـة وحياة وموت، وهم عباد يعبدونه ويعملون بأمره، ولايعصونه، وأحيانا يتمثّلون بصورة إنسان عند أداء واجبهم، ويختار الله منهم رسله، كما أخبر تعالى عن كلّ ذلك وقال عزّ أسمه في:

أ ـ سورة فاطر:

﴿اَلحَمدُ للّهِ فاطِرِ اَلسَّمٰواتِ وَالأرضِ جاعِلِ المَلائكَةِ رُسُلاً أُولي أجنِحةٍ مَثنىٰ وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزيدُ في اَلخَلقِ مايَشاءُ إنَّ اللّهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ (الآية ١).

ب ـ سورة الزخرف:

﴿وَجَعلوا اَلملائكةَ الّذينَ هُم عِبادُ اَلرَّحمٰنِ إناثاً أشَهِدوا خَلْقَهُم﴾ (الآية ١٩).

ج ـ سورة الشورىٰ:

﴿وَالملائكةُ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِمْ وَيَستَغفِرونَ لِمَن في اَلأرْضِ﴾ (الآية ٥).

د ـ سورة النحل:

﴿يَخافونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفعَلونَ مَايُؤمَرُون﴾ (الآية ٥٠).

وقال عن تمثّلهم بصورة الإنسان:

١ ـ لمريم (ع) في سورة مريم:

﴿فَأَرسَلنَا إليهَا رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً* قالَت إنِّي أعوذُ بالرَّحمٰنِ مِنكَ إن كُنتَ تَقِيّاً* قالَ إنَّما أنَا رَسولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ (الآيات

١٧ ـ ١٩).

٢ ـ لإنزال العذاب على قوم لوط (ع) في سورة هود:

﴿وَلَقد جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشرىٰ قالوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فما لَبِثَ أن جاءَ بِعجلٍ حَنيذٍ* فَلَمّا رَأىٰ أيْدِيَهُم لاتَصِلُ إليهِ نَكِرَهُم وَأوجَسَ مِنهُم خِيفَةً قالُوا لاتَخَف إنّا أُرسِلنا إلىٰ قَومِ لُوط*... وَلَمّا جاءَت رُسُلنا لُوطاً سيءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعاً وَقالَ هٰذا يَومٌ عَصيب*... قالُوا يالُوطُ إنّا رُسلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إلَيك...﴾ (الآيات ٦٩ ـ ٨١).

٣ ـ لنصرة المسلمين كمقاتلين في غزوة بدر:

في سورة الأنفال:

﴿إذ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فَٱستجابَ لكُم أنّي مُمِدُّكُم بِألفٍ مِنَ الملائكةِ مُردِفين﴾ (الآية ٩).

وجاء بعدها:

﴿إذ يوحي رَبُّكَ إلىٰ الملائكةِ أنّي مَعَكُم فَثَبِّتوا ٱلّذينَ آمَنوا سَأُلقي في قُلُوبِ ٱلّذينَ كَفَرُوا ٱلرُّعبَ فَٱضرِبُوا فَوقَ ٱلأعناقِ وَٱضرِبوا مِنهُم كُلَّ بَنان﴾ (الآية ١٢).

وفي سورة آل عمران:

﴿إذ تَقولُ لِلمُؤمِنينَ ألَن يَكفِيَكُم أن يُمِدَّكُم رَبُّكم بِثلاثةِ آلافٍ مِنَ ٱلملائكةِ مُنزَلين* بَلىٰ إن تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيأتُوكم مِن فَورِهِم هٰذا يُمددكُم رَبُّكم بِخَمسَةِ آلافٍ مِنَ الملائكَةِ مُسَوِّمين﴾ (الآيتان ١٢٤ ـ ١٢٥).

ويختار منهم رسلاً كما قال تعالى في سورة الحج:

﴿اَللّهُ يَصطفي مِنَ الملائكةِ رُسلاً وَمِنَ النّاس﴾ (الآية ١٧٥).

ومنهم من يرسلهم بالوحي كما قال تعالى في:

أ ـ سورة التكوير:

﴿إنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم* ذي قُوَّةٍ عِندَ ذي ٱلعَرشِ مَكين* مُطاعٍ ثَمَّ

أمين﴾ (الآية ١٩ ـ ٢١).

ب ـ سورة البقرة:

﴿قُل مَن كانَ عَدُوّاً لجِبريلَ فإنَّهُ نَزَّلَهُ علىٰ قَلبِكَ بإذنِ ٱللهِ﴾ (الآية ٩٧).

ج ـ سورة الشعراء:

﴿وَإنَّهُ لَتنزيلُ رَبِّ ٱلعالمينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ الأمين * علىٰ قَلبِكَ لِتَكونَ مِنَ ٱلمُنذِرين﴾ (الآيات ١٩٢ ـ ١٩٤).

د ـ سورة النحل:

﴿قُـل نَزَّلَـهُ رُوحُ ٱلقُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ بِهِ ٱلَّذينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشرىٰ لِلمُسلِمين﴾ (الآية ١٠٢).

هـ ـ سورة البقرة:

﴿وَآتَينا عيسىٰ ٱبنَ مَريَمَ ٱلبَيِّناتِ وَأيَّدناهُ بِرُوحِ ٱلقُدُس﴾ (الآيتان ٨٧ و ٢٥٣).

وينزلون بالتقدير في ليلة القدر، كما قال سبحانه في سورة القدر:

﴿تَنَزَّلُ الملائكةُ وَٱلرُّوحُ فيها بإذنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أمْر﴾ (الآية ٤).

ومنهم الرقيب العتيد للإنسان، كما قال سبحانه في سورة ق:

﴿وَلَقد خَلَقنا الإنسان وَنَعلَمُ مَاتُوَسوسُ بِهِ نَفسهُ وَنحنُ أقربُ إليهِ مِن حَبلِ الوَريد * إذ يَتلقىٰ ٱلمُتَلَقِّيانِ عَنِ ٱليَمينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعيد * ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إلاّ لَديهِ رَقيبٌ عَتيد﴾ (الآيات ١٦ ـ ١٨).

ومنهم ملك الموت، كما قال سبحانه في سورة السجدة:

﴿قُل يَتَوَفّاكُم مَلَكُ ٱلمَوتِ ٱلّذي وُكِّلَ بِكُم ثُمّ إلىٰ رَبِّكُم تُرجَعون﴾ (الآية ١١).

ومنهم أعوان ملك الموت، كما قال سبحانه في:

أ ـ سورة الأنعام:

﴿حَتَّىٰ إذا جاءَ أَحَدَكُمُ ٱلموتُ توفَّتهُ رُسُلُنا وَهُم لايُفَرِّطون﴾ (الآية ٦١).

ب ـ سورة النحل:

﴿ٱلَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالِمي أنفُسِهم فَأَلقَوُا ٱلسَّلَمَ ماكُنَّا نعمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ ٱللَّهَ عَليمٌ بِما كُنتُم تعمَلُون* فَٱدْخُلوا أَبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدينَ فيها...﴾ (الآيتان ٢٨ ـ ٢٩).

﴿ٱلَّذينَ تَتَوَفاهُمُ ٱلملائكةُ طَيِّبينَ يَقولونَ سَلامٌ عَلَيكُمُ ٱدْخُلوا الجَنةَ بِما كُنتُم تَعمَلُون﴾ (الآية ٣٢).

وأخبر الله سبحانه عن شأنهم يوم القيامة، وقال في:

أ ـ سورة المعارج:

﴿تَعرُجُ ٱلملائكةُ وَٱلرُّوحُ إِليهِ في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَة﴾ (الآية ٤).

ب ـ سورة النبأ:

﴿يَومَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلملائكةُ صَفاً لايَتكلَّمونَ إلاَّ مَن أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحمٰنُ وَقالَ صَواباً﴾ (الآية ٣٨).

وفرض الله علينا وجوب الإيمان بهم كما قال تعالى في سورة البقرة:

﴿لَيسَ ٱلبِرَّ أن تُوَلُّوا وُجوهكُم قِبَلَ ٱلمشرِقِ وَٱلمَغرِبِ وَلٰكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ وَٱليَومِ ٱلآخِرِ وَالملائكةِ وَٱلكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (الآية ١٧٧).

وقال فيها أيضاً:

﴿مَن كانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائكتِهِ وَرُسلهِ وَجِبريلَ وَميكالَ فَإِنَّ ٱللّهَ عَدُوٌّ لِلكافِرين﴾ (الآية ٩٨).

شرح الكلمات

أ ـ فاطِر:

فَطَرَ اللّهُ الخَلْقَ: خلقهم وبدأهم فهو فاطر.

ب ـ حَنيذ:

حَنَذَ اللَّحْمَ: شواه بين حجرين فاللحم حنيذ.

ج ـ نَكِرَهُمْ:

استوحش منهم ونفر.

د ـ مُردِفِين:

أَرْدَفَهُ: أركبه خلفه وهو مُرْدِف.

وملائكة مردفين: أي يأتون فرقة بعد فرقة متتابعين.

هـ ـ ثَبِّتوا:

ثَبَّتَ: دفع عنه أسباب الوهن والتَزَعْزُع وقوّاه وأبقاه مستقراً.

و ـ مُسَوَّمين:

سَوَّمَ الشيء: جعل عليه علامة فهو مسوَّم.

والملائكة مسوّمين: معلّمين أنفسهم أو خيولهم بعلامات.

ز ـ مَكين:

مكين من الملائكة: عظيم القدر والمنزلة.

ومكين هنا بمعنى صاحب قرب ومنزلة عند الله.

ح ـ مُطاع:

مطاع من الملائكة: الملك الّذي يأمر أعوانه من الملائكة فيطيعونه.

ط ـ البَيِّنات:

آيات بيّنات: واضحات ظاهرات.

ي ـ حَبْلُ الوَريد:

تشبيه لعرق الوريد بالحبل.

ك ـ المُتَلَقِّيان:

الملكان الموكَّلان بمراقبة المرء وتسجيل ما يأخذانه عنه من أقوال وأفعال في كتاب يلقاه يوم القيامة منشوراً.

ل ـ رَقيب:

حافظ مُراعٍ.

م ـ عَتيد:

أعددت الشيء واعتدته: أحضرته وهيّأته للأمر فهو معتدّ وعتيد.

ن ـ تَوَفّاهُم:

توفى اللّهُ أو الملك الانسان، اذا قبض روحه بإماتته.

س ـ الرّوح:

الـرّوح: ما به حياة الأجساد وإذا خرج من الإنسان أو الحيوان مات، ولايمكننا معرفة حقيقته، كما أشار الله تعالى إلى ذلك وقال في سورة الإسراء:

﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِن أمرِ رَبِّي وَماأُوتيتُم مِنَ ٱلعِلمِ إلاَّ قَليلاً﴾ (الآية ٨٥).

ويضاف إلى الله تشريفاً أو بمعنى الملك، مثل قوله تعالى للملائكة:

١ ـ في خبر خلق آدم (ع) في سورة الحجر:

﴿فإذا سوَّيتُهُ وَنَفختُ فيهِ مِن رُوحي فَقَعوا له ساجدين﴾ (الآية ٢٩).

٢ ـ في خبر خلق عيسى بن مريم (ع) في سورة التحريم:

﴿وَمَريَمَ ٱبنتَ عِمرانَ ٱلَّتي أحْصَنَت فَرجَها فَنفَخنا فيهِ مِن رُوحنا﴾ (الآية ١٢).

فانّ مثـل نسبـة الروح إلى الله هنا كمثل نسبة البيت إلى الله في قوله

لابراهيم في سورة الحج: ﴿وَطَهِّر بيتيَ لِلطَّائفين﴾ (الآية ٢٦)، فَإنّ إضافة البيت الحرام إلى الله تشريفاً له عن سائر بقاع الأرض، وكذلك شأن إضافة الروح إلى الله في الآيتين المذكورتين.

والروح ـ أيضاً ـ: مابه حياة النفوس وهداها، مثل الوحي والنبوّة والشرايع الإلهية والقرآن خاصّة، كما قال سبحانه في:

١ ـ سورة النحل:

﴿يُنَزِّلُ الملائكةَ بِالرُّوحِ مِن أمرهِ علىٰ مَن يَشَاءُ مِن عبادِهِ﴾ (الآية ٢).

٢ ـ سورة الشورىٰ:

﴿وَكذلكَ أوحَينا إلَيكَ رُوحاً مِن أمرِنا﴾ (الآية ٥٢).

إنّ الروح الذي أُوحي إلى رسول الله هو القرآن، والروح غير الملائكة، كما ورد ذكره في قوله تعالى في:

١ ـ سورة القدر:

﴿تَنَزَّلُ الملائكةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أمرٍ﴾ (الآية ٤).

٢ ـ سورة المعارج:

﴿تَعرُجُ الملائكةُ وَالرُّوحُ إليهِ في يومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَة﴾ (الآية ٤).

وسيأتي بيانه عن الإمام علي (ع) إن شاء الله تعالى.

ع ـ الأمين:

الأمين: هو الثقة المؤتمن على تبليغ الوحي، وقد وصف الله الملك الروح بالأمين في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ الأمينُ * علىٰ قَلبكَ لِتكونَ مِنَ المنذِرين﴾ (الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤).

ف ـ القُدُس:

قدس قدساً: طهُر، وروح القدس: روح الطهر، وقد وصف الله الملك الروح ـ أيضاً ـ بالقدس في قوله تعالى:

١ ـ في سورة البقرة:

﴿وَآتَينا عيسىٰ ٱبنَ مَريَمَ البيِّناتِ وَأيّدناهُ بِروحِ ٱلقُدُس﴾ (الآيتان ٨٧ و٢٥٣).

٢ ـ في خطابه لخاتم الأنبياء(ص) في سورة النحل:

﴿قُل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبّكَ بِالحقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذينَ آمنوا وُهدىً وَبُشرىٰ لِلمسلمين﴾ (الآية١٠٢).

ص ـ تَعرُجُ:

عَرَجَ الشيء عُرُوجاً: ارتفع وعلا، وعرج مثل درج بمعنى مشىٰ مشي الصاعد في درجه.

تخيّلات عن عالم الغيب

في أمثال هذه البحوث عن عوالم الغيب كثيراً ماتجري من قبل أناس في مختلف مستويات المعرفة محاولات متنوعة لمعرفة ماورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من ذكر عوالم ماوراء المحسوس قياساً على المشهور من عالم المادة، فيهيمون في عالم الخيال، ويُسمُّون تخيلاتهم بالعلم والمعرفة. وفي مايأتي نبيّن سبب ذلك بإذنه تعالى:

وسائل العلم والمعرفة

إنّ وسائلنا لمعرفة الأشياء والعلم بها تنحصر في نوعين:

النوع الأول: مانميّزه بحواسّنا، وبما أنّ حواسّنا خلقت لنميِّز بها الموجود

في عالمنا المادي المحسوس بالحواس، فهي لاتعمل في غير عوالم المحسوسات المادية.

النوع الثاني: مانعرفه عن طريق النقل والحكاية؛ مثل مانعلم بها في بلد لم نره عن طريق النقل والحكاية، وتُحَدُّ معلوماتنا في هذا النوع بحدود المنقول لنا، ويحصل لنا هذا النوع من المعرفة بثبوت صدق ناقل الخبر عـمّا يُحَدِّث به.

ومن هذا النـوع من المعرفة ماحَدَّثَت به رسل الله وأنبياؤه صلوات الله عليهم أجمعين عن عوالم السمٰوات فوق النجوم والكواكب وعالم الملائكة وعالم الجن ومشاهد يوم القيامة، وفوق كلّ ذلك ماحدَّثونا به من صفات الله تقدّست أسماؤه، ويُحَدُّ هذا النوع من العلم بحدودماينقلونه لنا، بعد أن ثبت لدينا صدق نبّـوتهم ورسالتهم عن الله سبحانه وتعالى. ولا يمكن أن نخضع أي شيء مما حدّثونا به عن تلكم العوالم بتشخيص حواسّنا له.

خلاصة البحث

المـلائكة صنف من خلق الله وجنوده وعباده، لهم أجنحة وحياة وموت، ويتمثّلون أحياناً في صورة إنسان عند أداء واجبهم، وهم على درجات من الفضل مثل: الروح الأمين، وروح القدس، ويختار الله منهم رسلاً لتبليغ الوحي، وإنزال مقدّرات الإنسان في ليلة القدر، ومنهم الملكان اللذان يسجّلان عمل الإنسان، ومنهم ملك الموت وأعوانه، ويحشرون يوم القيامة، ويقومون بما يأمرهم الله به ولايعصونه.

ولما كانت وسائلنا للعلم والمعرفة تنحصر بنوعين:

أ ـ المشاهد المحسوس: وهذا مانعرفه ونميِّزه بتشخيص الحواسّ له.

ب ـ المنقول لنا: مثل ماينقل لنا عن أمور في بلد لم نره، ويشترط في طريق المعرفة الثانية أن نطمئن إلى صدق ناقل الخبر لنا.

وبما أن عوالم الملائكة والجن والروح ويوم القيامة وبدء الخلق ليست من العوالم المحسوسة المشهودة لنا، فلاطريق لنا لمعرفتها إلاّ بما تنقله رسل الله لنا بعد أن ثبت صدق رسالتهم من قبل الله. وماتقوله أصحاب النظريات عن هذه العوالم إن هو إلاّ تخيلات وظنون لاتغني من الحق شيئاً.

وماجاء من قوله تعالى: ﴿وَكانَ عَرشُهُ علىٰ الماء﴾ و ﴿ثُمَّ اَستَوَىٰ إلىٰ اَلسَّماءِ وَهِيَ دُخان﴾ لايعني أنّ ذلك الماء كان مثل الماء الذي نشاهده اليوم على الأرض مكوّناً من (أوكسجين وهايدروجين) بالنسب المعينة، وانّ الدخان كان متصاعداً من النار كالدخان الذي نشاهده اليوم، بل قد يكون المراد تشبيه ذلك الماء بالماء الذي نشاهده اليوم، والدخان بالدخان الذي نشاهده اليوم متصاعداً من النار، وسوف يأتي معنى العرش في بحث الربوبية إن شاء الله تعالى، ونذكر معنىٰ السماء والسمٰوات في القرآن الكريم في البحث الآتي بحوله تعالىٰ.

- ٢ -
السَّمٰوات، وَالأرضُ وسماؤُها

أوّلاً - السماء والسمٰوات:

أ - السماء.

١ - في اللغة العربية:

سما الشيء يسمو سموّاً وسماءً: علا وارتفع وتطاول، وسماء كل شيء أعلاه، وكل شيء اظلّك فهو سماء.

٢ - في القرآن الكريم:

جاء ذكر السماء بلفظ الواحد في القرآن الكريم، وأريد به تارة الجوُّ الذي فوق الأرض ومحيط بها، مثل قوله تعالىٰ في:

١ - سورة النحل:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ ٱلطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّماءِ﴾ (الآية ٧٩).

٢ - سورة البقرة:

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمراتِ رِزقاً لَكُم﴾ (الآية ٢٢).

وإنّ الإنسان يرى بالعين المجرّدة كيف يطير الطير في جو سماء الأرض، وكيف ينزل الغيث من الغمام المسخر في سماء الأرض، وقد يصعد الإنسان جبلاً فيرى الشمس في السماء أعلاه تشرقه والغمام دونه في سماء الأرض التي تعلو الأرض وتحيط بها.

وتـارة يأتي لفظ السماء في القرآن الكريم ويُراد بـه ما علا الأرض من الكواكب والسمٰوات السبع، كما قال سبحانه في:

١ ـ سورة البقرة:

﴿ثُمَّ ٱستَوىٰ إلىَ ٱلسَّماء فَسوّاهُنَّ سَبعَ سَمٰوات﴾ (الآية ٢٩).

٢ ـ سورة النمل:

﴿وَمامِن غائبةٍ في ٱلسَّماءِ وَٱلأرضِ إلاّ في كتابٍ مُبين﴾ (الآية ٧٥).

٣ ـ سورة الأنبياء:

﴿يَوْمَ نَطوي السَّماءَ كطَيِّ السِّجلِّ لِلكُتب...﴾ (الآية ١٠٤).

فإنّ المراد من السماء في هذه الآيات كلّ ماعلا الأرض وكانت الأرض تحته، أي السمٰوات السبع وما دونها ممّا علا الأرض.

ب ـ السمٰوات:

جاء لفظ السمٰوات في القرآن الكريم وأُريد به السمٰوات السبع، كما قال سبحانه في سورة البقرة:

﴿هُوَ ٱلّذي خَلقَ لَكُم ما في الأرضِ جَميعاً ثُمّ استَوىٰ إلىٰ السَّماءِ فَسوّاهُنَّ سَبعَ سَمٰواتٍ وَهوَ بكُلِّ شَيءٍ عَليم﴾ (الآية ٢٩).

ثانياً ـ الأرض:

جاء ذكر الأرض في القرآن الكريم (٤٥١) مرّة بلفظ الواحد، وورد معطوفاً على السمٰوات مرة واحدة، في قوله تعالى في سورة الطلاق:

﴿ألله ٱلّذي خَلقَ سَبعَ سَمٰواتٍ وَمِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ...﴾ (الآية ١٢).

ونفهم من التماثل بينهما هنا التماثل في الخلق وليس في العدد، وإذا اكتشف للأرض سبع طبقات؛ عندئذ لقائل أن يقول بأن المراد من التماثل بين السمٰوات

السبـع والأرض تماثل في عدد طبقات الأرض والسماء. وسماء الأرض هو الحدّ المحيط بالأرض والذي مرّ ذكره في سورة النحل/٧٩.

ثالثاً ـ بدء الخلق:

جاء ذكـر بدء خلق السمٰوات والأرض في آيات متعدّدة، ولابدَّ من أخذ تفسيرها ممن قال الله في شأنه في سورة النحل:

﴿وَأنزَلنَا إلَيكَ ٱلذِّكرَ لِتُبيّنَ لِلنَّاسِ مانُزِّلَ إلَيهِم﴾ (الآية ٤٤).

وقد رويت أحاديث كثيرة في بيان بدء الخلق عن رسول الله(ص)، غير أنّ تلك الأحـاديث لم تُدْرَس من قبل العلماء سنداً ومتناً؛ مثل أحاديث الأحكام وآيات الأحكام، ولايتسع المجال هنا لدراستها.

وإذا اقتصرنا في الدراسة على ما يفهم من ظواهر الآيات مع الاستفادة مما تطمئنّ النفس إلى صحته من الروايات، أو مايغلب على الظنّ صحتها، نستعين الله ونقول:

بدء الخلق

وصف الله سبحانه وتعالى بدء الخلق وماكان بعده بقوله في:

أ ـ سورة هود:

﴿وَهوَ الّذي خَلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأرضَ في ستَّةِ أيَّامٍ وَكانَ عَرشهُ علىٰ الماء﴾ (الآية ٧).

ب ـ سورة يونس:

﴿إنَّ رَبَّكُمُ ٱللّهُ الّذي خَلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَالأرضَ في ستَّةِ أيّامٍ ثُمَّ ٱستَوىٰ علىٰ ٱلعرشِ يُدبِّرُ الأمر﴾ (الآية ٣).

ج ـ سورة الفرقان:

﴿ٱلَّـذي خَلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَالأرضَ وَمَابَينَهما في ستَّةِ أيّامٍ ثُمَّ ٱستَوىٰ علىٰ العرشِ ٱلرَّحمٰنُ فَٱسْألْ بِهِ خَبيراً﴾ (الآية ٥٩).

د ـ سورة الأنبياء:

﴿أوَ لَم يَرَ الّذينَ كَفروا أنَّ السَّمٰواتِ وَالأرضَ كانَتا رَتقاً فَفَتَقناهُما وَجعَلنا مِنَ ٱلماءِ كُلَّ شَيءٍ حيٍّ أفلا يؤمِنُون﴾ (الآية ٣٠).

هـ ـ سورة البقرة:

﴿هُوَ ٱلّذي خَلقَ لَكُم مَا في الأرضِ جَميعاً ثُمَّ استَوىٰ إلى ٱلسَّماءِ فَسَوّاهنَّ سبعَ سَمٰواتٍ وَهوَ بكُلِّ شَيءٍ عَليم﴾ (الآية ٢٩).

و ـ سورة فصّلت:

﴿قُل أئِنَّكُم لتَكفُرُونَ بالَّذي خَلقَ الأرضَ في يَومَينِ وَتَجعلونَ له أنداداً ذٰلكَ رَبُّ العالمين* وَجعَلَ فيها رواسِيَ مِن فَوقها وَبارَكَ فيها وَقَدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائلين* ثُمَّ ٱستوىٰ إلىٰ السَّماءِ وَهيَ دُخانٌ فقَالَ لَها وَلِلأرضِ ٱئتيا طَوعاً أو كَرهاً قالَتا أتَينا طائعين* فَقضاهُنَّ سَبعَ سَمٰواتٍ في يومينِ وَأوحىٰ

في كُلّ سَماءٍ أمرَها وَزَيَّنّا ٱلسَّماءَ ٱلدُّنيا بِمصابيحَ وَحِفظاً ذٰلكَ تَقديرُ العَزيزِ العَليم﴾ (الآيات ٩ ـ ١٢).

ز ـ سورة الطلاق:

﴿ٱللَّهُ ٱلّذي خَلقَ سَبعَ سَمٰواتٍ وَمِنَ ٱلأرضِ مِثلَهُنَّ...﴾ (الآية ١٢).

ح ـ سورة النازعات:

﴿ءَأنتُم أشَدُّ خلقاً أمِ السَّماءُ بَناها* رَفعَ سَمكَها فَسَوّاها* وَأغطَشَ لَيلَها وأخرجَ ضُحاها* وَٱلأرضَ بَعدَ ذٰلِكَ دَحاها* أخرَجَ مِنها ماءَها وَمَرعاها* وَٱلجِبالَ أرساها* مَتاعاً لَكُم وَلأنعامِكُم﴾ (الآيات ٢٧ ـ ٣٣).

ط ـ سورة الشمس:

﴿وَالسَّماءِ وَما بَناها* وَٱلأرضِ وَما طَحاها﴾ (الآيتان ٥ ـ ٦).

ي ـ سورة الحجر:

﴿وَٱلأرضَ مَددناها وَألقَينا فيها رَواسيَ وَأنبَتنا فيها مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزونٍ* وَجعلنَا لكُم فيها مَعايشَ وَمَن لَستُم لهُ بِرازقِين﴾ (الآيتان ١٩ ـ ٢٠).

ك ـ سورة طه:

﴿ٱلّذي جعلَ لكُمُ الأرضَ مَهداً وَسَلكَ لَكم فيها سُبلاً وَأنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً فَأخرَجْنا بِهِ أزواجاً مِن نَباتٍ شَتّىٰ* كُلُوا وَٱرعَوا أنعامَكُم إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِأولي النُّهىٰ* مِنها خَلَقناكُم وَفيها نُعيدُكُم وَمِنها نُخرِجُكُم تارَةً أُخرىٰ﴾ (الآيات ٥٣ ـ ٥٥).

ل ـ سورة البقرة:

﴿الَّذي جَعلَ لَكُمُ ٱلأرضَ فِراشاً وَٱلسَّماءَ بِناءً وَأنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً فَأخرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمراتِ رِزقاً لَكُم فَلا تَجعَلوا للّهِ أنداداً وَأنتُم تَعلَمُون﴾ (الآية ٢٢).

م ـ سورة نوح:

﴿ألَم تَروا كَيفَ خَلقَ ٱللّهُ سَبعَ سَمٰواتٍ طِباقاً﴾ (الآية ١٥).

﴿وَٱللَّهُ جعلَ لَكمُ ٱلأرضَ بِساطاً* لِتسلُكوا مِنها سُبُلاً فِجاجاً﴾ (الآيتان ١٩ ـ ٢٠).

ن ـ سورة الغاشية:

﴿أفَلا يَنظُرونَ إلىٰ ٱلإبلِ كَيفَ خُلِقت* وَإلىٰ ٱلسَّماءِ كَيفَ رُفِعت* وَإلىٰ الجِبالِ كَيفَ نُصِبَت* وَإلىٰ ٱلأرضِ كَيفَ سُطِحت﴾ (الآيات ١٧ ـ ٢٠).

س ـ سورة النمل:

﴿أمَّن خَلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأرضَ وَأنزَلَ لكُم مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً فَأنبَتنا بِهِ حَدائقَ ذاتَ بَهجةٍ ماكانَ لَكم أن تُنبتوا شَجَرها ءَ إلٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ بَل هُم قَومٌ يَعدِلون* أمَّـن جَعـلَ ٱلأرضَ قَراراً وَجعلَ خِلاَلها أنهاراً وَجَعلَ لَها رَوَاسيَ وَجَعلَ بَينَ ٱلبَحرينِ حاجِزاً ءَإلٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ بَل أكثَرهم لايَعلمُون﴾ (الآيتان ٦٠ ـ ٦١).

ع ـ سورة الأنبياء:

﴿وَجَعلنا في ٱلأرضِ رَوَاسيَ أن تَميدَ بِهم وَجَعلنا فيها فِجَاجاً سُبلاً لَعَلَّهُم يَهتَدون* وَجَعَلنا ٱلسَّماء سَقفاً مَحفُوظاً وَهُم عَن آياتها مُعرِضون﴾ (الآيتان ٣١ ـ٣٢).

ف ـ سورة المرسلات:

﴿ألَم نَجعَـلِ ٱلأرضَ كِفـاتـاً* أحياءً وَأمـواتـاً* وَجَعلنـا فيهـا رَواسيَ شامِخات...﴾ (الآيات ٢٥ ـ ٢٧).

ص ـ سورة يونس:

﴿هُـوَ ٱلَّذي جعلَ ٱلشَّمسَ ضِياءً وَٱلقمرَ نُوراً وَقَدَّرهُ مَنازلَ لِتَعلمُوا عَدَدَ ٱلسِّنينَ وَٱلحِسابَ ماخلقَ ٱللَّهُ ذٰلكَ إلاَّ بالحَقِّ يُفصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعلمُون* إنَّ في اختِـلافِ اللَّيلِ وَٱلنَّهارِ وَماخلقَ ٱللَّهُ في ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأرضِ لآياتٍ لِقومٍ يَتَّقون*﴾ (الآيتان ٥ ـ ٦).

شرح الكلمات

أ ـ اليوم:

يأتي اليوم بمعنىٰ الزمن المُمْتد من طلوع الفجر أو الشمس إلىٰ غروبها.

وكذلك الزمان المقرون به حدث من الأحداث؛ ومنها أيام الحروب وإن آمتدّت إلى أيّام مثل يوم الخندق، ويوم صفّين.

ب ـ ثمّ:

ثمّ: يدلّ على تأخّر ما بعده عمّا قبله بالزمان أو المرتبة أو المكان.

فالأول: مثل قوله تعالى في سورة الحديد:

﴿وَلَقَد أَرسَلنا نُوحاً وَإِبراهِيمَ وَجَعَلنا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ والكتاب... * ثُمَّ قَفَّينا علىٰ آثارِهِم بِرُسلنا وقَفَّينا بِعِيسىٰ آبنِ مَرِيَم﴾ (الآيتان ٢٦ ـ ٢٧).

والثاني: مثل ماجاء في جوابِ رسول الله (ص) لرجلٍ سأله وقال:

من أَبَرُّ؟

قال: أمّك.

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أُمَّكَ.

قالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أَبَاكَ.

والثالث: قولك: ذهبت من بغداد إلى كربلاء ثُمَّ النجف.

ج ـ الدخان:

الدُّخان: مايكون مع لهيب النار، وقد يقال للبخار وما علىٰ صورته: الدخان.

د ـ استوىٰ:

استوىٰ عليه: استولىٰ عليه، وآستوىٰ إليه: انتهى إليه، ويأتي مزيد بيان

لمعناه ومعنىٰ (الرَّحمٰن) و (العَرْش) و (سَوّاه) في بحث صفات الرّبّ بُعيد هذا إن شاء الله تعالىٰ.

هـ - الرَّتْقُ:

الرتق: الضّم والالتئام.

و - جَعَلَ:

تأتي جعل بمعنى خلق وأوجد، مثل قوله تعالىٰ:

أ - في سورة المائدة:

﴿أذكُروا نِعمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إذ جَعلَ فيكُم أنبياء﴾ (الآية ٢٠).

ب - في سورة النحل:

﴿وَجعلَ لَكم سَرابيلَ تَقيكمُ ٱلحرَّ﴾ (الآية ٨١).

وبمعنىٰ صيّره، مثل قوله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿ٱلَّذي جعلَ لكمُ ٱلأرضَ فِراشاً﴾ (الآية ٢٢).

وبمعنىٰ شرع وحكم وقدّر، مثل قوله تعالىٰ في سورة المائدة:

﴿لِكُلّ ٍ جَعَلنا مِنكم شِرعةً وَمِنهاجاً﴾ (الآية ٤٨).

وبمعنىٰ سخّر: أي هداه تسخيراً، مثل قوله تعالىٰ في سورة الأنعام:

﴿وَجَعلنا ٱلأنهارَ تَجري مِن تَحتِهِم﴾ (الآية ٦).

أي وهدينا الأنهار تسخيريّا لتجري من تحتهم[1].

ز - الرَّواسي:

الرّواسي: مفرده الراسي: الجبل الثابت الراسخ.

وأرساه: أثبته وأرسخه في موضعه.

ح - قضاهنّ:

قَضاهُنَّ: هنا بمعنى قدّرهنّ وأتمّ خلقهنّ.

---

(١) سندرس هداية الأنواع الأربعة في البحث الآتي.

ط ـ أوحىٰ في كلّ سماء أمرها:

علّم ملائكة كلّ سماء الأمر الذي خلقهم من أجل القيام به. وسخّر سائر ماخلق فيها أن يَسِرْنَ وفق النظام الذي قدّره لهنَّ.

ي ـ بناها:

بنى البيت: أقامه.

وفي الآية: خلقها مسوَّاة محكمة.

ك ـ السَّمك:

السمـك: السقف، ومسافة الشيء من أسفله إلى أعلاه، وإذا قصد ذكر المسافة من الأعلى إلى الأسفل قيل: العمق.

ل ـ سَوّى:

سوّاه: جعله على كمال واستعداد لما أُنشئ من أجله.

م ـ أغطَشَ:

أغطَشَها: أظلمها.

ن ـ الضُّحىٰ:

الضُّحَىٰ: طلوع الشمس وصفاء ضوئها، وارتفاع النهار.

وأخرج ضحاها: أبرز نهارها.

س ـ دحاها:

دحـا الشَّيء: أزالـه عن موقعـه، بسطة ومهَّده. والأرضَ دَحاها: بسطها ومهّدها للسكنىٰ والتقلّب في أقطارها.

ع ـ طَحاها:

طحاها: بسطها.

ف ـ مَدَدْناهَا:

مَدَّ: بسط في طول واتصال. وفي الآية: بسطناها ومهَّدناها للعيش عليها.

ص ـ موزون:

الوَزْنُ: تقدير الأجسام بما يعادله في الثقل أو في الطول والعرض أو في الحرارة والبرودة.

وَوَزَنَ الشَّيء: قدره بما يعادله، فهو موزون. والمعنى في: وأنبتنا فيها من كلّ شيء موزون أي: أنبتنا في الأرض من كلّ شيء مايتناسب مع محيطه ولما خُلق من أجله، وعلى قدر الحاجة إليه، وبما تقتضيه الحكمة في ذلك.

تفسير الآيات

معنى الآيات حسب ظواهر معاني ألفاظها، والله أعلم:

إنّ الله تعالى، قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، كان قد خلق ماءً، لايعرف حقيقته غيره، وكان عرشه على ذلك الماء وحده، أي انّ الملائكة الذين يعملون بأمره كانوا على ذلك الماء، ولمّا اقتضت مشيئته وحكمته ـ تبارك وتعالى ـ أن يخلق ماعداه، بدأ خلق الأرض من ذلك الماء قبل أن يخلق السماء، ثُمّ بدأ خلق السماء من بخار الأرض وهيبها، وتصاعد ذلك البخار أو الدخان من الأرض، وكذلك فتق الله السماء من الأرض[2] ـ والله أعلم ـ بعد أن كانتا رتقاً، أي مُنْظَمَّتَيْن، وصار ذلك الدخان أو البخار للأرض سماءً، وفتق تلك السماء وجعلها سبع سماوات طباقاً.

ونجد هذا التفسير في كلام الإمام عليّ (ع)، حيث قال:

(جَعَلَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَحْرِ الزّاخِرِ... يَبَساً جامِداً، ثُمّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَها سَبْعَ سَماواتٍ بَعْدَ ٱرْتِتاقِهَا)[3].

(٢ و٣) شرح نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ وسيأتي مزيد بيان له من الروايات. والدر المنثور للسيوطي ٤٤٤/١ والبحار ٥٨/١٠٤.

وأتمّ الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام: أي ستة مراحل عملٍ كالآتي بيانه:

أوّلاً ـ خلق الأرض:

خلق الله الأرض في يومين وجعل فيها جبالاً راسيات، وفي تمام الأربعة أيّام خلق الشمس في جوّ السماء، وأجرى الماء على وجه الأرض، ثُمّ قدّر سائر الأقوات من النبات وغيره؛ أي جعل في طبيعة الماء وطبيعة كلّ ذي حياة أن يخلق من الماء، ثُم اَستوى إلى السماء: أي بدأ خلق السماء بعد خلق الأرض، وكانت السماء دخاناً أو بخاراً، فارتفع ذلك البخار من بحار الأرض، أو ذلك اللهيب من براكين الأرض، وفتق الله السماء عن الأرض بعد أن كانتا رتقاً، ورفع سمك السماء على الأرض ـ والله أعلم ـ ثُمّ قال لتلك السماء والأرض:

﴿ائتيا طَوعاً أو كَرهاً، قالَتا أَتَينا طائعين﴾.

فأتت السماء بما فيها من المجرات وكواكب المجرات، وغيرها، مما الله بها عليم، ثُمّ دحا الأرض؛ أي أبعدها من قرب السماء وبسطها وجعل فيهاالأنهار والأشجار وسائر النباتات ثمّ الحيوانات.

وقضىٰ؛ أي جعل السماء الّتي كانت بعد فتقها عن الأرض، فوق الأرض، سبع سمٰوات في يومين، وأوحى في كلّ سماء أمرها: أي نظام سيرها لإدامة بقائها. وزيّن سماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب، وجعل من الكواكب مايحفظها من اَستراق سمع الشياطين، كما يأتي بحثه، إن شاء الله تعالى.

وجعل الشمس مضيئة والقمر منيراً، وقدّر القمر منازل في مسيره؛ ينزل كلّ ليلة منزلاً غير مانزله في الليلة السابقة، ويبتعد عن الشمس حتى يوافيها من

الجانب الآخر في شهر قمري كامل؛ وبذلك تتكون الشهور والسنون ليعلم الناس عدد السنين والحساب. وأنبت في الأرض من كلّ شيء موزون، وجعل الأرض مهداً للإنسان يجمع فيها أحياءه وأمواته، ومنها يحشره يوم القيامة.

وبناءً على ماذكرنا، نستنبط من الآيات المذكورة أنّ الأرض متقدمة زماناً على السماوات ومقدّمة رتبة ـ أيضاً ـ على ماعداها مما خلق الله، بما خلق عليها من الأنبياء والأوصياء والأولياء، وأنّ الله تعالى قد خلق جميع ما في السماوات والأرض لنفع أهل الأرض لمقام أوليائه عليها، فقد قال سبحانه في:

أ ـ سورة لقمان:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي ٱلسَّمٰواتِ وَما فِي ٱلأرض﴾ (الآية ٢٠).

ب ـ سورة الجاثية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم ما فِي ٱلسَّمٰواتِ وَما فِي ٱلأرضِ جَميعاً...﴾ (الآية ١٣).

ونستنبط من الآيات المذكورة ـ أيضاً ـ أنّ خلق أقوات الإنسان من الماء واللّحوم والنبات متقدّم على خلق الإنسان، كما صرّحت الآيات بأنّ الجنّ خلقوا من نار السموم قبل خلق الإنس من الطين، وكذلك الملائكة خلقوا قبل الإنسان، لأنّه سبحانه وتعالى قال في سورة الحجر:

﴿وَلَقَد خَلَقنا ٱلإنسانَ مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنون* وَٱلجانَّ خَلقناهُ مِن قَبلُ مِن نارِ ٱلسَّمومِ * وَإذ قالَ رَبُّكَ لِلملائكَةِ إنّي خالِقٌ بَشراً من صَلصال﴾ (الآيات ٢٦ ـ ٢٨).

ثانياً ـ الكواكب

أخبر الله تعالى عن البروج والكواكب والشهب فقال في:

أ ـ سورة الحجر:

﴿وَلَقَد جَعَلنا فِي ٱلسَّماءِ بُروجاً وَزَيَّنّاها لِلناظِرين* وَحفظناها مِن كُلِّ شَيطانٍ

رَجيم* إلَّا مَنِ ٱستَرَقَ ٱلسَّمعَ فَأَتبَعَهُ شِهابٌ مُبين﴾ (الآيات ١٦ ـ ١٨).

ب ـ سورة الصافّات:

﴿إنّا زَيَّنّا ٱلسَّماء ٱلدُّنيا بِزِينةٍ ٱلكواكِب* وَحِفظاً مِن كُلِّ شَيطانٍ مارِد* لايَسَّمَّعونَ إلىٰ المَلإِ ٱلأعلىٰ وَيُقذَفونَ مِن كُلِّ جانِب* دُحوراً وَلَهُم عَذابٌ واصِب* إلَّا مَن خَطِفَ الخَطفةَ فَأَتبَعَهُ شِهابٌ ثاقِب﴾ (الآيات ٦ ـ ١٠).

ج ـ سورة الفرقان:

﴿تَبارَكَ ٱلَّذي جَعلَ في ٱلسَّماءِ بُروجاً وَجعل فيها سِراجاً وَقَمراً مُنيراً﴾ (الآية ٦١).

د ـ سورة يونس:

﴿هُـوَ ٱلَّذي جعلَ ٱلشَّمسَ ضِياءً وَٱلقمرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعلموا عَدَدَ ٱلسِّنينَ وَٱلحِساب...﴾ (الآية ٥).

هـ ـ سورة نوح:

﴿وَجعلَ ٱلقمرَ فيهِنَّ نوراً وَجعلَ ٱلشَّمسَ سِراجاً﴾ (الآية ١٦).

و ـ سورة التوبة:

﴿إنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثنا عَشَرَ شَهراً في كتابِ ٱللَّهِ يَومَ خَلقَ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأرضَ مِنهَـا أربعةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ فَلا تَظلِموا فِيهِنَّ أَنفسكُم وَقاتِلوا المشرِكينَ كافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُم كافَّةً وَٱعلَموا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقين﴾ (الآية ٣٦)[٤].

ز ـ سورة النحل:

﴿وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدون﴾ (الآية ١٦).

ح ـ سورة الأنعام:

﴿وَهُوَ الَّذي جعلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهتدوا بِها في ظُلماتِ ٱلبَرِّ وَٱلبَحر...﴾ (الآية ٩٧).

---

(٤) ان المشهور عبارة عن زمان حركات بعض الكواكب في مسارات خاصة.

شرح الكلمات

أ ـ البُرُوج:

البُرُوجُ: واحدها البرج، وهي علىٰ الأرض: القصر والحصن. وفي السماء: مجموعة نجوم يمر بها القمر والشمس وغيرهما من الكواكب والنجوم. ومنها مجموعة نجوم لو رسمناها علىٰ الورق ـ مثلاً ـ ورسمنا بينها خطاً لشابهت العقرب، وهي من منازل القمر.

وللقمر في مايُرى من سيره اثنا عشر برجاً حسب اصطلاح المنجّمين، وسنتحدّث في آخر البحث ـ إن شاء الله ـ عن مخاطبة القرآن للناس بما يشاهدونه ويرونه عياناً.

ب ـ رَجيم:

الرَّجيم: المطرود عن الخيرات أو عن منازل الملأ الأعلى، أو الملعون.

ج ـ الشِّهاب:

الشِّهاب: شعلة في الجو ترى هابطة، والجمع: الشهب، ويأتي مزيد بيان له في بحث الجنّ الآتي إن شاء الله تعالى.

د ـ المارِد:

المارد والمريد من شياطين الجن والإنس: الطاغية المتعرّي عن الخيرات، والمتمادي في الشرّ والإثم.

هـ ـ دُحوراً:

دحره دحراً ودحوراً: دفعه وطرده وأبعده.

و ـ النُّجُوم:

النُّجُوم: هي النيّرات التي لها ضوء مثل الشمس كما قال الله: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً﴾، ﴿وَجعلَ الشَّمسَ سِراجاً﴾.

ز ـ الكَواكِب:

الكَـواكِبُ: هي الأجسـام التي تكتسب النور من النجوم، ويقال لعامّة الأجسام المنيرة في السماء: الكواكب، كما قال الله سبحانه:

﴿إنّا زَيّنّا ٱلسَّماءَ ٱلدُّنْيا بِزِينَةٍ الكواكب﴾ (الصافّات ٦).

ح ـ واصِب:

وَصَبَ: دام ولزم، فهو واصب.

ط ـ خَطِفَ:

خَطِفَ الشَّيءَ خَطْفاً: أخذه واختلسه بسرعة، والخطفة: المرّة من الخطف، والمرّة من استماع الشيطان للملائكة في السمٰوات.

ي ـ الثاقِب:

ثَقَبَ الشَّيءَ ثَقْباً: خرقه بآلة الثقب فهو ثاقب.

ووُصِف الشهابُ بالثاقب لنفاذه في الظلماء كأنّه يثقبها بضوئه.

تفسير الآيات

يفهم من الآيات التي ذكرناها في بحث السمٰوات والكواكب: أنّ سماء الدنيا مكانها فوق جميع الكواكب والنجوم في جميع المجرّات بجميع أبعادها الضوئية، وفوقها مكاناً السماء الثانية، وفوق الثانية الثالثة، وفوق الثالثة الرابعة، وهكذا حتى السابعة، وأنّ ارتفاع بعضها على بعض مكانيٌّ بخلاف العرش الذي ارتفاعه معنوي، كما يأتي بيانه في محلّه ـ إن شاء الله تعالى ـ ويوجّه إلى ماأشرنا سؤالان كالآتي:

١ ـ لماذا ذكر الله تعالى من فوائد النجوم أمثال قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿جعلَ لَكمُ النّجومَ لِتَهتدوا...﴾ (الآية ٩٧).

ممّا يعلمه الناس أجمعون ولم يخبر عن آثارها وصفاتها التي اكتشفها العلماء

بعد عصر القرآن الكريم؟

٢ ـ إنّ الله تعالى أخبر في سورة الصافّات وقال:

﴿إنّا زَيّنّا ٱلسَّماء ٱلدُّنيا بِزِينَةٍ ٱلكَواكِبِ﴾.

وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا فإنه يدل على أنّ مواقع جميع الكواكب تحت السماء الدنيا، مع أنّ علماء النجوم والفلك ـ المنجّمين ـ سابقاً كانوا يقولون: إنّ مواقع أكثر النجوم فوق السماء الدنيا. فما رأي العلم في عصرنا في هذا ٱلأمر؟

وفي الجواب عن السؤالين نقول بحوله تعالى:

الجواب عن السؤال الأوّل:

إنّ الله ـ جلّ ٱسمه ـ أرسل خاتم أنبيائه بالقرآن الكريم ليهدي جميع الناس إلى الدين الذي شرّعه لهم كما قال سبحانه في:

أ ـ سورة الأعراف:

﴿قُل يَاأَيُّها ٱلنّاسُ إنّي رَسُولُ ٱللّهِ إلَيكُم جَميعاً...﴾ (الآية ١٥٨).

ب ـ سورة الأنعام:

﴿وَأُوْحِيَ إلَيَّ هٰذَا ٱلقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (الآية ١٩).

ولهذا السبب يخاطب جميع الناس في محاوراته بقوله: ﴿يَاأَيُّها ٱلنّاسُ﴾، إذاً لابد من أن يذكر من أصناف الخلق حسب الحاجة في المحاورة مايفهمه جميع النـاس في كل زمان ومكان، ويقول ـ مثلاً ـ في سورة الغاشية في مقام إقامة البرهان على توحيد الألوهية:

﴿أفَلا يَنظُرونَ إلىٰ الإبِلِ كَيفَ خُلِقت* وَإلىٰ ٱلسَّماءِ كَيفَ رُفِعَت* وَإلىٰ ٱلجِبـالِ كَيفَ نُصِبت* وَإلىٰ ٱلأرضِ كَيفَ سُطِحت* فَذَكِّر إنَّما أنتَ مُذَكِّر* لَستَ عَلَيهِم بِمُصَيطِرٍ﴾ (الآيات ١٧ ـ ٢٢).

وقال في سورة الواقعة في مقام إقامة البرهان على توحيد الربوبية:

﴿أفرأيتُم ٱلماءَ ٱلَّذي تَشربون* ءَأنتم أنزَلتموهُ مِنَ المُزنِ أم نَحنُ ٱلمُنزلون* لو نَشاءُ جَعَلناهُ أُجاجاً فَلَولا تَشكُرُون*... فَسَبِّح بِٱسم رَبِّكَ ٱلعَظيم﴾ (الآيات ٦٨ ـ ٧٠ و ٧٤).

ولو فعل خلاف ذلك وذكر ـ في مقام ٱلاستدلال ـ نظام سيرة بلايين الكواكب في ملايين المجرّات في ٱلسماء، أو ذكر من الإنسان وحده: عينه وملايين الخويطات فيها، ودمه وملايين الكريّات البيض والحمر فيه، ودماغه وملايين خلاياه، وجهازه الهضمي و... و... و...الخ، وأنواع أمراضها وعلاجها كما تساءل البعض مني عن سبب عدم ذكر الله هذه العلوم في كتابه وهو خالقها، وزعمها نقصاً في كتاب الله المجيد ـ معاذ الله ـ.

ياترىٰ لو جاء ذكر خصائص ما خلق الله كما ذكرناه فمن من الناس كان يفهمها قبل عصر اكتشافها؟ وماذا كانت تقول الأمم لأنبيائها لو قالوا لهم ـ مثلاً ـ: إنّ الأرض التي نحن عليها تدور حول الشمس، والشمس تبعد عن الأرض ٢٣ مليون ميل، وهي بمجموعتها تقع في طرف مجرّة تسمى درب التبّانة، وفي هذه المجرّة ثلاثون ملياراً من النجوم، ويوجد وراء هذه المجرّة مئات الألوف من عوالم السدوم، و...الخ.

ياترىٰ لو كانت الأمم تسمع من أنبيائها أمثال هذه الأقوال ماذا كانت تقول لأنبيائها؟ في حين أنها نسبت إليهم الجنون لأنّهم دعوهم إلى غير المألوف عندهم من توحيد الإله، فمثلاً قال قوم نوح لنوح (ع) كما أخبر سبحانه في سورة القمر وقال:

﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوح... وَقالُوا مَجنُون﴾ (الآية ٩).

وأخبر عن الأمم مع أنبيائها وقال سبحانه في سورة الذاريات:

﴿كَذلكَ ما أتىٰ ٱلّذينَ مِن قَبلِهِم مِن رَسُولٍ إلاّ قالوا ساحرٌ أو مَجنُون﴾ (الآية٥٢).

وأخبر عن قريش مع خاتم الرسل (ص) في سورة القلم فقال:

﴿...وَيَقولونَ إنَّهُ لمجنُون﴾ (الآية ٥١).

ياترىٰ ماذا كانت تقول الأمم لأنبيائها لو سمعت منهم أمثال هذه الأقوال؟

وكم من الناس الذين يخاطبهم القرآن كان يفهم هذه الحقائق العلمية التي ٱكتشفها ٱلعلماء حتى عصرنا الحاضر وبعد اكتشافها!؟

وفي كم موسوعة علميّة كان ينبغي أن تدوّن كلّ الاكتشافات العلمية التي اكتشفها العلماء حتى عصرنا الحاضر!؟

ثمّ إنّ الله أنزل القرآن على خاتم رسله (ص) كتاب هداية يعلّم الناس كيف يعبدون الله ربّهم ويطيعون أوامره ونواهيه، وكيف يتعاملون مع سائر الخلق، وكيف ينتفعون ممّا خلق لهم وسخّر ليبلغوا درجة الكمال الإنساني ويسعدوا في الدارين.

ولم ينزل القرآن ليعلّم الناس خصائص الهواء والماء والأرض والحيوان والنبات، بل جعل ذلك من وظيفة العقل الذي وهبهم إيّاه ليهديهم إلى كلّ ذلك حسب حاجاتهم في الأزمنة المتعاقبة وحالاتهم المختلفة.

ومع وجود العقل الموهوب لهم لم يكن الناس بحاجة ـ مثلاً ـ إلى أن يعلّمهم الله في كتابه المجيد كيف يفلقون الذرة، وإنّما هم بحاجة إلى أن يهديهم فيه كيف يستعملون هذه الطاقة وأمثالها ـ بعد أن سيطروا عليها ـ لما ينفعهم، ولايستعملونها في مايضرّهم ويبيدون الخلق إنساناً وحيواناً ونباتاً!

إذاً كان من الحكمة أن يأتي القرآن الكريم بذكر أصناف الخلق كما جاء، ولا ينافي ماذكرناه أن تأتي في القرآن الكريم أحياناً إشارة إلى حقائق علمية

ممّا اكتشفها العلماء ويكتشفونها بعد عصر نزول القرآن الكريم، كي يكون من الآيات المتجـدّدة الـدالّة على أنّ القرآن الكريم نزل من عند خالق العالمين وربّهم: «ولاتفنىٰ عجائبه»[٥] كما قال وصيُّ النبي (ص).

ومن عجائبه أنّه لم يأتِ فيه من ذكر خصائص الخلق ما يخالف حقائق العلم التي اكتشفها العلماء بعده قرناً بعد قرن.

الجواب عن السؤال الثاني:

إنّ صنفاً من العلماء في بعض العصور أوّلوا بعض ماجاء ذكره في القرآن الكريم ببعض النظريات الخاطئة التي كانت تعتبر في عصرهم من حقائق العلم، مثـل تأويلهم السمٰوات السبع بالأفلاك السبعة المشهورة عند العلماء سابقاً، حسب نظرية بطليموس (عاش نحو ٩٠ ـ ١٦٠ م) وقوله:

إنّ السمٰـوات والأرض أجســام كروية بعضها فوق بعض مثل طبقات البصل، مركزها الأرض التي يتكّون ثلاثة أرباعها من الماء وفوقها الهواء وفوق الهواء النار، ويسمونها بالطبائع الأربع، وفوقها فلك القمر وهو الفلك الأول، ثم فلك عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زحل، ويسمّون كواكبها: بالسبعة السيّارة، وأنه يحيط بها فلك الكواكب الثابتة ويسمّونها بفلك الـبروج، ثم الفلك الأطلسى الذي لاكوكب فيه، ويؤولون السمٰوات السبع بأفلاك السيارات السبع عندهم، والكرسي بفلك البروج، والعرش بالفلك التاسع[٦].

وكذلك أوّلوا ماجاء في القرآن والحديث حول بعض المصطلحات الإسلامية

---

(٥) نهج البلاغة/ الخطبة: ١٨.

(٦) البحار، ٧٥/٥٨.

بالمشهور في عصرهم من آراء فلسفية وفلكية ونظريّات خاطئة.

ولما كان في تلك النظريات مايخالف صريح القرآن حاولوا الجمع بين ماجاء في القرآن الكريم وتلك النظريات كما أخبر عنه المجلسي وقال:

(وآعلم أنّ هٰهنا إشكالاً مشهوراً، وهو أنّه اتفق أصحاب الهيئة على أنّه ليس في السماء الأولى سوى القمر، وسائر السيّارات كلّ في فلك، والثوابت كلّها في الثامن، والآية الكريمة تدلّ على أنّ كلّها أو أكثرها في السماء الدنيا، وأجيب عنه بوجوه)[٧].

وسيأتي ذكـر الآية وتفسـيرها بعيد هذا ان شاء الله تعالى، ونترك ذكـر الوجوه التي نقلها المجلسي هٰهنا كي لايطول البحث في ما لاينفع، ونقتصر على إيراد قول كبير فلاسفة عصره؛ ميرداماد في تأويل حديث في هذا الباب:

قال المجلسي رحمه الله:

(بيان وتأويل عليل:

قال السيد الداماد ـ ره ـ في بعض تعليقاته على كتاب من لا يحضره الفقيه:

العرش هو فلك الأفلاك. وإنّما حكم (ع) بكونه مربّعاً لأنّ الفلك يتعيّن له بالحركة المنطقة والقطبان، وكلّ دائرة عظيمة منصفة للكرة، والفلك يتربّع بمنطقة الحركة والدائرة المارة بقطبيها، والعرش وهو الفلك الأقصى والكرسي وهو فلك الثـوابت يتربّعـان بمعـدل النهـار ومنطقة البروج والدائرة المارّة بالأقطاب الأربعة، وأيضا دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربّع بدائرة نصف النهار ودائرة المشرق والمغرب، فيقع منها بينها أرباعها، ويتعيّن عليها النقاط الأربع: الجنوب، والشمال، والمشرق، والمغرب. والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستلقٍ

---

(٧) البحار، ٥٨/٧٤.

على ظهره، رأسه إلى الشمال، ورجلاه إلى الجنوب، ويمينه إلى المغرب، وشماله إلى المشـرق. وأيضا التربيع والتسـديس أول الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظانه، إذ التربيع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم، والتسديس بنصف قطر، فإنّ وتر سدس الدور يساوي نصف القطر، وربع الدور قوس تامة، ومانقصت عن الربع فمتممها إلى الربع تمامها، وأيضاً الفلك الأقصى له مادة، وصورة، وعقل هو العقل الأول ويقال له عقل الكلّ، ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكلّ، فيكون مربّعاً وأول المربّعات في نظام الوجود.

وهنـالـك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرف(انتهىٰ).
ولايخفىٰ عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله)[٨].

انتهىٰ ماذكـره المجلسي، وإنّهم يسمّـون أمثـال هذه الأقوال بالحكمة، ويسمّون أهلها أهل الحكمة. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون!

بالإضـافـة إلى ماذكرناه فسّر بعض العلماء القرآن بروايات إسرائيلية، وبعضهم فسّره بروايات مفتراة على رسول الله(ص) دون تمحيص، وعلى أثر كلّ ذلك، التبس أمر فهم القرآن والمصطلحات الإسلامية والألفاظ اللغوية على قارئ القرآن والحديث، كما ذكرنا بعضها في كتاب (القرآن وروايات المدرستين).

(٨) البحار، ٥٨/ ٥ ـ ٦.

خلاصة البحث

أوّلاً ـ السماء:

السماء في اللغة:

كلّ شيء أظلّك فهو سماء، وسماء كلّ شيء أعلاه، وجاء ذكر السماء في القرآن الكريم بلفظ الواحد وأُريد بها تارة: الجوّ الذي يحيط بالأرض مثل قوله تعالى:

أ ـ ﴿...ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ﴾.

ب ـ ﴿وأنزل من السماء ماءً﴾.

وأُخرى أُريد بها: ماعلا الأرض من الكواكب والسمٰوات السبع مثل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوات﴾.

وجاءت بلفظ الجمع؛ وأُريد بها السمٰوات السبع مثل ماجاء في الآية الماضية.

ثانياً ـ بدء الخلق:

أخبر الله سبحانه أنّ الماء كان مخلوقاً قبل السمٰوات والأرض، ونفهم من الآيات أنّه خلق الأرض من ذلك الماء، والسمٰوات من بخار ذلك الماء وتلك الأرض، وانّه أتمّ خلقهما وخلق بعض الموجودات فيهما ومن ضمنها مايحتاجه الإنسان في حياته في ستّة مراحل.

وأنّه جعل كلّ النجوم بأبعادها الضوئية تحت السماء الدنيا.

وأنّ الله سبحانه أخبر عمّا خلق بقدر ما في الإخبار عنه حاجة لهداية الناس، ولم تكن عقول الناس تتحمّل من بيان بدء الخلق وحقيقة الكواكب أكثر من ذلك.

وأنّ بعض العلماء أجهدوا أنفسهم وأوّلوا بعض ماجاء في القرآن من وصف

السمٰوات والكواكب بما كان معروفاً عنها في عصرهم؛ مثل تأويل معنى السماوات بالأفلاك السبعة التي كانوا يعتقدون أنّها حقيقة علمية.

وكذلك فسّروا بعض الآيات بروايات إسرائيلية كانت ولا تزال متداولة بين المسلمين، ومن ثم انتشرت رؤية غير صحيحة عن بدء الخلق وحقيقة السمٰوات و الكواكب وغيرهما من أصناف الخلق بين المسلمين. وسوف ندرس بعضها في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

ـ ٣ ـ
الدّوابّ

قال سبحانه وتعالى في:

أ ـ سورة النور:

﴿وَٱللَّهُ خلقَ كُلَّ دابَّةٍ مِن ماءٍ فَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ بَطنِهِ وَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ رجلَينِ وَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ أربعٍ يَخلقُ ٱللَّهُ مايَشاءُ إنَّ اللَّهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٍ﴾ (الآية ٤٥).

ب ـ سورة الأنعام:

﴿وَما مِن دابَّةٍ في ٱلأرضِ وَلاطائرٍ يَطيرُ بِجَناحيهِ إلّا أُمَمٌ أمثالُكم ما فَرَّطنا في ٱلكتَابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إلىٰ رَبِّهِم يُحشَرون﴾ (الآية ٣٨).

ج ـ سورة النحل:

﴿وَلِلّهِ يسجُدُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ من دابّةٍ﴾ (الآية ٤٩).

شرح الكلمات

دبَّ دبيباً فهو دابّ: سار سيراً خفيفاً كسير النملة.

والدابّة: كلّ ما دبّ على الأرض من صنف الحيوان، والمقصود من الدابّة في الآية: كلّ ذي حياة يدبُّ على وجه الأرض.

تفسير الآيات:

إنّ الله خلق كلّ ذي حياة يدبُّ ويتحرّك من الماء، وما من حياة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه في الجوّ إلّا وهم أمم أمثالكم: فالنمل أُمّة لها نظام حياة كما للإنسان نظام حياة، وكذلك السمك في الماء والزواحف على وجه الأرض والحشرات في بطنها، إلى أمثالها من ذوي الحياة الحيوانية أُمم أمثال الإنسان: لكلّ نوع منه نظام حياة، وسوف ندرس إن شاء الله تعالى في البحث الثالث من (هداية ربّ العالمين) الآتي كيف هدىٰ الله تلكم الأُمم من الدّوابّ إلى نظام حياتها.

ـ ٤ ـ
الجنّ والشّياطين

أ ـ الجنّ والجان

جنّ يجنّ جنّاً: استتر، وجنّ الشيء وعلى الشيء: ستره، كما قال سبحانه:

﴿فَلَمّا جَنَّ عَليهِ اللَّيْلُ﴾ (الأنعام/ ٧٦).

أي فلمّا ستره الليل. والجنّ والجانّ خلق مستتر لايُرى، وقد أخبر الله سبحانه عنهم وقال:

أ ـ عن أصلهم في سورة الرحمن:

﴿وَخلقَ ٱلجانَّ مِن مَارِجٍ مِن نار﴾ (الآية ١٥).

وفي سورة الحجر:

﴿وَٱلجانَّ خَلَقناهُ مِن قَبلُ مِن نارِ ٱلسَّمُوم﴾ (الآية ٢٧).

ب ـ وأنّهم أمم مثل الإنسان، في سورة فصّلت:

﴿في أُمَمٍ قَد خَلَت مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ وَالإِنْس﴾ (الآية ٢٥).

ج ـ وأنّ سليمان (ع) استخدمهم، في سورة سبأ:

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعملُ بَيْنَ يَديهِ بِإذنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنهُم عَن أمرِنا نُذقهُ مِن عَذابِ ٱلسَّعيرِ* يَعمَلونَ لَه مايَشاءُ مِن مَحارِيبَ وَتَماثيلَ وَجِفانٍ كالجَوابِ وَقُدُورٍ راسِيات﴾ (الآيتان ١٢ ـ ١٣).

د ـ وأنّه كان في جنود سليمان من يستطيع أن يذهب من فلسطين إلى اليمن

ويرجع قبل أن يقوم سليمان من مقامه، في سورة النمل:

﴿قالَ عِفريتٌ مِنَ الجنِّ أنا آتيكَ بِهِ قَبلَ أن تَقومَ مِن مَقامِكَ وَإنّي عَلَيهِ لَقويٌّ أمين﴾ (الآية ٣٩).

هـ ـ وعن عدم علمهم بالغيب، في سورة سبأ:

﴿فَلَمّا قَضَينا عَلَيهِ المَوتَ مَا دَلَّهُم عَلىٰ مَوتِهِ إلاّ دابَّةُ الأرضِ تأكُلُ مِنسأتَهُ فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أن لَو كانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ مَا لَبِثُوا في العَذابِ المُهين﴾ (الآية ١٤).

و ـ وعن ما كانوا عليه قبل بعثة خاتم الأنبياء (ص)، في سورة الجنّ:

١ ـ ﴿وَأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللّهِ شَطَطاً﴾ (الآية ٤).

٢ ـ ﴿وَأنَّهُم ظَنّوا كَما ظَنَنتُم أن لَن يَبعَثَ اللّهُ أحَداً﴾ (الآية ٧).

٣ ـ ﴿وَأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذون بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزادُوهم رَهَقاً﴾ (الآية ٦).

ز ـ وعن استراقهم للسمع بعد بعثة خاتم الأنبياء (ص)، في سورة الجنّ:

﴿وَأنّا لَمَسنا السَّماءَ فَوَجَدناها مُلِئَت حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ (الآية ٨).

﴿وأنّا كُنّا نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ، فَمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِد لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾ (الآية ٩).

ح ـ وعن إسلامهم، في سورة الجنّ:

١ ـ ﴿وَأنّا مِنّا الصّالِحُونَ وَمِنّا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً﴾ (الآية ١١).

٢ ـ ﴿وَأنّا مِنّا المُسلِمونَ وَمِنّا القاسِطونَ فَمَن أسلَمَ فأُولئكَ تَحَرَّوا رَشَداً﴾ (الآية ١٤).

ب ـ الشَّيْطان

الشيطان اسم لكلّ عات متمرّد من الإنس والجنّ والحيوان.

قال سبحانه في:

أ ـ سورة الحجر:

﴿وَلَقد جَعَلنا في ٱلسَّماءِ بُروجاً وَزَيناها لِلنَاظرين* وَحَفِظناها مِن كُلِّ شَيطانٍ رَجيم* إلاَّ مَنِ ٱسْترقَ ٱلسَّمعَ فَأتبَعَهُ شِهابٌ مُبين﴾ (الآيات ١٦ ـ ١٨).

ب ـ سورة الصافّات:

﴿إنّا زَيّنّا السَّماءَ ٱلدُّنيا بِزِينةٍ ٱلكَواكِب* وَحِفظاً مِن كُلِّ شَيطَانٍ مارِد* لايَسَّمّعونَ إلىٰ ٱلمَلإ ٱلأعلىٰ وَيُقذَفونَ مِن كُلِّ جَانِب* دُحوراً وَلَهُم عَذابٌ واصِب* إلاَّ مَن خَطِفَ الخَطفَةَ فَأتبَعَهُ شِهابٌ ثاقِب﴾ (الآيات ٦ ـ ١٠).

ج ـ سورة الملك:

﴿وَلَقد زَيّنّا السماءَ ٱلدُّنيا بِمَصَابيحَ وَجعَلنَاها رُجُوماً لِلشَّياطينِ وَأعْتَدنا لَهُم عَذابَ ٱلسَّعير﴾ (الآية ٥).

د ـ سورة الأنعام:

﴿وَكَذلكَ جَعَلنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوّاً شَياطينَ ٱلإنسِ وَٱلجنِّ يُوحِي بَعضُهُم إلىٰ بَعضٍ زُخرُفَ ٱلقَولِ غُروراً وَلَو شاءَ رَبُّكَ مَا فَعلوهُ فَذَرهُم وَما يَفْتَرُون* وَلِتَصْغىٰ إليهِ أفئِدةُ ٱلّذينَ لايؤمِنُونَ بالآخرةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفوا مَا هُم مُقْتَرِفون﴾ (الآيتان ١١٢ ـ ١١٣).

هـ ـ سورة الأعراف:

﴿إنّا جَعَلنا ٱلشَّياطينَ أولياءَ لِلّذينَ لايؤمِنُون﴾ (الآية ٢٧).

و ـ سورة الإسراء:

﴿إنَّ ٱلمُبذِّرينَ كانوا إخوانَ ٱلشَّياطينِ وَكانَ ٱلشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفوراً﴾ (الآية ٢٧).

ز ـ سورة البقرة:

﴿وَلاتَتَّبِعوا خُطواتِ ٱلشَّيطانِ إِنَّهُ لَكم عَدوٌّ مُبين* إِنَّما يَأمُرُكم بِالسُّوءِ وَٱلفحشاءَ وَأَن تَقولوا علىٰ ٱللَّهِ مَالا تَعلمون﴾ (الآيتان ١٦٨ ـ ١٦٩).

﴿ٱلشَّيطانُ يَعِدُكم ٱلفَقرَ وَيَأمُرُكم بِالفَحشاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكم مَغفرةً مِنهُ وَفَضلاً وَٱللَّهُ واسعٌ عَليم﴾ (الآية ٢٦٨).

ح ـ سورة النساء:

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيطانَ وَلِيّاً مِن دُونِ ٱللَّهِ فَقَد خَسِرَ خُسراناً مُبيناً* يَعِدُهم وَيُمَنِّيهِم وَما يَعِدُهم ٱلشَّيطانُ إِلَّا غُروراً﴾ (الآيتان ١١٩ ـ ١٢٠).

ط ـ سورة المائدة:

﴿إِنَّما يُريدُ ٱلشَّيطانُ أَن يُوقِعَ بَينكُمُ ٱلعَداوَةَ وَٱلبَغضاءَ في ٱلخَمرِ وَٱلمَيسِرِ وَيَصُدَّكم عَن ذِكرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلاةِ فَهَل أَنتُم مُنتَهون﴾ (الآية ٩١).

ي ـ سورة الأعراف ـ أيضا ـ:

﴿يابَني آدَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيطانُ كَما أَخرجَ أَبَوَيكُم مِنَ ٱلجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنهما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْءاتِهِما إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِن حَيثُ لاتَرَونَهُم﴾ (الآية ٢٧).

ج ـ إبليس

١ ـ في اللّغة:

أَبْلَسَ يُبْلِسُ مُبْلِس: حزن، تحيّر، يئس، سكت غمّاً، انقطع في حجّته، ومنه قوله تعالى في سورة الروم:

﴿وَيَومَ تَقومُ ٱلسّاعَةُ يُبْلِسُ المُجرمون﴾ (الآية ١٢).

٢ ـ في القرآن الكريم:

إبليس: اسم علم للشيطان الـذي استكـبر وأبىٰ أن يسجـد لآدم (ع)،

والمقصود من لفظ الشيطان إذا جاء في القرآن الكريم بلفظ المفرد ومع الألف واللّام هو إبليس.

وقد جاء أخبار ابليس في القرآن الكريم بلفظ ابليس في قوله تعالى في:

أ ـ سورة الكهف:

﴿وَإِذْ قُلنا لِلمَلائكةِ ٱسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبليسَ كانَ مِنَ ٱلجِنِّ فَفسقَ عَن أمرِ رَبِّهِ أفتَتَّخِذونهُ وَذُرِّيَّتَهُ أولياءَ مِن دُوني وهمْ لَكُم عَدوٌّ بِئسَ لِلظالمِينَ بَدَلاً﴾ (الآية ٥٠).

ب ـ سورة سبأ في قصة أهل سبأ:

﴿وَلَقد صَدَّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعوهُ إلاّ فَريقاً مِنَ المُؤمنين* وَما كانَ لَهُ عَلَيهم مِن سُلطان...﴾ (الآيتان ٢٠ ـ ٢١).

وجاء بلفظ الشَيطان في قوله تعالى في:

أ ـ سورة الأعراف في قصة آدم (ع):

﴿فَوسوسَ لَهُما ٱلشَّيطانُ لِيُبدِيَ لَهما ماوُرِيَ عَنهما مِن سَوءاتِهما...* وَناداهُما رَبُّهما أَلَم أنهَكُما عَن تِلكما ٱلشَّجَرةِ وَأَقُل لَكُما إنَّ ٱلشَّيطانَ لَكُما عَدوٌّ مُبِين﴾ (الآيتان ٢٠ و ٢٢).

ب ـ سورة يس:

﴿أَلَم أعهَدْ إليكُم يابَني آدمَ أن لاتَعْبدوا ٱلشَّيْطانَ إنَّهُ لَكُم عَدوٌّ مُبِين﴾ (الآية ٦٠).

ج ـ سورة فاطر:

﴿إنَّ ٱلشَّيطانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذوهُ عَدُوّاً إنَّما يَدعُو حِزبَهُ لِيَكونوا مِنْ أَصحابِ ٱلسَّعير﴾ (الآية ٦).

شرح الكلمات

أ ـ المارِج:

المَرْج: الخلط.

والمارج: اللهيب المختلط بسواد النار.

ب ـ السموم:

الرِّيح الحارّة غالباً بالنّهار، سُمِّيت بذلك لأنّها تنفذ في مسام الجسم وتؤثّر فيه تأثير السّم.

ج ـ يَزِغْ:

زاغ الإنسان يزيغ: مال عن القصد وانحرف عن الحقّ، وعن أمر الله.

ومن يزغ منهم عن أمر الله: من ينحرف منهم عن أمر الله.

د ـ مَحاريب:

مفرده المحراب: صدر المجلس أو أكرم موضع فيه.

والموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن الناس.

والغرفة التي فيها مقدم المعبد.

والمساجد يُتعبَّد فيها.

هـ ـ جِفان:

جمع جَفنة كالقصعة وزناً ومعنىً، والجفنة خصّت بوعاء الأطعمة.

و ـ الجَواب:

أوانٍ للطعام كأحواض الماء في الكبر والسّعة.

ز ـ راسيات:

جمع راسية: ثابتة الأصل راسخة، وجمعها راسيات.

ح ـ العفريت: أقوىٰ الجنّ وأخبثه.

ط ـ رَصَداً:

رَصَدَهُ رَصْداً ورَصَداً: قعد له على الطريق، وتهيّأ لمراقبته، فهو راصد.

والرَّصَد: الحَرَسُ.

وفي الآية رَصَداً: أي راصِداً له.

ي ـ طرائق:

جمع طريقة: الحال والسيرة؛ حسنة كانت أو سيئة.

ك ـ قِدَداً:

القِدَّةُ: الجماعةُ المختلفةُ آراؤها، وجمعها: قِدَدٌ.

وطرائق قِدَدا: أي جماعات آختلفت أهواؤهم ومشاربهم.

ل ـ القاسطون:

قَسَطَ: جار وحاد عن الحق فهو قاسط أي ظالم، والقاسطون من الجِنّ: الظالمون منهم الّذين لم يُسْلِمُوا.

وأَقْسَطَ: عَدَلَ.

م ـ رَشَداً:

أي سدداً وبُعداً عن الغي والضلال.

ن ـ السَّفيهُ:

الجاهل في الدين او النَزِق الخفيف عقله.

س ـ شطَطاً:

شَطَّ: بعد وافرط في البعد، وشطّ عليه: جار عليه.

والشَطَط: الإفراط في البعد والتجاوز عن الحد.

وقلنا على الله شططاً: أي قلنا على الله جوراً وبعداً عن الحقّ بافراط.

ع ـ يعوذون:

يعوذ به: يلتجئ إليه ويتعلّق به.

ف ـ رَهَقاً:

رَهِقَ رَهَقاً: سَفِهَ وطغى.

ورَهِقَهُ المكروه: غَشِيه، ورهقته الذلّة: غشيته الذلّة.

وَزادُوهُمْ رَهَقاً: زادوهم طغياناً وسفهاً وذلّة.

ص ـ دَابَّةُ الأَرْضِ:

دبّ دبّاً ودبيباً: مشى مشياً رويداً خفيفاً.

والدّابَّةُ: اسم لكل حيوان ذكراً كان أو انثىٰ عاقلاً أو غير عاقل، وغُلّب على غير العاقل.

والمراد من دابة الأرض هنا: الأرضة التي تأكل الخشب.

ق ـ مِنْسَأَتَهُ:

نَسَأَ الدّابة: زجرها وحثّها على السير.

والعصا التي يُنْسَأُ بها الدابّة: المنسأة.

ر ـ الغَيْب:

الغَيْب: ما لايدرك بالحواس، وماستر عن الحواس.

ومثال مالايدرك بالحواس وجود الإله الخالق والربّ المربّي الذي يتعلّمه الانسان بعقله، وإعماله التدبّر في الأسباب والمسبّبات.

وكـذلـك بعض صفات الله وعوالم مابعد الموت اللاتي يتعلّمها الإنسان بإخبار الأنبياء عنها.

ومثال المستور عن حواس الناس: الحوادث الكائنة في المستقبل أو الواقعة فعـلاً في مكان بعيد عن الإنسان والّتي تصل إلى الإنسان بإخبار الأنبياء عن كليهما، أو بإخبار الناس عمّا وقع في مكان بعيد عن الإنسان.

ش ـ رُجُوماً:

مفرده الرُّجم، والرُّجم: وهو مايُرجم به.

ت ـ زُخْرُف:

زَخْرَفَ القول: زيَّنه بالكذب.

ث ـ يوحي:

الإيحاء بمعنىٰ: الوسوسة.

خ ـ غُرُوراً:

غَرَّهُ غُرُوراً: خدعه وأطمعه بالباطل.

ذ ـ يَقْتَرِفُ وَمُقْتَرِفُون:

يقترف الحسنة أو السيئة: يعملها فهو مقترف.

ض ـ مُبذِّرين:

بذَّرَ المالَ تَبْذيراً: ضيَّعه تضييعاً، وفرَّقه إسرافاً ووضعه في ما لا ينبغي أن يضعه فيه، فهو مبذِّر، وهم مبذِّرون.

ظ ـ خُطُوات الشيطان:

خطا إلى الشيء: مشىٰ إليه.

والخُطْوَة: مسافة مابين القدمين.

ولاتتَّبعوا خطوات الشيطان: أي لاتقتفوا آثاره وتعملوا بوساوسه.

غ ـ الفَحْشاء:

الفَحْشَاء: ماعظم قبحه من الأفعال والأقوال، ويستعمل في المصطلح الإسلامي أحيانا في الذنوب القبيحة.

آ ـ الَميْسِر:

القِمار، وكان قمار العرب في الجاهلية بالأزلام والقداح.

والأزلام: جمع زَلَم: قطع من الخشب مثل السهام كانوا يكتبون على أحدها أمرني ربّي، وعلى الثاني نهاني ربّي، وكان الثالث غفلًا لا كتابة عليه، فإذا خرج ما عليه الأمر فعلوا، وما عليه النهي، امتنعوا، والغفل أجالوا الأزلام مرّة أخرى.

وكانت الأزلام لقريش في الجاهلية تضعها في الكعبة يقوم بها سدنة البيت.

والقِداح: جمع قدح: قطعة من الخشب طول المتر أو دونه، تعرض قليلاً وتسوّى لا أو نعم أو يغفل ويقرع بها.

با ـ سَوْءاتُها:

عوراتها.

جا ـ القَبيل:

الصنف المماثل، والجيل، والجماعة، والأتباع.

حا ـ فَسَقَ:

أ ـ في اللغة:

فسقت الرطبة من قِشْرِها: إذا خرجت، وفسق فلان ماله إذا أنفقه وأهلكه.

ب ـ في المصطلح الاسلامي:

الفِسْقُ: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله وحدود شرعه.

وَالْفُحْشُ: ماعظم قبحه من الأعمال والأقوال، والفسق يعم الكفر والنفاق والضلال، كما قال سبحانه:

أ ـ ﴿وَما يَكفُرُ بِها إلَّا الفاسِقُون﴾. (البقرة/ ٩٩)

ب ـ ﴿إنَّ ٱلمنافقِينَ هُم ٱلفاسِقُون﴾. (التوبة/ ٦٧)

ج ـ ﴿فَمنهُم مُهتدٍ وَكثيرٌ مِنهُم فَاسِقُون﴾. (الحديد/ ٢٦).

ويقابل الإيمان كما قال تعالى:

﴿مِنهُم ٱلمُؤمِنون وَأكثَرُهُمُ الفاسِقُون﴾. (آل عمران/ ١١٠).

٣ ـ الجنّ في التفسير بالمأثور:

روىٰ السيوطي في تفسير سورة الجنّ وقال:

(لم تحرس الجنّ في الفترة بين عيسى ومحمّد، فلما بعث الله محمّداً صلّىٰ

الله عليه وسلّم حرست السماء الدنيا ورميت الجن بالشهب، فاجتمعت إلى إبليس فقال: لقد حدث في الأرض حدث فتعرّفوا فأخبرونا ماهذا الحدث؟

فبعث هؤلاء النفر إلى تهامة وإلى جانب اليمن وهم أشراف الجن وسادتهم، فوجدوا النبي صلىٰ الله عليه وسلّم يصلي صلاة الغداة بنخلة فسمعوه يتلو القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا، فلمّا قضىٰ (يعني بذلك أنه فرغ من صلاة الصبح) وَلَّوا إلى قومهم منذرين مؤمنين لم يشعر بهم حتى نزل: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، يقال: سبعة من أهل نصيبين).

* * *

كان ذلكم بعض ما جاء من امر الجن والشياطين وابليس في القرآن الكريم، وجاء في الروايات ما يأتي:

أ ـ عن الإمام الباقر (ع)، أنّه قال في سليمان (ع):

إنّ سليمان بن داود، قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح، والإنس، والجن، والطير، والوحوش، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أُوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد، وأصعد أعلاه، وأنظر إلى ممالكي، فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلّا يرد عليّ ما ينغص عليّ يومي، قالوا: نعم.

فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلىٰ أعلىٰ موضع من قصره، ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره.

فلمّا بصر به سليمان (ع) قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال (ع): وفيما

جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: إمض لما أمرت به، فهذا يوم سروري أبى الله عزّوجلّ أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ علىٰ عصاه.

فبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حي، فافتتنوا به واختلفوا، فمنهم من قال: إنّ سليمان قد بقي متّكئاً علىٰ عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب؟ إنه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده، وقال قوم: إنّ سليمان ساحر، وإنّه يرينا أنّه واقف متكئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: أنّ سليمان هو عبدالله ونبيّه يدبّر الله أمره بما يشاء.

فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدبّت في عصاه، فلمّا أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان من قصره علىٰ وجهه، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أن لَو كانـوا يَعلمـونَ ٱلغَيبَ مالَبِثـوا في العَـذابِ المُهين﴾[٣٣] (سبأ ١٤).

ب ـ عن الامام الصادق (ع):

عندما سئل: لأي علّة خلق الله عزّوجلّ آدم (ع) من غير أب ولا أم؟ وخلق عيسىٰ (ع) من غير أب؟ وخلق سائر الناس من الآباء والأمهات؟

قال: «لِيَعلَمَ النّاسُ تَمامَ قُدرتِهِ وَكَمالِها، وَيَعلموا أنّه قادرٌ علىٰ أن يَخلقَ خَلقاً مِن أنثى مِن غَيرِ ذَكَر، كَما هُوَ قادرٌ علىٰ أن يَخلقَهُ مِن غَيرِ ذَكرٍ وَلا أنثىٰ، وَأنَّهُ عزَّ وجلَّ فعلَ ذلكَ لِيُعْلَمَ أنّه علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٍ»[٣٤].

وفي قصص الأنبياء قال:

---

(٣٣) البحار للمجلسي، ط. طهران، ١٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧ عن علل الشرائع، ص:٣٦، وعيون أخبار الرضا، ص: ١٤٦.

(٣٤) البحار للمجلسي، ١٠٨/١١.

أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يارب وعزّتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ماعبدك أحد قط مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أحب أن أطاع من حيث أريد... الحديث[٣٥].

وسئل عن إبليس:

أكان إبليس من الملائكة أم من الجنّ؟

فقال: كانت الملائكة ترىٰ أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها. فلمّا أمر بالسجود، كان الذي كان[٣٦].

وسُئِلَ عن جنّة آدم فقال:

جنّة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ماخرج منها أبداً[٣٧].

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَتْ لَهما سوءاتُهُما﴾(طه ١٢١). كانت سَوآتُهُما لاتُرىٰ فَصارَت تُرىٰ بارِزَةً[٣٨].

سأل الزنديق أبا عبدالله (ع)، قال:

فمن أين يصل الكهانة؟ ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟

قال (ع): إنّ الكهانة كانت في الجاهلية في كلّ فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم بأشياء تحدث، وذلك في وجوه شتى، من فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس وفطنة الروح، مع قذف في قلبه، لأنّ مايحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة، فذلك يعلمه الشيطان ويؤدّيه إلىٰ الكاهن ويخبره بما يحدث

---

(٣٥) البحار للمجلسي، ١٤٥/١١.

(٣٦) البحار للمجلسي، ١٤٤/١١.

(٣٧) البحار للمجلسي، ١٤٣/١١.

(٣٨) البحار للمجلسي، ١٤٥/١١.

في المنازل والأطراف.

وأمّا أخبار السماء؛ فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك وهي لاتحجب ولا ترجم بالنجوم، وإنّما منعت من استراق السمع لئلّا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبّس على أهل الأرض ماجاءهم عن الله لإثبات الحجّة ونفي الشبهة.

وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحقّ بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة.

واليوم: إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها أخباراً للناس ممّا يتحدّثون به ومايحدثونه، والشياطين تؤدّي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث؛ من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب.

فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (ع) من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال (ع): غلظوا لسليمان كما سخروا، وهم خلق رقيق غذاؤهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها إلّا بسلّم أو سبب[٣٩].

وقال الامام الصادق في الآباء:

الآباء ثلاثة: آدم؛ ولد مؤمناً، والجانّ ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس

(٣٩) البحار للمجلسي، ٦٣/ ٧٦ ـ ٧٧، عن الاحتجاج، ص: ١٨٥.

فيهم نتاج إنّما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم إناث[٤٠].

وسُئِلَ (ع) عن إبليس:

أكان من الملائكة؟ وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟

قال (ع): لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من السماء شيئاً. كان من الجنّ وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة تراه أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان[٤١].

خلاصة البحث

الجنّ والشيطان وابليس:

أ ـ الجنُّ:

جنّ الشيء وجنّ عليه: ستره، والجنُّ والجانُّ: خلق مستور لايُرىٰ. وأخبر الله في كتابه الكريم أنّه تعالى خلقهم من لهيب النار المختلط بالسواد.

ب ـ الشَّيْطان:

الشيطان اسم لكلّ عاتٍ متمرّد من الإنس والجنّ والحيوان. والمقصود من الشيطان في هذا البحث شياطين الجنّ.

ج ـ إبْليس:

أَبْلَسَ: حزن، تحيّر، يئس، سكت غمّاً، انقطع في حجته. وابليس في هذا البحث هو المخلوق الجنّي الذي أبىٰ أن يسجد لآدم.

وأخبر الله عن الجنّ انّه سخّرهم لسليمان فعملوا له تماثيل ومحاريب وقدوراً كبيرة، وكان فيهم من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل

---

(٤٠) الخصال للشيخ الصدوق، ١/١٥٢.

(٤١) البحار للمجلسي، ١١/١١٩.

أن يقوم سليمان من مقامه، وأشرف عليهم متّكئاً على عصاه، فتوفّاه الله وبقي كذلك بعد الموت والجانّ دائبون في عملهم لم يعلموا بذلك، حتى أكلت الأرضة جوف عصاه فسقط، وبذلك عُلِمَ أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا معذّبين في عملهم كلّ تلك المدّة.

وأخبر تعالىٰ عن الشياطين انّهم من الجنّ وانّهم كانوا يقعدون مقاعد لاستماع حوار الملائكة، ثم منعهم الله من ذلك برمي الملائكة ايّاهم بشهب تحرقهم. وكان ذلك بعد بعثة خاتم الأنبياء.

وأخبر عن إبليس أنّه وسوس لآدم وحواء حتّى أخرجهما من الجنّة. كما يأتي تفصيله في البحث الآتي بحوله تعالىٰ.

- ٥ -

الإنسان

أخبر الله تعالى عن بدء خلق الإنسان وقال سبحانه في:

أ ـ سورة الصافات:

﴿إنَّا خَلَقناهُم مِن طينٍ لازِب﴾ (الآية ١١).

ب ـ سورة الحجر:

﴿وَلَقد خَلَقنا ٱلإنسانَ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسنون﴾ (الآية ٢٦).

ج ـ سورة الرّحمٰن:

﴿خَلقَ ٱلإنسانَ مِن صَلصالٍ كَالفَخَّار﴾ (الآية ١٤).

د ـ سورة السجدة:

﴿ٱلَّذي أحسنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ وَبدأ خَلقَ ٱلإنسانِ مِن طِين* ثُمَّ جعلَ نَسلهُ مِن سُلالَـةٍ مِن ماءٍ مَهـين* ثُمَّ سَوّاهُ وَنفـخَ فيهِ مِن رُوحهِ وَجعلَ لَكمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأبصارَ وَٱلأفئدةَ قَليلاً ماتَشكرُون﴾ (الآيات ٧ ـ ٩).

هـ ـ سورة الحج:

﴿ياأَيُّها ٱلنّاسُ إن كُنتُم في رَيبٍ مِنَ ٱلبَعثِ فَإنّا خَلَقناكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفةٍ ثُمَّ مِن عَلَقةٍ ثُمَّ مِن مُضغةٍ مُخَلَّقةٍ وغَيرِ مُخلَّقةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُم وَنُقِرُّ في ٱلأرحامِ مَانَشاءُ إلىٰ أجلٍ مُسمى ثُمَّ نُخرِجُكم طِفلاً ثُمَّ لِتَبلغوا أشُدَّكُم وَمِنكُم مَن يُتَوفَّىٰ وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إلىٰ أرذلِ ٱلعُمُرِ لِكي لايَعلَمَ مِن بَعدِ عِلمٍ شَيئاً﴾ (الآية ٥).

و ـ سورة المؤمنون:

﴿وَلَقَد خَلَقنا ٱلإنسانَ مِن سُلالةٍ مِن طِين• ثُمَّ جَعلناهُ نُطفةً في قَرارٍ مَكِين• ثُمَّ خَلَقنا النُّطْفَةَ عَلَقةً فَخَلقنا العَلقةَ مُضغةً فَخَلقنا المُضغةَ عِظاماً فَكَسونا العِظامَ لَحماً ثُمَّ أنشأناهُ خلقاً آخَرَ فتباركَ ٱللّهُ أحسنُ ٱلخالقين• ثُمّ إنّكم بَعدَ ذلكَ لَميّتون• ثُمَّ إنّكم يَومَ ٱلقيامةِ تُبعثُون﴾ (الآيات ١٢ ـ ١٦).

ز ـ سورة غافر:

﴿هُوَ ٱلّذِي خَلقكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفةٍ ثُمَّ مِن عَلَقةٍ ثُمَّ يُخرجكُم طِفلاً ثُمَّ لِتبْلُغوا أشُدَّكُم ثُمَّ لِتَكونوا شُيوخاً وَمِنكُم مَن يُتوفّىٰ مِن قَبلُ وَلِتَبلغوا أجلاً مُسمّىً وَلعلَّكم تَعقِلون﴾ (الآية ٦٧).

ح ـ سورة الطارق:

﴿فَلينَظُرِ ٱلإنسانُ مِمَّ خُلِق• خُلِقَ مِن ماءٍ دافِق• يَخرجُ مِن بَينِ ٱلصُّلبِ وَالتَّرائب﴾ (الآيات ٥ ـ ٧).

ط ـ سورة الزمر:

﴿خَلقكُم مِن نَفسٍ وَاحدةٍ ثُمَّ جَعلَ مِنها زَوجَها﴾ (الآية ٦).

ي ـ سورة الأنعام:

﴿وَهُوَ ٱلّذي أنشأكُم مِن نَفسٍ واحدةٍ فَمُستقَرٌّ وَمُستَودَع﴾ (الآية ٩٨).

وَبشأن انتقال آدم وحواء وإبليس من حال إلى حال قال الله سبحانه في:

أ ـ سورة طه:

﴿وَلقد عَهدنا إلىٰ آدمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجد له عَزماً• وَإذ قُلنا لِلملائكةِ ٱسجُدوا لِآدمَ فَسجدوا إلّا إبليسَ أبىٰ• فَقُلنا يَا آدمُ إنَّ هٰذا عَدوٌّ لَكَ وَلِزوجِكَ فَلا يُخرجَنَّكُما مِنَ ٱلجنّةِ فَتَشقىٰ• إنَّ لَكَ ألّا تَجوعَ فيها وَلاتَعرىٰ• وَأنّكَ لاتَظْمَأُ فيها وَلاتَضحىٰ• فَوسوسَ إليهِ ٱلشّيطانَ قالَ يا آدمُ هَل أدُلُّكَ علىٰ شَجرةِ الخُلدِ وَمُلكٍ لايَبلىٰ• فَأكَلا مِنها فَبدَت لَهما سَوْءاتهما وَطَفِقا يَخصِفانِ عَلَيهِما مِن وَرَقِ

الجنّةِ وَعَصىٰ آدمُ رَبَّه فَغوىٰ* ثُمَّ اْجتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَليهِ وَهَدىٰ* قالَ اهبطا مِنها جَميعـاً بَعضُكم لِبعضٍ عَدُوٌّ فإمّا يَأْتِينّكم مِنّي هدىً فَمَنِ اْتَّبعَ هُدايَ فَلايَضلُّ وَلايَشقىٰ* وَمَن أعرضَ عَن ذِكري فإنَّ له مَعيشةً ضَنكاً وَنَحشُرهُ يَومَ القيامةِ أعمىٰ﴾ (الآيات ١١٥ ـ ١٢٤).

ب ـ سورة الأعراف:

﴿وَلَقد خَلَقناكم ثُمَّ صَوَّرناكُم ثُمَّ قُلنا لِلملائكةِ اْسجدوا لآدمَ فَسَجدوا إلاّ إبليسَ لَم يَكُن مِنَ اْلسّاجدِين* قالَ مَامَنعكَ ألاّ تَسْجدَ إذ أمَرتكَ قالَ أنا خَيرٌ مِنهُ خَلقتَني مِن نارٍ وَخَلقتهُ مِن طينٍ* قالَ فَاهبط مِنها فَما يَكونُ لَكَ أن تَتكبَّرَ فِيها فَاْخـرُج إنّـكَ مِنَ اْلصّـاغِرين* قالَ أنظِرني إلىٰ يَومِ يُبعَثون* قالَ إنّكَ مِنَ اْلمُنظَرين* قالَ فَبِما أغوَيتني لأقعُدَنَّ لَهُم صِراطكَ اْلمُستقيم* ثُمَّ لآتينَّهم مِن بَينِ أيديهِم وَمِن خَلفِهم وَعَن أيمانِهم وَعَن شَمائِلهم وَلاتجدُ أكثرَهُم شاكِرين* قالَ اْخرُج مِنها مَذْءُوماً مَدحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنهُم لأملأنّ جهنَّمَ مِنكُم أجمعِين* وَيا آدمُ اْسكُن أنتَ وَزَوجُكَ اْلجنّةَ فَكُلا مِن حَيثُ شِئتُما وَلاتَقرَبا هٰذهِ اْلشَّجَرةَ فَتَكونا مِنَ اْلظّالِمين* فَوَسوسَ لَهُما اْلشّيطانُ لِيُبديَ لَهُما مَاوُرِيَ عَنهُما مِن سَوءاتِهما وَقالَ ما نهـاكُـما رَبُّكما عَن هٰذهِ اْلشَّجرةِ إلاّ أن تَكُونا مَلَكَينِ أو تَكونا مِنَ الخالدين* وَقاسَمَهما إنّي لَكما لَمِنَ اْلنّاصِحين* فَدلاّهما بِغُرورٍ فَلمّا ذاقا اْلشَّجرةَ بَدَت لَهُما سَوْءاتهـما وَطَفِقا يَخصِفانِ عَلَيهِما مِن وَرَقِ اْلجنَّةِ وَناداهُما رَبُّهُما أَلَم أنهَكُما عَن تِلكُما اْلشَّجَرةِ وَأقُل لَكما إنَّ اْلشَّيطانَ لَكما عَدوٌّ مُبين* قالا رَبَّنا ظَلَمنا أنفُسنا وَإن لَم تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنكُوننَّ مِنَ اْلخَاسرِين* قالَ اْهبِطوا بَعضُكُم لِبعضٍ عَدوٌّ وَلكُم فِي اْلأرضِ مُستَقرٌّ وَمتاعٌ إلىٰ حِين* قالَ فيها تَحيَونَ وَفيها تَمُوتونَ وَمِنها تُخرَجون﴾ (الآيات ١١ ـ ٢٥).

ج ـ سورة الإسراء:

﴿قالَ ءَأسجدُ لِمَن خَلقتَ طِيناً* قالَ أرأيتَكَ هٰذا الّذي كَرّمتَ عَليَّ لَئن أخَّرتَنِ

إلىٰ يَومِ ٱلقِيامةِ لأَحتنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَليلاً* قالَ ٱذهَب فَمَن تَبِعَكَ مِنهُم فإنَّ جهنَّمَ جَزاؤُكُم جَزاءً مَوفُوراً* وَٱستَفزِز مَنِ ٱستَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ وَأجلِب عَلَيهِم بِخيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكهُم في ٱلأموالِ وَالأولادِ وَعِدْهُم وَما يَعِدُهُم الشَّيطانُ إلاَّ غُروراً* إنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ وَكَفىٰ بِربِكَ وَكيلاً﴾ (الآيات ٦١ ـ ٦٥).

د ـ سورة الحجر:

﴿قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيتَني لأُزَيِّنَنَّ لَهم في ٱلأرضِ وَلأُغْوِيَنَّهم أجمَعينَ* إلاَّ عِبادَكَ مِنهُمُ ٱلمُخلَصِينَ* قالَ هٰذا صِراطٌ عَلَيَّ مُستقيمٌ* إنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ إلاَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ الغاوينَ* وَإنَّ جهنَّمَ لَموعِدُهم أجمَعينَ﴾ (الآيات ٣٩ ـ ٤٣).

شرح الكلمات

أ ـ لازب:

لَزَبَ الطِّينُ: اشتدّ وتماسكت أجزاؤه فهو لازب.

ب ـ صَلْصال:

صَلْصَل الشيءُ: صوَّت صوتاً فيه ترجيع. يقال: صلصل الجرس، وصلصل الرعد. والصلصال كل ماجفّ من طين قبل أن تصيبه النار ويصير فخاراً وخزفاً.

ج ـ حَمَأ:

الحَمَأ: الطين الأسود المنتن.

د ـ مَسْنُون:

سنَّ الشيءُ: تغيّرت رائحته، صب في قالب فهو مسنون.

هـ ـ مُخَلَّقَة:

خَلَّقَ العود: سوّاه، فالعود مخلّق، والخشبة مخلّقة، ومخلقة وغير مخلقة: أي

تامّة الخلق وغير تامّة.

و ـ الصُّلْبُ والتَّرائبُ:

صُلْبُ الرَّجُلِ : عظام ظهره الفقارية، وترائب المرأة عظام صدرها العلوية. واكتشف ذلك العلم في عصرنا، وأشار اليه المجلسي (ره) في البحار[٩].

ز ـ وسوس و وسوسة:

الـوَسْـوَسَةُ: الخطوة الرديئة، الدعوة للقيام بأمر بصوت خفي، حديث النفس وهو مايخطر بالبال ويهجس بالضمير، وإغراء الشيطان الإنسان بالشرّ. تفسيره في قوله تعالى:

أ ـ ﴿وَزيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيطانُ مَاكانوا يَعمَلون﴾. (الأنعام ٤٣).

ب ـ ﴿زيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيطَانُ أعمالَهُم﴾ (الأنفال ٤٨ والنحل ٦٣ والنمل ٢٤ والعنكبوت ٣٨).

ح ـ السوءة:

مايقبح إظهاره وينبغي ستره، والسوءات؛ هنا كناية عن عورة الإنسان.

ط ـ عَزْماً:

العَزْمُ: الصبر يقال: مالي عنك عزم: أي صبر، ومنه الجد، والعزم ـ أيضا ـ: عقد القلب على إمضاء الأمر.

ي ـ الجَنَّةُ:

الجَنَّةُ: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. وقد جاء بهذا المعنى في قوله تعالى في:

أ ـ سورة الإسراء:

﴿وَقالوا لَن نُؤمِنَ لك حتّىٰ تَفْجُرَ لنا مِنَ ٱلأرضِ يَنبوعاً ۞ أو تَكونَ لك جَنَّةٌ

---

(٩) راجع تفسير الآية بتفسير سيد قطب والبحار للمجلسي (ره).

من نَخيل وَعِنَبٍ فتُفَجِّرَ ٱلأنهارَ خِلالها تفجيراً* أو تُسقِطَ ٱلسَّماءَ كما زعَمتَ عَلَينا كِسَفاً...﴾ (الآيات ٩٠ ـ ٩٢).

ب ـ سورة سبأ:

﴿لَقَد كانَ لِسَبَأٍ في مَسكَنِهِم آيةٌ جَنَّتانِ عَن يَمينٍ وَشِمالٍ كُلوا مِن رِزقِ رَبِّكم وَٱشكُروا لَه...* فَأَعرَضوا فَأَرسَلنا عَلَيهِم سَيْلَ ٱلعَرِمِ وَبَدَّلناهُم بِجَنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَواتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيءٍ مِن سِدْرٍ قَليلٍ* ذٰلِكَ جَزَيناهُم بِما كَفَروا وَهَل نُجازي إلّا الكَفُورَ﴾ (الآيات ١٥ ـ ١٧).

ك ـ الخَمْطُ:

الخَمْطُ: هو كلّ نبت له طعم مرّ أو حموضة تعافه النفس.

ل ـ أثلٍ:

الأَثَل: شجر طويل مستقيم جيد الخشب، كثير الأغصان، متعدد العقد، دقيق الورق طويله، وثمره حب أحمر لايؤكل.

وَسُمِّيَتِ الجنَّة في الآخرة جَنَّة: لشبهها بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون شاسع، وتوصف جَنَّة الآخرة بجَنَّة الخلد لأنّ الداخل فيها مخلّد، ولذلك يصف الله أهل الجنّة بالخالدين. كما جاء في قوله تعالى في:

أ ـ سورة الفرقان:

﴿قُل أَذٰلكَ خَيرٌ أم جنَّةُ ٱلخُلدِ ٱلّتي وُعِدَ المُتَّقون...* لَهُم فيها مايَشاءُون خالِدِين﴾ (الآيتان ١٥ و ١٦).

ب ـ سورة البقرة:

﴿وَٱلّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا ٱلصّالحاتِ أولٰئكَ أصحابُ ٱلجَنَّةِ هُم فيها خالِدُون﴾ (الآية ٨٢).

وكذلك وجدنا الجَنَّة استعملت في القرآن الكريم بكلا المعنيين.

أما الجَنَّة التي أسكن الله آدم (ع) فيها ثم أهبطه منها بعد أكله من الشجرة التي نهاه عنها فقد كانت من جنان الدنيا، كما سنذكر ذلك بُعَيْدَ هذا في بحث (أين كانت جَنَّة آدم (ع)؟) إن شاء الله تعالىٰ.

م ـ تَضْحىٰ:

ضَحىٰ الرَّجُلُ: أصابه حر الشمس.

ن ـ غَوىٰ:

من معانيه: فسد عيشه، وهو المقصود في الآية.

س ـ طَفِقا:

طفق يفعل كذا: أخذ يفعله.

ع ـ يَخْصِفانِ:

خَصَفَ الشَّيءَ علىٰ الشَّيءِ: ألصقه به.

ف ـ ضَنْكاً:

ضَنَكَ عَيشُهُ: ضاق.

ص ـ وُرِيَ

واراه مواراةً: ستره وأخفاه.

ق ـ دَلّاهُما:

دلّىٰ الشيءَ في المهواة: أرسله فيها، ودلّاه بغرور: أوقعه فيما أراد من تغريره.

ر ـ لَأَحْتَنِكَنَّ:

احتنك الفرس: جعل في حنكه ـ فمه ـ اللّجام.

ش ـ اهْبِطُوا:

الهبوط في الإنسان: يكون على سبيل الاستخفاف، بخلاف الإنزال، فقد ذكره الله فيما نبّه على شرفه كإنزال الملائكة والقرآن الكريم والمطر.

يقال: هبط في الشر: وقع فيه، وهبط فلان: ذلّ واتّضع، وهبط من حال الغنى

إلى حال الفقر، وهبط من منزلته: سقط.

ت ـ استفزز:

الاستِفْزازُ: الازعاج والاستنهاض بخفة وإسراع.

ث ـ بِصَوتِكَ:

صوّت فلان بفلان: إذا دعاه إلى الشر.

والمعنى: اسْتَنْهِضْ منهم للمعصية من استطعت أن تستنهضه من ذريّة آدم بوسوستك.

خ ـ وأجلب عليهم:

الإجلابُ: السوق من السائق.

والجَلَبَةُ: شدّة الصوت.

ذ ـ بخيلك وَرَجِلِكَ:

بفرسانك. ورجِل اسم جمع للراجل، اي: اجمع عليهم ما قدرت عليهم من مكائدك وأعوانك.

ض ـ وشاركهم في الأموال والأولاد:

وشاركهم في الأموال المكتسبة من الحرام والأولاد من الزّنا.

ظ ـ وَعِدْهُم:

وعدهم الباطل كنفي البعث.

غ ـ سلط:

سلط: السّلاطة: التمكّن من القهرة والغلبة والقدرة. ويُقال لذي السّلاطة السلطان.

ويأتي بمعنى: الحجّـة والبرهان كما في قوله تعالى: ﴿أَتُجادِلونني في أسماءٍ سَمَّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ (الأعراف ٧١).

والمعنى في ﴿إنَّ عِبــادِيَ لَيسَ لكَ عليهم سلطان﴾ أي ليسَ لك القــدرة

والقهر والغلبة عليهم.

تفسير الآيات

أخبر الله سبحانه في الآيات الماضية أنّه تعالى بدأ خلق الإنسان ـ الإنسان الأوّل ـ من طين أسود نتن الرائحة صلب متماسك الاجزاء كالفخار له صليل من صلابته، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، ثمّ خلقه علقة وخَلَقَ من العلقة مضغة وخلق من المضغة عظاماً وكسا العظام لحماً، ثم أنشأه خلقاً آخر ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم أخرجه طفلاً ليبلغ أشدّه، وعندئذ جعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ وجعلهما من نفس إنسانية واحدة وإن تفاوتت وظائفهما في الحياة الدنيا، ثم ليبلغا الشيخوخة وأرذل العمر، ثم يميتهما ويُدخَلان الأرض، ثم يُخْرَجان من الأرض يوم القيامة إلى المحشر لِيُجْزَيا بعملهما وفق حكمة الربّ العزيز العليم.

امتحان الله للخلق ذي العقل:

أوّلاً ـ امتحن الله الملائكة ومعهم إبليس بالسجود لآدم (ع) خليفته في الأرض، ويشعر كلام الملائكة أنّهم فهموا أن المخلوق الأرضي يسفك الدماء لما سبق ذلك من مخلوق كان على الأرض وأمرهم الله بإهلاكه، كما ورد ذلك في الروايات[١٠].

ولمّا أعلمهم الله بما منح هذا المخلوق من العلم وأمرهم بالسجود له سجدت الملائكة لآدم (ع) وأبى إبليس واستكبر عن السجود واحتجّ بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين. فأخفق في الامتحان.

---

(١٠) ستأتي الإشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الأوصياء.

ثانياً ـ آدم وحواء:

خلق الله لآدم (ع) زوجه حواء، وأسكنهما جنة لم تكن بجنة الخلد وقال لهما: كُلا من هذه الجنّة حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. وأخبر آدم أنّه لايجوع في تلك الجنّة ولايعرىٰ، وحذّره من إبليس وقال له: إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنّة فتشقىٰ. فزيّن لهما الشيطان أكل الشجرة المنهي عنها ليبدي ماأخفي من سوءاتهما ـ عورتيهما ـ، وأوهمهما أنّهما إن ذاقا الشجرة تغيّرت حالهما إلى حال الملائكة وأصبحا من الخالدين، وحلف لهما بالله على ذلـك، وظنّ آدم وحواء أنّ أحداً لايقدر على الحلف بالله كاذباً. فأوقعهما في الباطل وذاقا الشجرة فبدت سوءاتهما، وأخذا يستران عورتيهما بورق أشجار الجنّة. فناداهما ربّهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين؟ قالا: ربّنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

أين كانت جَنَّة آدم؟

أخبر الله سبحانه أنّه جاعل خليفة في هذه الأرض، ومن أديم هذه الأرض أخذ التراب الذي خلق منه آدم، وكذلك على هذه الأرض أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأبى إبليس السجود لآدم وكذلك أدخل آدم جنة في هذه الأرض ولم ينقل آدم من هذه الأرض إلى مكان آخر بعد خلقه منها، وأمر الملائكة بالسجود له في ذلك المكان، ولم ينقله من هذه الأرض إلى جنّة الخلد ليكون إخراجه من جنّة الخلد إلى هذه الأرض.

ودليلنا على ذلك بالاضافة إلى مايدلّ عليه ظاهر الآيات أنّ الذي يدخل جنّة الخلد يخلد فيها ولن يخرج منها كما تصرّح بذلك الروايات[١١].

---

(١١) ستأتي الاشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الاوصياء.

ونرىٰ أنّ تلك الجنّة كانت في العراق من الجزيرة العربية وأنّه صحّ مانقله صاحب كتاب قاموس الكتاب المقدس عن كثرة من العلماء أنّ الجنّة كانت في أرض الفرات[١٢].

ويؤيّد ذلك أنّ التوراة نصّت علىٰ تفرّع نهر جنّة آدم إلىٰ أربعة فروع، هي: نهر الفرات ودجلة وجيحون وفيشون[١٣].

وجاء في كتاب قاموس الكتاب المقدّس إنّ بعض الباحثين يحتمل أنّ جيحون وفيشون في بابل[١٤].

إذن ليس المقصود من جيحون نهر جيحون الّذي يصبّ في بحيرة بالقرب من بلدة خوارزم والذي ذكره ياقوت الحَمَوي في معجم البُلدان.

ولّما هبط آدم (ع) من الجنّة سكن بابل الفرات، ولما توفّي دفنه شيث في مغارة في جبل أبي قبيس في مكة، ثم حمل نوحٌ عظامه في سفينته[١٥] ودفنه بعد نزوله من السفينة في النجف[١٦].

وبناءً علىٰ ذلك نرىٰ أنّ خروج آدم (ع) كان من جنّة كانت بالعراق، ولما

---

(١٢) قاموس الكتاب المقدّس، مادّة: عدن.

(١٣) كتاب العهد العتيق (التوراة) طبعة ريچارد واطس لندن ١٨٣٩، سفر التكوين، الإصحاح الثاني، العدد: ١٠ ـ ١٤.

(١٤) قامول الكتاب المقدّس، مادّة: جيحون وفيشون.

وقد كتب إليّ الأُستاذ البحّاثة سامي البدري في بحثه المخطوط عن جنّة آدم:

إنّ الأنهار الأربعة الآنفة الذكر فروع للفرات. وقد ذكر أنّه استند في بحثه على الترجمات الآرامية للتوراة العبرية والسامرية وعلىٰ متابعة أسماء فروع الفرات والمدن الواقعة عليها في التراث المساري والهيروغليفي مضافاً إلىٰ دراسة الواقع الجغرافي لفروع نهر الفرات وأسمائها في بلدانيات الإسلاميين.

(١٥) البحار ١١/ ٢٦٧.

(١٦) البحار (١١/ ٢٦٨).

هبط منها، تحوّل إلى أرض قريبة منها في العراق، وأنّه أخذ معه من أشجار تلك الجنة أغراساً ومن حبوبها بذوراً غرس بها الأشجار وزرع بها الحبوب، بتعليم الله إيّاه كما صرّحت الروايات بذلك[١٧].

أمّا سكناه في العراق فقد جاء في مادة (بابليون) من معجم البلدان: (فذكر أهل التوراة أنّ مقام آدم (ع) كان ببابل) وبابل أراضٍ كانت بين الفرات ودجلة، وفي مادّة بابل من قاموس الكتاب المقدّس ماموجزه كانت المياه ـ مياه الفرات ودجلة ـ تجري في جميع أراضيها، لذلك كانت أراضيها مشهورة بالخصب وتنتج أنواع الفواكه والحبوب، وكان اسمها القديم شنعار (سفر التكوين: الأصحاح ١٠ و ١١) ومادّة شنعار من قاموس الكتاب المقدّس.

وفي مادة بابل من معجم البلدان أنّ بعضهم قال: انّ بابل هي الكوفة وانّ نوحاً بعد أن خرج من السفينة سار هو ومن معه في طلب الدفء وسكنوا بابل وكثروا بها من بعد نوح.

وأمّا دفن آدم فقد جاء في روايات مدرسة الخلفاء أنّ نوحاً دفنه ببيت المقدس وفي روايات مدرسة أهل البيت أنّه دفنه في النجف في المكان الذي دفن فيه جثمان الامام عليّ بعد ذلك وإن نوحاً(ع) ـ أيضاً ـ دفن هناك، ويؤيّد كون سكن آدم في العراق ماجاء في الروايات الآتية:

أوّلاً ـ إنّ آدم (ع) حجّ إلىٰ مكّة ووقف بالمشاعر، وإنّ توبته قبلت في عرفة، وإنّه التقى بعد ذلك بحواء في مكة وإنّ الله أمره ببناء البيت، ويستبعد أن يؤمر بالحج من قارة بعيدة مثل الهند، كما جاء ذلك في بعض الروايات التي لم تثبت لديّ صحتها[١٨].

---

(١٧) البحار ١١/ ٢١٠ و ٢١١.

(١٨) البحار ١١/ ١٧٠، ١٨٠، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١.

ثانياً ـ جاء في روايات أخرى أنّه دفن في الغريّ من أرض النجف[١٩]، وقد ورد في روايات دفن خاتم الأنبياء (ص): أنّ كلّ نبي يدفن في المكـان الذي قبض فيه[٢٠].

من مجموع ماذكرناه يتأيّد لنا: أنّ جنّة آدم (ع) كانت في أراضي الفرات، وأنّه لّما أُخرج منها هبط قريباً منها، وعندئذ أيبس الله تلك الجنة، وأزالها من الوجود، وأحيا آدم (ع) مكاناً آخر بالغرس والزرع، والله أعلم.

نُقَلَةٌ من حال ٍ إلىٰ حال

أوّلاً ـ الملائكة ومعهم إبليس:

كانت المـلائكـة ومعهم إبليس يعبـدون الله ويطيعـونه في ما يأمرهم في السمٰوات والأرض ولايعصونه طرفة عين. حتى أخبرهم تعالى بأنّه جاعل في الأرض خليفـة فاستعلموه عن الحكمة في خلقه، فلما أنبأهم بالحكمة في أمره وأمرهم بالسجود له أطاعوه كما كان شأنهم في طاعة سائر أوامره، ماعدا إبليس الذي كان يطيع الله في سائر أوامره اللاتي كانت لاتخالف هوىٰ نفسه ولاتصطدم بكبريائه. أمّا في أمر السجود لآدم (ع) فقد أطاع هوىٰ نفسه وعصىٰ أمر ربّه وبذلك انتقل بمحض اختياره من درجة: من لايعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، إلى درجة: من يصغي إلى هوى نفسه ويعصي الله، فكان جزاء عمله: أن أهبطه الله تعالىٰ من درجة الملائكة، وقال له:

﴿فَاهْبِط مِنها فَما يَكونُ لَكَ أن تَتكبَّر فيها﴾ (الأعراف ١٣)..

وفي هذه المنزلة لم يندم على معصيته للربّ ولم يتب إليه ولم يطلب منه المغفرة

---

(١٩) البحار ١١/ ٢٦٨.

(٢٠) إبن سعد ٢/ ق، ٧١/٢، وسنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ماجاء في قتلىٰ أُحد، ٤/ ٢٣٥.

بل هوىٰ بمحض اختياره إلى أدنىٰ من هذه المنزلة حيث طلب من الله وقال:

﴿أنظِرني إلىٰ يَوم يُبعَثونَ* قالَ إنّكَ مِنَ المُنظَرين﴾. (الأعراف ١٤ ـ ١٥).

وبعد تحصيله الوعد بقضاء حاجته حدّد اللّعين منزلته أمام بارئه بمحض اختيـاره وقـال: أرأيت هٰذا ٱلّذي كرّمتَ عليّ لأجعلَنّ ٱللّجامَ في حنك ذريّته ولآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولأُزيننّ لهم أعمالهم ـ السيئة ـ ولاتجد أكثرهم شاكرين.

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿إذهَبْ فَمَن تَبِعكَ مِنهُم فإنّ جَهَنّمَ جَزاؤُكم جَزاءً مَوفوراً﴾ (الإسراء ٦٣).

هكذا انتقل إبليس بمحض اختياره من درجة الملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم، إلىٰ درجة من يعصون الله ما أمرهم.

ولم يذهب في هذه الدرجة مع من يندمون على المعصية ويتوبون إلى ربّهم بل انحدر بمحض اختياره إلى درجة الحضيض درجة من يُضِلُّ الخلق ويُصِرُّ على إضلالهم أبد الدهر.

ثانياً ـ آدم وحواء:

بعد أن أتمّ الله خلق آدم وأسجد له الملائكة وخلق حوّاء ثمّ أسكنهما الجنّة.

ولا بدّ أن تكون تلك الجنّة على هذه الأرض لأنّ الله سبحانه خلق آدم من طين هذه الأرض ومؤهّلًا للحياة على هذه الأرض ولم يرد نصٌّ في الكتاب والسنّة انّ الله نقل آدم بعد خلقه من هذه الأرض إلى جنّة في كوكب آخر، ثمّ أعاده مرّة ثانية إلى هذه الأرض، فلا بدّ كما قلنا أن تكون تلك الجنّة على هذه الأرض غير انّه يظهر انّ تلك الجنّة كانت فريدة في بابها وخاصّة بتلك المرحلة من مراحل تكوين آدم وحوّاء وانتهى وجودها ـ والله أعلم ـ بانتهاء تلك المرحلة، وامتازت تلك الجنّة بما أخبر الله عنها وقال لآدم:

إنّ لك ألا تجوع في الجنّة ولاتعرىٰ، ولا تظمأ فيها ولا يصيبك حرّ الشمس.

وقال له ولحواء:

كُلا من هذه الجنّة حيث شِئتُما ولا تَقْرَبا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين لنفسيكما.

وعهد إلىٰ آدم أنّ الشيطان عدو له ولزوجه فلا يخرجّنهما من الجنّة.

فنسي آدم عهد الله بما كرر له الشيطان اليمين بالله أنّه ناصح له وأصغى هو وحوّاء بمحض اختيارهما إلى وسوسة الشيطان فانتقلا مختارين من حالة الاعتصام بقول الله إلى حالة التأثّر بالوسوسة، وكان جزاء عملهما الهبوط من الجنّة إلى هذا العالم عالم حياة الكدح والتعب والتكليف والتهيُّؤ للانتقال إلى عالم الخلد، في نعيم الجنّة أو عذاب الجحيم.

وكذلك قبل الإنسان حمل الأمانة التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها وقال في سورة الأحزاب:

﴿إنّـا عَرَضنا ٱلأمانَةَ علىٰ ٱلسَّمٰوات وَٱلأرض وَٱلجبال فأَبَينَ أن يَحمِلنَها وَأشفَقنَ مِنهـا وَحَمَلهـا ٱلإنسانُ إنّهُ كانَ ظَلوماً جَهولاً * لِيُعَذِّبَ ٱللّهُ ٱلمنافقينَ وَٱلمُنافقاتِ وَٱلمُشرِكينَ وَٱلمُشرِكاتِ وَيَتوبَ ٱللّهُ علىٰ المؤمنينَ وَٱلمؤمناتِ وَكانَ ٱللّهُ غَفوراً رَحيماً﴾ (الآيتان ٧٢ ـ ٧٣).

والمراد بالأمانة هنا ـ والله أعلم ـ التكاليف الإلهيّة للإنسان والتي يلزمها التحلّي بقوى النفس الإنسانية.

والمـراد بعرضها على السمٰوات والأرض عرضها على غير المكلفين من الخلق، وكان ذلكما العرض والقبول مقدّمة لاتخاذ المخلصين لله والمصطفين من الناس.

وعلىٰ هذا فإنّ معصية آدم كانت في حمله الأمانة التي كان من آثارها التأثّر

بوسوسة الشيطان؛ وقد كان كلّ ذلك في مرحلة من مراحل خلق آدم (ع) لا تشبه المرحلة الأخيرة من خلقه في عالمنا الأرضي وقبل هبوطه المعنويّ من تلك الجنّة الفريدة والخاصّة بتلك المرحلة إلىٰ خارجها من هذه الأرض في سلسلة مراحل التكوين والإنشاء. والانبياء معصومون عن إتيان المعصية في هذا العالم وإنّ آدم (ع) هبط إلى هذا العـالم الذي خلق له بمحض اختياره. وعليه فإنّ معصية آدم (ع) تجسيد لذلك الأمر المعنوي والله أعلم.

- ٦ -

شرح الآيات وتفسيرها من الروايات

أوّلاً ـ عن الرسول (ص):

روى أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذي بسندهم عن رسول الله (ص)، قال:

إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم: الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك... الحديث[٢١].

روى ابن سعد عن رسول الله (ص) ماموجزه:

لَمّا رَكِبَ آدمُ الخَطيئةَ بَدَت لَه عَورتُهُ فَكانَ لايَراها قَبلَ ذلك[٢٢].

عن الصدوق في الخصال بسنده عن رسول الله (ص) قال:

إنّما كانَ لَبْثُ آدمَ وَحوّاء في الجنَّةِ حَتّى أُخْرِجا مِنها، سَبعَ ساعاتٍ مِن أيّامِ الدّنيا، حَتّى أهْبَطها اللّهُ مِن يَومِها ذلك[٢٣].

---

(٢١) سنن الترمذي، ١١/١٦، ح:١، من تفسير سورة البقرة، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ح٤٦٩٣، ٤/٢٢٢. ومسند أحمد: ٤/٤٠٠ وطبقات ابن سعد، ط أروبا: ١/ ق١/ ٥ و ٦. واللفظ للترمذي.

(٢٢) طبقات ابن سعد ط أروبا، ١/ق، ١/ ١٠.

(٢٣) البحار للمجلسي ١١/١٤٢.

ثانياً ـ عن الإمام علي (ع):

قال الإمام علـيّ بن أبي طالب (ع) في بدء الخلق مايأتي:

أ ـ في خلق الملائكة:

في البحار قال(ع):

وَملائِكةٌ خَلَقتَهُم وَأسكَنتَهُم سَماواتِكَ، فَلَيسَ فيهِمْ فَتْرَةٌ، وَلاعِندَهم غفْلَةٌ، وَلاَفيِهم مَعصِيةٌ، هُم أعلمُ خَلقكَ بِكَ، وَأخوفُ خَلقكَ مِنكَ، وَأقربُ خَلقكَ إليكَ، وَأعمَلهُم بِطاعتِكَ، وَلاَيَغشاهُم نَومُ العُيُونِ، وَلاَسهو العُقولِ، وَلاَفَتْرَةُ الأبدانِ، لَم يَسكُنوا الأصلابَ، وَلَم تَضُمَّهم الأرحامُ، وَلَم تَخلُقهُم مِن ماءٍ مَهينٍ، أنشأتَهم إنشاءً، فَأسكَنْتَهم سَماواتِكَ، وَأكرَمْتَهم بِجوارِكَ، وَأئتمَنْتَهُم علىٰ وَحيكَ، وَجَنَّبتَهُم الآفاتِ، وَوَقَيتَهُم البَلِيّات، وَطَهَّرتَهُم مِنَ الذّنوبِ، وَلولا تَقويَتُكَ لَم يَقوُوا، وَلَولا تَثْبيتُكَ لَم يَثبُتوا، وَلَولا رَحمتكَ لَم يُطيعوا، وَلَولا أنتَ لَم يَكُونوا، أما إنَّهُم علىٰ مَكانَتِهم مِنكَ، وَطَواعِيَتِهم إيّاكَ وَمَنزِلَتِهم عِندكَ، وَقِلَّةِ غَفلَتِهم عَن أمرِكَ، لَو عَايَنوا ماخَفِيَ عَنهم مِنكَ، لاحْتَقَروا أَعْمالَهم، وَلأزرَوا علىٰ أنفسِهم، وَلَعَلِموا أنَّهم لَم يَعبُدوكَ حَقَّ عِبادتِكَ، سُبحانَكَ خالقاً وَمَعبوداً ماأحسنَ بلاءكَ عِند خَلقِكَ.[٢٤]

ب ـ في بدء الخلق:

وقال الإمام علي في خطبته عن بدء الخلق ما تفسره بإيجاز:

إنّ الله سبحـانه خلق الأجواء وخلق في أعلاها ماءً متلاطما تيّاره، يمتدّ

(٢٤) البحار للمجلسي ٥٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦. نقلاً عن تفسير القمي، ص: ٥٨٣.

ويرتفع بعضه فوق بعض، وحمله على متن ريح عاصفة تموّجه تمويجاً شديداً كما يُحرّك اللبن في السقاء ليتمخّض منه الزبد فرمى الماء بالزبد ـ الزبد: مايعلو الماء من الرغوة وحطام الأشياء ـ فرفع الزبد في هواء منبسط وجوّ مفتوح واسع فسوّى منه سبع سمٰوات، جعل سفلاهنَّ موجاً ممنوعاً من السيلان وعلياهنَّ سقفـاً محفوظاً بلا دعامة ولامسامير يشد بعضها ببعض، وزيّن السماء الدنيا بزينة الكواكب، ثم فتق مابين السماوات العلا ـ أي التي فوق السماء الدنيا ـ فمـلأهنّ أنـواعـاً من ملائكتـه، منهم سجود لايركعون وركوع لاينتصبون، وصافّون ـ أقدامهم ـ لايتزايلون من مواقفهم، ومسبّحون لايسأمون ولايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الأبدان ولا غفلة النسيان، منهم أمناء علىٰ وحيه وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبـواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلىٰ أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعنـاقهم... لايتـوهّمـون ربّهم بالتصـوير ولا يجـرون عليه صفـات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ج ـ في خَلْقِ الإنسانِ:

ثمّ جمع سبحانه من حَزْنِ الأرض وسهلها، وعذبها وسَبَخِها تُربةً سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناءٍ ووصولٍ وأعضاءٍ وفصولٍ، أجمدها حتى أستمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقتٍ معدودٍ، وأجلٍ معلومٍ.

ثمّ نفخ فيها من رُوحِه فتمثّلت إنساناً ذا أذهان يُجيلُها، وفكرٍ يتصرّفُ بها، وجوارح يختدِمُها، وأدواتٍ يُقَلِّبُها، ومعرفةٍ يفرّق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينته الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرِّ والبرد، والبلةِ والجمود، والمساءة

والسرور[٢٥].

د ـ في خَلْق الجان والشيطان وإبليس:

في البحار أيضاً عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

إنّ الله تبارك وتعالى لـمّا أحبّ أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعد مامضى للجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة، قال: ولمّا كان من شأن الله أن يخلق آدم للّذي أراد من التدبير والتقدير لما هو مكوّنه في السماوات والأرض وعلمه لما أراده من ذلك كلّه، كشط عن أطباق السماوات، ثمّ قال للملائكة: أنْظُروا إلىٰ أهلِ الأرضِ مِن خَلْقي مِنَ الجنّ وَالنّسناس.

فلمّا رأوا مايعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ، عظم ذلك عليهم وغضبوا لله وأسفوا علىٰ أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم أن قالوا: ياربّ أنت العزيز القادر الجبّار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويستمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام، لاتأسف، ولاتغضب، ولاتنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك.

فلمّا سمع الله عزّ وجلّ ذلك من الملائكة، قال: ﴿إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفَةً﴾ لي عليهم فيكون حجّة في أرضي علىٰ خلقي، فقالت الملائكة: سُبْحانَكَ! ﴿أتَجْعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدّماءَ وَنَحنُ نُسَبّحُ بِحَمدكَ وَنُقَدّسُ لك﴾، وقالوا: فَاجعلْهُ مِنّا فَإنّا لانُفسِدُ في الأرضِ ولا نَسفِكُ الدّماء.

قال الله جلّ جلاله: ياملائكتي: ﴿إنّي أعلمُ ما لاتَعلَمُون﴾ إنّي أريد أن

---

(٢٥) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم ١/ ٩٦ ـ ٩٧.

أخلق خلقاً بيدي أجعل ذرّيّته أنبياء مرسلين، وعباداً صالحين، وأئمة مهتدين، أجعلهم خلفائي علىٰ خلقي في أرضي، ينهونهم عن المعاصي، وينذرونهم عذابي، ويهدونهم إلىٰ طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، وأجعلهم حجّة لي عذراً أو نذراً، وأُبين النّسناس من أرضي فأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجن العصاة عن بريّتي وخلقي وخيرتي، وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض، لايجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجنّ وبين[26] خلقي حجاباً، ولا يرىٰ نسل خلقي الجنّ ولا يؤانسونهم ولا يخالطونهم، فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم لنفسي، أسكنتهم مساكن العصاة، وأوردتهم مواردهم ولا أُبالي، فقالت الملائكة: يارِبّ افعل ماشئت: ﴿لاعِلمَ لَنا إلاّ ماعَلّمتنا إنّكَ أنْتَ العليمُ الحَكيم﴾، الخبر[27].

هـ ـ في أمر الرّوح:

قال الإمام علي (ع) ماموجزه:

الروح ليس هو جبرئيل، جبرئيل من الملائكة، والروح غير جبرئيل.

لقول الله لنبيه:

﴿يُنزِّلُ الملائكةَ بالرُّوحِ مِنْ أمرهِ علىٰ مَن يشاءُ مِن عِبادِه﴾ (النحل ٢).

فالروح غير الملائكة، وقال:

﴿لَيلةُ القَدرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهر* تنَزَّلُ الملائكةُ وَالرُّوحُ فيها بإذنِ رَبِّهِم﴾.

(القدر ٣ ـ ٤) وقال:

﴿يَومَ يَقومُ الرّوحُ والملائكةُ صَفّاً﴾. (النبأ ٣٨).

وقال للملائكة في آدم وجبرئيل يومئذ مع الملائكة:

﴿إنّي خالِقٌ بَشَراً مِن طين* فإذا سَوَّيتُه وَنَفَختُ فيهِ مِن رُوحي فَقَعُوا لَه

---

(٢٦) كذا في البحار. والنّسناس لم نقف علىٰ حقيقته.

(٢٧) البحار للمجلسي ٦٣/ ٨٢ ـ ٨٣. عن علل الشرائع، ٩٨/١.

ساجِدين﴾ (ص ٧١ ـ ٧٢). فَسَجَدَ جِبرائيل مَعَ الملائكةِ للرّوحِ.

وقال لمريم:

﴿فَأَرسَلنا إليها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً﴾ (مريم ١٧).

وقال لمحمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم:

﴿نَزَلَ به الرّوحُ الأمين* علىٰ قَلْبِكَ﴾.

ثمّ قال: ﴿لِتَكونَ مِنَ المنذرين* بلسانٍ عَربيٍّ مُبين﴾ (الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٥).

فالروح واحدة والصور شَتّىٰ[٢٨].

إذاً يكون الروح ـ والله أعلم ـ ما نفخ في آدم (ع)، وماحمله الملك الذي تمثّل لمريم (ع)، وكذلك مايحمله الملك الذي ينزل بالوحي على النبي (ص) وأحيانا يأتي الروح الأمين اسماً للملك الذي يحمل الوحي للنبي (ص)، وكذلك هو روح القدس الذي أيّد الله به عيسىٰ بن مريم، ويوم القيامة يقوم الروح بنفسه صفّاً مع الملائكة. وهو الذي قال الله عنه:

﴿وَيَسألونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أمرِ رَبّي﴾ (الإسراء ٨٥).

اللّهمّ احفظنا من الخطأ في الفهم والزلل في القول.

و ـ معنى سجود الملائكة لآدم (ع):

قال الإمام علي (ع) ماموجزه:

لَمْ يَكُن سُجودُ الملائكةِ لآدَمَ سُجودَ طاعَةٍ، وَأنّهم عَبَدوا آدَمَ مِن دونِ اللّهِ عزَّ وَجلَّ، وَلكن اعترافاً لآدَمَ بِالفَضيلةِ وَرَحمةً مِنَ اللّهِ لَه[٢٩].

---

(٢٨) الغارات للثقفي، ط. بيروت عام: ١٤٠٧ هـ. ص: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢٩) البحار ١١/ ١٣٩.

شرح الكلمات:

والأجواء جمع جَوّ: الفضاء الذي بين الأرض وسائر الكواكب.

ماءً متلاطماً، تيّاره.

مُتَلاطِماً: تَلاطَم الماء: ضرب بعضه بعضاً.

والتيّار: موج البحر وشدّة جريان الماء، والمتراكم: المجتمع بعضه فوق بعض.

* * *

إنّ الامام (ع) جعل الملائكة أربعة أقسام:

الأوّل: أرباب العبادة، ومنهم الراكع، والساجد، والصافّ، والمسبّح. وقوله «صافّون» أي: قائمون صفوفاً. لايتزايلون أي: لايتفارقون.

والقسم الثاني: الأمناء على وحي الله لأنبيائه، والألسنة الناطقة في أفواه رسله، والمختلفون بالأقضية إلى العباد: بهم يقضي الله علىٰ من شاء بما شاء.

والقسم الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان من السلامة، ومنهم سدنة الجنان، جمع سادن: وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته.

والقسم الرابع: حملة العرش، ولعلّهم هم المأمورون بتدبير أمر العالم من إنزال المطر وإنبات النبات وأمثالها ممّا يتعلّق بربوبيّة ربّ العالمين لعوالم المخلوقات.

وقوله «المارقة من السماء»: المروق الخروج، وقوله «الخارِجَة مِنَ الأقطارِ أركانَهم». والأركان: الأعضاء والجوارح، والتمثيل في الكلام لايخفىٰ على أهل البصائر.

الضمير في «دونه» للعرش كالضمير في «تحته».

ومتلفّعون: من تلفّعت بالثوب، إذا التحفت به.

الحَزْن ـ بفتح فسكون ـ : الغليظ الخشن، والسهل ما يخالفه، والسبَخ: ما مَلُحَ من الأرض. وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الانسان إلى أنّه مركّب من طباع مختلفة، وفيه استعداد للخير والشر، والحسن والقبيح.

سَنَّ الماء: صبّه، والمراد صبّ عليها، أو «سنّها» هنا بمعنىٰ ملسها كما قال الشاعر:

ثم خاصرتها إلى القبّة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله «حتىٰ خلصت» أي: صارت طينة خالصة. لاطها: خلطها وعجنها. ملطه وَطيَّنَه بِهِ، والبَلّة من البلل. ولَزُبَ: تداخل بعضه في بعض، وصلبٍ لَزْبٌ: بمعنىٰ التصق وثبت واشتد.

الأحناء: جمع حِنْو، وهو: كل مافيه اعوجاج من البدن كعظم الحِجاج، واللحي، والضلع، أو هي الجوانب مطلقاً. وجَبَلَ: أي خَلَقَ.

أصلدها: جعلها صلبة ملساء متينة، وصلصلت: يبست حتى كانت تسمع لها صلصلةٌ إذا هَبَّتْ عليها رياحٌ، وذلك هو الصلصال، كأنه قال: حتى يبست وجفت مُعَدَّةً لوقتٍ معلومٍ. ويمكن أن تكون بمعنىٰ: جبل من الأرض هذه الصورة ولايزال يحفظها لوقتٍ معدود ينتهي بيوم القيامة.

مَثُلَ، كَكَرُمَ: قامَ منتصبا. والأذهان: قوى التعقل، ويجيلها: يحركها في المعقولات.

مختدمها: يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك في شؤونك كلها، والادوات: جمع أداة، وهي الآلة، وتقليبها: تحريكها في العمل بها فيما خلقت له.

معجونا: صفة «إنساناً»، والألوان المختلفة: الضروب والفنون، وتلك

الألوان هي التي ذكرها من الحر والبرد والبلةِ والجمودِ.

استأدىٰ الملائكة وديعته: طلب منهم أداءها، والوديعة هي عهده إليهم بقوله:

﴿إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طينٍ، فإذا سوَّيتُهُ وَنَفَخْتُ فيه مِنْ روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ﴾.

الشِّقـوة: ما حتم عليه من الشَّقاء، والشَّقاء: ضِدّ السعادة، وهو النَّصَب الدائم والألم الملازم، وتعززه بخلقة النار: استكباره مقدار نفسه بسبب أنّه خلق من جنس لطيف ومادة أعلى من مادةِ الصَّلصالِ ، والصَّلصال: الطِّين الحُرّ خلط بالرمل أو الـطِّين ما لم يُجْعَـل خَزفـاً. والمراد من الصلصال هنا مادّة الأرض التي خَلقَ آدمَ عليه السـلام منهـا، وجنس ما خَلق منه الجن ـ وهم من الأجناس اللطيفة ـ أعلى من جنس ما خلق منه الانسان، وهو مجبول من عناصر الأرض، والنظرة ـ بفتح فكسر ـ : الإنتظار به حيّاً، مادام الانسان عامراً.

ثالثاً ـ عن الإمام محمّد الباقر (ع):

قال في معنىٰ: ﴿وَنَفختُ فيهِ مِن رُوحي﴾:

رُوحٌ اختارَهُ اللّهُ، وَاصطَفاهُ، وَخَلقهُ، وَأضافَهُ إلىٰ نَفْسِهِ، وَفَضَّلهُ علىٰ جميعِ الأرواح[٣٠].

وفي رواية أخرىٰ عنه أنه قال:

إنّما أضافَه إلى نفسه لأنّه اصطفاهُ علىٰ سائرِ الأرواحِ ، كما اصطَفىٰ بَيتاً مِنَ البيُوتِ، فقـال: بيتي، وقال لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ : خَليلي، وأشباه ذلك، وكلّ مخلوق، ومصنوع، محدَث مربوب مُدَبَّر[٣١].

وفي رواية أخرى قال الراوي:

سألت أبا جعفر عن الروح التي في آدم والتي في عيسىٰ ماهما؟

قال: روحـان مخلوقان، اختارهما، واصطفاهما: روح آدم، وروح عيسىٰ، صلوات الله عليهما[٣٢].

رابعاً: عن الامام جعفر الصادق (ع):

انه قال في قوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَت لهما سَوءآتُهُما﴾ (طه ١٢١)، قال (ع):

كانت سَوءآتها لاتبدو لهما فبدت يعني كانت من داخل[٤٢].

وفي محاورة جبرئيل لآدم قال (ع):

لمّا خرج آدم من الجنّة نزل عليه جبرئيل (ع) فقال: ياآدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وزوّجك حوّاء أمته، وأسكنك

---

(٣٠) البحار للمجلسي ٤ / ١١.

(٣١) البحار للمجلسي ٤ / ١٢، نقلاً عن معاني الأخبار وتوحيد الصّدوق.

(٣٢) البحار للمجلسي ٤ / ١٣.

(٤٢) البحار للمجلسي، ١١/١٦٠، نقلاً عن تفسير القمي، ص: ٢١٣.

الجنّة، وأباحها لك، ونهاك مشافهة: أن لاتأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟

فقال آدم (ع): ياجبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله إنّه لي ناصح، فما ظننت أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً[٤٣]!

وفي توبة آدم (ع) قال (ع):

إنّ الله تبارك وتعالىٰ لما أراد أن يتوب علىٰ آدم (ع) أرسل إليه جبرئيل، فقال له: السلام عليك ياآدم الصابر علىٰ بليّته، التائب عن خطيئته، إنّ الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلّمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت، فنزل عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل (ع): خطّ برجلك حيث أظلّك هذا الغمام، ثم انطلق به حتى أتى به منى فأراه موضع مسجد منىٰ فخطّه، وخطّ الحرم بعد ماخطّ مكان البيت، ثم انطلق به إلىٰ عرفات فأقامه علىٰ العرف وقال له: إذا غرب الشمس فاعترف بذنبك سبع مرات، ففعل ذلك آدم[٤٤].

خامساً ـ عن الإمام الرضا (ع):

قال في معنى قوله عزّوجلّ: ﴿خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص/ ٧٥). يعني بقدرتي وقوّتي[٤٥].

وفي عصمة ٱلأنبياء عندما سأله المأمون:

يا ٱبن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياءَ مَعصومون؟

قال: بلىٰ.

---

(٤٣) البحار للمجلسي، ١١/١٦٣.

(٤٤) البحار للمجلسي، ١١/١٦٧.

(٤٥) البحار للمجلسي، ١/١٠.

قال: فما معنىٰ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعصىٰ آدمُ رَبَّه فَغَوىٰ﴾ (طه ١٢١).

فقال (ع): إنّ الله تبارك وتعالىٰ قال لآدم (ع): ﴿أَسكُن أنتَ وَزَوجكَ الجَنّةَ فَكُلا مِنهـا حيثُ شِئتُما وَلاتَقْرَبا هٰذه الشَّجَرة﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ﴿فَتَكونا مِنَ الظّالِمين﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: مانهاكما ربّكما عن هذه الشجرة، وإنّما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها: ﴿إلاّ أن تَكونا مَلَكين أو تَكونا مِنَ الخالدين* وَقاسمهما إنّي لكما لَمِنَ النّاصحين﴾ (الأعراف ٢٠ و ٢١).

ولم يكن آدم وحـواء شاهـدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً: ﴿فَدَلاّهُما بِغُرورٍ﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة[٤٦].

وتأتي تتمة الروايات عن بدء الخلق في الملاحق بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

* * *

إنّ الأصناف الخمسة من خلق الله واللاّتي بحثنا عنها آنفاً تنقسم بلحاظ أنواع هداية ربّ العالمين لها إلى الأصناف الأربعة الآتية.

(٤٦) البحار للمجلسي، ١١/١٦٤، نقلاً عن عيون الأخبار للشيخ الصدوق، ص: ١٠٨ ـ ١٠٩.

خلاصة البحث

إنقسام الخلق بحسب نوع الهداية إلىٰ أربعة أصناف:

ينقسم خلق الله المذكورون في الفصل الأول من هذاالبحث إلى الأصناف الأربعة الآتية:

١ ـ من له حياة وموت وإرادة وإدراك كامل، وليست له نفس أمّارة بالسوء، وهم جنود الله الملائكة.

٢ ـ من له حياة وموت وإرادة ونفس مدركة تمام الإدراك أمّارة بالسوء، وينقسم هذا الصنف إلى نوعين:

أ ـ من خلق من التراب، وهم أبناء آدم (الإنسان).

ب ـ من خلق من نار السموم، وهم الجان.

٣ ـ من له حياة وموت وإرادة وليست له نفس مدركة، ولاتعقل، وهم صنف الحيوان.

٤ ـ من ليست له حياة الحيوان وإدراكه وإرادته من الخلق، مثل النباتات، والمياه، والشمس، والقمر، وسائر النجوم.

ونشاهد لكلّ نوع من كلّ صنف من أولئكم الخلق نظاماً متقناً في حياته الخاصة به يبلغه درجة الكمال في وجوده.

فمن هو الذي قدّر لكلّ نوع منهم نظام حياته؟ وما اسمه؟

هذا ماسندرسه في بحوث الربوبية الآتية، إن شاء الله تعالىٰ.

(٤)

بحوث الرّبوبيّة

أ ـ الرّبُّ.

١ ـ في لغة العرب.

٢ ـ في المصطلح الإسلامي.

ب ـ وما ربُّ العالمين.

١ ـ بيان معنىٰ ربّ العالمين.

٢ ـ وحَصْرُه في الله جلّ اسمه.

ج ـ أنواع هداية ربّ العالمين لأصنافِ الخَلق.

١ ـ التعليم للملائكة.

٢ ـ التسخير لما خلق لمصلحة الإنسان من غير صنف الحيوان.

٣ ـ الإلهام الغريزي للحيوان ممّا خلق لمصلحة الإنسان.

٤ ـ الوحي بالإسلام للإنس والجِنّ.

- ١ -
الربّ

أ ـ في لغة العرب.

ب ـ في المصطلح الإسلامي.

من أهمّ المصطلحات الإسلامية: مصطلح الربّ، وإدراك معناه بوضوح، ضروري لأبحاثنا الآتية، كما يتوقّف علىٰ فهم معناه بوضوح فهم كثير من آيات القرآن الكريم عامة، وتتوقف على معرفته: معرفة الله عزّ اسمه خاصة، ومعرفة الرسول (ص) والوصي ـ الإمام ـ ويوم القيامة، وكذلك معرفة الموحّد من المشرك، وسندرس في مايأتي بحوله تعالى معناه اللغوي أوّلاً، ثمّ الإصطلاحي:

أ ـ في لغة العرب.

رَبَّهُ يُرَبُّهُ: أي ربّاه يربّيه ويدبّر أمره.

والرَّبّ: يأتي بمعنى الراب أي المربّي و ـ أيضا ـ يأتي بمعنى المالك، وربّ البيت: مالكه، وربّ الضيعة: مدبّر أمرها أو مالكها، وربّ الفرس: مربّيها أو مالكها.

ب ـ في المصطلح الإسلامي:

الربّ: من أسماء الله الحُسنىٰ، واسم لخالق الخلق ومالكهم. ومشرّع النِّظام لحياتهم ومربّيهم حالاً بعد حال حتىٰ يبلغ كلّ منهم درجة الكمال في وجوده[1].

وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنىٰ اللُّغوي مع وجود قرينة تدلّ على أنّ

(١) قد خلط الراغب في مادّة (الرَّب) بين المعنىٰ الاصطلاحي والمعنىٰ اللُّغوي ولم يفرِّق بينهما، فإنّ مربّي الشّيء حالاً بعد حال حتى يبلغ درجة الكمال من معاني الرَّب في المصطلح الإسلامي خاصّة، بينما ذكره الراغب في معنى الرَّب عامّة.

المقصود معناه اللغوي، مثل قوله تعالىٰ في حكاية قول يوسف (ع) لصاحبيه في السجن، من سورة يوسف:

١ ـ ﴿ءأربابٌ مُتفرِّقونَ خَيرٌ أم اللّهُ الواحدُ القهّار﴾ (الآية ٣٩).

٢ ـ ﴿وَقالَ لِلّذي ظَنَّ أنّه ناجٍ مِنهما اُذكُرني عِندَ رَبِّك﴾ (الآية ٤٢).

ومتى جاء (رَبّ) مطلقا ودون إضافة إلى غيره قصد منه الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم:

﴿بَلدةٌ طَيِّبةٌ وَربٌّ غفور﴾ (سبأ ١٥).

وبنـاء علىٰ ماذكرناه فإنّ الرّب جاء في لغة العرب والمصطلح الإسلامي بمعنىٰ: المالك والمربّي، وأضيف إلى المربّي في المصطلح الإسلامي: مشرّع نظام الحياة لمن يربّيه حالاً بعد حال حتىٰ يبلغ درجة الكمال[٢]، وبذلك تمّ معنى المربّي وأصبح للربّ معنيان، أو لمعناه جزءان:

وقال الراغب في مادّة (القرء):

إنّ كلّ اسم: موضوع لمعنيين، يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة التي هي اسم للخوان وللطعام معاً، ثمّ قد يسمّىٰ كلّ واحد منهما بالخوان.

وكذلك معنىٰ الربّ، في لغة العرب يأتي بمعنىٰ المالك وأحيانا بمعنىٰ المربّي، وفي المصـطلح الإسلامي يأتي أحيانا بمعنىٰ المالك المربّي، وأحيانا يأتي في جزء معناه: المشرّع لنظام الحياة، مثل قوله تعالىٰ:

﴿اتَّخذوا أحبارَهم وَرُهبانَهم أرباباً مِن دونِ اللّهِ﴾ (التوبة ٣١).

---

(٢) شأنه في ذلك شأن الصلاة التي كانت في لغة العرب بمعنىٰ: عامّة الدعاء، وخصّص في الشرع الإسلامي بمعنىٰ: الصّلاة المعروفة.

ـ ٢ ـ

﴿ وما ربُّ العالمين ﴾

أربعة أنواع من الهداية لربِّ العالمين

أ ـ وما ربُّ العالمين

ب ـ أنواع هداية ربّ العالمين لأصناف الخلق الأربعة الآتية:

١ ـ التعليم للملائكة.

٢ ـ التسخير لما خلق لمصلحة الإنسان من غير صنف الحيوان.

٣ ـ الإلهام الغريزي للحيوان ممّا خلق لمصلحة الإنسان.

٤ ـ الوحي بالإسلام للإنس والجنّ.

تمهيد:

ينقسم بحث (وما ربّ العالمين) إلى:

أ ـ بيان معنى ربّ العالمين.

ب ـ وحَصْرُه في الله جلّ اسمه.

ج ـ بيان أربعة أنواع من الهداية لربّ العالمين، كالآتي:

١ ـ هداية الملائكة الذين لهم حياة وموت وعقل بلا نفس أمّارة بالسوء، بتعليم الله إيّاهم.

٢ ـ هداية الإنسان والجن اللّذين لهما حياة وموت وعقل ونفس أمّارة بالسوء، بالتعليم والإنذار بواسطة الرّسل.

٣ ـ هداية الحيوان الذي له حياة وموت دون عقل ونفس أمّارة بالسوء، بالإلهام الغريزي.

٤ ـ هداية ماليس له حياة مثل المذكورين آنفاً، بالتسخير.

وتفصيل البحثين كالآتي:

أوّلاً ـ معنىٰ ربّ العالمين في القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى في:

أ ـ سورة الأعلىٰ:

بسم اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلىٰ* الّذي خَلقَ فَسوّىٰ* وَالّذي قَدّرَ فَهدىٰ* وَالّذي أخرجَ المَرعىٰ* فَجعلهُ غُثاءً أحوىٰ﴾ (الآيات ١ ـ ٥).

ب ـ سورة طه:

﴿رَبُّنا الذّي أعطىٰ كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾ (الآية ٥٠).

ج ـ سورة الفرقان:

﴿خلقَ كُلَّ شيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديراً﴾ (الآية ٢).

د ـ سورة البقرة:

﴿وَعَلَّمَ آدَم الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرضَهُم علىٰ الملائكةِ فَقالَ أنبِئوني بأسماءِ هٰؤلاءِ إن كُنتُم صادِقينَ* قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلاّ ماعَلّمْتَنا إنَّكَ أنتَ العَليمُ الحَكيم﴾ (الآيتان ٣١ ـ ٣٢).

هـ ـ سورة الشورىٰ:

﴿شَرَعَ لَكم مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً والّذي أوحينا إليكَ وَما وَصّينا بِهِ إبراهيمَ وَموسىٰ وَعيسىٰ أنْ أقيموا الدِّينَ وَلا تَتفرَّقوا فيه...﴾.(الآية ١٣).

و ـ سورة النّساء:

﴿إنّا أوحينا إليكَ كَما أوحينا إلىٰ نُوحٍ وَالنَّبيِّينَ مِن بَعدهِ وَأوحينا إلىٰ إبراهيمَ وَإسماعيلَ وَإسحاقَ وَيَعقُوبَ والأسباطِ وَعيسىٰ وَأيُّوبَ وَيُونسَ وَهارونَ وسُليمانَ وآتينا داودَ زبوراً* ورُسُلاً قد قَصَصناهُم عَليكَ من قبلُ ورسلاً لَم

نَقصُصهُم عليكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسىٰ تَكليماً* رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمنذِرين...﴾ (الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥).

ز ـ سورة آل عمران:

﴿نَزَّلَ عليكَ الكتابَ بِالحَقِّ مُصدِّقاً لما بينَ يَديهِ وَأنزَلَ التَّوراةَ والإنجيلَ* مِن قَبلُ هُدىً لِلنَّاس...﴾ (الآيتان ٣ و ٤).

ح ـ سورة الذّاريات:

﴿وَما خَلقتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعبدون﴾(الآية ٥٦).

ط ـ سورة الأنعام:

﴿يامَعشرَ الجِنِّ والإنسِ ألم يأتِكم رُسُلٌ يَقُصّونَ عَليكم آياتي وَيُنذرُونكم لِقاءَ يَومِكُم هذا قالوا شَهِدنا علىٰ أنفسِنا وَغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنْيا وَشَهِدوا علىٰ أنفسِهِم أنَّهم كانوا كافرين﴾ (الآية ١٣٠).

ي ـ سورة الأحقاف:

﴿وَإذ صَرَفنا إلَيكَ نَفراً مِنَ الجِنِّ يَستَمِعونَ القُرآنَ فَلَمّا حَضروهُ قالوا أنصِتوا فَلَمّا قُضِيَ وَلَّوا إلىٰ قَومِهِم مُنذِرين* قالوا إنّا سَمِعنا كتاباً أُنزِلَ مِن بَعدِ مُوسىٰ مصدِّقاً لِما بَينَ يَديهِ يَهدي إلىٰ الحَقِّ وَإلىٰ طريقٍ مُستقيمٍ* يا قَومنا أجيبوا داعِيَ اللّهِ وَآمِنوا بِهِ يَغفِر لَكم مِن ذُنوبِكم وَيُجِرْكُمْ مِن عَذابٍ أليمٍ* وَمَن لا يُجِبْ داعِيَ اللّهِ فَليسَ بِمُعجِزٍ في الأرضِ وَلَيسَ لَه مِن دُونِهِ أولياءَ أُولئكَ في ضَلالٍ مُبين﴾. (الآيات ٢٩ ـ ٣٢).

ك ـ سورة الجن:

بِسمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿قُل أُوحيَ إلَيَّ أنَّهُ اسْتمعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فقالوا إنّا سَمِعنا قُرآناً عَجَباً* يَهدي إلىٰ الرُّشدِ فآمَنّا بِهِ وَلَن نَشرِكَ بِرَبِّنا أحداً* وَأنَّهُ تَعالىٰ جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا

وَلَداً* وَأَنَّهُ كانَ يَقولُ سَفيهُنا عَلىٰ اللّهِ شَطَطا* وَأَنّا ظَنَنّا أَنْ لَن تَقولَ الإنسُ وَالجِنُّ عَلىٰ اللّهِ كَذِباً* وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعوذونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزادوهُم رَهَقاً* وَأَنَّهم ظَنّوا كَما ظَنَنتُم أن لَن يَبعثَ اللّهُ أَحَداً* وَأَنّا لَمَسنا السَّماءَ فَوجدناها مُلِئَت حَرَساً شَديداً وَشُهُباً* وَأَنّا كُنّا نَقعدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ فَمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً* وَأَنّا لاندري أَشَرٌّ أُريدَ بِمَن في الأرضِ أم أرادَ بِهم ربُّهم رَشَداً* وَأَنّا مِنّا الصّالِحونَ وَمِنّا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً* وَأَنّا ظَنَنّا أَنْ لَن نُعْجِزَ اللّهَ في الأرضِ وَلَن نُعجِزَهُ هَرَباً* وَأَنّا لَمّا سَمِعنا الهدىٰ آمَنّا بِهِ فَمَن يؤمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً* وَأَنّا مِنّا المُسلِمونَ وَمِنّا القاسِطونَ فَمَن أَسلَمَ فَأولئكَ تَحَرَّوا رَشَداً* وَأَمّا القاسِطون فكانوا لِجَهنَمَ حَطَباً* وَأَلَّو [وأن لَو] استَقاموا عَلىٰ الطَّريقَةِ لأسقَيناهُم ماءً غَدَقاً* لِنَفتِنَهم فيهِ وَمَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ يَسلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾ (الآيات ١ ـ ١٧).

ل ـ سورة النحل:

﴿وَأَوحىٰ رَبُّكَ إلىٰ النَّحلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجرِ وَمِمّا يَعرِشونَ* ثُمَ كُلي مِن كُلِّ الثَّمراتِ فَاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ...﴾ (الآيتان ٦٨ ـ ٦٩).

م ـ سورة الأعراف:

﴿إنَّ رَبَّكُم اللّهُ الّذي خلقَ السَّمٰواتِ وَالأرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استوىٰ علىٰ العَرشِ يُغشي اللَّيلَ النَّهار يَطلبُهُ حَثيثاً وَالشَّمسَ وَالقمرَ وَالنُّجومَ مُسخَّراتٍ بِأمرِهِ أَلا له الخَلقُ والأمرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ العالمينَ﴾ (الآية ٥٤).

ثانياً ـ حصر الربوبية في اللّهِ جَلّ اسمه:

كما قال سبحانه في:

أ ـ سورة يونس:

﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذي خلقَ السَّمٰواتِ وَالأرضَ في ستّةِ أيّامٍ ثُمّ استوىٰ علىٰ العَرشِ يُدَبِّرُ الأمرَ ما مِن شَفيعٍ إلاّ مِن بَعدِ إذنِهِ ذٰلكم اللّهُ رَبُّكم فاعبدوهُ أفلا تَذَكّرون* هُوَ الّذي جعلَ الشّمسَ ضِياءً وَالقمرَ نوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعلموا عَدَدَ السِّنينَ وَالحِساب...﴾ (الآيتان ٣ و ٥).

ب ـ سورة فصّلت:

﴿قُل أئنّكُم لَتكفُرونَ بِالّذي خلقَ الأرضَ في يَومينِ وَتَجعَلونَ لَه أنداداً ذٰلكَ رَبُّ العالمين* وَجعلَ فيها رَواسِيَ مِن فَوقِها وَبارَكَ فيها وَقَدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّامٍ سَواءً للسّائلين* ثُمّ استوىٰ إلىٰ السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لها وَلِلأرضِ ائتِيا طَوعاً أو كَرهاً قالَتا أتينا طائعين* فَقَضاهُنّ سَبعَ سَمٰواتٍ في يَومَينِ وَأوحىٰ في كُلِّ سَماءٍ أمرَها وَزَيّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابيحَ وَحِفظاً ذٰلكَ تَقديرُ العَزيزِ العَليم﴾ (الآيات ٩ ـ ١٢).

شرح الكلمات

أ ـ سَبَّح:

سَبَّـحَ تسبيحـاً أي نزّه الله تنـزيهاً، أو قال سبحان الله، أي تنزيهاً لله، والتسبيح ـ أيضاً ـ مطلق العبادة، قولاً وفعلاً ونيةً.

ب ـ اسم:

للاسم معنيان، كما ذكرناه سابقاً:

١ ـ اللّفظ الذي يجعل اسماً للأشياء، مثل: (مكّة) اسماً عَلَماً للبلد الذي

فيه الكعبة قبلة المسلمين، والقرآن اسماً عَلَماً للكتاب الذي أنزله اللّه على خاتم أنبيائه.

٢ ـ اسم الشيء أي صفاته الخاصة المبينة لحقيقته، والمراد من الاسم في الآية: المعنى الثاني.

ج ـ رَبِّكَ:

سبق ذكر معناه.

د ـ الأعلىٰ:

جاء الأعلىٰ هنا بمعنىٰ: الأعلىٰ من أن يقاس عليه.

هـ ـ خَلَقَ:

نجد تفسير (خَلَقَ) في ما حكىٰ الله عن قول موسىٰ لفرعون:

﴿رَبُّنا الّذي أعطىٰ كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدىٰ﴾ (طه ٥٠).

ويكون المعنىٰ بناء على هذا: ربّنا الذي خلق كلّ شيء فسوّاه.

و ـ سَوّىٰ:

سَوّى الشيء: عدله وجعله لاعوج فيه، وسَوّى الشيء: جعله على كمال واستعداد لما أُنشِئ من أجله، وفي سورة الانفطار: ﴿ياأيُّها الإنسانُ ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الكَريمِ * الّذي خلقكَ فَسَوّاكَ فَعدلك﴾ (الآيتان ٦ و٧). والمراد هنا كلا المعنيين. وتنقسم التسوية في الخلق إلىٰ الأنواع الأربعة الآتية:

أوّلاً ـ التسوية للإنسان:

يخلق الإنسان من النطفة جنيناً في مراحله المعينة حتى يتم خلقه. وتمام خلقه في هذا المقام يكون بإتمام خلق جميع أعضائه التي بواسطتها يتلقّى الهداية من السمع والبصر وسائر الحواس التي بواسطتها يتلقّى المعلومات، مع الخلايا الدماغية اللاتي تختزن المعلومات، والعقل الذي بواسطته يميّز الصحيح من

الباطل مما تلقّاه من المعلومات، وإيجاد قابلية تبادل المعلومات مع بني نوعه بوسيلتي اللّسان والقلم، كما قال سبحانه في:

أ ـ سورة الرّحمٰن:

﴿خلقَ الإنسانَ* عَلَّمهُ البَيان﴾ (الآيتان ٣ و ٤).

ب ـ سورة العلق:

﴿إقـرَأْ بِاسمِ ربِّـكَ الّـذي خلق* خلَقَ الإنسـانَ مِن عَلَق* إقرَأْ وَربُّكَ الأكرَم* الّذي علَّمَ بِالقلَم* علَّمَ الإنسانَ ما لَم يَعلَم﴾ (الآيات ١ ـ ٥).

والتعلّم والتعليم بالبيان والقلم موهبتان خص الباري جلّ اسمه الإنسان وحده بهما.

ثانياً ـ التسوية للحيوان:

التسوية وتمام الخلق في الحيوان: تتمُّ بمنحه الغريزة التي بواسطتها يستطيع أن ينظّم شؤون حياته بما يناسب فطرته.

ثالثاً ـ التسوية للمسخّرات من خلق الله.

كما قال سبحانه:

أ ـ في سورة فاطر:

﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىً ذلكم الله ربكم﴾ (الآية ١٣).

ب ـ في سورة الأعراف:

﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الآية ٥٤).

رابعاً ـ التسوية للملائكة:

كانت التسوية للملائكة، بأنّ الله تعالىٰ جبلهم على أن: ﴿لايعصُونَ اللّهَ ما أمَرَهم وَيَفعلونَ ما يُؤمرون﴾، كما أخبر عنهم في سورة التحريم/ ٦.

ويأتي تمام معنىٰ التسوية المادي بتفسير: قَدَّرَ فَهَدىٰ، في (تفسير الآيات) الآتي إن شاء الله تعالىٰ.

ز ـ قدّر:

قدّر الله الشيء تقديراً: معناه في الموارد التي نحن بصدد تفسيرها: قدّر نظام حياة الشيء بما يناسب فطرته، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان:

﴿وَخلقَ كُلَّ شَيءٍ فَقدَّرهُ تَقديراً﴾ (الآية ٢).

ح ـ هدى:

هداية الله للخلق أربعة أنواع:

١ ـ تَعْليم.

٢ ـ إلهام غريزي.

٣ ـ تَسخير.

٤ ـ تبليغ بواسطة الوحي إلى الأنبياء.

ويأتي تمام تفسير كلمتي: (قَدَّرَ) و (هَدىٰ) في تفسير الآيات بإذنه تعالىٰ.

ط ـ غُثاءً:

نبات يابس يتفرّق بعضه عن بعض.

ي ـ أحوىٰ: شديد الخضرة من النبات وقريب من السواد لشدة خضرته.

ك ـ الوَحي:

أ ـ في اللّغة:

أوحىٰ إليه وله: أشار وأومأ، وكلّمه بكلام خفيّ يخفىٰ علىٰ غيره، وأمره،

وألهمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه.

ب ـ في المصطلح الإسلامي:

الوحي الكلمة الإلهية التي يلقيها إلىٰ أنبيائه بواسطة مَلَك يشاهده الرسول، ويسمع كلامه؛ كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء(ص)، أو بسماع كلام اللّه جلّ اسمه من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله، أو بالرؤيا في المنام، كما أخبر اللّه عن قول إبراهيم لابنه إسماعيل:

﴿إنِّي أرىٰ في المنامِ أنّي أذبَحك﴾ (الصافّات ١٠٢).

أو بأنواع أخرىٰ من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن موارد استعماله في المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم ما نقلناه آنفاً من وحي الله إلىٰ أنبيائه.

أمّا موارد استعماله في معانيه اللّغوية فمما جاء منها في القرآن الكريم قوله تعالىٰ:

﴿فَخرجَ علىٰ قَومهِ مِنَ المِحرابِ فَأوحىٰ إليهم أن سبّحُوا بُكرةً وَعَشِيّاً﴾ (مريم ١١).

والمراد من هذا الوحي: الإشارة أو الكتابة.

وقوله تعالىٰ:

﴿إنَّ الشَّياطينَ لَيوحونَ إلىٰ أوليائهم﴾ (الأنعام ١٢١).

أي يلقون في قلوبهم الخواطر السيئة.

ومنها قوله تعالىٰ في حكاية أُمّ موسىٰ:

﴿وَأوحينا إلىٰ أُمّ موسىٰ أن أرضِعيه﴾ (القصص ٧).

أي ألهمناها أن ترضعه.

﴿وَأوحىٰ ربُّكَ إلىٰ النَّحْلِ﴾ (النحل ٦٨).

أي ألهم النحـل أنْ تعيش كذلـك، وبيان ذلـك أنّ الله تعالى بمقتضىٰ الربوبية يوجد في كلّ صنف من أصناف الحيوان غريزة تهديه إلى إدامة حياته وفق مايتناسب وفطرته.

ل ـ استوىٰ:

إذا عُدِّيَ «استوىٰ» بعلىٰ، جاء بمعنىٰ الاستيلاء. كما سيأتي بيانه في بحث صفات الرَّبّ إن شاء الله تعالى.

م ـ العَرش:

العَرشُ، في اللغة شيء مسقف، وجمعه عروش، وسمّي مجلس السلطان: عرشاً، اعتباراً بعلوّه، وكُنّي به عن العز، والسلطان، والمملكة.

وفي لسان العرب: ثلّ الله عرشهم أي هدم ملكهم[٣].

وقال الشاعر:

إذا ما بنـو مروان ثلّـت عروشـهـم
وأودت كـما أودت إيــاد وحِـمْـيَرُ

أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا[٤].

ن ـ الضياء:

الضياء: ما انتشـر من الأجسـام النـيِّرة، يقال: ضاءت النار، وأضاءت، والضوء أقوىٰ وأسطع من النور، والضَّوء: لما ينير؛ كضوء الشمس والنار، والنور: لما يكسب الضَّوء من غيره.

س ـ الأمر:

بمعنى: طلب الفعل وهو ضدّ النهي، وجمعه أوامر.

---

(٣) مادّة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط.

(٤) البحار ٥٨/٧.

وبمعنى: الشأن، وجمعه: أمور.

ع ـ سَخَّرَ:

سخّره، يسخّره فهو مسخّر: ذلله، أخضعه، وساقه إلى غرض معين قهراً.

والسّخْريّ: الذي يُقهر فَيَتَسخَّر.

ف ـ الرواسي:

الراسي: الجبل الثابت، الراسخ، وجمعه: الرواسي.

تفسير الآيات

نفسّر الآيات لتفسير كلمتي: (قدَّر فهدىٰ) بتفصيل:

أ ـ قَدَّرَ:

في آيات سورة فصّلت:

حصر عزّ اسمه الخالقية لذاته: ربِّ العالمين، ثم بيّن كيف قدّر لها نظام إدامة بقائها وقال:

﴿وَجعلَ فيها رَواسيَ مِن فَوقِها وَبارك فيها وَقَدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّام﴾.(الآية ١٠).

وقال عن السماء، إنّه أتمّ تكوينها سبع سمٰوات في يومين وأوحىٰ في كلّ سماء أمرها، وإنّه زيّن السماء الدّنيا بمصابيح، وإنّ ذلك من تقدير الربّ العزيز العليم.

وذكر كيف أتاها أمر ربّها بإدامة بقائها وفق ذلك النظام فقال في سورة يونس:

﴿إنَّ ربَّكمُ اللّهُ الّذي خلقَ السّمٰواتِ وَالأرضَ في ستّةِ أيّام ثُمَّ استوىٰ علىٰ العَرش يُدبِّرُ الأمْر﴾.(الآية ٣).

يُدَبِّرُ أمرَها أي يربّيها بعد أن خلقها، وأنّه هو ربّكم فاعبدوه، ثم فصّل

بعض الأمر وقال: إنّ الربّ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّره منازل.

استفدنا من هذه الآيات أنّ معنى قدَّره تقديراً: جعل له نظاماً معيّناً.

ب ـ هدىٰ:

لما كان الكلام في سورتي (فصّلت) و(يونس) عن ربوبية الله للسمٰوات والأرض والشمس والقمر، جاء ذكر تربية الرّبّ لها خاصة، ولما كان ذكر تربية الربّ في سورة (الأعلىٰ) للخلق عامّة، قصد من قوله: (فهدىٰ) أنّ ربّ الخلق الذي خلقهم؛ قد سوّاهم، أي هيّأهم لقبول الهداية بعد أن قدّر حياة كلّ نوع من أصناف الخلق، وضرب مثلاً ممّا خلق بمرعىٰ الحيوان، وقال سبحانه ما معناه: إنّ ربّ الخلق أجمعين هو الذي أخرج مرعىٰ الحيوان، وربّاه حتىٰ بلغ درجة كماله، وأصبح شديد الخضرة، ثم جعله نباتاً يابساً، بعد أن كان شديد الخضرة، وبيّن الله سبحانه في آيات أخرى كثيرة، كيفية الهداية لأصناف الخلق الأربعة كما يأتي بيانه بإذنه تعالىٰ.

- ٣ -
أنواعُ هِدايَةِ رَبِّ العالمينَ لِأصنافِ الخَلْق

في بحث أنواع الهداية لأصناف الخلق نورد البحث عنهم حسب عصور بدء خلقهم، ولما كانت الملائكة هي جنود الله في الخلق، وحملة عرشه في الربوبية، خلقهم قبل غيرهم، ثم خلق الزمان والمكان، السماء والأرض وما فيهما مما يحتاجه الأحياء من المخلوقـات، من مياه ونبات وسائر مرافق الحياة، ثمّ خلق الجانّ والحيوان وخلق الإنسان بعد خلق كلّ مايحتاجه في حياته، وفي مايأتي تفصيل أنواع هداية ربّ العالمين لكلّ صنف منهم: حسب الترتيب الآتي:

أوّلاً - التعليم المباشر لصنف الملائكة:

قال الله سبحانه وتعالى في شأنهم:

﴿وَإذ قالَ رَبّكَ لِلملائِكةِ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفَةً قالوا أتَجعلُ فيها مَن يُفسدُ فيها وَيَسفِكُ الدّماءَ وَنَحنُ نُسبّحُ بِحمدكَ وَنُقدّسُ لَك قالَ إنّي أعلمُ مالاتَعلَمون* وَعلّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمّ عَرَضهم علىٰ الملائكةِ فَقالَ أنبِئوني بِأسماءِ هؤلاءِ إن كُنتُم صادِقين* قالوا سُبحانكَ لاعِلمَ لَنا إلاّ ما عَلّمْتَنا إنّك أنتَ العَليمُ الحَكيم* قالَ يا آدمُ أنبِئهُم بِأسمائِهم فَلَمّا أنبأهُم بِأسمائهم قالَ ألَم أقُل لَكمْ إنّي أعلمُ غَيبَ السّمٰواتِ والأرضِ وَأعلمُ ما تُبدونَ وَما كُنتُم تَكتُمون* وَإذ قُلنا لِلملائكةِ اسجدوا لآدمَ فَسجدوا إلاّ إبليسَ أبىٰ وَاستكبَرَ وَكانَ مِنَ الكافرين﴾ (البقرة ٣٠ - ٣٤).

شرح الألفاظ

أولاً ـ الخليفة: خليفة الله في الأرض.

في اللّغة: خلف، خلافة، وخليفة:

أ ـ خلف:

خلف زيد عمراً: جاء بعده أو قام بالأمر بعده[٥].

فالأول: مثل قوله تعالىٰ:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِمْ خَلْف...﴾ (الأعراف ١٦٩).

والثاني: مثل قوله تعالىٰ:

﴿وَقالَ موسىٰ لِأخيهِ هارونَ اخْلُفني في قَومي وَأَصلِح﴾ (الأعراف ١٤٢).

ب ـ الخلافة:

النيـابة عن الغير، إمّا لغيبة عنه، وإمّا لمـوته وعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف.

ج ـ الخليفة:

من ناب عن الغير لمـوت المستخلف، وعجـزه وغيبته، أو لتشريف المستخلف[٦].

فالأول مثل قوله تعالىٰ:

﴿وَاذكُروا إذ جَعَلكم خُلفاءَ مِن بَعدِ قَومِ نُوح﴾ (الأعراف ٦٩).

والثاني مثل قوله تعالىٰ:

﴿يا داوُدُ إنّا جَعَلناكَ خَليفَةً في الأرض﴾ (ص ٢٦).

---

(٥) مادّة (خلف) من: معجم ألفاظ القرآن الكريم.

(٦) مادّة (خلف) من: مفردات الراغب.

وقول رسول الله (ص):

«أللّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفائي! أللّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفائي! أللّهُمَ ارْحَمْ خُلَفائي!

قيل له: يارسول الله من خلفاؤك؟

قال: الّذينَ يَأتونَ مِن بَعدي يَروُونَ حَديثي وَسُنَّتي»[7].

وبمراجعة الروايات نرىٰ أنّ خليفة الله هو النبيّ أو وصيّ النبيّ الذي عيّنه الله لهداية الناس إلىٰ شرائعه، كما سيأتي تفصيله في بحث: مبلّغون عن الله، إن شاء الله تعالىٰ.

ثانياً ـ سَجَدَ:

سَجَدَ سُجُوداً: خضع وتطامن، ويضاف إليه في الإنسان وضع جبهته على الأرض.

فمن الأوّل قوله تعالىٰ:

﴿وَللّهِ يَسجدُ مَن في السَّمٰواتِ وَالأرضِ طَوعاً وَكَرهاً وَظِلالُهم بِالغُدُوِّ والآصال﴾ (الرعد ١٥).

والثاني قوله تعالىٰ:

﴿سِيماهُم في وُجوهِهم مِن أَثَرِ ٱلسُّجود﴾ (الفتح ٢٩).

موجز تفسير الآيات

جعل الله الإيمان بالملائكة في عداد الإيمان بالله واليوم الآخر وكتبه والنبيّين، وعداوتهم في عداد عداوتهم.

ووصفهم بأنهم عباده، وأنهم يسبّحون بحمد ربّهم، ويستغفرون لمن في

---

(٧) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص:٣٥٧ ـ ٣٧٤، وعيون الأخبار له، ط. النجف ٣٦/٢، ومن لايحضرهُ الفقيه، له، تحقيق الغفاري ٤٢٠/٤، وبحار الأنوار للمجلسي، ١٤٥/٢، الحديث رقم: ٧.

الأرض ويفعلون مايأمرهم الله.

ولم يذكر الله ممّ خلق الملائكة - كما جاء في بعض الأحاديث أنه خلقهم من نور -[8]، وإنّما أخبر أنّه جعل لهم أجنحة: مَثْنىٰ وثُلاث ورُباع يزيد في الخلق ما يشاء، وأنّهم يتمثلون في صورة الإنسان ويؤدون العمل الذي أمروا به، ولا يمكننا معرفة أجنحة الملائكة قياساً علىٰ أجنحة الطير - مثلاً - لأنّ الملائكة ليست أجساماً مادّية مثل الطيور، ولا سبيل لنا لمعرفة حقيقتهم بما أُوتينا من وسائل لمعرفة الأجسام بالحواس الخمس، وإنّما سبيلنا إلى معرفتها إنّما هو النقل، كما أن سبيلنا إلى معرفة البلاد التي غبنا عنها تنحصر بالسماع عنها، غير أنّنا عندئذ نستطيع أن نقايسها بأمثالها التي شاهدناها، وللعقل هنا أن يحكم بصدق ماينقل ومن ينقل أو يرده، ولا مجال هنا لشرح كيفية عمل العقل عندئذ، ولا يمكن قياس عالم الغيب بما في عالمنا المادّي.

وأخبر الله تعالىٰ (ضمنا فيما أخبر) أنّه علّم الملائكة ماينبغي أن يتعلّموه ولابد أن يكون ذلك في حدود ما أمرهم أن يقوموا بعمله، وحكىٰ سبحانه كيف أخبرهم بأنّه جاعل في الأرض خليفة.

وخليفة الله في الأرض هو الإنسان الذي عيّنه الله لهداية الناس، ويمثلهم في هذا الخبر آدم أبو البشر، وأخبر أنّ الملائكة قالت:

﴿أَتجعلُ فيها مَن يُفسدُ فيها وَيَسفكُ الدّماءَ وَنَحنُ نُسبّحُ بِحَمدكَ وَنُقدّسُ لك﴾ (البقرة ٣٠).

وجاء في الروايات أنّ الملائكة قالت ذلك لأنّ الله تعالى كان قد خلق قبل آدم (ع) في الأرض، خلقاً أراقوا الدماء وأفسدوا في الأرض وأبادهم الله بظلمهم،

---

(٨) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ص: ٢٢٩٤، ومسند أحمد، ١٥٣/٦ و ١٦٨.

وقاست الملائكة حالة الخلق الجديد بما كانت قد رأت قبله من خلق الله.

وكـان جواب الله لهم: إنّي أعلم ما لاتعلمون. ثمّ خلق آدم (ع) وعلّمه الأسماء كلّها؛ أي حقائق الأشياء كلّها فإنّ الأسماء جاءت هنا جميعاً للاسم بمعنىٰ صفات الشيء الخاصة المبينة لحقيقته. وذلك لأنّ الله سخّر ما في السمٰوات والأرض لمنفعة الإنسان ولا بدّ أن يعلّمه صفاتها وخواصها كما سيأتي شرحه في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى.

علَّم آدم خواص كلّ ما سخّره له ليعمل مع ما سخّره له في ما ينفعه، وعلَّم كلّ واحـد من المـلائكة عِلم كلّ ما خلق ذلك الملك للقيام به، علّم ـ مثلاً ـ الملائكة التي خلقها للعبادة كيفية التهليل والتسبيح والتكبير لله كما هو أهله، وعلَّم الملائكة التي خلقها لتسجيل أعمال الإنسان، كيف تسجّل مايصدر عن الإنسان من خير وشر، وعلّم ملائكة قبض الأرواح، كيفية قبضها، وكذلك علّم غيرهم ما خلقوا للقيام به.

إذاً لم تكن الملائكة تعلم ما علَّمه الله آدم (ع)، ولما سأل الله الملائكة عن تلكم الأسماء التي علَّمها آدم، قالت: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، فأمر آدم أن يعلّمهم ما علّمه الله، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (ع) فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر كما سنشرحه في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

النتيـجة

إنّ هذا الصنف من الخلق ـ المـلائكـة ـ الذين أسكنهم الله السمٰوات والأرضين، ولهم حياة، وموت، وعقل مدرك دون هوى النفس، كان يكفيهم في مقـام الهداية أن يتعلّموا ما خلقوا من أجله ليدأبوا على القيام بالعمل طوال حياتهم، أمّـا قصـة سؤالهم في خبر السجود لآدم (ع) فلا تتجاوز أنّهم كانوا لايعلمون لماذا خلق آدم، ولمّا عرفوا ذلك بتعليم آدم إيّاهم الأسماء أطاعوا أوامر

الله وسجدوا له دون إبليس الذي أبىٰ السجود لآدم (ع) واستكبر وأطاع هوى نفسه.

إذاً فإنّ هداية الملائكة تكون بتعليمهم ما أراده الله منهم.

ثانياً ـ التّسخير للمسخّرات:

نخصّ بالذكر هنا من امر الهداية بالتسخير بعض الآيات التي صرحت بأن الله سخر تلكم المسخرات لمنفعة الإنسان[٩].

قال الله سبحانه في:

أ ـ سورة الجاثية:

﴿وَسخَّرَ لَكُم ما في ٱلسَّمٰواتِ وَما في الأرض جَميعاً مِنهُ إنَّ في ذٰلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفكَّرون﴾ (الآية ١٣).

ب ـ سورة المؤمن:

﴿اللّهُ الّذي جعلَ لَكمُ الأرضَ قَراراً والسَّماءَ بِناءً﴾ (الآية ٦٤).

ج ـ سورة الزخرف:

﴿آلّـذي جَعلَ لَكمُ الأرضَ مَهداً وَجَعلَ لَكُم فيها سُبُلاً لَعلَّكم تَهتدون﴾ (الآية ١٠).

د ـ سورة الرحمن:

﴿وَالأرضَ وَضَعَها لِلأنام* فيها فاكِهةٌ وَٱلنَّخلُ ذاتُ الأكمام* وَالحَبُّ ذُو العَصفِ وَٱلرَّيحان* فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكذِّبان﴾ (الآيات ١٠ ـ ١٣).

هـ ـ سورة الملك:

﴿هُوَ ٱلّذي جَعلَ لَكمُ ٱلأرضَ ذَلولاً فَٱمْشُـوا في مَناكِبِها وَكُلوا مِن رِزقِهِ.

---

(٩) إنّما قدّمنا ذكر هداية هذا الصنف لتقدّم عصر خلقها علىٰ عصر خلق الحيوان.

وَإليهِ النُّشور﴾ (الآية ١٥).

و ـ سورة الحج:

﴿ألم ترَ أنَّ اللّهَ سخَّرَ لكم ما في الأرضِ ...﴾ (الآية ٦٥).

ز ـ سورة الإسراء:

﴿وَلَقد كَرَّمنا بَني آدمَ وَحَملناهُم في البَرِّ والبَحرِ وَرَزقناهُم مِنَ الطيِّباتِ وَفضَّلناهُم على كَثيرٍ مِمَّن خلَقنا تَفضيلاً﴾ (الآية ٧٠).

ح ـ سورة إبراهيم:

﴿اَللّهُ اَلّذي خَلقَ السَّمٰواتِ وَالأرضَ وَأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأخرجَ بِهِ مِنَ الثَّمراتِ رزقاً لَكُم وَسخَّرَ لكمُ الفُلكَ لِتَجْرِيَ في البَحرِ بأمرِهِ وَسخَّرَ لَكمُ اَلأنهار* وَسخَّرَ لَكمُ الشَّمسَ وَاَلقمرَ دائبَينِ وَسخَّرَ لكمُ اللَّيلَ وَالنَّهار* وَآتاكم مِن كُلِّ ما سَألتموهُ وَإن تَعُدّوا نِعمةَ اللّه لاتُحْصوها إنَّ الإنسانَ لَظَلومٌ كَفّار﴾ (الآيات ٣٢ ـ ٣٤).

ط ـ سورة النحل:

﴿وَعَلىٰ اللّهِ قَصْدُ اَلسَّبيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ* هُوَ اَلّذي أنْـزَلَ مِنَ السَّـماءِ مَاءً لَكُم مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنبِتُ لَكُم بِهِ اَلـزَّرْعَ وَاَلـزَّيْتُونَ وَاَلنَّخِيلَ وَاَلأعْنابَ وَمِن كُلِّ اَلثَّمراتِ إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ واَلنَّهارَ واَلشَّمْسَ وَاَلقَمَرَ وَاَلنُّجومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأمْرِهِ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَمَـا ذَرَأ لَـكُم في الأرْضِ مُخْتَلِفاً ألْوانُهُ إنَّ في ذلـكَ لآيَةً لِقَـوْمٍ يَذَّكَّـرونَ* وَهُـوَ اَلّذي سَخَّرَ اَلبَحْرَ لِتَأكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ اَلفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُـرُونَ* وَاَلقَىٰ في الأرْضِ رَوَاسِيَ أن تَمِيدَ بِكُمْ وَأنْهـاراً وَسُبُـلاً لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ* وَعَلاماتٍ وَبِاَلنَّجمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الآيات ٩ ـ ١٦).

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٦٧).

شرح الكلمات:

أ ـ سخَّر:

سخَّره يسخره فهو مسخَّر: ذلّله، أخضعه وساقه إلى غرض معيّن قهراً، والسُخري: الذي يُقهر فيتسخَّر.

ب ـ الأكمام:

جمع الكم: وهو الغلاف يغطِّي الثمر والحبّ: من الشجر والنخل والزرع.

ج ـ الحبّ:

الحبّ يراد به: الحنطة والشعير والأرز.

د ـ العصف:

ما هو كالغلاف للحبّ وهو قشره وفسّر بورق الزرع اليابس.

هـ ـ الرّيحان:

الرّيحان: النبات الطيِّب الرائحة.

و ـ الآلاء:

الآلاء: النِّعم.

ز ـ ذلولاً:

ذلّت الدابّة بعد شماس ذلّاً: فهي ذلول، أو ممهّدة يسهل السلوك فيها وركوب متنها.

ح ـ مناكبها:

ومفرده: المنكب من الإنسان وغيره: مجمع العضد والكتف، ومناكب الأرض: فُسّرت بالجبال على التشبيه إذ هي ناتئة بارزة كمناكب البعير،

وبجوانب الأرض على التشبيه أيضاً، فإنّ منكبي البعير جانباه.

ط ـ دائبين:

دأب: جدّ فيه وداوم عليه فهو دائب.

والدّأب: الشأن.

ودائبين: مستمرّين في الحركة لايفتّران إلى آخر الدنيا.

ي ـ تسيمون:

أسام الإبل يسيمها: أخرجها وأرسلها للرعي.

ك ـ ذرأ:

ذرأ الله الخلق يذرأهم ذَرْءاً: خلقهم على وجه الاختراع، وبثّهم وكثّرهم.

ل ـ مواخر:

مخرت السفينة مخراً ومخوراً: إذا شقّت الماء بجُؤجُئها ـ صدرها ـ مستقبلة له فسمع لها صوت، والسفينة ماخرة، والجمع مواخر.

م ـ تميد بكم:

ماد ميداً: تحرّك واهتزّ.

والميد: اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض.

نتيجة البحث

إنّ الله تعالىٰ خلق للانسان والأرض وما عليها وما فيها من بحار وأنهار وأشجار ونبات ومعادن وما تحت السماء الدنيا من مجّرات وشموس وأقمار كما قال سبحانه في سورة الجاثية: ﴿سَخَّرَ لكم ما في السّمٰواتِ والأرضِ جَميعاً مِنه﴾.

وقد هدىٰ هذا الصنف من الخلق تسخيرياً أن يسير وفق نظام قدّر له بربوبيته، ويخبر الله عن هذا النوع من الهداية في القرآن بلفظ سخّر غالباً وفي موارد بلفظ جعل حيث يقول سبحانَه: ﴿جَعلَ الشّمسَ ضِياءً والقَمرَ نوراً﴾.

ثالثاً ـ الإلهام الغريزي لصنف كلّ ذي روح حيواني وان الله سبحانه سخر جميعها لمنفعة الانسان:

قال الله سبحانه:

أ ـ في سورة النحل:

﴿وَالأنعامَ خَلَقَها لَكُم فيها دِفءٌ وَمنافِعُ وَمِنها تأكُلونَ* وَلَكُم فِيها جَمالٌ حِينَ تُريحونَ وَحِينَ تَسْرَحونَ* وَتَحمِلُ أثقالَكُم إلىٰ بَلَدٍ لَم تَكونوا بالِغيه إلاّ بِشِقّ الأنفسِ إنَّ رَبَّكُم لَرَؤوفٌ رَحيم* وَالخَيلَ وَالبِغالَ وَالحَميرَ لِتَركَبوها وَزِينةً وَيَخلُقُ ما لا تَعلَمونَ﴾ (الآيات ٥ ـ ٨).

إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿وَإنَّ لَكُمْ في الأنعامِ لَعِبرَةً نُسْقِيكُم مِمّا في بُطُونِهِ مِنْ بَينِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشّارِبِينَ﴾ (الآية ٦٦).

﴿وَأوحىٰ رَبُّكَ إلىٰ النَّحلِ أن اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعرِشونَ* ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ ألوانُه فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إنَّ في ذٰلكَ لآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرون﴾ (الآيتان ٦٨ و ٦٩).

ب ـ في سورة النور:

﴿وَاللّهُ خَلقَ كُلَّ دابَّةٍ مِن ماءٍ فَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ بَطنِهِ وَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ رِجلَينِ وَمِنهُم مَن يَمشي علىٰ أربَعٍ يَخلقُ اللّهُ ما يَشاءُ إنَّ اللّهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ (الآية ٤٥).

ج ـ في سورة الأنعام:

﴿وَما مِن دابَّةٍ في الأرضِ وَلا طائِرٍ يَطيرُ بِجَناحَيهِ إلاّ أُمَمٌ أمثالُكُم ما فَرَّطنا في الكِتابِ مِن شيءٍ ثُمَّ إلىٰ رَبِّهِم يُحشَرونَ﴾ (الآية ٣٨).

شرح الكلمات:

أ ـ فرثٍ:

الفرث: ما في الكرش.

ب ـ أوحىٰ الله إلىٰ الحيوان شيئاً: الهمه إياه وهداه لما يصدر عنه من فعل فيه حياته وصلاحه وقد يكون فيه دقة وحذق وصدور الفعل من هذا الصنف من الخلق قريب من صدور العمل تسخيرياً من الصنف المسخر.

ج ـ يَعْرُشُون:

عَرشَ الكَرْم: رفع أغصانه علىٰ الخشب، والبيت سَقَّفَه.

د ـ ذُلُلاً:

ذُلُلاً: منقادة، غير متصعّبة.

* * *

نتيجة البحث

شرّع الله لكلّ نوع ممّا خَلقَ تحت السماء الدنيا في الجوّ وعلى الأرض وفي جوفها وفي البحر ممّا جعل لها حياةً وموتاً ونفساً حيوانية دون العقل على آختلاف درجاتها في ما جعل لها، شرّع الله لكلّ نوع من ذلكم نظاماً يتناسب وفطرته، وألهم كلّ فرد من ذلك النوع بالغريزة التي فطره عليها أن يسير في حياته وفق ذلك النظام وبيّن نوع هداية هذا الصنف من الخلق في ما أخبر تعالىٰ عن حياة النّحل في قوله تعالىٰ: ﴿وأوحىٰ ربُّك إلىٰ النَّحل أن آتّخذي من الجبالِ بيوتاً ومن الشَّجرِ وممّا يعرشون* ثمّ كُلي من كلِّ الثَّمرات فآسْلكي سُبل ربِّك ذُلُلاً يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانهُ فيهِ شفاءٌ للنّاسِ إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون﴾ (الآيتان ٦٨ ـ ٦٩).

إذاً فإنّ كل مايصدر من النّحل من فِعْلٍ فيه حَذَقٌ ودقّة وحكمة انما هو بإلهام من ربّنا ربّ العالمين، وفي هذا البيان مثالٌ توضيحيٌّ لنوع الهداية لهذا الصنف من المخلوق الذي سبق ذِكْرُ الأنعام فيه في الآيات (٥ ـ ٨) وما في خلقها ونظام حياتها من حكمة ونفع، وفي التعبير بـ (أوحىٰ ربُّك) ايحاء بأنّ ربّ النحل الذي هداهُ أن يسير في حياته وفقاً لما قدر لحياته من نظام متناسب وفطرته؛ هو ربّنا الذي شرع لنا نظاماً يتناسب وفطرتنا التي فطرنا عليها بحكمةٍ وأتقان، كالآتي بيانه:

رابعاً: التعليم بالوحي بواسطة الرسل لصنفي الإنس والجنّ مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ فَسَوّىٰ﴾ وَ ﴿قَدَّرَ فَهدىٰ﴾ في سورة الأعلىٰ

أوّلاً ـ الإنسان: خلق الله ربّ العالمين الانسان وقدّر حياته وجعل في طبعه هوىٰ النفس في ما تشتهيه نفسه ومنحه العقل الذي يميّز به ما يضرّه وما ينفعه[١٠].

وهيأه لقبول الهداية بوسيلتين:

أ ـ النطق باللّسان كما قال سبحانه في سورة الرّحمٰن:

﴿خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمهُ البَيان﴾ (الآيتان ٣ و ٤).

حيث ألهم الإنسان النطق باللّسان والتفاهم بعضه مع بعض.

ب ـ القراءة والكتابة ونقل الافكار من انسان إلى آخر ومن جيل إلى أجيال متعاقبة، كما قال سبحانه في سورة العلق:

﴿إقرأ وَربُّكَ الأكرَمُ * الّذي علَّمَ بِالقلمِ * علّمَ الإنسانَ مَالم يَعلَم﴾ (الآيتان

---

(١٠) إنّما خصّصنا بالذّكر غريزة هوىٰ النفس وحاسّة الإدراك والعقل في الإنسان، لمشاركة الجنّ إيّاه فيهما، وهما لوجود هوىٰ النفس فيهما بحاجة إلىٰ مذكّرين يذكّرونهما الله ومبشّرين ومنذرين من الرسل والأوصياء.

٣ و٤).

ثم شرّع الله سبحانه نظاماً لحياة الإنسان متناسباً وفطرته كما قال سبحانه في سورة الروم:

﴿فَأَقِم وَجهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً فِطرَةَ اللَّهِ الَّتي فطَرَ النَّاس عَليْها﴾ (الآية ٣٠).

وهدىٰ الله الإنسانَ إلى ذلك الدين المتناسب مع فطرته بواسطة إنزال الوحي إلىٰ رسله كما قال سبحانه:

أ ـ في سورة النساء:

﴿إنّا أوحينا إليكَ كَما أوحينا إِلىٰ نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِن بَعدِه...﴾ (الآية ١٦٣).

ب ـ في سورة الشورىٰ:

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الّدينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً وٱلّذي أوحَينا إليكَ وَما وَصَّينا بهِ إبراهيمَ وَمُوسىٰ وَعيسىٰ أن أقيموا ٱلدِّين...﴾ (الآية ١٣).

وسمّىٰ الله سبحانه الدِّين الّذي أوحىٰ به إلى الرسل بدين الإسلام كما قال سبحانه في سورة آل عمران:

﴿إنَّ الدِّين عِندَ اللَّهِ الإسلام﴾ (الآية ١٩).

ثانياً ـ الجان: خلق الجانّ وقدّر حياته مثل حياة الإنسان حين جعل في طبعه هوىٰ النفس إلىٰ ما تشتهيه نفسه ومنحه إدراك ما يضرّه عمّا ينفعه.

كما أخبرنا عن حال ابليس الذي كان من الجنّ في سورة الكهف وقال:

﴿وَإذ قُلنا لِلملائكةِ اسجُدوا لآدمَ فَسجَدوا إلاّ إبليسَ كانَ مِنَ ٱلجِنِّ فَفسقَ عَن أمرِ رَبِّه...﴾ (الآية ٥٠).

وفصّل القول سبحانه وتعالىٰ في أمر إبليس هذا في سورة الأعراف وقال جلّ اسمه:

﴿وَلَقَد خَلَقناكُم ثُمَّ صَوَّرناكُم ثُمَّ قُلنا لِلملائكةِ اسجُدوا لآدمَ فَسَجدوا إلاّ إبليسَ لَم يَكُن مِنَ السّاجدين* قالَ ما مَنعكَ ألاّ تَسجدَ إذ أمَرتكَ قالَ أنا خَيرٌ منهُ

خَلَقتنِي مِن نارٍ وَخَلَقتَهُ مِن طين* قالَ فَاهْبِط مِنها فَما يَكونُ لَك أن تَتكبَّرَ فيها فَاخرُج إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرين* قالَ أَنظِرني إلىٰ يَوم يُبعَثُون* قالَ إنَّكَ مِنَ المُنظَرين* قالَ فَبِما أغْوَيتَني لأقْعُدَنّ لَهم صِراطَكَ المُستَقيم* ثُمَّ لآتِيَنَّهم مِن بَينِ أيديهم وَمِن خَلفهم وَعَن أيمانِهم وَعَن شَمائِلهم وَلاتَجِدُ أكثرَهم شاكِرين* قال أخْرُجْ مِنها مَذْءُوماً مَدحُوراً لَمَن تَبِعَك مِنهُم لأملأنَّ جَهنَم مِنكُم أجمَعين﴾ (الآيات ١١ ـ ١٨).

إنّ هوىٰ النفس في هذا الجنّي المتمرّد على الله العزيز الجبّار أعظم من هوىٰ نفس كلّ ذي هوىٰ نفس.

وأيضاً أخبر الله تعالى في سورة الجنّ عن وجود هوىٰ النفس في عامّة الجنّ حيث ذكر جلّ أسمه انّ الجنّ قد بلغوا في متابعتهم لهوىٰ النفس أن يقعدوا من الملائكة مقاعد يسترقون سمع حديثهم، ولم يتركوا فعلهم الشائن حتّى بعث خاتم الأنبياء (ص)، ورماهم الله بالشهب الحارقة لهم، وفي الحديث أنّهم كانوا ينقلون ما يسمعون من الملائكة إلى الكهنة ويزيدون عليه من أكاذيبهم بغياً وطيشاً منهم وايذاء منهم لأولاد آدم (ع).

وأخبر الله عن ذلك ـ أيضاً ـ في سورة الجنّ في قوله تعالىٰ: ﴿فزادوهم رهقاً﴾ وأخبر عن مشاركة الجنّ للإنس في متابعة هوىٰ النفس وفي قولهم البعيد عن الحقّ علىٰ الله وأنّ منهم المسلمين وغير المسلمين.

وأخبر في سورة الأحقاف أنّ نفراً منهم حضروا تلاوة ـ الرسول ـ القرآن فذهبوا إلى قومهم منذرين وأخبروهم أنّ الله أنزل كتاباً بعد موسىٰ (ع) ـ وهو القرآن ـ وطلبوا من قومهم أن يؤمنوا به، وكذلك أخبر في سورة الجنّ عن مشاركة بعض الجن مع بعض الإنس في الظنّ بأنّ الله لن يبعث أحداً يوم القيامة.

ومن كل ذلك نستنتج وجود حاسّة العقل والإدراك الكامل في الجنّ كما هو في الإنسان، ودركهم لغة الإنسان واشتراكهم مع الإنسان في خاصّة التعلّم

بالمكالمة كما نفهم ذلك بصورة أجلىٰ في ما حكىٰ الله عن مكالمتهم مع سليمان في سورة النمل في الآيتين (١٧ و ٣٩).

هكذا يشترك الصنفان في جميع مجالات قوى النفس كما يشتركان ـ أيضاً ـ في مجالات العمل، كما أخبر الله سبحانه في سورة سبأ: أنّ الجنّ كانوا ﴿يعملون له ـ لسليمان ـ ما يَشاءُ مِن مَحارِيَب وَتَماثِيلَ وَجِفانٍ كَالجَوابِ وَقُدورٍ راسيات... ﴾ (الآيتان ١٢ ـ ١٣).

وقال في سورة الأنبياء:

﴿وَمِنَ الشَّياطِينِ مَن يَغُوصونَ لَهُ وَيَعملونَ عَمَلاً دونَ ذٰلِك...﴾ (الآية ٨٢).

وأشركهما في الهداية بدين الإسلام وإرسال الرسل إليهما، مبشّرين ومنذرين ومعلّمين، ليؤمنوا بالله وحده لايشركون به أحداً، وبرسله وكتبه وملائكته والبعث ويوم القيامة وما يتبعه من مشاهد يوم القيامة.

أمّا الأحكام فما كان منها في الآداب الاجتماعية مثل مساعدة الضعفاء والمحتاجين من المؤمنين وترك أذى الآخرين وما شابههما فهما يشتركان فيها، أمّا العبادات من صلاةٍ وصومٍ وحجٍ فلا بدّ أن تكون للجنّ بحسب حالهم كما أنّ بني آدم يختلف بعضهم عن بعضهم الآخر في الأحكام، مثل اختلاف أحكام الرجل عن المرأة والمريض عن المعافىٰ والمسافر عن المقيم إلىٰ غير ذلك.

نتيجة البحوث

خلق الله الملائكة جنوداً له في الألوهية والرّبوبية كما أخبر عن ذلك في الآيات التي ورد فيها ذكر الملائكة[11] ومن ثمّ خلقهم جلّ اسمه قبل غيرهم وكانوا حملة عرشه حين كان عرشه علىٰ الماء[12]، كما قال سبحانه في سورة هود:

---

(١١) راجع مادّة (ملك) من المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

(١٢) المقصود من العرش محلّ جنود الله من الملائكة العاملة لألوهيّة الله وربوبيته وأنّه كان

﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأرضَ في ستَّةِ أيّامٍ وَكانَ عَرشُهُ علىٰ الماء...﴾ (الآية ٧).

وخلق الله سبحانه السمٰوات وما فيها وما عليها ممّا نعلم من الملائكة وممّا لانعلم، وما تحتها ممّا نعلم من كواكب ونجوم وشموس وأقمار وبروج وممّا لانعلم، وخلق الأرض وما عليها وما فيها من مياه ونبات ومعادن من مرافق الحياة وما بين السمٰـوات والأرض من غازات وغيرها ممّا نعلم وممّا لانعلم، كلّ ذلك ممّا تحتاجه الأصناف الثلاثة، الحيوان، والجنّ، والإنس في حياتهم، ثم خلق الحيوان قبل خلق صنفي الجنّ والإنس لحاجتهما في حياتهما إليه، ثمّ خلق الجانّ قبل الانسان كما أخبر سبحانه في خبر خلق آدم (ع) أنّه أمر الملائكة ـ الذين كان إبليس الجنّي منهم ـ أن يسجدوا لآدم بعد خلقه، ثمّ خلق الإنسان بعد خلق جميع الأصناف من خلقه.

كان ذلكم خبر خلق الأصناف الأربعة من خلق الله سبحانه كما استنبطناه من آيات القرآن الكريم والروايات، وكما تقتضيه حاجة المتأخّر خلقه إلىٰ وجود الصنف المتقدّم عليه في الحياة، أمّا أنواع هدايتهم فلمّا كان الله ربّ العالمين منح الملائكة والإنس والجنّ العقل والإدراك كان نوع هدايتهم بالتعليم المباشر وغير المباشر كما أخبر سبحانه عن الملائكة أنّهم قالوا في خبر خلق آدم (ع):

﴿سُبحانكَ لا عِلمَ لَنا إلاّ ما علَّمتَنا﴾.

وأخبر عن صنف الإنسان أنّه سبحانه: ﴿علَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها﴾ وانّه: ﴿علَّمَ الإنسانَ مالَم يَعلَم﴾.

وأخبر عن صنف الجنّ في ما حكىٰ عنهم أنّهم تعلّموا القرآن واهتدوا به عندما سمعوا تلاوة الرسول (ص) للقرآن.

محلهم قبل خلق السموات والأرض على الماء.

ولمّا كان سبحانه منح صنف الحيوان ومطلق الدوابّ شيئاً من الإدراك كان نوع هدايتها بالإلهام الغريزي لكلّ فرد منها.

ولمّا كان سائر الخلق ما عدا المذكورين من الكواكب والنجوم حتى الذرّة لم يمنحهم الله شيئاً من الإدراك كانت هدايته لهم بالتسخير. كما فَصّل بيان كلّ ذلك في كتابه الكريم، وسمّىٰ النظام الذي شرّعه لهداية الإنسان بدين الإسلام، كما سندرسه بإذنه تعالىٰ في البحوث الآتية.

(٥)

الدِّين والإسلام

أ ـ معنىٰ الدِّين.

ب ـ الإسلام والمسلم.

ج ـ المؤمن والمنافق.

د ـ الإسلام اسم لجميع الشرايع.

هـ ـ تحريف الشرايع وأسمائها.

١ ـ تحريف اليهود والنصارىٰ كتاب الله ودينه.

٢ ـ تحريف اليهود والنصارىٰ اسم الديـن ومنشأ التحريف.

و ـ تناسب أحكام الإسلام مع فطرة الإنسان.

ز ـ الإنسان والنفس الأمّارة بالسوء.

ح ـ مشاركة الجنّ للإنس في شريعة الإسلام.

ـ أ ـ

الدِّين

استعمل لفظ الدين في الشرع الإسلامي في معنيين:

١ ـ الجزاء:

وانّ يوم الدين في القرآن الكريم هو يوم الجزاء، مثل قوله تعالى في سورة الفاتحة:

﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الآية ٤).

٢ ـ الشريعة، مُتَضَمِّناً معنى الطاعة والانقياد وأكثر ما استعمل الدين في الشرع الإسلامي، كان بهذا المعنى، مثل قوله تعالى في حكاية يوسف وأخيه في سورة يوسف:

﴿ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ في دِينِ المَلِكِ﴾ (الآية ٧٦).

أي: في طاعة الملك وشريعته.

وقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿إنَّ اللّهَ اَصْطَفىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ (الآية ١٣٢).

أي: الشريعة والطاعة، والانقياد لله.

- ب -

الإسلام والمسلم

الإسلام: هو الانقياد لله، ولِمَا أُنزِلَ من الشرائع والأحكام.

قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة آل عمران:

﴿إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلامُ﴾ (الآية ١٩).

والمسلم: هو المنقاد لله ولما أُنزِل من الشرائع.

وبناءً على هذا فإنَّ الاسلام في عصر آدم: هو الانقياد لله ولما أُنزِلَ على آدم من شريعة الله، والمسلم من انقاد لله ولما أُنزل على آدم من الشرائع، ويتضمن هذا الانقياد الإطاعة لآدم الذي اصطفاه الله لحمل شريعته في عصره.

وفي عصر نوح هو الانقياد لله ولما نُزِّل على نوح من الشرائع، وطاعة نوح باعتباره نبيّاً مرسلاً من قِبَل الله، والإيمان بصدق نبوّة آدم من قبلِه، والمسلم من آمن بذلك.

وفي عصر إبراهيم (ع): الانقياد لله ولما نُزِّل على نوح، وإطاعة إبراهيم (ع) المرسل من قبل الله، والإيمان بمن سبقه من الأنبياء والرسل حتى آدم.

وفي عصر موسىٰ (ع) وعيسىٰ (ع) كذلك.

وفي عصر خاتم الأنبياء (ص) كذلك.

وقد عيّن الله في عصر خاتم الأنبياء له حدّاً، وهو القول باللّسان:

«أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله».

ويُسمّىٰ هذا الحدُّ بالشهادتين.

ويلزم هذا الإقرار باللّسان، عدم إنكار أيِّ ضروريٍّ من عقائد الإسلام وأحكامه، وعدم إنكار نبوة الأنبياء السابقين المذكورين في القرآن الكريم، أي أن لاينكر ماأجمع عليه المسلمون أنّه من الإسلام، مثل وجوب الصلاة والصوم والحج، وحرمة شرب الخمر وأخذ الربا ونكاح المحرمات وأمثالها ممّا يعرف حكمه جميع المسلمين.

- ج -
المؤمن والمنافق

ومن ثمّ قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:

﴿قالَتِ الأعرابُ آمَنا قُلْ لَمْ تُؤمنُوا ولٰكِن قُولُوا أسلَمنا ولَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قلوبِكُم...﴾ (الآية ١٤).

المُـؤمِنُ من نَطَقَ بالشهـادتين بلسانه وآمن بقلبه بعقائد الإسلام وعمل بأحكامه، وإن صدرت منه مخالفة لأحكام الإسلام علم أنها معصية وعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره.

ويظهر الفرق بين المؤمن والمسلم يوم القيامة، أمّا في الدنيا فكلاهما تجري عليها أحكام الإسلام والمسلمين.

النِّفاق والمُنافِقُ

أ ـ نافق اليربوع: إذا ضرب برأسه النَّافِقاءَ من جحره ومرق منه؛ وذلك لأن لجحر اليربوع باباً ظاهراً يسمّىٰ (ٱلْقاصِعاءُ) ومخرجاً قد رقّق التراب من جانبه دون أن يظهر ذلك من سطح الأرض؛ فإذا هوجم من بابه القاصعاء ضرب برأسه النَّافِقاءَ ومرق منه وهرب، وعندئذ يقال: «نافق اليَرْبُوعُ».

ب ـ في المصطلح الإسلامي:

نافق الرجل نفاقاً: أظهر ٱلْإِسلامَ وعمل بعمله وأبطن ٱلْكُفْرَ؛ فهو مُنافِقٌ.

قال الله سبحانه في سورة ٱلْمنافِقونَ:

﴿إذا جَآءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَكَ لَرَسُولُ ٱللّهِ وَٱللّهُ يَعلَمُ إنكَ لَرَسُولُهُ وَٱللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً...﴾ (الآيتان ١ ـ ٢).

أي ٱتخـذوا ما يحلفون به ستراً سميكاً. إذاً فهم يسترون نفاقهم بستر سميك من اليمين الكاذبة، والله يكشف لِلْرَّسُولِ (ص) زيف قولهم.

وقال سبحانه في سورة ٱلنِّساءِ:

﴿إِنَّ الْمُنـافِقـينَ يُخَادِعونَ ٱللّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قَامُوا إِلىٰ ٱلصَّلاةِ قامُوا كُسَالىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ...﴾ (الآية ١٤٢).

- د -

الإسلام اسم لجميع الشرايع

جاء في القرآن الكريم ذكر الاسلام والمسلمين في شأن الأُمم السابقة كالآتي:

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في سورة يونس عن نوح (ع) أنه قال لقومه:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيتُم فَما سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ إن أَجْرِيَ إلاّ علىٰ اَللّهِ وأُمرتُ أن أكونَ مِنَ المسلِمِينَ﴾ (الآية ٧٢).

وأخبر سبحانه وتعالى عن إبراهيم (ع) وقال في سورة آل عمران:

﴿ما كانَ إبراهيمُ يَهُودياً ولانَصرانياً ولٰكِن كانَ حنيفاً مُسلِماً وَما كانَ مِنَ المشرِكِينَ﴾ (الآية ٦٧).

وقال عزّ أسمه في سورة البقرة:

﴿وَوَصّىٰ بِها إبراهيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يابَنِيَّ إنَّ اللّهَ اَصطفىٰ لكُم الدِّينَ فَلا تَموُتُنَّ إلاّ وَأَنتُم مسلِمون﴾ (الآية ١٣٢).

وقال في سورة الحج:

﴿وَما جَعَلَ علَيكُم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ مِلَّةَ أبيكُم إبراهيمَ هُوَ سَمّاكُمُ المسلِمينَ مِنْ قَبْل﴾ (الآية ٧٨).

وأخبر سبحانه في سورة الذاريات عن قرية قوم لوط (ع)، وقال:

﴿فَأَخرَجنا مَن كانَ فِيها مِنَ المؤمِنِين* فَما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ

المُسلِمين﴾(الآيتان ٣٥ ـ ٣٦).

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن موسى (ع) في سورة يونس أنه قال لقومه:

﴿ياقوم إن كُنتم آمَنتم بِاَلله فعليه تَوَكَّلوا إن كُنتم مسلِمين﴾ (الآية ٨٤).

وأخبر في سورة الأعراف عن سحرة فرعون قولهم:

﴿رَبَّنا أفرِغ علينا صَبراً وَتَوَفَّنا مسلِمين﴾ (الآية ١٢٦).

وأخبر في سورة يونس عن فرعون وقال عزّ اسمه:

﴿حَتَّىٰ إذا أدرَكَهُ اَلغَرَقُ قالَ آمَنتُ أنَّهُ لا إلهَ إلاّ الّذي آمَنَت بِهِ بَنُو إسرائيلَ وأنا مِنَ المسلِمين﴾ (الآية ٩٠).

وأخبر في سورة النمل عن سليمان (ع) أنه كتب لملكة سبأ:

﴿إنَّهُ مِن سُلَيمانَ وإنَّهُ بِسمِ اَللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم* ألاّ تَعلُوا عَلَيَّ وَأتُوني مُسْلِمين﴾ (الآيتان ٣٠ ـ ٣١).

وأنّه (ع) قال في السورة نفسها:

﴿يا أيُّها المَلأُ أيُّكم يَأتِيني بِعَرشِها قَبلَ أن يَأتوني مُسْلِمين﴾ (الآية ٣٨).

وقال سبحانه وتعالى عن شأن حواريّي عيسىٰ (ع) في سورة المائدة:

﴿وَإذْ أوحَيتُ إلىٰ اَلحَوارِيِّينَ أن آمِنُوا بِي وَبِرَسولي قالُوا آمَنّا وَاَشْهَد بِأنا مُسْلِمون﴾ (الآية ١١١)

وقال عزّ اَسمه في سورة آل عمران:

﴿فَلَمّا أحَسَّ عِيسىٰ مِنهُمُ اَلكُفرَ قالَ مَن أنصاري إلىٰ اَللّهِ قالَ الحَوارِيُّونَ نَحنُ أنصارُ اَللّهِ آمَنا بِاللّهِ وَاَشهَدْ بِأنّا مُسْلِمُون﴾ (الآية ٥٢).

ولم يقتصر مجيء هذا المصطلح بالنسبة الى الأُمم علىٰ ما جاء في القرآن الكريم، بل جاء مع ذكر خبرهم في مصادر الدراسات الإسلامية مثل ما رواه اَبن سعد بسنده إلى اَبن عباس أنه قال بعد ذكر خروج نوح من السفينة:

«وما بين نوح إلىٰ آدَمَ من الآباء كانوُا على الإسلام».

وقال في رواية بعدها:

«كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على الإسلام».

ونقل في تتمّة رواية ٱبن عباس أنه قال فيمن خرجوا من السفينة وسكنوا قرية:

«فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف كلُّهم على الإسلام»[١].

ـ هـ ـ

تحريف الشرايع السابقة وتحريف أسمائها

إنّ تسمية بعض الأديان بغير اسم الإسلام مثل اليهودية والنصرانية تحريف لاسم الدين، كفعلهم في تحريف الشريعة الربوبيّة، وبيان ذلك:

أ ـ تسمية اليهود:

إنّ اليهود، نسبة الى بلدة يهودا التي كانت في جبل صهيون في الجنوب الغربي من أُورشليم، والتي ٱتخذها داود عاصمة لملكه وبنىٰ فيها محلاّ للتابوت الذي كان فيه التوراة وسائر مواريث أنبياء بني إسرائيل ودفن فيها ملوكهم[٢].

ب ـ تسمية النصارىٰ:

النصراني نسبة إلى بلدة الناصرة في الجليل من فلسطين الذي عاش فيه

---

(١) طبقات ابن سعد، ط. أوربا ١/١٨.

وروى ابن كثير في تاريخه ١/١٠١ عن ٱبن عباس ـ أيضاً ـ روايته: «عشرة قرون كلُّهم على الإسلام».

(٢) قاموس الكتاب المقدس ـ فارسي ـ مادة (يهود) و (يهودا) و (صهيون).

عيسىٰ أبن مريم (ع) في صغــره، وأشتهـر عليه السّـلام في عصـره بعيسىٰ الناصري، وأشتهر تلاميذه ـ أيضاً ـ بسبب ذلك بالناصري[٣].

والمسيحية ـ أيضاً ـ نسبة إلى المسيح عيسىٰ ابن مريم، ولقّب أتباع المسيح بالمسيحيّين منذ سنة (٤١) ميلادية، وكانوا يقصدون من ذلك ذمهم[٤].

ج ـ تحريف الشريعة:

لمّا كانت معـرفـة الأُلوهية والربوبية أساساً لمعرفة العقائد والأحكام في الـدين فاننا نقتصر في بيان كيفية تحريف اليهود والنصارىٰ شريعتي موسى وعيسى (ع)، على بيان تحريفهما عقيدة الأُلوهية والربوبية في دينيهما:

أ ـ تحريف اليهود لشريعة موسىٰ (ع):

نذكر في مايأتي ملخصاً من الاصحاح الثاني وتمام الاصحاح الثالث من سفر التكوين من التوراة:

ملخص الاصحاح الثاني:

«غَرَسَ الرَّبُّ ٱلإلٰهُ جَنَّةً في عَدَنَ وأجرىٰ مِنْها أَرْبَعَةَ أنهارٍ، منها الفُراتُ وَجيحون، وغَرَسَ فيها الأشجارَ، وَغَرَسَ في وَسَطِ الجَنَّةِ شجرةَ الحياةِ وشجرةَ مَعْرفَةِ الخَيْرِ والشَّرِّ، وأَسْكَنَ فيها آدم، وأوصىٰ الرَّبُّ الإلٰهُ آدَم قائلًا: مِنْ جَميعِ شَجَرِ الجنَّة تأكل أكلًا، وأمّا شَجَرَةُ معرفة الخَيْرِ والشَّرّ فلا تأكل منها، لأنَكَ يومَ تأكُلُ مِنْهَا تَمُوتُ موتاً، وأوقَعَ سباتاً على آدم وأخذ واحدة من أضلاعه وخلق من الضلع حواء زوجة لآدم، وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ آدَمُ وَٱمْرَأتُهُ وَهُمَا لَايَخْجَلَانِ».

---

(٣) المصدر السابق مادة (الناصرة) و (الناصري).

(٤) المصدر السابق، مادة (المسيح) و (المسيحي).

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّالِثُ

١ وَكَانَتِ ٱلْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلَّتِي عَمِلَهَا ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ. فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ أَحَقًّا قَالَ ٱللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ. ٢ فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ نَأْكُلُ ٣ وَأَمَّا ثَمَرُ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْجَنَّةِ فَقَالَ ٱللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا. ٤ فَقَالَتِ ٱلْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ لَنْ تَمُوتَا. ٥ بَلِ ٱللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَٱللهِ عَارِفَيْنِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ. ٦ فَرَأَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَنَّ ٱلشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. ٧ فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ

٨ وَسَمِعَا صَوْتَ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ مَاشِيًا فِي ٱلْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ ٱلنَّهَارِ. فَٱخْتَبَأَ آدَمُ وَٱمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ. ٩ فَنَادَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ. ١٠ فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَٱخْتَبَأْتُ. ١١ فَقَالَ مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ. هَلْ أَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا. ١٢ فَقَالَ آدَمُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. ١٣ فَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِلْمَرْأَةِ مَا هٰذَا ٱلَّذِي فَعَلْتِ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ. ١٤ فَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِلْحَيَّةِ لِأَنَّكِ فَعَلْتِ هٰذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ ٱلْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. ١٥ وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ ٱلْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. ١٦ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِٱلْوَجَعِ

تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ ٱشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ. [17] وَقَالَ لِآدَمَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ ٱمْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةٌ ٱلْأَرْضُ بِسَبَبِكَ بِٱلتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. [18] وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ ٱلْحَقْلِ. [19] بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ

[20] وَدَعَا آدَمُ ٱسْمَ ٱمْرَأَتِهِ حَوَّاءَ لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. [21] وَصَنَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِآدَمَ وَٱمْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا

[22] وَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ هُوَذَا ٱلْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ. وَٱلْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى ٱلْأَبَدِ. [23] فَأَخْرَجَهُ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. [24] فَطَرَدَ ٱلْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ ٱلْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ

إذن فإنَّ الربَّ الإلهَ قد كَذِبَ علىٰ مخلوقِهِ آدم حين قال له: تموت موتاً إن أكَلْتَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الخَيْرِ والشرِّ، وإنَّ الحَيَّةَ أَعْلَمَتْ حوّاءَ حقيقةَ الأمرِ وَكِذْبَ الرب الإلهِ، فأكَلا مِنَ الشَّجَرَةِ فتفتَّحَتْ أعْيُنُهُما وأدركا أنَّهما عُرْيانانِ، واختبئا لَمّا سَمِعا صَوْتَ الرَّبِّ الإلهِ ماشياً في الجَنَّةِ ولَمْ يَعْرِفِ الربُّ مَكانَهُما وَنادىٰ الرَّبُّ الإلهُ آدمَ! أيْنَ انتَ؟ فأخْبَرَهُ آدَمُ أنَّهُ اختبأ لأنهُ عُريان، وَسألَ الرَّبُّ الإلهُ آدمَ كَيْفَ عَرَفَ أنَّهُ عُرْيانٌ وَهَلْ أكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فأخْبَرَهُ آدمُ بحَقيقةِ الأمْرِ فَغَضِبَ الرَّبُّ الإلهُ علىٰ آدَمَ وحوّاءَ والحيَّةَ وأعادَهُمْ إلىٰ الأرضِ وَعاقَبَهُم علىٰ فِعْلِهِم، وَلَمّا رَأىٰ الرَّبُّ الإلهُ أنَّ هذا المَخْلُوقَ أصْبَحَ عارفاً الخيرَ والشرَّ مِثْلَهُ، وَخَشِيَ أنْ يَمُدَّ يدَهُ إلىٰ شَجَرَةِ الحياةِ وَيأكُلَ مِنْها فَيَحْيا إلىٰ الأبدِ طَرَدَهُ مِنَ جَنَّـةِ عَدْنٍ، وأقام في طريق شجرة الحياة حرساً من الكرُّوبين لئلّا

يقربها الإنسان.

ما أضعفَ ٱلربَّ الإلٰه هذا ـ تعالى الله عمّا يصفون ـ حين يخشىٰ مخلوقَهُ أن يصبح مثله، ويتّخذ كل الإجراءات لمنعه من الرقيّ إلى درجته.

وما أكذبه وأحيَلَهُ حين ٱحتال على مخلوقه وكَذِبَ عليه بها بانَ كَذِبُهُ فيما بعد.

وما أظلمه حين عاقب الحيَّة على صدق قولِها لحوّاء.

ولم أعرف ماذا يقصد بـ (هو ذا الإنسان صار كواحدٍ منّا)، هل يقصد أنَّ هناك غير الربّ الإلٰه الواحد آلهة وأرباباً آخرين حين ورد لفظ (منّا) بصيغة الجمع؟

وأخيراً ماهو أثر هذه المعرفة على من ٱعتقد بصحة التوراة حين يقرأ فيها أنّ الإلٰه الربَّ يكذب ويحتال ويمنع الإنسان من الوصول إلى درجة الكمال لخوفه من هذا الإنسان؟! سبحان الله وتعالى عمّا يقوله الظالمون علوّاً كبيراً.

ب ـ تحريف النصارىٰ:

كان ماذكرناه مشتركاً بين اليهود والنصارىٰ، واختصّ النصارى بتحريف في عقيدة الأُلوهية والربوبية كالآتي بيانه:

التثليث عند النصارىٰ:

قالت النصارىٰ: المسيح ٱبن الله، والله أبوه، وهما مع روح القدس شيء واحد وهو الله، فالله الواحد ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، والثلاثة (الله وعيسى وروح القدس) واحد وهو الله. إنَّ الثلاثة واحد، وإنّ الواحد ثلاثة.

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ... * وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَابَنِي

إسرائيلَ اعبُدوا اللّهَ رَبّي وَرَبَّكُم إنّهُ مَنْ يُشرِكْ باللّهِ فقد حَرّمَ اللّهُ عليهِ الجَنّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالمينَ مِن أنصار* لقد كَفَرَ الّذينَ قالوا إنَّ اللّهَ ثالثُ ثَلاثةٍ وَما مِنْ إلهٍ إلاّ إلهٌ واحدٌ*... مَا المَسيحُ ابنُ مَريَمَ إلاّ رَسولٌ قد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ وأُمّهُ صِدّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطّعامَ انظُرْ كَيفَ نُبَيِّنُ لهم الآياتِ ثُمّ انظُرْ أنّى يُؤفَكون﴾ (الآيات ٧٢ ـ ٧٥).

وقال عزَّ اسمه في سورة النساء:

﴿ياأهلَ الكتاب لاتَغلُوا في دِينِكُم وَلاتَقُولُوا عَلى اللّهِ إلاّ الحقّ إنّما المَسيحُ عِيسى ابنُ مَريَمَ رَسولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَريَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فآمِنوا باللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاتَقُولُوا ثَلاثةٌ انتَهُوا خيراً لكم إنّما اللّهُ إلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أن يَكونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السّمٰواتِ وَما في الأرضِ وَكَفى باللّهِ وَكيلاً﴾ (الآية ١٧١).

وصدق الله وكَذِبَ المُحَرِّفون وتعالى الله عمّا يقولهُ الظالمون.

* * *

واذا كان الأمر كما بيّنّاهُ ـ وهو كما بيّنّاه ـ بأنّ الدين عند الله هو الإسلام، وأنّ تسمية الدين بغير الإسلام تحريف، وأنّ اليهودية والمسيحية محرّفتان اسماً وشريعة؛ فما هو الإسلام الصحيح؟ وما هي شريعة الإسلام؟

ـ و ـ
وتناسب أحكامِهِ مع فطرة الإنسان

الإسلام من القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الروم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطرَةَ اللّٰهِ ٱلّتي فَطَرَ النّاسَ عليها لاتَبدِيلَ لِخَلقِ ٱللّٰهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ القَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لايَعلمُون﴾ (الآية ٣٠)

شرح الكلمات

أ ـ حَنِيفاً

الحَنَفُ: الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والجَنَفُ: الميل عن الاستقامة الىٰ الضلال، والحَنِيفُ: المائل عن الضلال الىٰ الحق.

والحنيفُ: المخلص الذي أسلَمَ لأمرِ الله فلم يلْتَوِ في شيءٍ من دينه.

ب ـ فَطَرَ:

فطر الأمر: اخترعه، وفطر الله العالم: أوجده أبتداءً.

وعلىٰ هذا يكـون معنىٰ الآية: إنّ الله بعـد أن ذكـر قبـل هذه الآية أنواعاً من ضلال الضالّين عن طريق الإسلام، وأشار إلى صالح الأعمال، فرّع على ذلك وقال سبحانه وتعالىٰ:

فأقم وجهك للدين ـ والدين عند الله الإسلام ـ مائلاً عن الضلالة إلى

الاعتدال الذي هو الحق، وإنّ إقامة الوجه الى دين الإسلام هي مقتضىٰ فطرة الإنسـان التي فطره الله عليها، ولا تبديل لفطرة الله، ولذلك لاتبديل لدينه المتناسب مع فطرة الإنسان، والاتساق مع الفطرة هو الدين القيِّمٌ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون.

وشأن جميع ذوات الأرواح شأن الإنسان في ذلك، فإنْ النحلة ـ مثلًا ـ بفطرتها وهدايتها الغريزية التي أوجدها الله في تكوينها تجرسُ من أنوار الزهر ما هو صالـح للتعسيل، وأحياناً تخالف فطرتها وهدايتها وتجرس مالا يصلح للتعسيل ويضرُّ بصالح الخليَّة، فيتقدّم إليها حرس الخليَّة ويقطِّعونها إرباً.

والدجاجة بفطرتها والهداية الغريزية التي أوجدها الله فيها تلتقط ما طاب من الحبّ والخضار، وإذا خالفت الهداية الربوبية الغريزية لها وتناولت الغائط النجس شرعاً سمِّيت: بالجلّالة، وتتنجس، ولايؤكل لحمها حتى تتناول الحبَّ الطَّيِّبَ ثلاثةَ أيام.

وحكم الـربّ بالنسبة الى جميع الخلق واحد يهديهم إلى القيام بالعمل النافع لهم والاجتناب عن العمل الضّارِّ لكيانهم، وبالنسبة الى الانسان قال تعالى في سورة المائدة:

﴿يَسْأَلونَكَ ماذا أُحِلَّ لَهُم قُلْ أُحِلَّ لَكُم الطيِّباتِ...﴾ (الآية ٤).

وقال تعالىٰ في سورة الأعراف:

﴿آلّـذينَ يَتّبِعُـونَ الـرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ آلّذي يَجِدُونَهُ مَكتوباً عندهم في التَّـوراةِ والإنجيلِ يَأمـرهم بِآلمعروفِ وَيَنهاهم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لهم آلطَّيِّباتِ وَيُحرِّمُ عليهِمُ الخَبائث﴾ (الآية ١٥٧).

وملاك الأمر في الأحكام الإسلامية: النفع والضرر للانسان، وإنَّما حَرَّمَ الخبائث لأنها ضارَّة له، وأحلَّ الطيبات لأنَّها نافعة له.

ويؤيّد ذلك قوله تعالى في سورة الرعد:

﴿فَأَمّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنْفَعُ ٱلنّاسَ فَيَمكُثُ في الأرض﴾ (الآية ١٧).

وقوله تعالى في سورة الحج:

﴿وَأَذِّنْ في النَّاسِ بالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعلىٰ كُلِّ ضامِرٍ يَأتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميق * لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لهم...﴾ (الآيتان ٢٧ ـ ٢٨).

وقال قبله وفي السورة نفسها:

﴿يَدعُو مِن دُونِ ٱللّهِ مَا لايَضُرُّهُ وَمَا لايَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعيد * يَدعُو لَمَن ضَرُّهُ أقرَبُ مِن نَفعِه..﴾ (الآيتان ١٢ ـ ١٣).

وحـرَّم الله ٱلربُّ ما فيه نفع للإنسان وضرر، ولكنَّ ضرره أكبر كما قال سبحانه في سورة البقرة:

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ ٱلخَمرِ وَ ٱلَميسِرِ قُل فِيهما إثمٌ كبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَإثمُهُما أكبَرُ مِن نَفعِهِما﴾ (الآية ٢١٩).

وتتّسع دائرة النفع والضرر وتتسع تبعاً لها دائرة الحلال والحرام للمخلوق بأتساع أبعاد وجوده، والإنسان أوسع المخلوقات في أبعاد وجوده، فكانت الحكمة تقتضي مراعاة النفع والضرر له في أبعاد وجوده. فإنّ الإنسان الذي له جسد تضرّ جسده أشياء وتنفعه أشياء، ولذلك فقد أَحَلَّ الله للإنسان ما ينفع جسده مثل أكل الطيّبات، وحرَّم عليه ما يضرُّ جسده مثل أكل الخبائث.

وأمثال هذه الأحكام للإنسان بمفرده، سواء أعاش وحده في كهوف الجبال وأدغال الغابات أم عاش في المجتمعات الانسانية، أم عاش على كوكب آخر غير الارض.

وبما أنَّ الله قد جعل كمال حياة الإنسان في الحياة الاجتماعية لذلك فقد أحلَّ الله للإنسان ـ أيضاً ـ ماينفع المجتمع مثل التجارة، وحرَّم عليه ما يضرُّ

المجتمع مثل الرِّبا والقمار.

ولما كانت له نفس ـ وتهذيب النفس من ضرورات الحياة ـ فقد فرض عليه الحجّ لما فيه من تهذيب النفس ومشاهدة منافع أُخرى، وحرَّم عليه مايضرَّ المجتمع وأرشده إلى ما فيه نفع المجتمع.

وقال تعالىٰ في سورة الحجرات:

﴿إنّما المؤمِنونَ إخوَةٌ فأَصلِحُوا بين أخَوَيكُم...* يا أيُّها ٱلّذينَ آمنُوا لايَسْخَرْ قَومٌ مِن قَومٍ عَسىٰ أن يَكُونُوا خَيراً مِنهم وَلا نِساءٌ مِن نِساءٍ عَسىٰ أن يَكُنَّ خيراً مِنهنَّ ولا تَلمِزُوا أنفُسَكم وَلاَ تنابَزُوا بالألقابِ بِئسَ الاسمُ ٱلفُسُوقُ بعد ٱلإيمانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمونَ* يَا أيُّها ٱلّذينَ آمَنوا ٱجتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغتَبْ بَعضُكُمْ بَعضاً أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحمَ أخيهِ مَيْتاً فَكَرِهتُمُوهُ وَٱتَّقوا ٱللّهَ إنّ اللّهَ توّابٌ رَحيم﴾ (الآية ١٠ ـ ١٢).

وكذلك شأن التشريع الإسلامي فإنّه متناسب مع فطرة الإنسان في كلّ زمان ومكان. لذلك نجد في القرآن الكريم أنّ الله تبارك وتعالىٰ قد فرض الصلاة والصوم والزكاة على الأُمم السابقة كما فرضها علينا، وحكى سبحانه وتعالى في هذا الشان عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وقال في سورة الأنبياء:

﴿وَجَعَلنَاهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأمرِنا وَأوحَينَا إليهم فِعلَ ٱلخَيراتِ وَإقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ ٱلزَّكاة...﴾ (الآية ٧٣).

وحكىٰ في سورة مريم عن عيسىٰ (ع) أنّه قال:

﴿وَأوصاني بالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ مادُمتُ حَيّاً﴾ (الآية ٣١).

وَقالَ عن إسماعيلَ صادِق ٱلوَعْد في سورة مَرْيَم كذلك أنّه (ع):

﴿كانَ يَأمُرُ أهلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرضِيّاً﴾ (الآية ٥٥).

وأمَرَنا ٱللّهُ تعالىٰ بالصوم، فقال في سورة البقرة:

﴿يَاأيُّهَا ٱلّذينَ آمنُوا كُتِبَ عليكم ٱلصِّيامُ كَما كُتِبَ علىٰ ٱلّذينَ مِن قَبلِكُم

لعلّكم تتّقونَ﴾ (الآية ١٨٣).

وَنهانا عن الرِّبا كما نهى الأُمم السابقة عنـه، وأخبر عن بني إسرائيل في سورة النساء وقال:

﴿وأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَا وَقَدْ نهُوا عنه...﴾ (الآية ١٦١).

وكتب علينا في القصاص ما كتبه علىٰ من كان قبلنا كما أخبر سبحانه في سورة المائدة عن التوراة وقال:

﴿إنّا أنزلْنا ٱلتّوراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحكُمُ بِها ٱلنّبِيُّونَ ٱلّذينَ أسلَموا لِلّذينَ هادُوا... * وَكَتَبنا عليهم فِيها أنّ النّفسَ بِالنّفسِ وَٱلعَينَ بِٱلعَينِ وَٱلأنفَ بِالأنفِ وَٱلأُذُنَ بِالأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصاص...﴾ (الآية ٤٥).

وعندما قال سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة:

﴿وَٱلوالِداتُ يُرضِعْنَ أولادَهُنَّ حَولَينِ كامِلَينِ لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ ٱلرَّضاعةَ...﴾ (الآية ٢٣٣).

جعل ذلك نظاماً للإنسان الطفل منذ أوّل مولود ولد لآدم وحوّاء، ولكلّ طفل يولد بعده على أيِّ أرض كان، لايختصّ بشريعة دون أُخرى، لأنّ هذا النظام متناسب مع فِطْرَةِ اللّهِ ٱلّتي فَطَرَ ٱلنّاس عَلَيْهَا لاتَبْديلَ لِخَلْقِ ٱللّه. ولذلك لاتبديل لدين الله، ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون.

وإذا كان الأمـر كذلـك فلماذا يخالف الإنسان أحكام الله المتناسبة مع فطرته؟ هذا ماسندرسه في البحث الآتي إن شاء الله تعالىٰ.

- ز -

الإنسان والنفس الأمّارة بالسوء

عرفنا ممّا سبق أنّ في غير صنف أصحاب الهداية التسخيرية من ذوات

الأرواح من الخلق ما تخالف هداية الربِّ الغريزية لها مثل الدجاجة التي تتناول غائط الانسان النجس بدل التقاط ما طاب من الحبّ والخضار فتُستبرأ بإطعامها ثلاثة أيّام ممّا طاب وطهر من الطعام.

والنحـل التي تجـرس من نَوْرِ الأزهار ما يضرُّ عمل التعسيل في خلية النحل فتمزقها الحرس في مدخل الخلية حفظاً لبقاء نوعها وإدامةً لحياتهم.

وكذلك شأن البشر فإنّ فيهم من يخالف النظام الملائم لفطرة الإنسان والذي هداه الربُّ إليه بواسطة الأنبياء اتباعاً لهوىٰ نفسه. وبيان ذلك أنّ الله تعالىٰ فضّل الإنسان علىٰ ذوات الأرواح بمنحه النفس الإنسانية التي لا يعرف أبعاد وجودها غير خالقها، وممّا امتازت به تلكم النفس: العقل الذي به يسخّر الإنسان جميع ما يراه من الخلق من الذرة إلىٰ ما لا نعرف اليوم نهايته.

وقال سبحانه في وصف النفس في سورة الشمس:

﴿وَنَفسٍ وَما سَوَّاهَا* فَأَلْـهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْواها﴾ (الآيتان ٧ ـ ٨).

شرح الكلمات

نَفْس:

جاءت النفس في اللّغة العربية لعدّة معانٍ منها:

أ ـ الـروح التي بهـا الحياة، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت، ويقال: خرجت نفس المحتضر.

ب ـ الشيء ذاته و حقيقته ونفس الانسان والجن من هذا الباب.

ج ـ الشيء عينه، ويقال في مقام التأكيد: جاءني محمد نفسه.

د ـ ماتقع موقع القلب. ويكون بها التمييز والادراك، والاحساس لما يحيط به، وتفارقه في النوم وعندما يغيب وعيه، وهي التي توجهه إلى أفعال الخير والشرّ.

ويقال: أمرتني نفسي وسوّلت لي نفسي فعل السوء[٥]، وهذا المعنى هو المراد من النفس في الآية الكريمة.

سَوّاها:

أتمّ خلقها حتىٰ بلغت درجة الكمال وتهيأت لقبول الهداية.

فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقواها:

ألقىٰ في النفس إحساساً تُفرِّق به بين الضلال والهدى. ويُعَبَّرُ عن ذلك في عصرنا بالضمير.

ومن صفات هذه النفس وأفعالها مايشترك الإنسان فيها مع صنف الحيوان من الحُبّ والرضا، والرغبة والهوىٰ، والكره والبغض والنفور، مضافاً إليها ما ذكرناه من العقل الذي يميّز به الخير من الشرّ، والخبيث من الطيِّب.

ويثاب الإنسان إذا اتُّبِع إرشاد عقله وترك الشرور والخبائث، ويعاقب إذا خالف حكم العقل واتَّبع هوى نفسه، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة النازعات:

﴿وَأَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفسَ عَنِ ٱلهَوىٰ * فإنَّ ٱلجنَّةَ هِيَ المَأوىٰ﴾ (الآيتان ٤٠ ـ ٤١).

وفي سورة مريم وصف قوماً وقال جلّ اسمه:

﴿أضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ (الآية ٥٩).

وكما أنّ في داخل النفس الإنسانية قوّتين متكافئتين من دوافع الخير ونوازع الشرّ، فكذلك جعل الله للإنسان من خارج نفسه فريقين:

فريقاً يدعونه إلى الهدىٰ وترك هوىٰ النفس، وهم الأنبياء وأتباعهم.

---

(٥) راجع مادة: (نفس) في مفردات الراغب ومعجم الفاظ القرآن الكريم، وقد قسّم المعنى الرابع إلىٰ ثلاثة أقسام ورأيناها واحدة كما ذكرناها.

وفريقاً يدعونه إلى الضلال ومتابعة هوىٰ النفس، وهم شياطين الجنّ والإنس.

ولاسلطان لأيٍّ من الفريقين علىٰ الإنسان، وإنّما يُزيّن للإنسان كلّ فريق ما هو أهله من الضلال والهدىٰ، كما أخبر سبحانه في سورة الحجر عن الشيطان أنّه قال عندما طرده من الجنّة:

﴿رَبِّ بِما أغوَيتَني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض...﴾ (الآية ٣٩).

وفي سورة إبراهيم أخبر عن خطابه لمن تبعه يوم القيامة وقال سبحانه:

﴿وَقالَ الشَّيطانُ لَـمّا قُضِيَ الأمرُ إنَّ اللّهَ وَعَدَكُم وَعْدَ ٱلحَقِّ وَوَعَدْتُكُم فَأَخلَفتُكُم وَمـا كانَ لِي عَلَيكُم مِن سُلطانٍ إلّا أن دَعَـوتُكُم فَٱستَجَبْتُم لي فَلا تَلُومُوني وَلُومُوا أنفُسَكُم...﴾ (الآية ٢٢).

وكـذلـك شأن الأنبياء مع النـاس كما قال سبحـانـه في خطابـه لخاتم أنبيائه (ص) في سورة الغاشية:

﴿فَذَكِّر إنّما أنتَ مُذَكِّر * لَستَ عَلَيْهِم بِمُسَيطِر﴾ (الآيتان ٢١ ـ ٢٢).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البلد:

﴿وَهَدَيناهُ النَّجدَين﴾ (الآية ١٠).

أي: طريقي الخير والشر.

وقال سبحانه في سورة الإنسان:

﴿إنّا هَدَيناهُ ٱلسَّبيلَ إمّا شاكِراً وَإما كَفُوراً﴾ (الآية ٣).

وقال عزّ وجلّ في سورة البقرة:

﴿لا إكراهَ فِي الدِّين قَد تَبَيَّنَ ٱلرُّشدُ مِنَ ٱلغَيِّ فَمَن يَكفُرْ بالطّاغُوتِ وَيُؤمِنْ باللّهِ فَقَد ٱستَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقىٰ لا ٱنفِصامَ لَها وَاللّهُ سَميعٌ عَليم * ٱللّهُ وَليُّ ٱلّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ ٱلنُّورِ وَالّذينَ كَفَرُوا أولياؤُهُمُ ٱلطاغُوت يُخرِجُونَهُم مِنَ ٱلنُّورِ إلىٰ الظُّلُماتِ أُولئِكَ أصحابُ ٱلنّارِ هُمْ فِيها خالدون﴾ (الآيتان

٢٥٦ ـ ٢٥٧).

ومن ثَمّ يكون الإنسان مسؤولاً عن عمله كما قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الزّلزلة:

﴿فمَن يَعمَلْ مِثقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه * وَمَن يَعمَلْ مثقال ذَرَّةٍ شرّاً يَرَه﴾ (الآيتان ٧ ـ ٨).

* * *

كان ذلكم ما اخبر الله عن الانس ويشاركهم الجن في ذلك كما مر بنا الاشارة إليه في بحث اصناف الخلق وتفضيله كالآتي بيانه باذنه تعالىٰ:

ـ ح ـ
مشاركة الجنّ للإنس في شريعة الإسلام

قال سبحانه:

أ ـ في سورة الأحقاف:

﴿وَإذْ صَرَفنا إليكَ نَفراً مِنَ الجِنِّ يَستَمِعُونَ ٱلقُرآنَ فَلَما حَضَرُوهُ قالُوا أَنصِتُوا فَلَمّا قُضِيَ وَلَّوا إلىٰ قَومِهِم منذِرينَ * قالُوا ياقَومَنا إنّا سَمِعنا كِتاباً أُنزلَ مِن بَعدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بين يَدَيهِ يَهدي إلىٰ ٱلحَقِّ وَإلىٰ طَريق مستقيم * ياقَومَنا أَجيبُوا داعِيَ ٱللّهِ وَآمِنُوا بِه...﴾ (الآيات ٢٩ ـ ٣١).

ب ـ في سورة الجنّ:

﴿قُل أُوحِيَ إليَّ أنَّهُ ٱستَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلجنّ فَقالوا إنّا سَمِعنا قُرآناً عَجَباً * يَهدي إلىٰ ٱلرُّشدِ فَآمَنّا بِهِ وَلَن نشرِكَ بِرَبّنا أَحداً * وَأَنَّهُ تَعالىٰ جَدُّ رَبّنا ما ٱتَّخَذَ صاحِبةً وَلا وَلَداً * وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا علىٰ ٱللّهِ شَطَطاً * وَأَنّا ظَنَنّا أن لَنْ تقولَ ٱلإنسُ وَٱلجِنُّ علىٰ ٱللّهِ كَذِباً * وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ ٱلإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ ٱلجِنّ فَزادُوهُم

رَهَقاً* وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنتُم أن لن يَبعَثَ ٱللّهُ أَحداً* وَأَنّا لَمَسنا ٱلسَّماءَ فَوَجدناها مُلِئَت حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً* وَأَنّا كُنّا نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ فَمَن يَستَمِعِ ٱلآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً* وَأَنّا لانَدرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلأَرْضِ أَم أَرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَداً* وَأَنّا مِنّا ٱلصّالِحُونَ وَمِنّا دُونَ ذٰلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً* وَأَنّا ظَنَنّا أَن لَن نُعجِزَ ٱللّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُعجِزَهُ هَرَباً* وَأَنّا لَمّا سَمِعنا ٱلهُدىٰ آمَنّا بِهِ فَمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخساً وَلا رَهَقاً* وَأَنّا مِنّا ٱلمسلِمونَ وَمِنّا ٱلقاسِطُونَ فَمَن أَسلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوا رَشَداً* وَأَمّا ٱلقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً* وَأَلَّوِ ٱستَقامُوا عَلىٰ ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسقَيناهُم ماءً غَدَقاً﴾ (الآيات ١ ـ ١٦).

ج ـ في سورة الأنعام:

﴿وَيومَ يَحشُرُهُم جَميعاً يامَعشَرَ ٱلجِنِّ قَدِ ٱستَكثَرتُم مِنَ الإِنسِ وَقالَ أَولياؤُهُم مِنَ الإِنسِ رَبَّنا ٱستَمتَعَ بَعضُنا بِبَعضٍ وَبَلَغنا أَجَلَنا الَّذي أَجَّلتَ لَنا قالَ النّارُ مَثواكُم خالِدِينَ فيها إِلّا ماشاءَ ٱللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ*... يامَعشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَم يَأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصُّونَ عَلَيكُم آياتي وَيُنذِرُونَكُم لِقاءَ يَومِكُمْ هٰذا قالُوا شَهِدْنا عَلىٰ أَنفُسِنا وغَرَّتهُمُ الحَياةُ ٱلدُّنيا وَشَهِدُوا عَلىٰ أَنفُسِهِم أَنَّهم كانوا كافِرينَ﴾ (الآيات ١٢٨ و ١٣٠).

شرح الكلمات

أ ـ جَدُّ:

الجَدُّ هنا: العظمة والجلال.

م ـ غَدَقاً:

غَدِقَ الماء غَدَقا: كثر، وهم في غدق من العيش: في نعمة وخصب.

تفسير الآيات:

وبعد بعثة خاتم الأنبياء صرف الله نفراً من الجنّ للاستماع الى تلاوة رسول الله (ص) القرآن، فقال بعضهم لبعض «أنصتوا»، فلمّا أنتهى الرسول (ص) من تلاوة القرآن آنصرفوا إلى قومهم ينذرونهم، وقالوا: «ياقومنا إنّا سمعنا كتاباً ـ أي القرآن ـ أنزل بعد موسىٰ مصدّقاً للكتب التي نزلت قبله يهدي إلى الحق، وياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به فإنّا آمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً، وإنّ ربّنا تعالى عن أن يتّخذ صاحبة أو ولداً، وإنّ رجالاً من الإنس ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً، وإنّ منّا ـ معاشر الجنّ ـ الصالحون ومنّا دون ذلك، وكانت سيرتنا مختلفة، وإنّ منّا المسلمين ومنّا الظالمين الجائرين عن الحقّ، وإنّ المؤمنين بربّهم لايخافون بخساً في حقّهم ولاجوراً يغشاهم، أمّا الظالمون الجائرون عن الحقّ فإنّهم حطب جهنم يعذّبون فيها، وذلك اليوم هو اليوم الذي يحشر الله فيه الجنّ والإنس جميعاً، وبعد اعتراف المذنبين منهم بذنوبهم يقول الله لهم: إنّ النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله واقتضت مشيئته أن يرحمه من المذنبين. في ذلك اليوم يقول الله لهم: يامَعْشَرَ الجنِّ! أَلَمْ يأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُم؟ فيشهدون عَلى أنفسهم بالكفر».

يستنبط من قول الجن ﴿انّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسىٰ... يا قوم اجيبوا داعي الله﴾ ان الجن يشاركون الانس في الهداية بكتب اصحاب الشرايع: اولوا العزم من الرسل ولعلّ هؤلاء المنذرين هم المقصودون بقوله تعالىٰ: ﴿الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم وينذرونكم لقاء يومكم...﴾.

تفسير الآيات من الروايات

في صحيح مسلم وغيره، واللّفظ لمسلم عن ابن عباس قال:

انطلقَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشهب فقالوا: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلّا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أُولئك الذين ذهبوا نحو تهامة الى النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرُّشد فآمنّا به، ولن نشرك بربّنا أحداً، فأنزل الله علىٰ نبيّه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، وإنّما أُوحي إليه قول الجنّ[٦١].

وفي البحار عن تفسير علي بن إبراهيم القمّي في تفسير ﴿يَاقَوْمَنا إنّا سَمِعْنا﴾ من سورة الأحقاف قال:

وكان سبب نزول هذه الآية، أنّ رسول الله (ص) خرج من مكّة الىٰ سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة، يدعو الناس الىٰ الإسلام، فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، ثمّ رجع إلى مكّة، فلمّا بلغ موضعاً يقال له: وادي مجنّة تهجّد بالقرآن في جوف اللّيل، فمرّ به نفر من الجنّ، فلمّا سمعوا قراءة رسول الله استمعوا له، فلمّا سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: «أنصِتُوا» يعني اسكتوا.

«فلمّا قضىٰ» أي فرغ رسول الله (ص) من القراءة ﴿وَلَّوْا إلىٰ قَومِهِم مُنذِرينَ قالُوا ياقومَنا إنّا سَمِعنا كِتاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بين يَدَيه يَهدِيَ إلىٰ الحَقِّ وإلىٰ طَريقٍ مُستقيم، ياقومَنا أجيبوا داعِيَ اللّهِ وَآمِنوا بِه﴾ إلى

---

٦١) صحيح مسلم، كتاب الصّلاة، باب الجهر بالقراءة، ح ١٤٩، ص ٣٣١. وصحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الجنّ، ٣/ ١٣٩.

قوله: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فجاءوا إلى رسول الله (ص) يطلبون شرايع الإسلام فأسلموا وآمنوا، وعلّمهم رسول الله (ص) شرائع الإسلام.

فأنزل الله علىٰ نبيّه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ السورة كلّها، فحكىٰ الله قولهم وولّىٰ رسول الله (ص) عليهم منهم، الحديث.[٧]

نتيجة البحث

إنّ الجنّ كالإنس في وصول كتب الله إليهم مثل التوراة والقرآن، وإن في الجنّ ـ كما في الإنس ـ من بلغ درجة المنذرين لأقوامهم، وإنّ هؤلاء المنذرين أخبروا قومهم عن القرآن أنّه مصدِّقٌ لكتب الله السابقة ـ بكل ما في كلمة المصدّق من معنىً يدلّ على صدق القرآن ـ وإنّ في الجنّ مشركون بالله الربّ كما في الإنس، ويفهم من سياق الآيات أنّ الجنّ كانوا يعتقدون أنّ لله ولداً كما يعتقد بعض الإنس أنّ المسيح هو ابن الله. وإنّ أفراداً من الجنّ كرجال من الإنس يظنّون أن لن يبعث الله أحداً، وليس بعد هذه الحياة حياة وحشر.

وخلاصة القول: إنّ الجنّ كالانس فيهم المسلمون المؤمنون بربّهم، وفيهم الكافرون. أمّا المؤمنون بربّهم وبكلّ ما ذكرناه فإنهم هم الفائزون يوم القيامة، وأمّا الكافرون فإنّهم سيعذّبون بنار جهنم ويكونون لها حطباً.

وهكذا نجد أنّ الجنّ والإنس يشتركان في العقائد ومنها المشرك القائل بأنّ لله ولداً، ومنها أعداء الأنبياء، ومنها الموسوس لغيره لإغوائه، ومنها المسلم المؤمن بالله ورسله وكتبه، وأنّهما جميعاً يحشران ويحاسبان ويعذّبان. إن الصنفين يشتركان في كلّ ذلك، أمّا كيفية عمل صنف الجنّ بالأحكام فلا بدَّ أن يكون بالنسبة لهم بما يتناسب وفطرتهم التي فطرهم الله عليها.

---

(٧) البحار، ٦٣/ ٨٢، نقلاً عن تفسير القمّي، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤.

إذاً فالإسلام هو دين الله وشريعته للإنس والجنّ والذي بلغهما بواسطة الرسل أصحاب الشرائع ومن جاء بعدهم من أوصيائهم، كما سنبيّنه في البحث الآتي بحوله تعالى.

- ٦ -

مبلِّغون عن الله
ومُعلِّمون للناس

أ ـ معنى النبيّ والرّسول والوصيّ.

ب ـ أخبار الرسل والأوصياء في الكتب السماوية وفي السيرة والتاريخ.

ج ـ تعريف الآية ـ المعجزة ـ وكيفيّتها.

- ١ -
النبيُّ والرسولُ والوصيُّ

أ ـ النبيُّ والنبوَّة:

النبوَّة في اللُّغة: الرفعة وعلوّ المنزلة، وورد النبيُّ في قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ما كانَ لِبشرٍ أنْ يُؤتيَهُ اللّهُ الكتابَ وَالحُكمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقولُ لِلنّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِن دُونِ ٱللّه...﴾ (الآية ٧٩).

نظيراً لمن آتاه الله الكتاب والحكم وقسيماً لها.

إذاً فالنُّبُوَّةُ مَنْزِلَةٌ خاصَّةٌ فُضِّلَ النبيُّ بِها بِما آتاهُ اللّهُ مِنَ العِلْمِ وقُرْبِ المنزلةِ مِنَ اللّهِ، وعليه فإنَّ النبيَّ من أُوتيَ تلك المنزلة، وهي المقصودة في خطابه تعالىٰ لنبيِّه وقوله في سورة الأحزاب:

﴿يا أيُّها النَّبيُّ إنّا أرسَلناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً ونَذيراً وَداعياً إلىٰ اللّهِ بإذنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾ (الآية ٤٥).

فإنَّ المعنىٰ: ياذا المنزلة الرفيعة، إنّا أرسلناك:... الخ.

وكذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ألنَّبيُّ أولىٰ بالمؤمنينَ مِن أنفسِهِم﴾ (الآية ٦).

والنبي يُوحىٰ إليه، كما قال سبحانه وتعالى في سورة النساء:

﴿إنّا أوْحَيْنا إليك كما أوحينا إلىٰ نوحٍ والنَّبِيينَ مِن بعدِه...﴾ (الآية ١٦٦).

اذاً فالنبي مصطلح اسلامي بمعنى: انسان ذي منزلة رفيعة عند الله يوحىٰ اليه وقد يبعث الله الربُّ النبيِّين رسلاً مبشّرين ومنذرين لهداية الناس، كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿كانَ النّاسُ أُمَّةً واحدةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكتاب﴾ (الآية ٢١٣).

وَأَنزَلَ معهم الكتابَ أي: إنّ الله الربّ أنزل الكتب مع من كان من النبيِّين، وليس المقصود أنَّ الربَّ أنزل مع كل نبيٍّ كتاباً.

ثمّ إنَّ الربَّ فضَّل بعض النبيِّين على بعض كما قال سبحانه في سورة الإسراء:

﴿ولَقَد فضَّلنا بَعضَ ٱلنَّبِيِّينَ علىٰ بَعض﴾ (الآية ٥٥).

وأرسل رسله إلى الناس من النبيِّين كالآتي بيانه:

ب ـ الرّسول:

الرسول: حامل الرسالة، وهو وسيلة هداية الربِّ للناس، وله شرف الوساطة بين الربِّ والمربوبين من البشر، ومرسل برسالة خاصة إليهم، ويختاره الله ممَّن أُرسِلَ إليهم ومن أهل لغتهم كما قال سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم:

﴿وَما أَرسَلنا مِن رَسولٍ إلاّ بِلِسانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَـهُم...﴾ (الآية ٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإلىٰ عادٍ أخاهُم هُوداً﴾ (في سورتي الأعراف ٦٥، وهود ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإلىٰ ثَمُودَ أخاهُم صالِحاً﴾ (في سور: الأعراف ٧٣، و هود ٦١، والنمل ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإلىٰ مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيْباً﴾ (في سور: الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، والعنكبوت ٣٦).

وانّ الحكمة في ذلك واضحة: ليتقوّى برهطه في أداء التبليغ كما حكى الله تعالى في سورة هود عن قوم شعيب أنهم قالوا لشعيب:

﴿وَلَولا رَهْطُكَ لَرَجَمناك﴾ (الآية ٩١).

ويرسل الربُّ الرسل لهداية الناس وإتماماً للحجّة عليهم كما قال سبحانه في سورة النساء:

﴿ورُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ لِئلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلىٰ ٱللّهِ حُجَّةٌ بَعدَ ٱلرُّسُل﴾ (الآية ١٦٥).

وقال تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَمَا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّىٰ نَبعثَ رَسُولاً﴾ (الآية ١٥).

وقال عزّ اسمه في سورة يونس:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فإذا جاءَ رَسُولُهُم قُضِيَ بينَهُم بالقِسطِ وَهُمْ لايُظلَمون﴾ (الآية ٤٧).

وتستحق الأُمم التي تعصي الرسول عذاب الدنيا والآخرة كما أخبر سبحانه عن فرعون ومن قبله وقال في سورة الحاقة:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِم فَأَخَذَهُم أخذَةً رابِيَةً﴾ (الآية ١٠).

وتكون معصية الرسول معصية الله الربّ، كما قال سبحانه في سورة الجن:

﴿وَمَنْ يَعْصِ ٱللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خَالدينَ فِيها أبداً﴾ (الآية ١٥ ـ ٢٣).

وَٱخْتارَ ٱللّه ٱلرسل من الأنبياء وكان عدد الرسل أقلّ من عدد الأنبياء كما ورد ذلك في مارواه أبو ذر وقال:

[... فقلت: يارسول الله (ص)! كم هي عدّة الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة

عشر، جمّاً غفيراً»][1]

وبناءً على ماذكرناه فإنّ كلّ رسول نبيٌّ، وليس كل نبي رسولاً مثل اليسَعَ (ع) فإنّه كان نبيّاً ووصيّاً للكليم موسى بن عمران (ع).

ومن الرسل من جاء بشريعة ناسخة لبعض ما في الشريعة السابقة من المناسك، كما كان شأن شريعة موسىٰ (ع) بالنسبة الى الشرائع السابقة على شريعته، ومنهم من جاء بشريعة متمِّمة ومجدِّدة للشريعة السابقة كما كان شأن شريعة خاتم الأنبياء (ص) بالنسبة إلى حنيفية إبراهيم الخليل (ع) كما قال سبحانه وتعالى في سورة النحل:

﴿ثُمَّ أوحَينا إليكَ أنِ اتَّبِع مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفَاً...﴾ (الآية ١٢٣).

وقال تعالى في سورة المائدة:

﴿أليومَ أكملتُ لكم دِينَكُم وَأتمَمتُ عليكمْ نعمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإسلامَ دِيناً﴾ (الآية ٣).

أمّا الأوصياء من الأنبياء فأخبارهم كالآتي:

---

(١) مسند أحمد: ٢٦٥/٥ ـ ٢٦٦، وبتفصيل أوفى في معاني الأخبار للصدوق ص: ٩٥، والخصال للصدّوق، ١٠٤/٢، والبحار، ٣٢/١١ح، ٢٤، واللفظ لأحمد.

الوصيّ والوصيّة:

الوصيّ في الكتاب والسنّة: هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهمّه، سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه: أُوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدي، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصيّة، فإنّه سواء في ذلك أن يقول: فلان وصيّي من بعدي، أو يقول: فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا، وما شابهها من الألفاظ الدالّة على الوصيّة. ووصيّ النبيّ: هو الإنسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته وأُمته من بعده.[2]

وممّا بلغنا من أخبار الأوصياء من الأنبياء مارواه الطبري عن ابن عباس وقال ما موجزه:

ولدت حوّاء لآدم هبة الله واسمه بالعبرانية: شيث، وإليه أوصى آدم.
وولد لشيث أنوش، ولمّا مرض أوصى لابنه أنوش ومات.
ثمّ ولد لأنوش ابنه قينان ونفر كثير، وإليه الوصيّة.

وولد قينان مهلائيل اليرد ونفراً معه، وإليه الوصيّة.
فولد يرد أخنوخ، وهو أدريس ونفراً معه، وإليه الوصيّة.
فولد أخنوخ متوشلخ ونفراً معه، وإليه الوصيّة.

وروى ابن سعد في ذكر ادريس النبيّ (ع) بسنده عن ابن عبّاس، وقال: أوّل نبيّ بعث بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرد... فولد خنوخ متوشلخ ونفراً معه، وإليه الوصيّة. فولد متوشلخ لمك ونفراً معه، وإليه الوصيّة، فولد لمك

---

(٢) راجع شرحه في «معالم المدرستين» الجزء الأول/ بحث مصطلح (الوصي).

نوحاً.[٣]

وروىٰ المسعودي في أخبار الزمان وقال ما موجزه:

ولمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفىٰ في آدم أمره أن يسند وصيته الى ابنه شيث ويعلّمه جميع العلوم التي عُلِّم بها ففعل.

وقال:

وأوصىٰ (شيث) الىٰ ابنـه قينان، وقد كان علّمه الصحف وبيّن له قسمة الأرض، وما يكون فيها، وأمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وبجهاد ولد قابيل. ففعل ما أمره به أبوه، ومات قينان وله سبعمائة سنة وعشرون سنة.

وأوصىٰ إلى ابنه مهلايل ووصّاه بما أوصاه به، وكان عمر مهلايل ثمانمائة سنة وخمسة وسبعين سنة.

وأوصىٰ الىٰ ابنه بوارد وعلّمه الصحف وعلّمه قسمة الأرض، وما يحدث في العالم، ودفع إليه كتاب سرّ الملكوت الذي علّمه مهلاييل[٤] الملك لآدم عليهما السّلام، وكانوا يتوارثونه مختوماً لاينظرون فيه.

وولد لبوارد ابنه خنوخ، وهو ادريس النبي عليه السلام ونبّأه الله تعالى وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله عزّ وجلّ، وسنن الدين، وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه ثلاثين صحيفة فكملت الصحف المنزّلة يومئذ ثلاثين صحيفة، وعهد بوارد الى خنوخ ورفع إليه وصيّة أبيه وعلّمه العلوم التي كانت عنده ودفع اليه مصحف السرّ فلم يدفعه بعد شيث غير ادريس عليهما السّلام.

أمّا اليعقوبي فقد أورد أخبار الأوصياء بالتسلسل نفسه وبتفصيل أكثر من

---

(٣) راجع أخبار ما أوردنا في تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/ ١٥٣ ـ ١٦٥ و ١٦٦، وتاريخ ابن الأثير ١/ ١٩ ـ ٢٠، في ذكر شيث بن آدم، وطبقات ابن سعد، ط. ١/١٦، وذكر ابن كثير في تاريخه ٩٨/١ خبر وصية آدم لابنه شيث.

(٤) في ب: وابيل.

الطبري وأبن الأثير، وأورد أخباراً أُخَرَ عن أمر الوصيّة، وقال مثلًا:

ولما حضرت آدمَ الوفاةُ جاءه شيث آبنه وولده وولد ولده فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة وجعل وصيّته إلى شيث.

وقال:

وقام بعد موت آدم آبنه شيث وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل الصالح... إلى قوله: فلمّا حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش وقينـان ومهـلائيل، ويرد، وأخنوخ، ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة، وتقدّم إليهم وحلّفهم... ولايختلطوا بأولاد قابيل الملعون، وأوصى إلى أنوش آبنه.

وهكذا سلسل أخبار الوصيّة مع ذكر ماوقع في أيّامهم إلى قوله في خبر وصيّة نوح:

ولّما حضرت وفاة نوح إجتمع إليه بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم، ثمّ ذكر تفصيل وصيّة نوح لسام، وكذلك ذكر تسلسل أخبار الأوصياء وصيّاً بعـد نبي الى آخر أنبياء بني إسرائيل وأوصيائهم، وقد اكتفينا منها بما أوردناه موجزاً إلى هنا.[٥]

وانتشر علىٰ عهد نوح عبادة الأصنام في ولد قابيل.

وأوصىٰ إدريس إلى آبنه متوشلخ، لأنّ الله أوحىٰ اليه أن آجعل الوصيّة في ابنك متوشلخ فاني سأخرج من ظهره نبياً يرتضي فعله.

ورفع الله إدريس (ع) إليه وانقطع الوحي بعده.

فكثـر الإختلاف بعده والتنازع وأشاع عليه ابليس أنّه هلك، وأنّه كان كاهناً أراد الصعود إلى الفلك فأُحرق، وحزن عليه ولد آدم المتمسّكون بدينه حزناً

---

(٥) راجع تاريخ الانبياء في الجزء الأول من تاريخ اليعقوبي.

شديداً، وأظهـر انّ صنمهم الأكـبر أهلكه فزادوا في عبادة الأصنام وتحليتها والذبائح لها، وعملوا عيداً لم يبق أحد إلاّ حضره، وكانت لهم يومئذ من الأصنام يغوث ويعوق ونسر[٦] وود وسواع.

ولمّا حضرت متوشلخ الوفاة أوصى الى ابنه لمك ومعنى لمك الجامع، وعهد اليه أبوه ودفع اليه الصحف والكتب المختومة التي كانت لإدريس عليه السّلام، وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة.

وأنتقلت الوصيّة الى لمك (وهو أبو نوح عليهما السّلام)، وقد كان رأى أنّ ناراً خرجت من فيه، فأحرقت العالم، ورأى وقتاً آخر كأنه على شجرة في وسط بحر لاغير.

وكبر نوح عليه السّلام فنبّأه الله عزّ وجلّ وهو ابن خمسين سنة وأرسله الى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وهو من أهل العزم من الرسل.

وفي بعض الأخبار أن عمره ألف ومائتان وخمسو ن سنة، وأنّه لبث في قومه يدعوهم الى الإيمان ألف سنة إلاّ خمسين عاماً كما قال الله تعالى، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة أعداء الله من ولد قابيل، وأمر بالحلال ونهى عن الحرام، وأمر أن يدعو الناس الى الله تعالى، ويحذّرهم عذابه، ويذكّرهم آلاءه.

وقال المسعودي:

إنّ الله جعل لسام بن نوح الرئاسة والكتب المنزلة من الأنبياء، ووصيّة نوح في ولده خاصّة دون إخوته[٧].

* * *

---

(٦) في ب: ونسراً ووداً وسواعاً.

(٧) أخبار الزمان، للمسعودي، ط. بيروت ١٣٨٦ هـ، ص: ٧٥ ـ ١٠٢.

الى هنا ينتهي الموجود بأيدينا اليوم من كتاب «أخبار الزمان» للمسعودي، وكذلك سلسل المسعودي في كتاب «إثبات الوصيّة» ذكر الأوصياء من آدم (ع) الى النبي الخاتم (ص). هذا ماكان في مصادر الدراسات الإسلامية عن الرسل وأوصيائهم.

ونرجع بعد ذلك إلى أخبار الرسل وأوصيائهم في كتب العهدين في مايأتي:

ـ ٢ ـ

بعض أخبار الأوصياء في كتب العهدين

نقتصر في نقل أخبار الأوصياء من العهدين على ذكر أخبار ثلاثة منهم كالآتي:

أ ـ وصيّة كليم الله موسىٰ (ع) لنبي الله يوشع (ع):

ورد في مادّة (يوشع) من «قاموس كتاب مقدّس» نقلاً عن التوراة:

أنّ يوشع بن نون كان مع موسىٰ في جبل سينا ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفي آخر الأصحاح السابع والعشرين من سفر العدد ورد خبر تعيينه من قبل الله وصيّاً لموسى كالنّصّ الآتي:

فَكَلَّمَ مُوسَىٰ ٱلرَّبَّ قَائِلًا: لِيُوَكِّل ٱلرَّبُّ اِلٰهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ ٱلْبَشَرِ رَجُلًا عَلَىٰ ٱلْجَمَاعَةِ يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُم لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ ٱلرَّبِّ كَالْغَنَمِ ٱلَّتِي لَارَاعِيَ لَهَا. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَىٰ خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ وَأَوْصِيهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَٱجْعَلْ مِنَ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْـرَائِيلَ. فَيَقِفَ أَمَامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ ٱلْأُورِيمِ أَمَامَ ٱلرَّبِّ.

حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ. فَفَعَلَ مُوسَىٰ كَمَا أَمَرَهُ ٱلرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَىٰ...

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من سفر يوشع بن نون.(٨)

ب ـ وصيّة نبيّ الله داود (ع) لنبيّ الله سليمان (ع):

ورد في الأصحاح الثاني من سفر الملوك الأول العدد: (١ ـ ٤)

وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَىٰ سُلَيْمَانَ ٱبْنَهُ قَائِلًا أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا. فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. احْفَظْ شَعَائِرَ ٱلرَّبِّ إِلٰهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَىٰ لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.

ج ـ وصيّة عيسىٰ (ع) للحواريّ شمعون بطرس:

شمعون اسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متّىٰ، الأصحاح العاشر كالآتي:

«ثمّ دعا ـ يعني عيسى ـ تلاميذه الإثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف. وهذه أسماء الإثني عشر رسولاً: الأول سمعان الّذي يقال له بطرس...».

وفي إنجيل يوحنا، الأصحاح ٢١ العدد: ١٥ ـ ١٨ أنّ عيسىٰ أوصىٰ إليه وقال له: «إرْعَ غنمي» كناية عن رعاية من آمن به.

---

(٨) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الأمريكية سنة: ١٩٠٧م.

وجاء في «قاموس كتاب مقدّس» أيضاً:

«عيَّنه المسيح لهداية الكنيسة»[٩].

في الخبر الأول وجدنا النبيَّ الرسول موسىٰ بن عمران (ع) يعيِّن من بعده نبيَّ الله يوشع ـ اليسع في القرآن الكريم ـ وصيّاً من بعده.

وفي الخبر الثاني وجدنا نبيَّ الله داود (ع) يوصي نبيَّ الله سليمان (ع) أن يعمل بشريعة نبيِّ الله ورسوله موسىٰ بن عمران(ع).

وفي الخبر الثالث وجدنا عيسىٰ كلمة الله (ع) يوصي حواريِّيه لهداية الناس.

أخبار الرّسل والأوصياء في القرآن الكريم

ذكر الله ـ سبحانه ـ في كتابه الكريم أخبار خمسة وعشرين نبيّاً بأسمائهم وهم:

آدَم، ونــوح، وإدريس، وصـالـح، وإبـراهيم، ولـوط، وأيّوب، واليسـع، وذو الكفل، وإلياس، ويونس، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وموسىٰ، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريّا، ويحيىٰ، وإسماعيل صادق الوعد، وعيسىٰ، ومحمّد صلّىٰ الله عليهم أجمعين.

منهم من كان صاحب شريعة متمِّمة ومكمِّلة للشريعة السابقة مثل شريعة نوح (ع) المكمِّلة لشريعة آدم (ع)، وشريعة محمّد (ص) المكمِّلة لشريعة إبراهيم (ع).

ومنهم من كان صاحب شريعة ناسخة لشـريعـة من كان قبله مثـل موسى (ع) ومحمّد (ص).

---

(٩) قاموس كتاب مقدّس، مادة (بطرس الحواري).

ومنهم من كان نبيّاً ووصيّاً وحافظاً لشريعة النبيِّ الرسول الذي كان قبله، كيوشع بن نون (ع) وصيّاً لموسىٰ بن عمران (ع).

وكان لابدَّ لمن يبعثه الله الربُّ لهداية الناس ـ رسولاً كان أو وصيّ رسول ـ أن يؤتيه الربُّ آيةً علىٰ صدق مدَّعاه في أنه مبعوث من قبل الربِّ، كما يأتي بيانه بإذنه تعالىٰ:

ـ ٣ ـ
الآية والمعجزة

الآية في اللغة: العلامة الدالّة على الشيء بحيث إذا ظهرت العلامة اتضح وجود ذلك الشيء.

وفي المصطلح الإسلامي: نوعان من العلامة الدالّة على وجود الباري أو إحدى صفاته ـ أسمائه الحسنىٰ ـ وهما:

أ ـ ما دلّ بوجوده المتقن على خالق حكيم، وبنظامه المحكم على ربّ يدبّر شؤون الخلق وفق نظام محكم نسمّيه بسنن الله في الكون.

فمثال الأول قوله تعالى في سورة الغاشية:

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلىٰ الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت* وَإِلىٰ السَّماءِ كَيفَ رُفِعَت* وَإِلىٰ الجِبالِ كَيفَ نُصِبَت...﴾ (الآيات ١٧ ـ ٢٠).

وقوله تعالى في سورة العنكبوت:

﴿خَلَقَ اللّهُ السَّمٰواتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِلمؤمِنِين﴾ (الآية ٤٤).

ذكر الله تعالىٰ في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعاً من الخلق تدلّ بوجودها على وجود خالقها، ولذلك يسمّيها الآيات.

ومثال الثاني قوله تعالىٰ في سورة النحل:

﴿هُوَ ٱلَّذي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ ماءً لكم مِنهُ شَرابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُون*

يُنبتُ لكم بِهِ ٱلزَّرعَ وَٱلزَّيتُونَ وَٱلنَّخيلَ وَٱلأَعنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمراتِ إِنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لكم ٱللَّيلَ وَٱلنَّهارَ وَٱلشَّمسَ وَٱلقمرَ وَٱلنُّجومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ* وَمَا ذَرَأَ لَكُم فِي ٱلأَرضِ مُختَلِفاً أَلوانُهُ إِنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الآيات ١٠ ـ ١٣).

ذكر الله في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعاً من النظام الكوني الذي يدلّ على وجود الربِّ المدبِّر الحكيم، للعالمين، وقد يجمع الله في الذكر بين الآيات الدالَّة علىٰ الخالق العزيز والربِّ المدبِّر الحكيم مثل قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّمٰواتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلافِ ٱللَّيلِ وَٱلنَّهارِ وَٱلفُلكِ ٱلَّتِي تَجرِي فِي ٱلبَحرِ بِما يَنفَعُ ٱلناسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن ماءٍ فَأَحيا بِهِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِها وَبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دابَّةٍ وَتَصرِيفِ ٱلرِّياحِ وَٱلسَّحابِ ٱلمُسَخَّرِ بَينَ ٱلسَّماءِ وَٱلأَرضِ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ١٦٤).

ذكر الله تعالىٰ في أوّل الآية آية خلق السماوات والأرض، وذكر بعدها آيات النظام الكوني الذي قدَّره الربُّ والتي نسمِّيها بسنن الله في الكون.

ب ـ ما آتىٰ الله الربُّ الأنبياءَ من الولاية على النظام الكونيِّ بحيث إذا ٱقتضت مشيئة الله أن يغيِّر النبيُّ شيئاً يسيراً من النظام الذي جعله الله للكون ٱستطاع أن يفعله بإذن الله تعالى، كما حكى الله تعالى ذلك في وصف عيسى(ع) في سورة آل عمران، وقال:

﴿وَرَسولاً إِلىٰ بَني إِسرائيلَ أَنّي قَد جِئتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُم أَنّي أَخلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيْرِ...﴾ (الآية ٤٩).

ويسمَّىٰ هذا النوع من آيات الله في العرف الإسلامي بالمعجزة، لأنَّ سائر البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وهي خارقة للنظام الطبيعي للخلق، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيراً بإذن الله لتكون دليلاً أوَّلاً على أنَّ الله الربَّ

هو الذي أعطىٰ الأشياء خواصَّها ونظامَها الطبيعي، ومتى اقتضت حكمته أن يسلب أيَّ شيء خواصه، إستطاع أن يفعل ذلك؛ مثل أن يسلب النار خاصة الإحراق لإبراهيم (ع) حين أُلقِيَ فيها، ومتى اقتضت حكمته أن يغيِّر النظام الطبيعي الذي جعله لبعض خلقه، استطاع أن يفعل ذلك؛ مثل خلق الطير من الطين بيد عيسىٰ (ع) بدل إنشائه من أُنثىٰ الطير بعد اللِّقاح من الطير الذكر وفقاً للنظام الطبيعي الذي جعله في تسلسل خلق ذوات الأرواح.

ومعاجز الأنبياء ـ كما ذكرنا ـ خرقٌ للنظام الطبيعي وليست طيّاً لمراحل انتقال المادة من حال إلى حال وصورة بعد صورة حتى تستقرَّ في الصورة الأخيرة، أي إن خلق الطير من الطين يتحقق ضمن سلسلة مراحل يكون قريباً من سير النور، يطويها الله لنبيِّه بأسرع من زمانه الطبيعي وتدرُّجه في الانتقال كما يفهم ذلك من كلام بعض فلاسفة المسلمين.

وليست المعجزة سحراً فإنّ السحر ضرب من التخييل لا حقيقة له، والساحر ـ مثلاً ـ عندما يُري أنّه ابتلع طيراً أو دخل في فم الناقة وخرج من دبرها، أو هشّم أوانيَ زجاجيةً ثم أعاد كل شيء كما كان، لم يفعل أيَّ شيء من ذلك، وإنّما سحر أعين الرائين فتخيّلوا ذلك، ولمّا انتهى مفعول السحر رأى الحاضرون كل شيء كما كان دونما تغيير أو تبديل.

والمعجزة تغيير حقيقي للنظام الطبيعي مثل ابتلاع عصا موسىٰ (ع) ـ التي أصبحت ثعباناً عظيماً ـ جميع ما ألقىٰ السحرة في الساحة الكبيرة، ولمّا عاد الثعبان في يد موسىٰ (ع) إلىٰ العصا لم يبق أثر لما كان قد ألقىٰ السحرة في تلك الساحة، ومن ثم أُلقِيَ السحرة ساجدين، وقالوا: آمنّا برَبِّ العالمين ربِّ موسىٰ وهارون؛ لأنّهم كانو متخصِّصين في أمر السحر، وأدركوا أنّ عمل موسىٰ (ع) ليس بسحر وإنّما هو آية من آيات الربِّ تعالىٰ.

وكذلك لا تأتي المعجزة في الأمر المحال وما يُسمّىٰ في علم المنطق باجتماع

النقيضين مثل أن يكون الشيء في زمان واحد ومكان واحد موجوداً وغير موجود.

وحقيقة معجزات الأنبياء آيات يجريها الله الربُّ علىٰ أيديهم، لا يستطيع الإنس والجنُّ أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فإنّ في الجنّ مثلاً من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلىٰ سليمان قبل أن يقوم من مقامه، لأنّ سير الجنّ في الجو قد يكون قريباً من سير النور.

وبناءً علىٰ ذلك قد يستطيع الجنّ أن يخبر عن شيء وقع في مكان ما، لكاهن يتّصل به، ولكن لايستطيع الجنّ والإنس أن يخلقوا من الطين طيراً فيكون طيراً، ما لم يكن الربّ قد أذن بذلك.

وقد يستطيع المرتاض الهندي أن يوقف القطار عن الحركة، ولكنّه لايستطيع هو ولا غيره ممّن لم يأذن له الربُّ أن يضرب بعصاه الحجر فتنبجس منه اثنتا عشرة عيناً. ولما كان الله الربُّ يؤتي من بعثه من الأنبياء الآيات، لتعلم أُممهم صدق آدّعائهم أنهم مبعوثون من قبل الربّ، كان مقتضى الحكمة أن تكون الآيات ممّا تعرفها الأمة التي بُعِثَ النبيُّ لهدايتها، كما أخبر بذلك الامامُ عليُّ بن موسى الرضا (ع) من سأله: لماذا بعث الله موسىٰ بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر؟ وبعث عيسىٰ بالطبّ؟ وبعث محمّداً (ص) بالكلام والخطب؟ بقوله:

«إنَّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث موسى (ع) كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحـرهم وأثبت به الحجّة عليهم، وأنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات وآحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتىٰ وأبرأ الأكمة والأبرص بإذنه، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام ـ وأظنّه قال: والشعر ـ فأتاهم من كتاب الله عزّ وجلّ

ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت الحجّة عليهم».

فقال السائل: تالله ما رأيت مثل اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟

فقال (ع): «العقل: تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه».

فقال السائل: هذا والله الجواب[10].

* * *

وكان إتيان الأنبياء الآيات الخارقة لشيء من النظام الطبيعي للأشياء من سنن الله الربّ الكونية في المجتمعات الإنسانية التي يبعث الأنبياء إليها.

ومن ثم كانت الأُمم تطالب أنبياءها بأن يأتوا لهم بآية تكون دليلاً علىٰ صدق مدّعاهم، كما حكىٰ الله تعالىٰ في سورة الشعراء عن قوم ثمود أنّهم قالوا لنبيّهم صالح (ع):

﴿ماأنتَ إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا فَأْتِ بآيةٍ إن كُنتَ مِنَ الصادقِين* قالَ هٰذِهِ ناقةٌ لها شِربٌ وَلكم شِرب يَومٍ مَعلُوم* وَلاتَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُم عَذابُ يَومٍ عَظيم﴾ (الآيات ١٥٤ ـ ١٥٦).

وبعد بيان النبيّ الآية المعجزة، كثيراً ما كانت الأُمم تكابر وتعاند نبيّها ولاتؤمن بالله ربّاً وبنبيّه مبعوثاً إليهم، كما أخبر الله تعالىٰ عن قوم ثمود بعد هذه الآيات وقال:

﴿فَعَقَرُوها فَأَصبَحوا نادِمين﴾ (الآية ١٥٧).

وإذا نزلت الآية حسب طلب قوم النبيّ ولم يؤمنوا بها ٱستحقوا الرجز والعذاب، فيعذّبهم اللّهُ تعالى كما أخبر في السورة نفسها عن عاقبة قوم ثمود ـ أيضاً ـ وقال عزّ ٱسمه:

---

(١٠) البحار ١١/ ٧٠ ـ ٧١ باب (علة المعجزة وأنه لِمَ خصّ الله كلّ نبيّ بمعجزة خاصة) نقلاً عن علل الشرائع/ ص: ٥٢، وعيون الأخبار/ ص: ٢٣٤.

﴿فَأَخَذَهُمُ العَذابُ إِن في ذٰلِكَ لآيَةً وَما كانَ أَكثَرُهُم مؤمنين﴾ (الآية ١٥٨).

ويكون إتيان الآية للأنبياء بمقتضى الحكمة، ومقتضى الحكمة إتيان الآية بالمقدار الذي يظهر لمن أراد أن يؤمن بالربّ ورسوله أنّ الرسولَ صادقٌ في دعواه وليس بمقدار تعنّت الأقوام التي تأبى الإيمان بالربّ وبرسوله على أيِّ حال، ولا تأتي ـ أيضـاً ـ بالأمـر المحـال كما ورد الأمـران في طلب قريش من خاتم الرسل (ص) وذلك بعد أن آتى الله قريشاً من آياته ما آختص العرب به: كَلاماً بليغاً، وخاطبهم في سورة البقرة وقال لهم:

﴿وإِن كُنتُم في رَيبٍ مِمّا نَزَّلنـا علىٰ عَبـدِنا فَأْتوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَآدعُوا شُهداءَكُم مِن دونِ اللّهِ إِنْ كُنتُم صادِقين۞ فَإِنْ لَمْ تَفعَلوا وَلَن تَفعَلوا فَاتَّقُوا النّارَ الّتي وَقودُها النّاسُ وَالحِجارَةُ أُعِدَّت لِلكافِرين﴾ (الآيتان ٢٣ ـ ٢٤).

وقد أخبر الله تعالى في سورة الإسراء عن أنواع تعنُّتهم وقال:

﴿قُـلْ لَئِنِ آجتَمَعَتِ آلإِنسُ وَآلجِنُّ علىٰ أن يَأْتُوا بِمِثلِ هٰذا آلقُرآنِ لايَأْتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيراً۞ وَلَقَد صَرَّفنا لِلنّاسِ في هٰذا آلقُرآنِ مِن كُلِّ مَثَـلٍ فَأَبىٰ أكثَـرُ آلنّاسِ إِلاّ كُفُوراً۞ وَقالُوا لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتىٰ تَفجُرَ لَنا مِنَ آلأرضِ يَنبُـوعـاً۞ أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ آلأنهارَ خِلالَها تَفجيراً۞ أو تُسقِطَ آلسَّماءَ كَما زَعَمتَ عَلَينا كِسَفاً أو تَأْتِيَ بِآللّهِ وَآلمَلائِكَةِ قَبيلاً۞ أو يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ أَوْ تَرقىٰ في آلسَّماءِ وَلَن نؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّىٰ تُنَزِّلَ عَلَينا كِتاباً نَقرَؤُهُ قُل سُبحانَ رَبّي هَل كُنتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً۞ وَما مَنَعَ آلنّاسَ أن يُؤمِنُـوا إذ جاءَهُمُ آلهُـدىٰ إِلاّ أن قالُـوا أَبَعَثَ آللّهُ بَشَراً رَسُولاً۞ قُل لَو كانَ في آلأرضِ مَلائِكَةٌ يَمشُونَ مُطمَئِنّينَ لَنَزَّلنا عَلَيهِم مِنَ آلسَّماءِ مَلَكاً رَسولاً۞ قُل كَفىٰ بِآللّهِ شَهيداً بَيني وَبَينَكُم إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبيراً بَصيراً﴾ (الآيات ٨٨ ـ ٩٦).

فأتَمّ اللّهُ الربُّ عليهم الحجّة، وقال: ﴿إن كُنتُم في رَيبٍ مِـمّا نَزلنا عَلىٰ عَبدِنا فَأتوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَآدعوا شُهَداءَكُم﴾، وَأَخْبَرَ أَنَّ الإنس والجنّ لو آجتمعوا

لَمَا استطاعوا أن يأتوا بمثله وإنْ كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأكّد ذلك وقال: لَنْ تستطيعوا أن تأتوا بمثله، وحتى عصرنا الحاضر لم يستطع خصوم الإسلام ـ على كثرتهم وما يملكون من قوى ضخمة ومتنوعة ـ أن يأتوا بسورة من مثل القرآن.

بعد هذا التحدّي الصارخ وإتيان الأمر المعجز للإنس والجنّ، وعجز قريش عن الإتيان بمثله، طلبوا من الرسول (ص) أن يغيّر مناخ مكّة وأن يكون له بيتٌ من ذهب، أو يأتي بالله والملائكة قبيلًا، أو يرقىٰ في السماء ولايؤمنون لِرقيِّه حتى ينزِّل عليهم كتاباً يقرؤونه، وكان في ماطلبوا: الأمرُ المحالُ وهو أن يأتيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبيلًا ﴿تَعالىٰ ٱللّهُ عمّا قالَهُ الظّالِمونَ عُلُوّاً...﴾، وكان فيه مايخالف سنن الله في إرسال الأنبياء بأن يرقىٰ أمامهم إلى السماء ويأتي لهم بكتاب وهو ما خصَّ اللّهُ رسله من الملائكة وليس من شأن البشر، وأستنكروا أنْ يبعث الله لهم بشراً رسولًا، في حين أنّ الحكمة تقتضي أن يكون الرسل من جنس البشر ليكونوا في عملهم قدوةً وأُسوةً لقومهم، ولم تكن سائر طلباتهم موافقة لمقتضىٰ الحكمة، مثل طلبهم أن ينزِّل عليهم العذاب، ولذلك أمر أن يُجيبهم ويقول: ﴿سُبحانَ رَبِّي هَل كُنتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾.

وخلاصة ماذكرناه أن حكمة الربّ اَقتضت أنَّ المرسل من قبله يأتي بآية من ربِّه تدلُّ على صدق آدّعائه، ويُتِمّ بذلك الحجَّةَ على الناس، وعندئذ يؤمن من شاء أنْ يؤمن، ويجحد من شاء أنْ يجحد، كما كان شأن قوم موسىٰ وهارون (عليهما السّلام) بعد إتيان المعجزات، فقد آمنت السحرة وكفر بها فرعون وملأهُ فأخزاهم الله بالغَرَقِ، ومايأتي به الأنبياء من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسمّى في المصطلح الإسلامي بالمعجزة دليلًا على صدقهم.

وبالإضافة إلى ماذكرنا فإنّ للذين جعلهم الله أئمة لهداية الناس (سواء كانوا رسلًا أصحاب شرايع أو أوصياء لهم) صفات يمتازون بها عن غيرهم من الناس كما سندرسها في البحث الآتي بحوله تعالى:

(٧)
صفات المبلِّغين عن الله

عصمتهم من الذنوب

أ ـ إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الأرض.

ب ـ أثر العمل وخلوده وانتشار بركة الأعمال وشؤمها على الزمان والمكان.

ج ـ عصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك.

د ـ روايات مكذوبة على نبيّ الله داود في زواجه بأرملة أوريا وعلى خاتم الأنبياء في زواجه بزينب مُطَلَّقَةَ مَنْ تَبَنَّاهُ، والحكمة في الأمْرَين.

هـ ـ آيات أخطأوا في تأويلها.

ـ ١ ـ

إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الأرض

أخبر الله سبحانه في سورة الحجر أنّ إبليس لاسلطان له على عباده المخلصين، في ذكره مادار بينه وبين إبليس من محاورة وذلك في قوله تعالىٰ:

﴿ربِّ بِما أغوَيتَني لأُزَيِّنَنَّ لَهُم في الأرض وَلأُغوِيَنَّهُمْ أجمَعينَ إلاّ عِبادَكَ مِنهمُ المُخْلَصِينَ* قالَ... إنَّ عبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ إلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوين﴾ (الآيات ٣٩ ـ ٤٢).

وأخبر تعالى عمّا جرىٰ بين يوسف وزلبخا، وكيف يعصم الله المخلَصين من إغواء الشيطان، حيث قال تعالىٰ في سورة يوسف:

﴿وَلَقَد هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بها لَولا أن رَأىٰ بُرهَانَ رَبِّهِ كَذٰلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحشاءَ إنَّهُ مِن عِبادِنا المُخْلَصِين﴾ (الآية ٢٤).

وعرفنا انّ الوصف المذكور من شروط الإمامة في ماأخبر الله عمّا دار بينه وبين خليله إبراهيم (ع) في سورة البقرة، وقال:

﴿وَإذِ ابتلىٰ إبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَمِن ذُرِّيَّتي قالَ لايَنالُ عَهْدي الظالمين﴾ (الآية ١٢٤).

وذكر في سورة الأنبياء أنّ الذين جعلهم أئمة، يهدون بأمره. وقال تعالىٰ:

﴿وَجَعَلناهُم أئمَّةً يَهدونَ بأمرِنا..﴾ (الآية ٧٣).

وذكر منهم في تلك السورة نوحاً وابراهيمَ ولُوطاً وإسماعيلَ وَأَيّوبَ

وَذا الكِفْـل وَيُونُس وَمـوسىٰ وَهـارونَ وَداودَ وَسُلَيهانَ وَزَكريّا وَيحييٰ وَعيسىٰ ـ عليهم السّلام ـ.

وكـان في من وصفهم بالإمامة في هذه السورة: النبيُّ والرسول والوزير والوصيُّ. إذاً فقد بان لنا أنّ الله تبارك وتعالى اشترط لمن جعله إماماً أنْ يكون غير ظالم.

وقد وصف الله الإمام بأنّه خليفته في الأرض كما ورد في خطابه لداود (ع) في سورة ص :

﴿يا داوُدُ إنّا جَعَلناكَ خَليفةً في الأرض﴾ (الآية ٢٦).

وورد في وصفه لآدم (ع) في خطابه للملائكة في سورة البقرة:

﴿وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأرض خَليفَة..﴾ (الآية ٣٠).

كما سنشرحه بعد تفسير كلمات الآيات إن شاء الله تعالىٰ.

شرح الكلمات:

أ ـ أغوَيْتَني، وَلأُغْوِيَنَّهُم، والغاوين.

غوىٰ فهو غاوٍ: انهمك في الغيّ.

وأغواه: أضلّه وأغراه. وقصد اللعين بقوله أغويتني: أنه تعالى بلعنه وقوله له قبل هذه الآية ﴿وَإنَّ عَلَيْكَ اللّعْنَةَ إلىٰ يوم الدِّين﴾ أبعده عن رحمته جزاء تمرُّده وامتناعه عن السجود لآدم كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهدي بِهِ كَثيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفاسِقين﴾ (الآية ٢٦).

ب ـ لأُزَيِّنَنَّ لهم:

أي: أُحَسِّنُ لهم سوءَ أعمالهم كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أعمالَهم﴾ (الأنفال ٤٨ والنحل ٢٤ والعنكبوت ٣٧) و ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أعمالِهِم﴾ (التوبة ٣٧).

ج ـ المخلَصِين.

المُخلَصُون: هم الذين أخلصهم الله لنفسه بعدما أخلصوا أنفسهم لله، فليس في قلوبهم محلٌ لغيره.

د ـ إبتلىٰ:

بلاه بلاءً وابتلاه ابتلاءً: امتحنه واختبره بالخير والشرّ والنعمة والنقمة.

هـ ـ بكلمات:

المقصود من الكلمات هنا قضايا امتحن الله بها إبراهيم (ع)؛ مثل ابتلائه بعبّاد الكواكب والأصنام، وإحراقه بالنار، وتضحيته بابنه، وأمثالها.

و ـ فأتمّهنَّ:

أي أكمل أداءهنَّ.

ز ـ جاعِلُكَ:

وردت «جعل» بمعنى: خلق وأوجد وحكم وشرّع وقرّر وصيّر، والأخير هو المقصود هنا.

خ ـ إماماً:

الإمام: هو المقتدىٰ للناس في الأقوال والأفعال.

ط ـ الظّالمين:

الظّلم: وضع الشيء في غير موضعه. والظّلم ـ أيضاً ـ تجاوز الحقّ.

والظّلم ثلاثة أنواع:

أوّلاً ـ ظلم بين الإنسان وربّه، وأعظمه الشّرك والكفر، كما قال سبحانه في سورة لقمان:

﴿إنّ الشّركَ لَظلمٌ عَظيم﴾ (الآية ١٣).

وفي سورة الأنعام:

﴿فَمَن أظلمُ مِـمَّن كَذَّب بآياتِ الله...﴾ (الآية ١٥٧).

ثانياً ـ ظلم بين الإنسان وغيره، كما قال سبحانه وتعالى في سورة الشورىٰ:
﴿إنّما السبيلُ علىٰ الّذينَ يَظلمون النّاس﴾ (الآية ٤٢).

ثالثاً ـ ظلم الإنسان نفسه، كما قال سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة:
﴿...ومَن يَفعلْ ذٰلكَ فَقَد ظَلَمَ نَفسَه﴾ (الآية ٢٣١).
وفي سورة الطلاق:
﴿ومَن يَتَعَدَّ حُدودَ اللّهِ فَقَد ظَلَمَ نفسَه﴾ (الآية ١).
وكلّ نوع من الظّلم ظلم للنّفس.
يقال لمن اتّصف بالظُّلم في أي زمانٍ من عمره المتقدّم منه أو المتأخِّر: ظالم.
ي ـ همّت به وهمّ بها.
همّ بالأمر: عَزَمَ علىٰ القيام به ولم يفعله.
ك ـ رأىٰ:
رأىٰ بالعين: نظر، وبالقلب: أبصر، وأدرك.
ل ـ برهان:
البرهان: أوكدُ ٱلأدِلّةِ، والحجّةُ البَيِّنَةُ الفاصلة، وما رآه يوسف أكثر من هذا.

تأويل الآيات والله أعلم:

قال إبليس لربّ العالمين: رَبِّ بِما لَعَنْتَني وأَبْعدْتَني عن رحمتك لأُزَيِّنَنَّ لِلناس في دار الدنيا الأعمال السيّئة، كما قال سبحانه:
أ ـ في سورة النحل:
﴿لَقَد أرسَلنا إلىٰ أُممٍ مِن قَبلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم﴾ (الآية ٦٣).
ب ـ في سورة الأنفال:
﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم وقالَ لاغالِبَ لَكُمُ اليَوم...﴾ (الآية ٤٨).

ج - في سورة النمل:

﴿...يَسجُدونَ لِلشَّمسِ مِن دونِ اللّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبيل...﴾ (الآية ٢٤).

وقـال الشيطان: لأُزَيِّنَنَّ للنـاس أعمالهم ولأُغوِيَنَّهم أجمعين إلاّ عبادَك الّذين اْصطفيتهم لنفسك..

وقال الله في جوابه: إنّك لاسلطةَ لك إلاّ علىٰ من اْتّبعك من المنهمكين في الغيِّ والضّلالة، وأخبر تعالىٰ عن شأن عباده المخلَصين في ما حكاه عن خبر يوسف (ع) وزليخا، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأىٰ بُرهَانَ رَبِّهِ﴾ في بيت خلا عن كلّ انسان ما عدا يوسف (ع).

وزليخا عزيزة مصر ومالكة يوسف همّت أن تنال مأربها من يوسف، ولولا أنّ يوسف رأى برهان ربّه لهمَّ بقتلها وهو السوء، أوْ همَّ بالفَحشاء كما هو مقتضىٰ طبيعـة الحال التي كان عليها الفتى مكتمل الرجولة غير المُتَزَوِّج مع مالكته الفتاة مكتملة الأنوثة المترفة في بيت خلا من كلّ أحد، ولكنّه رأىٰ برهان رَبِّه واستعصم، فقـد كان ممّن أخلصـه الله لنفسـه. فما هو الـبرهـان اْلـذي رآه يوسف (ع)؟ وكيف رآه؟

إنّ يوسف (ع) رأىٰ آثار العملين على نفسه كالآتي بيانه:

ـ ٢ و ٣ ـ

أثر العمل وخلوده وانتشار البركة والشّؤم من بعض الأعمال علىٰ الزمان والمكان وعصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك

لمعرفة معنىٰ عصمة الأنبياء ينبغي أن ندرس كيفية انتشار البركة والشُّؤم على الزّمان والمكان وآثار أعمال الإنسان في الدّنيا والآخرة، فنَستعين الله ونقول:

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

أ ـ في سورة البقرة:

﴿شَهرُ رَمَضانَ ٱلّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدىً للنّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الهدىٰ وَالفُرقانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمه﴾ (الآية ١٨٥).

ب ـ في سورة القدر:

﴿إنّا أنزَلناهُ في لَيلةِ القَدْر* وَماأدراكَ مالَيلَةُ القَدْر* لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهْر* تَنَزَّلُ المَلائِكةُ وَالرّوحُ فيها بِإذنِ رَبِّهِم من كُلِّ أمْر* سَلامٌ هيَ حَتّىٰ مَطلَعِ الفَجْر﴾.

أنزل الله القرآن على خاتم أنبيائه في ليلة من ليالي شهر رمضان، فأصبحت تلك الليلة ليلة القدر تتنزل الملائكة والروح فيها كل سنة بأمر ربّهم أبد الدّهر، وانتشرت البركة من تلك اللّيلة إلى كلّ شهر رمضان كذلك أبد الدَّهر.

وسندرس في بحث النَّسْخِ إن شاء الله تعالى أنَّ الجمعة أصبحت مباركة منذ عهد آدم (ع) لما أنزل الله سبحانه وتعالى فيها من البركات على آدم (ع)،

وأنّ عصر التاسع من ذي الحجّة أصبح مباركاً يغفر الله ذنوب عباده فيه بمنى لنزول المغفرة على آدم(ع) فيه، وأصبحت أراضي عرفات والمشعر ومنى أراضي مباركةً في التاسع والعاشر من ذي الحجّة على كلّ بني آدم (ع) بعد ذلك، وبقي أثرها كذلك أبَدَ الدّهر.

وكذلك أصبح أثر قدَمَي إبراهيم (ع) في البيت على تلك الكتلة من الطين التي رقىٰ عليهـا إبراهيم (ع) لبناء جدار البيت مباركاً، فأمَرنا الله بآتخاذها مصلّىً بعد ذلك أبَدَ الدَّهر وقال: ﴿واتّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلىً﴾.

وكذلك الشأن في آنتشار الشّؤم كما كان من أمر بيوت عاد في الحِجْرِ بعد نزول العذاب عليهم، كما أخبرنا رسول الله (ص) عنها عند مروره عليها في غزوة تبوك، وورد خبره في كتب الحديث والسيرة، وقالوا ماموجزه:

لمّا سار رسول الله (ص) إلى غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة مرَّ بالحِجْرِ ـ ديار ثمود بوادي القرىٰ في طريق الشام من المدينة ـ فَنَزَلَ قبل أن يمر بها، فاستقىٰ الجيش من بئرها، فنادى منادي النبي أن «لاتشربوا من ماء بئرهم، ولاتتوضّأوا منه للصلاة» فجعل الناس يهريقون ما في أسقيتهم وقالوا: «يارسول الله قد عَجَنّا، قال: أعلفوها الإبل خوف أن يصيبَكم مثل ما أصابهم».

ولما آرتحل ومرّ بالحِجْرِ، سجّىٰ[1] ثوبه على وجهه واستحثّ راحِلته وفعل الجيش كذلك، وقال رسول الله (ص):

«لاتَدْخُلُوا بُيُوت الّذينَ ظَلَمُوا إلاّ وَأنْتُم باكونَ».

وجاءه رجل بخاتم وجده في الحجر في بيوت المعذّبين، فأعرض عنه وآستتر بيده أن ينظر إليه، وقال: «ألْقِهِ» فألقاهُ.[2]

---

(١) سجّىٰ ثوبه على وجهه: غطّاه، وآستحثّ راحلته: استعجلها.

(٢) الخبر في مادة الحجر في معجم البلدان، وخبر غزوة تبوك في سيرة ابن هشام (٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، ومغازي الواقدي (/١٠٠٦ ـ ١٠٠٨)، وإمتاع الاسماع (٤٥٤ ـ ٤٥٦)، ومسند أحمد ←

ووقع نظير ذلك للامام علي(ع) كما رواه نصر بن مزاحم وغيره، واللفظ لنصر في كتابه (وقعة صفين) بسنده، وقال:

كان مخنف بن سليم يساير عليّاً ببابل[٣] فقال الإمام علي (ع): «إِنَّ ببابلَ أَرْضاً خُسِفَ بها فَحَرِّكْ دابَّتَكَ لَعَلَّنا نُصلِّيَ العَصْرَ خارجاً مِنْها». قال: فَحَرَّكَ دابَّتَهُ وحرَّك النّاسُ دَوابَّهم في أَثَرِهِ، فَلَمّا جَازَ جِسْرَ الصَّراةِ نَزَلَ فَصَلّىٰ بالناسِ العَصْرَ.[٤]

وفي رواية راوٍ آخر:

قطعنا مع أمير المؤمنين جسر الصَّراةِ في وقت العصر، فقال: «إِنَّ هٰذه أرض معذَّبةٌ لاينبغي لنبيّ ولا وصيّ نبي أن يصلّيَ فيها».[٥]

هكذا كان للبركة انتشار من الزمان الذي بارك الله فيه لعبدٍ من عباده المخلصين، وللشؤم انتشار من الزمان الّذي غضب فيه على عبيده الاشقياء.

وسوف نرىٰ في بحث آثار العمل الآتي أنّ لأعمال النّاس آثاراً خالدةً في الدنيا وفي الآخرة تتجسّد لتخلد ناراً وقودها الناس والحجارة، أو نعيماً في جنّات عدن. وكلّ ذلكم الانتشار وتلكم الآثار يراها عباد الله المخلَصون ويدركونها، فتدفعهم الى الاجتهاد في أداء الأعمال الصالحة وأجتناب الأعمال السيّئة من الفحشاء والسوء والمنكر.

(٩/٢ و ٥٨ و ٦٦ و ٧٢ و ٧٤ و ٩١ و ٩٦ و١١٣ و ١٣٧ و ٢٩٦/٣)، وصحيح البخاري (٦١/٣ و ٩٩) ذكر غزوة تبوك، وتفسير سورة الحِجْر، وصحيح مسلم كتاب الزهد، الحديثان: ٣٩ و ٤٠.

(٣) بابل في العراق بين الكوفة وبغداد، وجسر الصراة كان على نهر الصراة بالقرب من بغداد.

راجع مادتي (بابل) و (الصَّراة) بمعجم البلدان.

(٤) صفّين، ص١٣٥.

(٥) في البحار (٤١/ ١٦٨) عن علل الشرائع ص١٢٤، وبصائر الدرجات (٥٨).

وتلكم الرؤية هي برهان الله الذي يؤتي الله من عباده من تزكّى وآثر رضىٰ الله على هوىٰ النفس الأمّـارة بالسوء، ومن ثمّ لاتصدر من عباده المخلَصين معصية موبقة، ومَثَلُهُمْ في ذلك مثل إنسان بصير و آخر ضرير يسيران معاً في طريق واحـد كثيرة العثرات والمهاوي المردية، يتجنبها البصير وينبّه صاحبه الضرير ليتجنّبها.

أو كمثل أناس عطاشىٰ أمامهم ماء تتوق أنفسهم إلى شربه ليبرّدوا به حرارة عطشهم، وفيهم طبيب معه مجهر نظر من خلاله الى ذلك الماء وأبصر فيه أنواعاً من الجراثيم المهلكة، وأخبر صحبه بلزوم تصفية الماء قبل الاستفادة منه.

هكذا مثل عباد الله المخلَصين في رؤيتهم البرهان وتَبصُّرهم بحقائق الأعمال وآثارها السيّئة أو الحسنة. فهم مع تلك الرؤية لقبح فعل المعصية وشناعتها في الدنيا وتجسّده ناراً محرقة خالدة في الآخرة، لايمكن أن يُقدموا على العمل بها مختارين وغير مجبورين على تركها، أو ممنوعين من قبل الله من إتيانها.

وما يوردون من شبهات حول عصمة الأنبياء مستشهدين بآيات متشابهة، أخطأوا في تأويل بعضها وفسرّوا بعضها الآخر بروايات زائفة. ولكي لايطول البحث نكتفي بإيراد أمثلة من النوعين في مايأتي:

- ٤ -

روايات مكذوبة على نبيّ الله داود في زواجه بأرملة أوريا، وعلى خاتم الأنبياء في زواجه بزينب مُطَلَّقَةَ مَنْ تَبَنَّاهُ بروايات زائفة، والحكمة في الأمْرَين

ندرس من هذا النوع الروايات التي وردت في خبر زواج داود بأرملة اوريا، وزواج خاتم الأنبياء(ص) بمطلّقة زيد كالآتي:

أ - زواج داود(ع) في القرآن الكريم:

قال الله سبحانه في سورة ص :

﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَايَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبدَنَا دَاوُدَ ذا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيرَ مَحشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدنا مُلكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَابِ * وَهَل أَتَاكَ نَبَأُ الخَصمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحرَابَ * إِذ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنهُم قَالُوا لاتَخَفْ خصمانِ بَغَىٰ بَعضُنَا عَلَىٰ بَعضٍ فَاحكُم بَينَنا بِالحَقِّ وَلاَ تُشطِط وَاهدِنَا إِلَىٰ سَواءِ الصِّراطِ * إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسعٌ وَتِسعُونَ نَعجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكفِلنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ * قَالَ لَقد ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعجَتِكَ إِلىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثيراً مِن الخُلَطاءِ لَيَبغِي بَعضُهُم عَلَىٰ بَعضٍ إِلاّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ وَقَليلٌ ماهُم وَظَنَّ داوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاستَغفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرنَا لَهُ ذٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلفَىٰ وَحُسنَ مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلناكَ خَليفَةً فِي الأَرضِ فَاحكُم بَينَ النَّاسِ بِالحَقِّ...﴾ (الآيات ١٧ - ٢٦).

تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء

الروايات بمدرسة الخلفاء في تأويل آيات خبر حكم داود (ع) كثيرة، ونَحْنُ نكتفي في ما يأتي بإيراد ثلاثة نماذج منها بإذنه تعالىٰ:

أ ـ رواية وهب بن منبِّه:

روىٰ الطبري في تأويل الآية عن وهب أنّه قال:

«لمّا اجتمعت بنو إسرائيل على داود، أنزل الله عليه الزَّبور، وعلّمه صنعة الحديد، فألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبِّحن معه إذا سبّح، ولم يعط الله ـ فيما يذكرون ـ أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور ـ فيما يذكرون ـ تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنها لمصيخة تسمع لصوته، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته، وكان شديد الإجتهاد، دائب العبادة، فأقام في بني إسرائيل، يحكم فيهم بأمر الله نبياً مستخلفاً، وكان شديد الإجتهاد من الأنبياء، كثير البكاء، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ماعرض له، وكان له محراب يتوحّد فيه لتلاوة الزَّبور ولصلاته إذا صلى، وكان أسفَل مِنه جُنَينة لرجل من بني إسرائيل، كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه.

وانّه حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لايدخلنّ عليّ محرابي اليوم أحد حتى الليل، ولا يشغلني شيء عمّا خلوت له حتى أُمسِي، ودخل محرابه ونشر زَبوره يقرؤه، وفي المحراب كُوَّة تطلعه على تلك الجنينة، فبينا هو جالس يقرأ زَبوره، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوّة، فرفع رأسه فرآها فأعجبته، ثم ذكر ما كان قال: لايشغله شيء عما دخل له، فنكّس رأسه، وأقبل على زَبوره، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوّة، فوقعت بين يديه،

فتنـاولها بيده، فآستأخرتْ غير بعيد، فأتبعها، فنهضت إلى الكوّة، فتناولها في الكوّة، فتصوّبت إلى الجُنينة، فأتبعها بصره أين تَقَع، فإذا المرأة جالسة تغتسل، بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحُسن والخلق. فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، واختطفت قلبه، ورجع إلىٰ زَبور ه ومجلسه، وهي من شأنه، لايفارق قلبه ذكرها، وتمادىٰ به البلاء، حتىٰ أغزىٰ زوجها، ثمّ أمر صاحب جيشه - فيما يزعم أهل الكتاب - أن يقدّم زوجها للمهالك، حتىٰ أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولـداود تسع وتسعون امرأة، فلمّا أصيب زوجُها خطبها داود، فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملَكين يختصمان إليه، مثلاً يضربه له ولصاحبه، فلم يُرَعْ داود إلاّ بهما واقفين علىٰ رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: لاتخف، لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿خَصمانِ بَغَىٰ بَعضُنا عَلىٰ بَعض﴾ فجئنـاك لتقضيَ بيننـا ﴿فَـآحكُم بَيننـا بالحَقّ وَلاتُشْـطِطْ، وَآهـدِنـا إلىٰ سَواءِ الصِّراط﴾ : أي احملنا علىٰ الحقّ، ولا تخالف بنا إلىٰ غيره، قال الملك الذي يتكلّم عن أوريا بن حنَانيا زوج المرأة: ﴿إنَّ هٰذا أخي﴾ : أي علىٰ ديني ﴿لَهُ تِسعٌ وَتِسعونَ نَعجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ وَاحدةٌ، فَقالَ أكْفِلْنِيها﴾: أي احملني عليها، ثم عزّني في الخطاب: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوىٰ منّي هو وأعزّ ، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لاشيء لي. فغضب داود، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم، فقـال: لئن كان صدقني ما يقـول، لأضربنَّ بين عينيك بالفأس ، ثمّ آرعوىٰ داود، فعرف أنّه هو الذي يُراد بما صنع في آمرأة «أوريا»، فوقع ساجداً تائباً منيباً باكياً، فسجد أربعين صباحاً صائماً لايأكل فيها ولايشرب، حتىٰ انبت دمعه الخُضَرَ تحت وجهه وحتى أندَب السجود في لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنّه قال: أي ربّ هذا غفرت ماجنيت في شأن المرأة، فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود - فيما زعم أهل الكتاب - أما انّ ربّك لم يظلمه

بدمه ولكنّه سيسأله إيّاك فيعطيه، فيضعه عنك، فلمّا فرّج عن داود ماكان فيه رسم خطيئته في كفه اليمنى: بطن راحته، فما رفع إلىٰ فيه طعاماً ولا شراباً قط إلّا بكى اذا رآها، وما قام خطيباً في الناس قط إلّا نشر راحته فآستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته.[٦]

ب ـ رواية الحسن البصري:

رَوىٰ الطبري والسيوطي في تفسير الآية عن الحسن البصري أنّه قال:

إنّ داود جَزَّأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه، ويوماً لعبادته، ويوماً لقضاء بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل، يذاكرهم ويذاكرونه، ويُبْكيهم ويُبْكونه، فلمّا كان يوم بني إسرائيل قال: ذكّروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لايصيب فيه ذنبا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر أن لايدخل عليه أحد، وأكبَّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب، فيها من كلّ لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوىٰ إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد من غير أن تُؤْيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على آمرأة تغتسل، فأعجبه خلقها وحُسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض، جلّلت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا؛ مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأُصيب فخطبها فتزوّجها.[٧]

---

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٥ ـ ٩٦) ط. دار المعرفة بيروت.

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٦) ط. دار المعرفة ببيروت. والسيوطي (١٤٨/٥) واللفظ للأوّل.

ج ـ رواية يزيد الرّقاشي عن أنس بن مالك:

أخـرج الـطبري والسيوطي بتفسـير الآية بسندهما عن يزيد الرقاشي واللفظ للطبري، قال:

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، سمعه يقول:

سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يقول: إنّ داود عليه السلام حين نظر الىٰ المرأة قطع علىٰ بني اسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: اذا حضر العدو تضرب فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم منه الجيش، فقتل وتزوّج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام، فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الـزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: ربّ زلّ داود زلّة أبعد مما بين المشرق والمغرب، ربّ إنْ لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثاً في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السّلام من بعد أربعين ليلة فقال: ياداود إنّ الله قد غفر لك وقد عرفت ان الله عدل لايميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يارب دمي الذي عند داود؟ قال جبريل: ما سـألت ربّك عن ذلك فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل وسجد داود عليه السّلام، فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود عن الـذي أرسلتني فيه فقال: قل لداود إنّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لي دمك الذي عند داود، فيقول هو لك يارب، فيقول: فإنّ لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً...[8]

* * *

---

(٨) بتفسـير الآية في تفسـير الطبري (٢٣/٩٦)، ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ والسيوطي ٥/٣٠٠ ـ ٣٠١.

هكذا وردت الروايات عن خبر نبي الله داود (ع) في التفاسير وندرس في مايلي أسانيد تلكم الروايات.

دراسة أسانيد الروايات:

أ ـ وهب بن منبِّه:

أبـوه من أبنـاء الفرس الذين بعث بهم كسرىٰ الى اليمن. في ترجمته بطبقات ابن سعد ما موجزه:

قال وهب: قرأت آثنين وتسعين كتاباً كلّها أُنزِلَتْ من السماء؛ إثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لايعلمها إلاّ قليل. (ت١١٠هـ)

وقال الدكتور جواد علي: يقال إنّ وهباً من أصل يهودي، و كان يزعم أنه يتقن اليونانية والسريانية والحميرية وقراءة الكتابات القديمة. ذكر في كشف الظنون من تآليفه (قصص الأنبياء).[٩]

ب ـ الحسن البصري:

أبو سعيد، كان أبوه مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري، ولد لسنتين بقيت من خلافـة عمـر، وعاش ومات في البصرة سنة ١١٠هـ وكان غاية في الفصاحة والبلاغة، مهاباً عند الناس وسلطة الخلافة، وإماماً لأتباع مدرسة الخلفاء بالبصرة.[١٠]

---

(٩) طبقات ابن سعد، ط. أوروبا (٥/٣٩٥)، وكشف الظنون (١٣٢٨)، وتاريخ العرب قبل الاسلام، لجواد علي (١/٤٤).

(١٠) ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان ط. الأولى (١/٣٥٤) وطبقات ابن سعد، ط. اوروبا ٧/١/١٢٠.

رأيه:

يظهر من روايات وردت بترجمة في طبقات ابن سعد أنّه كان يقول بالقدر ويناظر فيه، ثمّ رجع عنه، وأنّه كان لايرىٰ الخروج علىٰ السلطة الظالمة كالحجّاج.

قيمة رواياته:

في ترجمته بميزان الاعتدال[11]:

كان الحسن كثير التدليس فإذا قال في حديث: عن فلان ضعف لحاجة، ولاسيّما عمّن قيل إنّه لم يسمع منهم كأبي هريرة ونحوه، فعَدُّوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع. والله أعلم.

أي إنّ الحسن إذا قال في حديث: (عن فلان) ضَعُفَت روايته عن فلان لحاجته إلى ذلك القول، لاسيّما في مايرويه عمّن لم يسمعهم؛ مثل رواياته عن أبي هريرة ونحوها ممّن روى عنهم في حين أنه لم يشاهدهم.

وبترجمته بطبقات ابن سعد بسنده عن علي بن زيد أنه قال:

حدّثت الحسن بحديث فإذا هو يحدّث به، قال: قلت يا أبا سعيد! من حدّثكم؟ قال: لاأدري! قال: قلت أنا حدّثتكم.

وروىٰ ـ أيضاً ـ أنّه قيل له: أرأيت ماتفتي الناس أشياء سمعتها أم برأيك؟ فقال: لا والله ماكلّ ما نفتي به سمعناه، ولكنّ رأينا خيرٌ لهم من رأيهم لأنفسهم.[12]

---

(١١) (٥٢٧/١) رقم الترجمة ١٩٦٨.

(١٢) الحديثان بطبقات ابن سعد (١٢٠/٨) ط. اوروبا (١٢٠/١/٧).

تخـــرّج من مدرستـــه واصـل بن عطاء (ت: ١٣١هـ) مؤسّس مذهب الاعتزال، وابن أبي العوجاء أحد مشاهير الزنادقة.

قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في مالا أصل له ولا حقيقة! قال: إنّ صاحبي كان مخلّطاً؛ يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً فدام عليه.

قتله علىٰ الزندقة والي الكوفة سنة ١٥٥هـ. قال عند قتله: «لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرّم فيه ما أحلّ الله، وأُحرّم فيه ما أحلّ الله، فطّرتكم يوم صومكم وصوّمتكم يوم فطركم».[١٣]

ج ـ يزيد بن أبان الرقاشي:

المحدّث القاصّ البصري والزاهد البكّاء من غير دراية وفقه.

في ترجمته في تهذيب الكمال للمزّي وتهذيب التهذيب لابن حجر ما موجزه[١٤]:

أ ـ عن زهده:

جوّع نفسه وعطّشها، ذبل جسمه ونهك بدنه وتغيّر لونه. كان يبكي ويُبكي جلساءه ويقول ـ مثلاً ـ: تعالوا نبكي على الماء البارد يوم الظّمأ. ويقول: علىٰ الماء البارد السلام بالنهار، قال: وفعل مالم يقله رسول الله ولم يفعله، وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِن الرِّزقِ قُل هي

(١٣) ترجمة واصل بن عطاء في وفيات الأعيان لابن خلّكان، وترجمة ابن أبي العوجاء في بحث الزندقة والزنادقة في الجزء الأوّل من خمسون ومائة صحابي مختلق والكنىٰ والألقاب، ط. صيدا (١/ ١٩٢).

(١٤) راجـع ترجمتـه بتهذيب الكمال للمزي مخطوطة المكتبة الظاهرية مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي، (٨/ ٢٦٤) (أ ـ ب)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٠٩ ـ ٣١١).

لِلَّذينَ آمَنُوا في الحياة الدُّنيا﴾.

ب ـ عن رأيه: كان ضعيفاً قدرياً.(١٥)

ج ـ عن قيمة رواياته:

رووا عن شعبة أنّه قال: لأن أقطع الطريق أحبُّ إليَّ من أن أروي عنه، وقال: لأن ازني أحبُّ إليّ من أن أروي عنه.

وقالوا في حديثه: منكر الحديث، متروك الحديث، لايكتب حديثه!

وقال أبو حاتم: كان واعظاً بكّـاءً كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر، وفي حديثه ضعف.

وفي تهذيب التهذيب: قال ابن حبّان: كان من خيار عباد الله من البكّائين بالليل، لكنّه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي (ص)، فلا تحلّ الرواية عنه إلاّ على جهة التعجُّب.

وفاته:

توفّي يزيد بن أبان قبل العشرين ومائة هجرية(١٦).

---

(١٥) طبقات ابن سعد ط. اوروبا (ج٧/ ق٢/ ١٣).

(١٦) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، (١١/ ٣٠٩ ـ ٣١١).

دراسة متون الروايات:

أوّلاً ـ رواية وهب:

موجز الرواية: أنّ النبيّ داود (ع) خلا بنفسه يوماً للعبادة وأكبّ على التوراة يقرؤها، إذْ أقبلت حمامة من ذهب فوقعت بين يديه، فأهوى اليها ليأخذها فطارَتْ غيرَ بعيدٍ عَنهُ. فما زال يتبعها حتّىٰ أشرف على آمرأة جاره أوريا، وكانت عارية تغتسل، فأعجبه جمالها، فلمّا أحسّت به جلّلت نفسها بشعرها فآزداد آفتتاناً بها، فدبّر أمر قتل زوجها الّذي كان في الغزو ثمّ تزوّجها، فتسوّر عليه الملكان وكان من أمرهما ماتحدّث عنه القرآن الكريم.

في هذه الرواية جاءمرّة: قال وهب، وأخرى: قال (في مايزعم أهل الكتاب)، وبذلك خرج من عهدة روايتها.

ولمّا رجعنا الى التوراة وجدنا في سفر صموئيل الثاني خبر رؤية داود يتشبع زوجة جاره أوريا من سطح داره وإعجابه بها وجلبه إيّاها إلى داره، وأنّه ضاجعها فحملت منه سفاحاً إلى آخر القصة التي أوردنا مصوّرها في الملحق الثاني في آخر الكتاب.

ويظهر من مقارنة رواية وهب هذه بما جاء في خبر داود في سفر صموئيل من التوراة أنه أخذ بعض القصة من التّوراة وبعضاً آخر منها من كتب إسرائيلية أخرى كان قرأها ـ كما كان يخبر عن قراءته إيّاها ـ وهذا النوع من الروايات سُمّي في علم دراية الحديث بـ: «الروايات الإسرائيلية أو الإسرائيليات».

ثانياً ـ رواية الحسن البصري:

إنّ موجز رواية البصري هو موجز رواية وهب نفسه، غير أنّ البصري أضاف في أوّل القصة: أنّ داود كان قد جزأ الدهر أربعة أيام، ولسنا ندري هل

أضافه اليها من خياله وابتكاره أوْ أنّه أخذه من راوٍ آخر من رواة الاسرائيليات؟

وعلى أيّ حال. لم يذكر البصري سند روايته هذه، وإنّما أرسلها ارسالاً. ولو أنّه حين رواها ذكر مصدرها وقال إنه رواها من وهب بن منبّه أو غيره من رواة الروايات الإسرائيلية؛ لهان الأمر وتمكّن الباحثون من العثور على مصدر الرواية وأدركوا بسهولة أنها من الروايات الاسرائيليّة، وبإرساله الرواية غُمَّ أمر الرواية على الباحثين، وبما أنّه إمام الأئمة في العقائد فقد كان لروايته أثرٌ مضاعفٌ على فهم العقائد الاسلاميّة.

وجلّ رواة الروايات الاسرائيلية يفعلون ما فعله البصريّ ويرسلون ما يروونه من الروايات الاسرائيلية دون ذكر مصدرِ الرواية، ومن ثمّ يَغمُّ أمر تلك الروايات على غير أهل دراية الحديث.

ثالثاً ـ رواية يزيد الرقّاشي:

إنّ يزيد بن أبان قال: إنّه سمعها من الصحابي أنس الذي سمعها من رسول الله(ص)، وبذلك كذب على أنس وعلى رسول الله(ص)، وهو الزاهد العابد البكّاء، وكم يكون أثر رواية يرويها أمثال يزيد من العبّاد في وعظهم وقصصهم!؟ وهل يعرف غير المتخصّصين بعلم دراية الحديث أنّ يزيد الرقّاشي أسند ماسمعه من الحسن البصري الى الصحابي أنس إلى رسول الله(ص)، ويأتي بعدهم المفسّرون أمثال الطبري (ت: ٣١٠ هـ) الى السيوطي (ت: ٩١١هـ) ويوردون تلك الأساطير في تفاسيرهم. والأمر لايقتصر على من ذكرناهم هنا من رواة الروايات الإسرائيلية، بل يتعدّاهم إلى غيرهم من صحابة وتابعين، كما ذكرنا بعضهم في الجزء الخامس والثاني عشر من قيام الأئمة بإحياء السنّة[١٧] مثل:

---

(١٧) لقد طبعا بالفارسيّة باسم «نقش أئمّه در إحياء دين».

١ ـ الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص: الذي أصاب راحلتين من كتب أهل الكتاب في بعض الغزوات، وكان يروي عنهما دونما ذكر لمصدر رواياته.

٢ ـ الصحابي تميم الداري: الذي أسلم بعد أن كان راهب النصارىٰ، وكان يقصّ في مسجد الرسول (ص) يوم الجمعة قبل خطبة الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، ويقصّ يومين في الاسبوع علىٰ عهد الخليفة عثمان.

٣ ـ التابعي كعب الأخبار:

كان قد اسلم على عهد الخليفة عمر، وأصبح مِن علماء المسلمين على عهد الخليفتين عمر و عثمان.

ثمّ من أخذ من هؤلاء وألّف تفسير القرآن مثل:

٤ ـ مقاتل بن سليمان المروزي الأزدي بالولاء (ت: ١٥٠هـ)

كان مشهوراً بتفسير كتاب الله. وقال الشافعي:

(الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمىٰ في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام):

كم ياتُرى دَسَّ مقاتل من الاسرائيليات في رواياته التي اعتمدوها وكم اختلق مما روى وأسند؟![١٨]

---

(١٨) راجع ترجمة تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٠ ـ ١٦٩) رقم الترجمة ٧١٤٢، وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢) رقم الترجمة ٤ ـ ٧، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩ ـ ٢٨٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٧٢) رقم الترجمة ٧٨٤١).

نتيجة الدراسة

نقل وهب الرواية المفتراة على نبي الله داود (ع) من كتب أهل الكتاب وصرّحَ بمصدرها، ورواها إمام الأئمة الحسن وأرسلها دون الإشارة الى مصدرها، ودلّس المحدّث القاصّ الزاهد العابد البكّاء يزيد بن أبان وقال: سمعها أنس من رسول الله (ص).

ولايقتصر هذا النوع من التدليس وإسناد الروايات الاسرائيلية الى الصحابة بهذا المورد وحده، وإلى هذا الصحابي وحده، فقد أكثروا في إسناد أمثالها إلى الصحابي ابن عم النبي (ص) عبدالله بن عباس، ونحتاج لدراستها إلى بحوث مقارنة مبسوطة، وبمراجعة الصفحة الأخيرة من تفسير السيوطي «الدرّ المنثور» ينكشف لنا بعض الأمر.

* * *

وهكذا نجد منشأ الخبر المفترى على داود (ع) قصص التوراة، وكذلك تسرّبت الأخبار الإسرائيلية الى تفسير القرآن، فكونّت للمسلمين رؤية غير صحيحة عن سيرة الأنبياء، وكان ذلكم خبر زواج داود(ع) بأرملة أوريا وما افتروا عليه في ذلك، ومنشأه، والصحيح من خبره، وفي ما يأتي الصحيح من خبر زواجي زينب بنت جحش بزيد ثمّ برسول الله(ص):

خبر زواج الرسول بزينب بنت جحش في الرواية:

قال الخازن في تفسير آية: ﴿وَتُخفي في نَفْسِك...﴾ :

«وأصحُّ ما في هذا الباب ماروي عن سفيان بنَ عُيَيْنة عن عليّ بن زيد بن جدعان، قال: سألني زين العابدين عليّ بن الحسين قال: مايقول الحسن - أي البصري (ت: ١١٠هـ) - في قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخفي في نَفسِكَ ما اللّهُ مُبديهِ وَتخشىٰ النّاسَ واللّهُ أحقُّ أن تَخشاه﴾ ؟ قلت، يقول: لما جاء زيدٌ الىٰ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يارسول الله! إنّي اريد ان أُطلّق زينب، أعجبه ذلك وقال: أمسك عليك زوجك واتّق الله. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، فإنّ الله عزّ وجلّ أعلمه أنّها ستكون من أزواجه، وأنّ زيداً سيطلّقها، فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلّقها، قال له: أمسك عليك زوجك. فعاتبه الله تعالى وقال: لِمَ قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟

قال الخازن:

وهذا هو الأولىٰ والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة...الخ.

وتفصيل خبر زواج زينب بزيد أوّلاً ثمّ بالنبي (ص) في الآيات والروايات كالآتي:

أ - الآيات في خبر زواج الرسول (ص) بزينب بنت جحش:

قال الله سبحانه في سورة الأحزاب:

﴿وَمَا كانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إذا قَضَى اَللّهُ وَرَسُولُهُ أمراً أن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم وَمَن يَعصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدضَلَّ ضَلاَلاً مُبيناً * وَإذْ تَقولُ لِلَّذي أنعم اَللّهُ عَلَيهِ وَأنعَمتَ عَلَيهِ أمسِك عليكَ زَوجَكَ وَاتّقِ اَللّهَ وَتُخفي فِي نَفسِكَ ما اَللّهُ مُبدِيهِ وَتَخشىٰ اَلنَّاسَ وَاَللّهُ أحَقُّ أن تخشاهُ فَلَمّا قَضَىٰ زَيدٌ مِنها وَطَراً زَوَّجناكَها

لِكَي لايَكُونَ علىٰ ٱلْمُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزواجِ أَدعِيَائِهِم إِذا قَضَوْا مِنهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمرُ ٱللَّهِ مَفعُولاً* مَا كانَ علىٰ ٱلنَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللهُ لَهُ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَكَانَ أَمرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَقدُوراً* ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ ٱللَّهِ وَيَخشَوْنَهُ وَلايَخْشَونَ أَحداً إلاَّ ٱللَّهَ وَكَفىٰ باللَّهِ حَسِيباً* ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِن رِجالِكُمْ وَلٰكن رَسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾ (الآيات ٣٦ ـ ٤٠).

ب ـ تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء:

روى الطبري في تأويل الآية عن وهب بن منبِّه: إنّ النبي (ص) كان قد زوّج زيد بن حارثة زينب بن جحش ابنة عمّته، فخرج رسول الله (ص) يوماً يريده، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبيّ (ص)، فلمّا وقع ذلك كرهت الىٰ الآخر، فجاء ـ زيد ـ فقال: يارسول الله(ص) إنّي أريد أن أُفارق صاحِبَتي، قال: مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت إلاّ خيراً... الحديث[١٩].

ووردت ـ أيضاً ـ رواية أُخرىٰ في هذا الصدد بالمضمون نفسه عن الحسن البصري سوف نوردها ضمن روايات أهل البيت في تأويل الآيات إن شاء الله تعالىٰ.

دراسة الروايتين:

أ ـ سندهما:

نقلوا الروايتين عن وهب بن منبّه والحسن البصري، ونضيف الى ما أوردناه في ترجمتهما: أن كليهما كانا قد ولدا بعد رسول الله (ص) بأعوام، فكيف يرويان

(١٩) تفسير الطبري، ط. دار المعرفة ببيروت (٢٢/ ١٠ ـ ١١).

عمّا حدث في عصر رسول الله (ص) ويرسلانه إرسالاً دونما ذكر مصدرهما؟!

ب ـ متنهما:

محور الخبر أنّ الرسول (ص) أعجبه جمال زينب عندما رآها بغتة بلا حجاب، ورغب في طلاق زيد إيّاها وأخفى ذلك في نفسه.

وبيان زَيف ذلك: أن زينب كانت ٱبنة عمّة النبي(ص)، وقد نزل حكم الحجاب بعد زواج الرسول (ص) بزينب، وكان قد رآها قبل أن يزوّجها من زيد مراراً وتكراراً، وقد افترىٰ علىٰ الرسول (ص) من قال ذلك، والصحيح في الخبر مانتقله عن كتب السيرة في مايأتي بإذنه تعالى:

خبر زواج زينب بزيد أوّلاً ثمّ بالنبي (ص) بعد طلاق زيد إيّاها:

كان من خبر زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أنّه أصابه سباء في الجاهلية وبيع في بعض أسواق العرب، فاشتُري لخديجة، ثمّ وهبته خديجة للنبيّ (ص) قبل أن يُبعث وهو ٱبن ثماني سنين، فنشأ عند النبي (ص)، وبلغ الخبر أهله فقدم أبوه وعمُّه مكة لفدائه، فدخلا علىٰ النبيّ (ص) وقالا: ياٱبن عبدالمطلب! ياٱبن هاشم! ياٱبن سيّد قومه! جئناك في ٱبننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه! فقال: من هو؟ قالا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله (ص): فهلّا غير ذلك؟ قالا: ماهو؟ قال: أُدعُوه وخيّروه فإن ٱختاركم فهو لكم، وإن ٱختارني فوَالله ما أنا بالذي أختار علىٰ من ٱختارني أحداً. قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت، فدعاه رسول الله (ص) فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم! هذا أبي، وهذا عمّي! قال: فأنا من عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو ٱخترهما. قال: ما أريدهما وما أنا بالّذي أختار عليك أحداً، أنت منّي مكان الأب والعمّ! فقالا: ويحك يازيد! أتختار العبوديّة علىٰ الحريّة وعلىٰ أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم،

ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالّذي أختار عليه أحداً أبداً، فلمّا رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه الىٰ الحجر ـ في بيت الله ـ فقال: يا من حضر! اشهدوا أنّ زيداً آبني يرثني وأرثه، فلمّا رأى ذلك أبوه وعمّه طابت نفوسهما وآنصرفا[٢٠].

ونُسِبَ زيد بعد ذلك الى رسول الله (ص) وقيل له: زيد بن محمّد (ص)، وزوّجه الرسول (ص) من أمته وحاضنته برّة السوداء الحبشية، وكانت قد تزوّجت قبله من عبيد الحبشي، وولدت له أيمن فَكُنِّيَتْ بـ (أمّ أيمن)، فولدت في مكّة أُسامة من زيد[٢١].

كان ذلكم خبر تبنّي الرسول (ص) لزيد، وخبر زواجه بزينب ثمّ زواج النبي بزينب كالآتي:

---

(٢٠) اسد الغابة (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧).

(٢١) ترجمة أُم أيمن في اسد الغابة (٧/ ٣٠٣)، والاستيعاب ص ٧٦٥ رقم الترجمة ٢، والاصابة (٤/ ٤١٥ ـ ٤١٧) الترجمة رقم ١١٤٥.

خبر زواج زيد من زينب ابنة عمّة الرسول (ص):

بعد الهجرة الىٰ المدينة خطب زينب ابنة أميمة ابنة عبدالمطلب عدّة من أصحاب النبيّ (ص)، فأرسلت أخاها الى النبيّ (ص) تستشيره في أمرها، فقال: فأين هي ممّن يعلّمها كتاب ربّها وسنّة نبيّها؟ فسألت: من هو؟ فقال: زيد! فغضبت وقالت: تزوّج ابنة عمتك مولاك! لست بناكحته! أنا خير منه حسباً! أنا أيّم قومي[٢٢]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَما كانَ لمؤمنٍ وَلا مُؤمنةٍ إذا قَضىٰ اللّهُ وَرسولُهُ أمراً أن يكونَ لهُمُ الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسولَهُ فقد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾ (الأحزاب ٣٦). فرضيت فزوّجها الرسول (ص) من زيد بعد أمّ أيمن السوداء الحبشية، ولها أُسامة بن زيد، فكانت تعلو علىٰ زيد وتشتد وتأخذه بلسانها، فكان يشكوها إلىٰ الرسول (ص) ويحاول تطليقها، واقتضت مشيئة الله وحكمته أن يتزوّجها الرسول (ص) بعد زيد ليُلغىٰ بذلك التبنّي بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشي الرسول (ص) أن يقول الناس تزوّج حليلة ابنه، فكتم الوحي في نفسه وقال لزيد: إتّق الله وأمسك عليك زوجك، ولمّا ضاق زيد ذرعاً بزوجته زينب طلقها وانقضت عدّتها، فنزلت الآيات على الرسول (ص) مرّة واحدة:

﴿فَلَمّا قَضىٰ زَيدٌ مِنها وَطَراً زَوَّجناكَها لِكَي لايكونَ علىٰ المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم*.... مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِن رِجالِكُم وَلكنْ رَسُولَ ٱللّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّين...﴾ (الأحزاب ٣٧ ـ ٤٠).

وقال عزّ اسمه لسائر المؤمنين: ﴿وَماجَعَلَ أدعياءَكُم أبناءَكُم ذٰلِكُم قَولُكُمْ بِأفواهِكُم وَاللّهُ يَقولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهدي السَّبيل* أُدعوهُم لآبائهم هُوَ أَقسَطُ عِندَ

(٢٢) ألأيّم وجمعه الايامىٰ: المرأة لا زوج لها والرجل لا زوجة له.

الله فَإنْ لَمْ تَعلَموا آباءَهُم فَإِخوانُكُم في الدِّينِ وَمَواليكُم﴾ (الأحزاب ٤ ـ ٥).

* * *

أوردنا في ماسبق مثالين من آيات أخطأ العلماء في تأويلها بسبب ماورد في رواياتٍ مُفْتَرَاةٍ على الأنبياء، ونورد في ما يأتي أمثلة من آيات أخطأ البعض في تأويلها دونما استناد إلى رواية:

ـ ٥ ـ
آيات أخطأوا في تأويلها

أ ـ نسبة العصيان الى آدم(ع) في سورة طه حيث قال تعالى:

﴿وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾ (الآية ١٢١).

ب ـ في سورة الأنبياء: حيث قال إبراهيم عن تكسير الأصنام ﴿بَل فعلهُ كَبِيرُهُم﴾ في حين أنّه هو الذي كان قد كسّرها، كما قال سبحانه:

﴿فَجَعَلَهُم جُذَاذاً إلاّ كَبِيراً لَهُم لَعَلَّهُم إلَيهِ يَرجِعُون* قَالُوا مَن فَعَلَ هٰذا بآلِهَتِنَا إنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعنَا فَتىً يَذكُرُهُم يُقَالُ لَهُ إبرَاهِيمُ* قَالُوا فَأتُوا بِهِ علىٰ أعيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَشهَدُونَ* قَالُوا أأنتَ فَعَلتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبرَاهِيمُ* قَالَ بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هٰذَا فَاسألُوهُم إن كانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إلىٰ أنفُسِهِم فَقَالُوا إنَّكُم أنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا علىٰ رُؤُسِهِم لَقَد عَلِمتَ مَا هٰؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾ (الآيات ٥٨ ـ ٦٥).

ج ـ أخبر الله سبحانه في سورة يوسف(ع) انّ وَزَعَتَهُ[٢٣] قالوا لاخوته ﴿إنَّكُم لَسارِقُون﴾ في حين أنّهم لم يكونوا قد سرقوا صواع الملك، حيث قال تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ في رَحلِ أخِيهِ ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ أيَّتُهَا ٱلعِيرُ إنَّكُم لَسَارِقُون* قَالُوا وَأقبَلُوا عَلَيهِم مَاذَا تَفقِدُون* قَالُواْ نَفقِدُ صُوَاعَ ٱلمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِملُ بَعِيرٍ وَأنَا بِهِ زَعِيم* قَالُوا تَاللّهِ لَقَد عَلِمتُم مَاجِئنَا لِنُفسِدَ في

---

(٢٣) ألوَزَعَةُ: الموظفون من قبل ولاة الأمر.

ٱلأرض وَمَاكُنَّا سَارِقِين* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إن كُنْتُم كَاذِبِينَ* قَالُوا جَزاؤُهُ مَن وُجِدَ في رَحلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذَلِكَ نَجزِي ٱلظَّالِمِين* فَبَدَأَ بِأوعِيَتِهِم قَبلَ وِعاءِ أخِيهِ ثُمَّ أستَخرَجَهَا مِن وِعاءِ أخِيهِ كَذَلِكَ كِدنَا لِيُوسُف مَاكَانَ لِيَأخُذَ أخَاهُ في دِينِ ٱلمَلِكِ إلاَّ أن يَشَاءَ ٱللَّهُ نَرفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيم* قَالُوا إن يَسرِقْ فَقَد سَرَقَ أخٌ لَهُ مِن قَبلُ فَأسَرَّها يُوسُفُ في نَفسِهِ وَلَم يُبدِهَا لَهُم قَالَ أنتُم شَرٌّ مَكَاناً وَٱللَّهُ أعلَمُ بِمَا تَصِفُون* قَالُوا يَاأيُّها ٱلعَزِيزُ إنَّ لَهُ أباً شَيخاً كَبِيراً فَخُذ أحَدَنَا مَكَانَهُ إنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلمُحسِنِينَ﴾ (الآيات ٧٠ ـ ٧٨).

د ـ أخبر الله سبحانه في سورة الأنبياء أنّ النبيّ ذا النون (ع) ظنّ أن الله لن يقدر عليه حيث قال تعالى:

﴿وَذا ٱلنُّونِ إذ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَن نَقدِرَ عَلَيهِ فَنادىٰ في ٱلظُّلُماتِ أن لا إلَهَ إلاّ أنتَ سُبحَانَكَ إنّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ* فَٱستَجَبنَا لَهُ وَنَجَّيناهُ مِنَ ٱلغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي ٱلمُؤمِنِين﴾ (الآيات ٨٦ ـ ٨٨).

هـ ـ أخبر الله تعالى في سورة الفتح أنه سبحانه غفر بعد الفتح ماتقدّم من ذنب خاتم الأنبياء وماتأخر، وقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿إنّا فَتَحنَا لَكَ فَتحاً مُبِيناً* لِيَغفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأخَّرَ وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَيَهدِيَكَ صِراطاً مُستَقِيماً* وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصراً عَزِيزاً﴾ (الآيات ١ ـ ٣).

* * *

هذه إلىٰ آيات أُخرى لم يفطنوا إلى تأويلها، وسندرسها بَعْدَ تفسير الكلمات وبعض المصطلحات في ما يأتي بإذنه تعالى:

تفسير بعض الكلمات والمصطلحات:

أوّلاً ـ تعريف مصطلحات البحث:

أ ـ أوامر الله ونواهيه:

مِنْ أوامر الله ونواهيه ماتظهر آثار مخالفتها في الحياة الدنيا فحسب ولا تتعدّاها الىٰ الحياة الآخرة، مثل ما ورد في قوله تعالى:

﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلا تُسرِفُوا﴾ (الأعراف ٣١).

والإسراف تجاوز الحدِّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، مثل تجاوزه الحدّ في تناول الطَّيِّبات من المأكول والمشروب، ويرىٰ الإنسان أثر مخالفته لهذا النّوع من أوامر الله ونواهيه في الحياة الدنيا ولايتعدّاها الىٰ الآخرة، ويُسمّيان أمراً إرشادياً ونهياً إرشادياً.

ومنها مايوجب فعل المأمور به ويحرم تركه ويحرم فعل المنهيّ عنه، وهذان تمتد آثار مخالفتهما علىٰ الإنسان إلى يوم القيامة وتُسبِّب له العذاب، ويُسَمَّيان بالأمر والنهي المولويَّين مثل:

ب ـ تَرْك الأولىٰ:

في مايصدر من الإنسان من عمل ما يكون فعل خِلافه وضدّه أفضل، مثل الموردين الآتيين من أفعال أنبياء الله تعالىٰ المذكورة في القرآن الكريم:

ج ـ المعصية:

عصىٰ أمره يعصيه عصياناً ومعصيةً: خرج من طاعته ولم يُنَفِّذ أمره، فهو عاصٍ وعصيٌّ.

ولفظ (الأمر) قد يأتي في الكلام بعد ذكر مشتقّات المعصية، مثل ما جاء:

أ ـ سورة الكهف في حكاية قول موسىٰ لمن أراد أن يصحبه:

﴿سَتَجِدُني إنْ شاءَ ٱللَّهُ صابِراً وَلا أعصِي لَكَ أمراً﴾ (الآية ٦٩).

ب ـ في وصف الملائكة الموكّلين بالنّار في سورة التحريم:

﴿عَلَيها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لايَعصُونَ اللَّهَ ما أمَرَهُم وَيَفعلونَ مايُؤمَرون﴾ (الآية ٦).

ولا يأتي لفظ الأمر في الكلام ـ غالباً ـ بوضوح المعنىٰ مثل قوله تعالىٰ في سورة طه: ﴿فَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ (الآية ١٢١).

وأحياناً لايذكر من عصىٰ أمره مثل قوله تعالى في ما جاء عن خبر فرعون في سورة النازعات: ﴿فَكَذَّبَ وَعصىٰ﴾ (الآية ٢).

د ـ الذنب:

إنّ حقيقـة الذنب هو تبعة كلّ عمل يصيب الإنسان في المستقبل، وقد تخصّ هذه التبعة بعض الأعمال في الدنيا، وترد على الإنسان ممّن يقدرون على الإضرار بالإنسان، كما جاء في حكاية قول موسى (ع) في مناجاة ربّه في سورة الشعراء:

﴿وَإذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أنِ ٱئتِ ٱلقومَ ٱلظّالِمِينَ* قَومَ فِرعَونَ ألَا يتّقُون* قَالَ رَبِّ إنّي أخَافُ أن يُكَذِّبُون* وَيَضِيقُ صَدرِي وَلايَنطَلِقُ لِسَانِي فَأرسِل إلىٰ هَارُونَ* وَلَهُم عَلَيَّ ذَنبٌ فَأخَافُ أن يَقتُلُون* قَالَ كَلَّا فَٱذهَبَا بِآيَاتِنَا إنَّا مَعَكُم مُستَمِعُون﴾ (الآيات ١٠ ـ ١٥).

فإنّ فعل موسىٰ كان قتله القبطي الّذي جاء خبره في الآيات من سورة القصص:

﴿وَدَخَلَ ٱلمَدِينَةَ عَلىٰ حِينِ غَفلَةٍ مِن أهلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَينِ يَقتَتِلَانِ هٰذا مِن

شِيعَتِهِ وَهٰذا مِن عَدُوِّهِ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذي مِن شِيعَتِهِ علىٰ ٱلَّذي مِن عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضَىٰ عَلَيهِ قَالَ هٰذا مِن عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِين* قالَ ربِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي فَٱغفِر لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُـونَ ظَهِـيراً لِلمُجرِمِين* فَأَصبَحَ فِي ٱلمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱستَنصَرَهُ بِٱلأَمسِ يَستَصرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ* فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقتُلَنِي كَمَا قَتَلتَ نَفسَا بِٱلأَمسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلأَرضِ وَمَاتُرِيدُ أَن تَكُونَ مِن ٱلمُصلِحِين* وَجَاءَ رَجُلٌ مِن أَقصا ٱلمَدِينَةِ يَسعَىٰ قَالَ يَامُوسىٰ إِنَّ ٱلمَلَأَ يَأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقتُلُوكَ فَٱخرُج إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِين* فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّالِمِين﴾ (الآيات ١٥ ـ ٢١).

وكان لفعله ـ قتله القبطي ـ تبعة في الدُّنيا وهي إئتمار قوم فرعون لقتله.

وتبعة عصيان أوامر الله ونواهيه المولوية تصيب الإنسان في الآخرة؛ وأحياناً في الدنيا والآخرة وهي ذنوب العبد تجاه ربّه جلّ اسمه.

ثانياً: شرح بعض الكلمات:

أ ـ ذَا الأَيْد:

آدَ، يئيدَ، أيداً: اشتَدَّ وقويَ، وذا الأيد: صاحب القوّة.

ب ـ أوّاب:

أوَّبَ تأويباً: رجـع فهو أوّابٌ، والأوّاب كالتّواب: الراجع الى الله بترك معاصيه وفعل طاعاته.

ج ـ تُشْطِطْ:

الشَّطط: الجور في الحكم وتجاوز القدر المحدود في كلّ شيء.

د ـ أكْفِلْنيها.

كفله كفلًا وكفالة: عاله ورعاه، وأكفلنيها: أعطني إيّاها لأرعاها.

هـ ـ عَزَّني في الخطاب:

عزّه وعازّه: غلبه، وعزّني في الخطاب: غالبني في الكلام.

و ـ الخُلَطاءُ:

مفردُهُ الخليط: الصديق والمجاور والشريك.

ز ـ ظَنَّ:

الظَّنُّ مايحصل عن إمارة، وقد يبلغ الظَّنُّ درجة اليقين مثل قوله تعالىٰ: ﴿وظَنَّ داودُ أنّما فَتنّاه﴾ أيْ أيقن أنّا فَتنّاه، وقد لايبلغه ويكون دونه الى حدّ التوهّم، مثل قوله تعالى في خبر يونس (ع): ﴿فَظَنَّ أن لَن نَقدرَ عَلَيهِ﴾.

ح ـ فَتَنَّاهُ:

الفِتْنَةُ: الامتحان، ويكون المعنى: أيقن داود أنّا آمتحنّاه.

ط ـ خَرَّ:

خَرَّ: سقط من علوّ، وخرَّ راكعاً أي هوىٰ الى الركوع.

ي ـ أنابَ:

ناب الىٰ الشيء نوباً ونوبة: رجع إليه مرّة بعد أُخرىٰ، وأناب العبد الىٰ الله: رجـع إليه بالتوبة من المعصية، وكذلك اعتمد عليه في ما ينزل به، وكان إبراهيم (ع) منيباً يرجع إليه في أُموره كلّها.

ك ـ فَغَفَرْنا وَلْيَغْفِر:

غفره مغفرة وغفراً وغفراناً: ستره وغطّاه فهو غافر وغفور، وللمبالغة غفّار، وكـلّ شيء سترتـه فقد غفرته، وسمّي ماينسج من الدروع علىٰ قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة بالمغفر لأنه يستر الرأس والرقبة، وغفر الله ذنوبه: أي سترها، ويكون ذلك بِمَحوْ آثار الذّنوب في الدنيا وآثارها في الآخرة.

ل ـ لَزُلْفىٰ:

زلف اليه زلفاً، وزلفىٰ، وزلفة، وازدلف: دنا منه وتقرَّب، والزلفة: القرب.

م ـ مآب:

آب يؤوب أوباً وإياباً ومآباً: رجع، والمآب ـ أيضاً ـ: اسم زمان ومكان للأوب.

ن ـ خَليفَةً:

سبق أن فسّرنا لفظ الخليفة، وقلنا ما موجزه:

ليس معنى خليفة الله في القرآن نوع الإنسان علىٰ الأرض كما قيل، بل المراد: الإمام المنصوب من قبل الله لهداية النّاس وليحكم بين الناس، كما يظهر ذلك في قوله تعالىٰ لداود (ع): ﴿يا داودُ إنّا جَعلناكَ خَليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بينَ النّاس بالحـقّ﴾.

س ـ الخِيَرَة:

خار الشيء على غيره خِيْرةً وخِيَرَةً وخيراً: فَضّله علىٰ غيْره.

ع ـ وَطَراً:

الوَطَرُ: حاجة للإنسان له عناية بها وٱهتمام فإذا بلغها ونالها قيل: قضىٰ وطره.

ف ـ أدْعياؤهُمْ:

ٱلأدْعياءُ: مفردُهُ الدَّعِيُّ: من يُنسَب الى قوم وليس منهم، وأظهر مصاديقه: المتبنّىٰ.

ص ـ سُنَّةُ الله:

النِّظام الذي قدّره الله لخلقه. و ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذينَ خَلَوا﴾ أي حكم الله وشريعته التي أنزلها على مَن سَبق خاتم الأنبياء من ٱلرُّسُل.

ق ـ قدراً مقدوراً:

قَدَّر الله الأمر يُقَدِّرُه: دَبَّره أو أراد وقوعه، وقدَرَ الله الرِّزْقَ يَقْدِرُه جَعَله محدوداً ضيِّقا.

ر ـ جُذاذاً:

جَذَّ الشيء جَذّاً: قطعه؛ فالشيء مجذوذ. وجذّه كسره وفتّته، والجذاذ المقطَّع أو المكسَّر.

ش ـ فَتىٰ:

ٱلفَتىٰ: الشابُّ من كلّ شيء، ويقال للعبد والأمة تَلَطُّفاً بهما، والفتى: الكامل من الرجال، والمراد به هنا الشابُّ من الرجال.

ت ـ نُكِسُوا:

نَكَسَ رأسه ونُكِسَ على رأسه: طَأْطَأَ رأسه ذُلّاً وانكساراً.

ض ـ السِّقاية:

السِّقاية: الإناء يُسقىٰ به وقد يكال به.

ظ ـ العِير:

القوم معهم حملهم من الميرة، وقد يقال للرجال وللجمال معاً، كما يقال لكل منهما وحده: العِير.

غ ـ صُواع:

المراد بالصُّواع هنا: صاع الملك وهو السقاية المذكورة قبله.

آ ـ زَعيم:

زعم يزعُمُ زعماً وزَعامة: ضمن وكفل فهو زعيم.

ثالثاً: تأويل الآيات:

في بيان تأويل الآيات نبدأ أوّلاً ببيان تأويل بعض الموارد، حسب معناها اللغوي، وثانياً بإيراد الروايات عن أئمة أهل البيت في ذلك.

تأويل الآيات بحسب معنى الألفاظ في لغة العرب:

أ ـ خبر إبراهيم(ع) في كسر الأصنام:

في قوله (ع): ﴿بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هٰذا فَآسألوهُم إن كانُوا يَنطِقون﴾ (الأنبياء ٦٣) تورية، والمعنىٰ في الكلام: فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، ويعرف ذلك من قوله تعالى بعده: ﴿لقد عَلمتَ ماهٰؤلاءِ يَنطِقون﴾ (الآية ٦٥).

ب ـ خبر يوسف مع إخوته:

قصدوا من قولهم لأخوة يوسف ﴿أيَتُها العِيرُ إنّكُم لَسارِقُون﴾ أنّهم سَرقَوا يوسف (ع) من أبيه.

أمّا صواع الملك فقد قالوا عنه (نفقد صواع الملك)، ولم يقولوا سُرق صواع الملك. وفي هذا الكلام ـ أيضا ـ تورية كما اتّضح ممّا بيّنّاه.

ج ـ خبر رسول الله بعد الفتح:

قال سبحانه في سورة الفتح:

﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتحاً مُبيناً * لِيَغفِرَ لَكَ ٱللّهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَيَهدِيَكَ صِراطاً مُستَقيماً * وَيَنصُرَكَ ٱللّهُ نَصراً عَزيزاً * هُوَ ٱلّذي أنْزَلَ السَّكينَةَ...﴾ (الآيات ١ ـ ٤).

تفسير الكلمات

أ ـ فتحنا:

المراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وقد سمّاه الله فتحاً لما أعقب من كسر شوكة قريش، وعدم استطاعتهم مناوأة الرسول (ص) وتجهيز الجيوش لمحاربته وفتح الرسول (ص) مكّة بعد ذلك.

ب ـ لِيَغفِرَ:

في اللغة غَفر الشيء: ستره.

ج ـ ذَنبك:

قال الرّاغب: (الذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، يقال: أذنبته ـ أي ـ أصبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه)، (ولهذا يسَمّىٰ الذنب: تبعة اعتباراً بذنب الشيء، وجمع الذنب: ذنوب.

تأويل الآية بحسب معناها اللغوي:

كان من خبر صلح الحديبية مارواه الواقدي في المغازي وقال ماموجزه:

وثبَ عمر الى رسول الله (ص)، وقال: ألسنا بالمسلمين؟ قال (ص): بلىٰ. قال: فعلامَ نعطي الدنيّة في ديننا؟ فقال رسول الله (ص): أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني. وجعل ـ عمر ـ يردّ على رسول الله (ص) الكلام، وتكلّم مع أبي بكر وأبي عبيدة في ذلك فردّا عليه، وكان يقول بعد ذلك: لقد دخلني يومئذ من الشكّ وراجعت النبي (ص) مراجعة ماراجعته مثلها قط.. الخبر[٢٤]

---

(٢٤) نقلته بايجاز من مغازي الواقدي (١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧).

ونـزلت السـورة تُعْلِم بأنّ الصلح فتح للرسول وللمسلمين، وأنّ ما كان المشركون يعدّونه ذنباً للرسول في ماتقدّم من قيامه بمكّة بتسفيه أحلامهم وعيب آلِهَتهم، وفي ماتأخّر من قتله إيّاهم في غزوة بدر وغيرها. قد ستر الله جميعها بذلكم الصلح الذي أنتج كلّ تلكم الفتوح، وإنّ قوله تعالى في هذه السورة: ماتقـدّم من ذنبـك ومـاتـأخّر، كقوله تعالى في حكاية قول الكليم موسىٰ بن عمران (ع) في سورة الشعراء: ﴿وَلَهم عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقتلون﴾ (الآية ١٤).

وبناءً على ما ذكرناه يكون ذنب الرسول في مقابل قومه كذنب موسىٰ(ع) في مقابل الأقباط بمصر.

* * *

نكتفي بهذا المقدار من بيان تأويل الآيات بحسب معناها اللغوي، ونورد في مايأتي بحوله تعالى تأويل الآيات من الروايات:

تأويل الآيات في روايات أئمة أهل البيت (ع):

روىٰ الصدوق أنّ الخليفة العباسي المأمون جمع للامام علي بن موسىٰ الـرضا (ع) أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وكان فيهم علي بن الجهم من أهل المقالات الاسلاميين، فسأل الرضا(ع) وقال له: يا ٱبن رسول الله! أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾؟ وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أن لَن تَقدِر عَلَيه﴾؟ وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَد هَمَّتْ به وَهَمَّ بها﴾؟ وقوله عزَّ وجلَّ في داود: ﴿وَظَنَّ داوُدُ أنَّما فَتَنّاهُ﴾؟ وقوله في نبيّه محمدّ (ص): ﴿وَتُخفي في نَفسِكَ ما اللّهُ مُبْديهِ وَتَخشىٰ النّاسَ واللّهُ أحقُّ أن تخشاه﴾ ؟

فقال مولانا الرّضا عليه السّلام: وَيْحَكَ يا عَليّ! اتّق اللّهَ وَلا تَنْسِبْ إلىٰ أنبياءِ اللّهِ الفَـواحش وَلاتَتَـأوَّلْ كِتابَ اللّهِ برَأْيك، فَإنَّ اللّهَ عزَّوَجلَّ يَقولُ: ﴿وَمايَعلَمُ تأويلَهُ إلاّ اللّهُ وَالرّاسخونَ في العِلم﴾ أمّا قَولُه عَزَّوَجلَّ في آدم عليه السّلام: ﴿وَعَصىٰ آدَمُ ربَّهُ فَغَوىٰ﴾ فَإنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ خلَقَ آدَم حُجَّةً في أرْضِهِ، وَخَليفَتَهُ في بلادِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ، وَكانَتْ المَعصيةُ مِن آدَمَ في الجَنَّةِ لا في الأرْضِ لِتَتِمَّ مَقاديرُ أمْرِ اللّهِ عزَّوَجَلَّ، فَلَمّا أُهْبطَ إلى الأرْضِ وَجُعِلَ حُجَّةً وَخليفَةً عُصِمَ بقَولِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إنَّ اللّهَ ٱصْطَفى آدَمَ وَنوحاً وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمران عَلىٰ العالَمين﴾.

وَأمّا قَولُهُ عَزَّوَجلَّ: ﴿وذَ النّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أن لَن نَقدِرَ عَلَيه﴾ إنَّـما ظَنّ أنَّ اللّهَ عَزَّوَجلَّ لايُضَيِّقُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، ألا تَسْمَعُ قولَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأمّا إذا ما ٱبتلاهُ فَقَدَرَ عَلَيهِ رِزقَه﴾؟ أي ضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَلَوْ ظَنَّ أنَّ اللّهَ لايَقْدِرُ

عَلَيْهِ لكانَ قَدْ كَفَرَ.

وَأَمّـا قَولُـهُ عَزَّوَجَـلَّ في يُوسُفَ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بِها﴾ فَإِنَّها هَمَّت بالْمَعصية، وَهَمَّ يُوسُفُ بِقَتْلِها إِنْ أَجْبَرَتْهُ لِعظَمِ ماداخَلَهُ، فَصَرَفَ اللّهَ عَنْهُ قَتْلَها والفاحِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَذٰلِكَ لِنَصرِفَ عَنْهُ السُّوءِ﴾؛ يَعني القَتْل ﴿والفَحشاء﴾؛ يعني الزِّنا.

وأمّا داود فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال عليّ بن الجهم: يقولون: إنّ داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طيرٍ أحسن مايكون من الطّيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطّير فخرج إلى الدار، فخرج في أثره فطار الطير إلى السّطح، فصعد في طلبه فسقط الطّير في دار أُوريا بن حنّان، فاطّلع داود في أثر الطّير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل، فلـمّا نظر إليها هواها، وكان أوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم أُوريا أمام الحرب، فقدّم فظفـر أُوريا بالمشـركين، فصعب ذلك على داود، فكتب الثّانية أن قدّمه أمام التّابوت، فقتل أوريا رحمه الله، وتزوّج داود بامرأته، فضرب الرّضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله إلى التّهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطّير، ثمّ بالفاحشة، ثمّ بالقتل! فقال: يا ابن رسول الله! فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أنّ ماخلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: ﴿خَصمانِ بَغىٰ بَعضُنا عَلىٰ بَعضٍ فَاحكُم بَيْنَنا بِالحَقِّ وَلا تُشْطِطْ واهدِنا إلىٰ سَواءِ الصِّراط * إِنَّ هٰذا أخي لَهُ تِسعٌ وَتِسعونَ نَعجةً وَلِيَ نَعجةٌ واحدةٌ فَقالَ أكْفِلْنيها وَعَزَّني في الخِطاب﴾ فَعَجِّلَ داوُدُ عليه السلام عَلىٰ المدّعىٰ عليه فَقالَ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعجَتِكَ إلىٰ نِعاجِه﴾ فَلَمْ يَسأَل المُدَّعي البَيِّنَةَ علىٰ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُقْبِلْ علىٰ المُدَّعىٰ عَلَيْهِ فَيقولُ: ماتَقُولُ؟ فكانَ هذا خَطيئَة حُكْمه، لا ماذَهَبْتُم إلَيْهِ، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يا داوُدُ إِنّا جَعَلناكَ خَليفَةً في الأَرْضِ فَاحكُم

بَيْنَ النَّاسِ بِالحقّ﴾ إلى آخر الآية، فقلت: ياأبن رسول الله فما قصّته مع أوريا؟ فقال الرّضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لاتتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها، داود، فذلك الّذي شقّ علىٰ أوريا... الحديث[٢٥].

وفي خبر داود خاصّةً عن أمير المؤمنين الإمام عليّ (ع) انّه قال:

ما أوتي برجل يزعم أنّ داودَ (ع) تزوَّجَ بامرأة أوريا إلاّ جَلَدْتُهُ حَدَّين حدّاً للنبوّة وَحَدّاًللإسْلام.[٢٦]

والمعنىٰ: (مَنْ قال إنّ داوُدَ تزوَّج بامرأة أوريا) أي قبل استشهادِهِ في رواية: (من حَدَّثَ بحديثِ داوُدَ عَلىٰ مايَرْويه القُصّاصُ جَلَدْتُهُ مائة وستّين) وفي رواية: وهو حدّ الفرية علىٰ الأنبياء.[٢٧]

وروىٰ الصدوق ـ أيضاً ـ عن الإمام الصادق (ع) مثل الرواية الأولى، وفي رواية قال: إنّ المرأة في أيّام داود (ع) كانت إذا مات بعلها أو قتل لاتتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود (ع)، فتزوّج بامرأة أوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها، فذلك الذي شقّ على الناس من قتل أوريا.[٢٨]

ولو قيل إنّ ما أوردتموه معارض بما رواه القمّي في تفسيره أنّه قال

---

(٢٥) البحار (١١/ ٧٣ ـ ٧٤) عن أمالي الصّدوق (٥٥ ـ ٥٧) وطبعة أُخرىٰ (٩٠ ـ ٩٢)، وعيون الأخبار (١٠٨ ـ ١٠٨).

(٢٦) تفسير الآية بتفسير مجمع البيان ونور الثقلين وتنزيه الانبياء للشريف المرتضى ص٩٢.

(٢٧) تفسير الآية بتفسير الخازن (٣٥/٤) والفخر الرازي (١٩٢/٢٥) ونور الثقلين (٤٤٦/٤).

(٢٨) البحار (٢٤/١٤) وراجع تفسير نور الثقلين (٤٤٦/٤) نقلاً عن عيون الأخبار.

ماموجزه:

إنّ داود (ع) كان في محرابه يصلّي فاذا بطائر قد وقع بين يديه، فأعجبه جداً ونسي ماكان فيه فقام ليأخذه، فطار الطائر فوقع على حائط بين داود وأوريا ـ كان داود قد بعثه في بعث ـ فصعد داود الحائط ليأخذه، فرأى امرأة جالسة تغتسل، فلمّا رأت ظلّه نشرت شعرها وغطّت به بدنها، فافتتن بها داود ورجع الى محرابه، وكتب الى صاحبه في ذلك البعث أن يسيروا الى موضع كيت وكيت ويوضع التابوت بينهم وبين عدوّهم ويقدّم أوريا بين يدي التابوت، فقدّمه فقتل... الحديث بطوله.[29]

قلنا: إنّ هذه الرواية قد جمع فيها راويها الروايات المتعدّدة الواردة في تفسير الآيات بتفاسير مدرسة الخلفاء، وأضاف اليها من خياله بعض القول، ثم رواها عن الإمام الصادق (ع). ونحن ندرس متن الرواية دون التعرض لسندها ونقول:

أوّلاً ـ قال: في الحديثين المتعارضين: ذروا ما وافق أخبار العامّة.[30]

ثانياً ـ ورد بخصوص خبر أوريا المذكور عن الامام جعفر الصادق(ع) أنّه عندما سئل عنه وقال له الراوي:

ما تقول في ما يقول الناس في داود وامرأة أوريا؟

فقال: ذلك شيء تقوله العامّة.[31]

في هذا الحديث صرّح الامام الصادق (ع) بأنّ منشأ قول الناس في داود وأرملة أوريا هم العامّة أي أتباع مدرسة الخلفاء. إذاً! فقد انتشر منهم هذا القول

---

(٢٩) البحار (١٤/ ٢٠ ـ ٢٣) عن تفسير القمي (٥٦٢ ـ ٥٦٥). والتتمّة في كتاب الاسرائيليّات وأثرها في كتب التفسير ط. بيروت الأولى ص ٢٣٣.

(٣٠) راجع معالم المدرستين (٢٦٨/٣).

(٣١) البحار (٢٠٠/١٤).

الى مصادر الدراسات بمدرسة أهل البيت. وقد سمَّينا هذا النوع من الروايات بالروايات المنتقلة؛ أي المنتقلة من مدرسة الخلفاء إلى مدرسة أهل البيت [٣٢]

وإذا بحثنا عن مصدر هذه الرواية بكتب التاريخ والتفسير بمدرسة الخلفاء[٣٣] وجدنا أنّ رواة هذه الرواية لم يرووها عن رسول الله (ص) ولم يقولوا أنّ رسول الله (ص) قال ذلك، ما عدا رواية واحدة رواها السيوطي في تفسير الآية عن يزيد الرقاشي عن أنس، وقد بيّنا في هذا البحث زيفها في ماسبق.

في قصّة زيد وزينب: كسر الرسول (ص) بتزويجه زينب من زيد قانون التكافؤ في النسب من أعراف الجاهلية واستبدله بقانون التكافؤ في الإسلام، وبعد هذا الإنجاز العظيم أمره الله تعالى أن يكسر ـ بزواجه من مطلقة زيد ـ قانون التبنّي من أعراف الجاهلية، وفي عمله هذا شابه عمل النبيّ داود (ع) في زواجه بأرملة أوريا وتبديله بذلك قانوناً جاهلياً بقانون إسلامي، وكذلك يفعل الأنبياء في إجراء الاحكام الاسلامية، وهكذا فعل الرسول (ص) ـ أيضاً ـ في إبطاله قانون الرّبا وقانون أخذ الثأر الجاهليّين في حجّة الوداع بابطال ربا عمّه العباس واهدار دم ابن عمّه.[٣٤]

* * *

---

(٣٢) راجع بحث الروايات المنتقلة في (ج٢) من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

(٣٣) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري، والقرطبي وابن كثير والسيوطي.

(٣٤) في سيرة ابن هشام ط. مصر عام ١٣٥٦ (٢٧٥/٤) أنّ رسول الله (ص) قال في خطبته في حجة الوداع (... عليها، وإنّ كلّ رباً موضوع، ولكنْ لكُم رؤوسُ أموالِكم لا تَظْلِمُون ولا تُظلَمون. قضى الله أنّه لا رباً. وإنّ ربَا عبّاس بن عبْد المطلب موضوعٌ كلُه، وإن كلّ دَمٍ كانَ في الجاهليّة موضوعٌ، وإنّ أوّلَ دمائكم أضَعُ دَمُ ابن رَبيعَة بن الحرثِ بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليثٍ فقتلهُ هُذيل. فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

هذه هي الحقيقة في أمر زواج النبيّ داود (ع) بأرملة أُوريا وزواج خاتم الأنبياء (ص) بمطلّقة آبنه المتبنّىٰ زيد، غير أنّ انتشار الروايات الإسرائيلية في تأويل قصص الأنبياء السابقين، والروايات المختلقة في تأويل ماعداها في بعض كتب التفسير وبعض مصادر الدراسات الاسلاميّة الأُخرى حجبت رؤية الحقّ عن الباحثين، وجعلت من الباطل حقّاً ومن الحق باطلاً، واشتهرت تلك الروايات وراجت في الأوساط الاسلاميّة لما كان فيها من تبرير لتورط بعض أفراد السلطات الحاكمة في قضايا شهوة الجنس، كما إنّ صدور المعاصي من أمثال يزيد ابن معاوية واشباهه من خلفاء بني مروان بعده وبطرانهم هو الداعي لعامّة مانسب إلى الأنبياء والرسل (ص) من المعاصي ونفي العصمة عنهم، وتأويلهم الآيات في حقّهم بما يدفع النقد عن بعض الخلفاء.

* * *

بعد الانتهاء من ذكر صفات المبلغين عن الله ينبغي أن ندرس في البحث الآتي كيفية المعارك التي خاضوها مع طواغيت عصورهم ومع المترفين من أمّتهم في كلّ عصر.

(٨)
معارك الرُّسُل مع أممهم
(معارك الأنبياء)

معارك الأنبياء حول الربوبية:

إنَّ تاريخ الشرائع السماوية يدلّ على أنّ جُلّ الجبابرة الذين وقفوا بوجه الأنبياء كان محور صراعهم (الربوبية) لا (الخالقية)، فقد كان أكثر أقوام الأنبياء يُقِرُّون بأنّ الله خالق جميع الموجودات وإنْ كانوا قد يسمّونه باسم آخر؛ مثل اليهود الذي يسمّون الله (يهوه)، كما أخبر الله عنهم وقال تعالى:

أ ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ الله﴾ (لقمان ٢٥).

ب ـ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيم﴾ (الزخرف ٩).

ج ـ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأَنّىٰ يُؤفَكُون﴾ (الزخرف ٨٧).

ونبدأ بذكر معركة كليم الله موسىٰ (ع) مع فرعون لوضوح أبعاد المعركة فيها:

موسى الكليم (ع) وفرعون:

جاء في القرآن الكريم مرّاتٍ كثيرةً ذكر قصة موسى الكليم (ع) وطاغوت عصره فرعون، ومِنْ جملتها ما جاء في سورة (النازعات):

إنَّ فرعون بعد أن حاججه موسى (ع) وشاهد الآيات الالهية التي كانت معه جمع جمعاً عظيماً من أهل مصر ونادىٰ فيهم:

﴿أنا رَبُّكُمُ الأعلىٰ﴾ (النازعات ٢٤).

وهو يعني من قوله هذا انّه إذا كان للدجاج ـ مثلاً ـ ربٌّ يملكه ويطعمه ويربّيه ويسنّ نظاماً لحياته، فإنّ فرعون ـ أيضاً ـ يقول ﴿أَلَيسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الأنهارُ تَجري مِن تَحتي﴾ (الزخرف ٥١).

إنّ فرعون مصر في ذلك الزمان كان يملك كلّ ما في مصر، وعلىٰ هذا فإنّه كان يرىٰ أنّه هو الذي يطعم المصريّين، ويمدّهم بما يحتاجون إليه كافّة، إذاً فهو الـذي يربّيهم، وهو الذي ينبغي أن يشرّع نظاماً لحياتهم، فإذا ما شرّع: أنّ الاسرائيليَّ يجب أنْ يخدم المصريَّ يكون ذلك شرعاً وديناً يجب العمل به، وإذا سنَّ نظاماً بذبح أبناء الاسرائيلين واستحياء نسائهم، فذلك دين يجبُ العمل به. كان هذا معنى قول فرعون ﴿أنا رَبُّكُمُ الأعلىٰ﴾ ولم يَدّعِ في قوله هذا أنّه خلق السمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما.

فماذا كان يقول له موسى الكليم (ع)؟ وماهي الرسالة التي أُمر هو وأخوه هارون بتبليغها لفرعون؟ إنّ الله سبحانه وتعالىٰ عَيَّنها في خطابه إيّاهما وقال لهما:

﴿اَذْهَبا إلىٰ فِرْعَونَ إنَّهُ طَغَىٰ... فَأتياهُ فقولا إنّا رَسُولا رَبِّكَ فَأرْسِلْ مَعَنا بَني إسرائيلَ وَلا تُعَذِّبهُم قَدْ جِئناكَ بِآيةٍ مِن رَبِّك﴾ (طه ٤٣ـ٤٧).

يقول لهما في هذه الآية:

يا موسىٰ ويا هارون اذهبا الى فرعون فقولا إنّا رسولا ربّك الذي أنشأك

وربّاك وأكملك، قولا له أنت مخطىء يا فرعون في ادّعائك الربوبية، وإنّ معنا آيةً وشاهداً من ربّك علىٰ صدقنا.

وبعد مشاهدة فرعون آيات الله مع موسى كابَرَهُ وحاجَجَه وقال: إنْ كنتما لاتقبلان ربوبيّتي، وتقولان إنّ الربوبية لغيري وعلينا أن نأخذ نظام الحياة منه، فمن هو هذا الربّ؟

﴿فمن رَبُّكما يا موسىٰ﴾ (طه/ ٤٩).

أوردَ القرآن هنا بإيجاز جواب موسى (ع) لفرعون وقال:

﴿قالَ رَبُّنا الّذي أعطىٰ كُلَّ شيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾ (طه/ ٥٠).

أي أتمَّ خلق كلِّ شيءٍ وفصّل تمامَ خلقِ الشيْء في سورة الأعلىٰ حيث قال تعالى: ﴿فسوّى﴾، أي هيّأه لقبول الهداية ﴿ثمّ قدّر﴾ حياته ﴿فهدىٰ﴾ كلّ صِنفٍ مِن الخلق بما يتناسبُ وفطرته، وَهدىٰ صنف الإنسان من الخلق بواسطة الرسل.

وأراد فرعون أن يلقي الشبهة في استدلال موسىٰ (ع) هذا، وقال: ﴿فَما بَالُ القُرونِ الأُولىٰ﴾ (طه ٥١)، أي إذا كان الربّ يهدي الناس الى النظام الذي شرّع لهم بواسطة الرسل فكيف هدى الربّ القرون الأُولىٰ؟ ومن هم الذين أرسلهم اليهم وكيف كانت شرائعهم؟

قال موسى (ع):

﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كتابٍ لايَضِلُّ رَبِّي ولا يَنسىٰ﴾ (طه/ ٥٢).

إنّ علم أولئك القرون عند الربّ مكتوب في كتاب لايضلّ ولاينسى، وفصّل موسى(ع) شرح صفات الربّ وقال:

﴿الّذي جَعَلَ لَكُم الأرضَ مَهداً وَسَلَكَ لَكُم فِيها سُبُلاً وَأنزلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَأخرجنَا بِهِ أزواجاً مِن نَباتٍ شَتّىٰ * كُلُوا وارعَوا أنعامَكم إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهىٰ﴾ (طه/ ٥٣ ـ ٥٤).

في هذا المقطع ذكر القرآن احتجاج موسى (ع) في مقابل قول فرعون ﴿أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وهذهِ الأنهارُ تَجري مِنْ تَحتي﴾ (الزخرف ٥١)، وإنّه قال له وللملأ من حوله: إنّ رّبكم هو الخالق الذي خلق الأرض وجعلها بمقتضىٰ ربو بيّته مهداً للإنسان وشقّ فيها طرقاً للسير، ومنها أرض مصر، وأنزل من السماء المطر الذي يتكون منه الأنهار، ومنها نهر النيل، وأنّه أخرج من الأرض بسبب الماء نبات الأرض متاعاً للإنسان والحيوان.

وأُفحِمَ فرعونُ بهذا المنطق وتبلّدَ وأرادَ أن يلقي شبهةً في حجج موسى البيّنات كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن موقفه وقال: ﴿وَلَقَد أَريناهُ آياتِنا كُلَّها﴾ (طه ٥٦) ـ الكونية العامّة وما جاء بها موسى (ع) من آياتٍ خاصة ـ فَكَذَّبَ ـ فِرْعَوْنُ ـ وَأَبىٰ وقال: ﴿أجِئتَنَا لِتخرِجَنا مِن أرضِنَا بِسِحرِكَ يامُوسىٰ * فَلَنَأتِيَنَّك بِسحرٍ مِثلِهِ فَاْجعَل بَينَنَا وَبينكَ مَوعِداً لانُخلِفُهُ نحنُ ولا أَنت مَكاناً سُوىٰ﴾ (طه ٥٧ ـ ٥٨).

إنّ موسى كان من بني إسرائيل وهم غرباء في أرض مصر مستعبدون لأهلها، وأراد فرعون بقوله ﴿أجِئتَنَا لِتُخرِجَنا مِن أرضِنا﴾ أن يهيج الملأ من حوله على موسى الغريب، وأيضاً ألقىٰ الشبهة في آيتي العصا واليد بقوله ﴿بِسحرِكَ يامُوسىٰ﴾ وقد كان السِّحر منتشراً في أرض مصر، وفيها العدد الكثير من أتباع فرعون، والسِّحر تخييل لا حقيقة له، وخداع للبصر والحواس، وقد يصل الى خداع الإحساس عندما يشاهد الإنسان أشياء لاوجود لها، وكانت آية موسى من صنع قدرة الله سبحانه وتعالى التي جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع)، ولكن أنّىٰ للعامّة من الناس قوّة تمييز الحقّ من الباطل والتخييل من الحقيقة، ثمّ إنّ الكثرة قد تغلب، ولهذا كله اقترح فرعون من موقع القوّة على موسى (ع) وقال: ﴿فَلَنَأتِيَنَّكَ بِسحرٍ مِثلِهِ فَاْجعَل بَينَنَا وَبَينَكَ مَوعِداً لانُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مكاناً سُوىً﴾ (طه ٥٨).

إنّ فرعون تحدّىٰ مُوسىٰ باستعلاء، وجعل لموسى (ع) تعيين الموعد، وقبل موسى (ع) التحـدّي واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة حيث يأخذ الناس فيه زينتهم، ويتجمعون في الميادين المكشوفة وقال: ﴿مَوعِدُكم يَومُ الزِّينَةِ وَأَن يُحشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ (طه ٥٩). والضُّحىٰ أنسب الأوقات في النهار ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ (طه ٦٠).

وجـاء ذكـر جانب آخر من مُواجهة الكليم مع فرعون في سورة الشعراء، حيث أخبر الله سبحانه عن ارسال موسىٰ وهارون (ع) إلىٰ فرعون ونتيجة المواجهة وقـال: ﴿فَـأْتيا فِرعَـونَ فقولا إنّا رَسُولا رَبِّ العالَمين.... قالَ فِرعَونُ وَما رَبُّ العَالَمين* قالَ رَبُّ السَّمٰوات والأرضِ وَما بَينَهُما إن كُنتُم مُوقنين* قالَ لِمَن حَولَهُ ألا تَستَمِعُون* قالَ رَبُّكُم وَرَبُّ آبائكم الأوَّلين* قالَ إنَّ رَسُولَكُمُ الّذي أرسِلَ إليكُمْ لَمَجْنون* قال رَبُّ المشرقِ وَالمغربِ وَما بَينَهُما إنْ كُنتُم تَعقِلونَ﴾ (الشعراء ١٦ ـ ٢٨).

وبعد طلب فرعون آية من موسى(ع) ورؤيته آيتي العصا واليد، ﴿قالَ لِلمَـلأ حَولَهُ إنّ هذا لَساحِرٌ عَليم* يُريدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِ فَماذا تَأمُرُون* قالوا أرْجِهْ وَأخاهُ وَابْعَثْ في المدائنِ حاشِرين* يَأتُوكَ بكلِّ سَحّارٍ عَليم* فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِميقاتِ يَومٍ مَعلومٍ* وَقيلَ لِلنّاسِ هَل أنتُم مُجتَمِعُون* لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إن كانوا هُمُ الغالبين* فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالوا لِفِرعَوْنَ أئنَّ لَنا لأجراً إن كُنّـا نحنُ الغالبين* قالَ نَعم وَإنَّكُمْ إذاً لَمِنَ المُقَرَّبين* قالَ لَهُم موسىٰ ألقُوا ماأنتُم مُلقُون* فَألقَوا حِبالَـهُمْ وَعِصِيَّهُم وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرعَونَ إنّا لَنَحنُ الغالِبون﴾ (الشعراء ٣٤ ـ ٤٤).

وفي سورة الأعراف:

﴿فَلَمّا ألقَوْا سَحَرُوا أعيُنَ النّاسِ واستَرهَبُوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيم* وَأوحَينا إلىٰ مُوسىٰ أن ألقِ عَصـاكَ فَإذا هِيَ تَلقَفُ ما يَأفِكُـون*... وأُلقِيَ السَّحَـرَةُ

سَاجِدِين* قالُوا آمَنّا بِربِّ العالَمِين* رَبِّ مُوسىٰ وَهارُون* قالَ فِرعَونَ آمَنتُم بِهِ قَبلَ أن آذَنَ لَكُم إنَّ هٰذا لَمَكرٌ مَكَرتُمُوهُ في المَدِينَةِ لِتُخرِجُوا مِنْها أهلَها فَسَوف تَعلَمون* لأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُمْ وَأرجُلَكُم مِن خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِين* قالُوا إنّا إلىٰ رَبِّنا مُنقَلِبُون* وَما تَنقِمُ مِنّا إلاّ أن آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتنا رَبَّنا أفْرِغْ عَلَينا صَبراً وَتَوَفَّنا مُسلِمِينَ﴾ (الآيات ١١٦ ـ ١٢٦).

وفي سورة الشعراء:

﴿قالَ فِرْعَوْنُ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُم السِّحْرَ﴾ (الآية ٤٨).

في هذه الآيات جاء عن لسان موسىٰ أنّه قال لفرعون: إنّا رَسُولا رَبِّك، جئناكَ بآية من ربّك.

وفي الآيات الماضية حكىٰ القرآن عن فرعون أنّه قال لأهل مصر:

﴿أنا رَبُّكم الأعلىٰ﴾.

وأنّ موسىٰ (ع) أُوحي اليه أن يقول لفرعون:

﴿إنّا رَسولا رَبِّكَ، جِئناكَ بِآيةٍ مِن رَبِّك﴾.

وأنّ فرعون قال:

﴿فَمَن رَبُّكُما يا مُوسىٰ﴾!.

وأنّ موسى (ع) قال له:

﴿رَبُّنا الَّذي أعطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾.

وأنّه أجاب عن علم القرون الأُولىٰ أنّه:

﴿عِندَ رَبِّي الَّذي جعل لكم الأرضَ مهداً﴾.

وفي مورد آخر: فقولا له: ﴿إنّا رَسولا ربِّ العالمين﴾.

وأنّ فِرعَونَ قال: ﴿وما ربُّ العالمين؟﴾.

وأنّ موسىٰ (ع) قال: ﴿ربُّ السَّمٰوات والأرْضِ وَما بَينَهُما﴾.

﴿ربُّكُم وَرَبُّ آبائكم الأوَّلين﴾.

﴿رَبُّ المَشرِقِ وَالمَغرب وَما بَينَهُما﴾.
وأنَّ السَّحَرَةَ لـمّا رأوا آية العَصا تلقَفُ ما يأفكون قالوا:
﴿آمَنّا برَبِّ العالمينَ رَبِّ مُوسىٰ وَهارون﴾.
وَأنَّهم قالوا لِفرعَونَ لـمّا قالَ لَهم لأُقَطِّعَنَّ أيديَكُم وَأرجُلَكُم...:
﴿لاضَيرَ إنّا إلىٰ رَبِّنا مُنقَلبون * وَما تَنقِمُ مِنّا إلاّ أنْ آمَنّا بآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتنا رَبَّنا أفرِغْ عَلَينا صَبراً وَتوَفَّنا مُسْلِمين﴾.

يتَّضح جليّاً ممّا جاء في القرآن الكريم: أنّ مواجهة الرسولين موسىٰ وهارون (ع) مع فرعون ومَلَئِهِ قد تَعَدَّدَت، وتعَدَّدَت المحاورات بين الرسولين وبينه، كما تعددت الآيات: الطوفان، والجراد، والقمل، والضّفادع، والدم، وأنّ المحاورات كلّها كانت تدور حول الربوبية، وأنّ الرسولين كانا يقولان: رَبُّنا وربّكم هو ربّ العالمين رب السموات والأرض ومابينهما وربّ القرون الأولى، ربّ المشرق والمغرب وما بينهما وربّ آبائكم الأوّلين، وأنّ ربّ الجميع واحد، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثمّ هدىٰ، وأنّ السحرة ادركوا أنّ سحرهم كان تخييلاً لا حقيقة فيه، وأنّ اثر السحر ينتهي، وأن العصيّ والحبال ـ مثلاً ـ التي كانت تموج في الساحة كالحيات كانت تعود الى حالتها الاولى عصيّاً وحبالاً، ولكن آية العصا ابتلعتها جميعاً ولم يبق منها عين ولا أثر وهي خارجة عن قدرة غير خالقها ربّ العالمين فقالوا: آمنا بربّ العالمين، ربّ الرسولين موسى وهارون (ع) الذي أرسلهما لهداية الناس.

معارك إبراهيم (ع) حول توحيد الإلوهيّة والربوبيّة:

قبل عصر موسىٰ الكليم (ع) بدهر، جاهد إبراهيم الخليل أنواعاً من الشرك في عصره منها:

أ ـ جهاده في توحيد الالوهية:

حكىٰ الله خبر جهاد إبراهيم مع قومه في توحيد الالوهية في سور الأنبياء والشعـراء والصـافّات؛ في كلّ منها حكى عن جانب من خبر جهاده وكيف حاججهم في مايعتقدون، وأنّه انتهى الأمر بكسره آلِهَتهم وإلقائهم إيّاه في النار، وكيف جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، ونترك الحديث حوله لندرس في ما يأتي ما فعله في شأن توحيد الربوبية باذنه تعالى:

﴿قالوا ءَأنتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهتِنا يا إبراهيمُ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَآسْأَلُوهُم إن كانُوا يَنطِقُون﴾.

أي فعله كبيرهم فأسألوهم إن كانوا ينطقون. ولمّا كانت الأصنام لاتنطق فانّ كبيرهم لم يكسرها. هاهنا كلّم الخليل قومه.

أخبر الله عن محاججة إبراهيم (ع) مع من اتخذوا الكواكب أرباباً، ولم يخبرنا بأيّ معنى اتخذوها أرباباً، وقد وجدنا في أخبار المشركين أنّ منهم من كان لايفرّق بين الربّ والإله، وأنّ الأنبياء والرسل (ص) كانوا يجاهدون مشركي أممهم في توحيد الربوبية كما بيّنّاه سابقاً.

وقد أخبر الله عمّا جرىٰ لإبراهيم (ع) مع عبدة الكواكب في سورة الأنعام، وقال:

﴿وَكَذلكَ نُري إبراهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّموَاتِ وَٱلأَرض وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلمُوقِنِين* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ ٱللَّيلُ رَأىٰ كَوكَباً قَالَ هٰذا رَبِّي فَلَمَّا أفَلَ قَالَ لاأُحِبُّ ٱلآفِلِين* فَلَمَّا

رَأَىٰ ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَىٰ ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ* وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الآيات ٧٥ ـ ٨٠).

كلّم الخليل هنا عبّاد الكواكب من قومه بلغتهم في معنىٰ الربّ، وكان قوله (هذا ربّي) للكوكب والقمر والشمس على سبيل التورية والاستفهام، أي أهذا ربّي؟ مثل قوله لعبّاد الأصنام عندما كسر أصنامهم وسألوه.

ب ـ جهاد إبراهيم (ع) في توحيد الربوبيّة بمعنىٰ تربية الأجسام:

كان كثير من البشر في العصور القديمة يعتقدون بتأثير الكواكب علىٰ عالمنا هذا وما فيه من إنسان وحيوان ونبات بإنزال المطر وحبسه، ونشر السعادة والشقاء للإنسان، والجدب والرخاء والصحّة والمرض في مجتمعه، وكثرة الموت وقلّته للإنسان والحيوان والنبات، ونشر المحبّة أو النفور بين الاثنين، أو إلقاء محبّة انسان في نفوس الآخرين، وما شاكل كل هذه الأُمور، ومن ثم يجرون بعض الطقوس العبادية مع تبخير العود ذي الرائحة الطيّبة وسائر الروائح العطرة. ويتلون أوراداً وأدعية ويطلبون منها الخير ودفع الشرّ، وقد قرأت شيئاً ذلك في مخطوط منسوب للسكاكي (ت ٦٢٦هـ): فيه أنواع من الطلاسم وأدعية ومناجاة لبعض الكواكب مثل الزهرة والمرّيخ وغيرهما. وأحياناً في الخطاب لبعضهم يخاطب باسم الربّ، ولم يثبت عندي انّ الكتاب من تأليف السكاكي. وذكر ابن النديم ـ أيضاً ـ في أخبار الصحابة من المقالة التاسعة من الفهرست عن بعض فرق الصابئة أنهم يعبدون بعض الكواكب ولهم طقوس خاصّة

بهم[1].

ج - جهاد إبراهيم (ع) في أمر توحيد الربّ المشرّع للنظام:

أخبر الله عن ذلك وقال في سورة البقرة:

﴿أَلَم تَرَ إِلىٰ الَّذي حاجَّ إبراهيمَ في رَبِّهِ أن آتاهُ اللَّهُ المُلكَ إذْ قالَ إبراهيمُ رَبِّيَ الَّذي يُحيي وَيُميتُ قال أنا أُحيي وأُميتُ قالَ إبراهيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يأتي بالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ فأتِ بها مِنَ المَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذي كَفَر...﴾ (الآية ٢٥٨).

إنَّ منطق الخليل في هذه الآية هو منطق القرآن في سورة الأعلىٰ. وأنَّ الربَّ هو الله الذي خَلَقَ فَسوَّىٰ وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدىٰ، وأنَّ مثل جميع الخلق في ذلك مثل المرعى الذي أخرجه الربّ ثمّ جعله يابساً أحوىٰ: أي أنشأ الحياة للموجودات ثمّ أماتها.

كان استدلال إبراهيم قويّا وواضحاً، وأراد طاغوت عصره أن يغشي هذا الاستدلال بغطاء من التضليل، فقال:

إنْ كانت الربوبية لمن يحيي ويميت فإنّي أُحيي وأُميت، وأمر بسجين محكوم بالإعدام فأطلق سراحه، وبإنسان بريء عابر طريق فأعدم، وبذلك ألقىٰ الشبهة في نفوس الملأ حوله.

ولم يسترسل ابراهيم (ع) في الجدال معه في معنى الإحياء والإماتة بل احتجّ على الطاغوت بأمر محسوس واضح الدلالة على زيف دعوىٰ الطاغوت، وقال: فإنّ ربّي الله يأتي بالشمس من المشرق، فإنْ كنت ربّاً فغيّر هذا النظام وأت بالشمس من المغرب، فبهت الّذي كفر.

كان شرك طاغوت عصر إبراهيم (ع) من نوع شرك طاغوت عصر

---

(١) الفهرست ص٣٨٦ - ٣٩٠.

موسى (ع)؛ كلاهمـا ادّعيا الـربـوبيّة بمعنى أنّ لهما حقّ تشريع نظام الحياة للانسـان؛ تشـابهت دعواهما وتشابه جواب الرسولين (ع) لهما وقالا: إنّ ربّ الإنسـان الّـذي شرّع له نظام الحياة هو ربّ جميع الموجودات والّذي أنشأ حياة الموجودات وسنّ لها نظاماً لإدامة وجودها في الحياة، وهداها كيف تديم حياتها وفق ما سنّ لها من نظام، وهو الذي يميت كلّ الأحياء.

كان هذا منطق إبراهيم (ع) في دعوته للتوحيد مع المشركين كما أخبر الله عنه في سورة الشعراء، وقال:

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاّ ربُّ العَالمين* الّذي خَلَقَني فَهُوَ يهدِين﴾ إذ قال موسىٰ (ع) لفرعون: ﴿رَبُّنا الَّذي أعطىٰ كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كما قال جدّه إبراهيم (ع) لقومه ﴿ربُّ العالَمين* الّذي خَلَقَني فَهُوَ يَهدينِ﴾(الآيات ٧٩ ـ ٨٢).

ثمّ شرح إبراهيم ربوبية الله وقال:

﴿والّذي هُوَ يُطعِمُني وَيَسْقِينِ* وإذا مَرِضتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* والّذي يُميتُني ثُمَّ يُحْيِيني* والّذي أَطْمَعُ أَنْ يَغفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾(الشعراء ٧٩).

والقرآن حين يكرّر أخبار محاججات الرسل مع أقوامهم يذكر في كلّ مرة جانباً من احتجاجهم وفق مناسبة ماورد في السورة من توجيه فكري وإرشاد لمن كان حول الرسول من مسلمين ومشركين ويهود ونصارى. وليس القرآن كتاب تاريخ كي يورد الخبر مسلسلاً كما وقع.

بعد دراستنا معارك الأنبياء ومعرفتنا أنّ جلّ معاركهم كانت حول ربوبية ربّ العالمين؛ أي أنّ ربّ العالمين هو ربّ الإنسان الذي يقدّر حياته ويشرّع له نظاماً يتناسب وفطرته، وأنّ اسمه دين الإسلام الذي أوحىٰ به الى جميع رسله وقـامـوا بتبليغه الى الناس، يتجه إلينا السؤال عن معنىٰ نسخ شريعة بعض الرسل بشريعة رسول آخر، وهذا مانحاول درسه في النسخ في مسيرة الأنبياء الآتي بحوله تعالىٰ.

(٩)

النسخ في
مسيرة الرسل أصحاب الشرائع

أ ـ وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم ومحمّد (ص) .

ب ـ مصطلحا النسخ والآية ومعناهما.

ج ـ تفسير آية ﴿مانَنْسَخْ مِنْ آية...﴾.

وآية ﴿وَإذا بَدَّلْنا آية مكانَ آية...﴾.

د ـ شريعة موسىٰ كانت خاصّة لبني إسرائيل.

هـ ـ إنتهاء أمد شريعة موسىٰ ببعثة خاتم الأنبياء.

في هذا البحث ندرس من مسيرة الرسل أصحاب الشرائع ما يوضّح لنا أمر النسخ في شرائعهم من خلال أخبارهم في القرآن الكريم ومصادر الدراسات الاسلامية، ومن ثمّ لانذكر أمر من بادت أممهم، مثل هود، وصالح وشعيب (ع)، بل نخصّ بالـذكر من بقيت شرائعهم من بعدهم، وهم كلٌّ من: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمّد (ص)، حسب تسلسلهم الزمني كما يأتي بيانه:

ـ ١ ـ
وحدة شرايع
آدم ونوح وإبراهيم ومحمّد (ص)

أوّلاً ـ أبو البشر آدم (ع):

جاء في الروايات ما موجزه: إنّ رسول الله (ص) قال:

«يوم الجمعة سيّد الأيّام وأعظمها عند الله، خلق الله فيه آدم، وفيه أُدخل الجنّة، وأُهبط فيه إلىٰ الأرض[1] وأنزل معه بالحجر الأسود»[2].

وفي روايات أخرى: «خلق الله الأنبياء والأئمة ـ الأوصياء ـ يوم الجمعة»[3].

وفي الروايات الصحيحة:

إنّ جبرئيل أخذ آدم (ع) إلىٰ الحجّ، وعلّمه كيف يقضي مناسكه، وفي بعضها: إنّ غمامةً ظلّلت مكان البيت، فطاف جبرائيل بآدم (ع) حوله أسبوعاً، ثمّ أخذه إلىٰ الصّفا، والمروة، وسعىٰ بينهما أسبوعاً، ثمّ أخذه الىٰ عرفات في التاسع من ذي الحجّة، وتضرّع الىٰ الله في عصره فتاب الله عليه، ثمّ ذهب به

---

(١) صحيح مسلم (٥/٥) كتاب الجمعة باب فضل الجمعة، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا (٨/١)، ومسند أحمد (٢٣٢/٢ و ٣٢٧ و ٥٤٠).

(٢) اخبار مكة للازرقي (ت ٢٢٣ هـ). ط مدينة غتنفة عام ١٢٧٥ هـ ص٣١.

(٣) مادّة الجمعة من سفينة البحار.

ليلة العاشر إلىٰ المشعر فناجىٰ فيه ربّه إلىٰ الصباح، ثمّ ذهب به صباح العاشر إلىٰ منىٰ، وحلق هناك رأسه علامةً لقبول توبته، ثمّ ذهب به ثانية إلىٰ مكّة، وطاف به حول البيت أسبوعاً وصلّىٰ لله بعده، ثمّ ذهب إلىٰ الصفا، والمروة، وسعىٰ بينهما أسبوعاً، وجمع الله بينه وبين زوجته حوّاء بعد قبول توبتهما، واصطفاه لرسالته[٤].

(٤) طبقات ابن سعد ط. أوروبا (ج١ ق ١/ ١٢ و ١٥ و ٢٦)، ومسند أحمد (١٧٨/٥ و ١٧٩ و ٢٦٥)، ومسند الطيالسي الحديث ٤٧٩، وفي البحار (١١/ ١٦٧ـ١٩٧) روايات متعدّدة مع اختلاف وزيادة ونقيصة في كيفية حجّ آدم (ع).

ثانياً: أبو الأنبياء نوح:

قال سبحانه في سورة نوح:

﴿إنّا أرسلنا نُوحاً إلىٰ قومِهِ أنْ أنذِرْ قومَكَ... قالَ: ياقَومِ إنّي نَذيرٌ مُبِينٌ أن اعبُدُوا اللّهَ واتَّقوهُ وأطيعون... وقالُوا: لاتَذَرُنَّ آلِهتكمُ ولاتَذَرُنَّ وَدّاً وَلاسُواعاً وَلايَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً...﴾ (الآية ١ ـ ٢٣).

وممّا يتعلّق ببحثنا من أخبار نوح في القرآن الكريم قوله تعالىٰ في سورة الشورىٰ:

﴿شَرَعَ لكم مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحَاً والّذي أوْحَينا إليكَ وَمَا وَصَّينا بِهِ إبراهيمَ وَموسىٰ وَعِيسىٰ أنْ أقيمُوا الدِّين وَلا تَتفرَّقوا فِيهِ...﴾ (الآية ١٣).

شرح الكلمات

أ ـ وَدّ، وسُواع، ويَغُوث، ويَعُوق، ونَسْر:

في البحار عن الإمام الصادق (ع) وورد ـ أيضاً ـ في كتاب الأصنام لابن الكلبي، وموجزاً في تفسير الآية بصحيح البخاري، واللفظ للأوّل موجزاً:

إنّ وَدّاً،وَسُواعاً، ويَغوث، ويَعوق، ونَسْراً كانوا بررة مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ فماتوا فضجّ قومهم وشقّ ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: أتّخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله. فأعدّ لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ، وينظرون إلى تلك الأصنام، فلمّا جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ حتّى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم، فقالوا: إنّ آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء، فعبدوهم من دون الله عزّ وجلّ، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلاتَذَرُنَّ وَدّاً

﴿وَلاسُواعاً﴾ الآية[5].

ب ـ وصّى الرجل غيره توصية بأن يفعل كذا: رغب إليه في أنْ يفعله لما يرىٰ فيه خيراً وصلاحاً.

ووصّىٰ الله بكذا: أمر به، وفرضه علىٰ عباده[6].

تفسير الآيات بإيجاز

في الآيات الأولىٰ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنّه أرسلَ نوحاً الىٰ قومه أنْ أنذرهم فقال لهم انّي لكم نذير أبيّنُ لكم ما أرسلت به أن اتّقوا الله، واعبدوه، وأطيعوني في ما أبلّغكم من أوامر الله ونواهيه، فأبىٰ قومه، وقالوا: لاتذروا عبادة أصنامكم..

وفي الآيات الأخيرة أخبر الله سبحانه وتعالىٰ وقال:

شَرَعَ لكم من الدّين يا أمّة محمّد (ص) ما كتبه وشرعه لنوح ﴿وَالّذي أوحَينا إليك﴾، أيْ وهو الذي أوحينا إليك يا محمّد(ص)، وهو ما ﴿وَصّينا بِهِ إبراهيمَ وموسىٰ وعِيسىٰ﴾ ثمّ بيّن ذلك بقوله تعالى: ﴿أنْ أقيمُوا الدّينَ وَلا تتفرّقوا فيه﴾[7].

ويدّل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ في سورة الصافّات:

﴿سَلامٌ عَلىٰ نُوحٍ في العالَمِين* إنّا كذلكَ نَجزي المحسِنِين* إنّهُ مِن عِبادِنا المؤمنين* ثُمّ أغرَقنا الآخَرِين* وَإنَّ مِنْ شيعته لإبراهيم* إذْ جاءَ رَبّه بِقَلبٍ سَليم﴾ (الآيات ٧٩ ـ ٨٤).

(٥) البحار (٣/٢٤٨ ـ ٢٥٢) وصحيح البخاري (٣/١٣٩) بتفسير سورة نوح.

(٦) معجم الفاظ القرآن الكريم، مادّة وصّىٰ.

(٧) تفسير الآية في التبيان (٢/٥٥٣)، ومجمع البيان (٩/٢٤).

شيعته:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره[8]، والشيعة: الجماعة الثابتة لرئيس لهم[9] ويكون المعنىٰ وإنّ من شيعة نوحٍ إبراهيم[10].

وسنورد مزيد بيان له في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ:

---

(٨) لسان العرب، مادّة شيع.

(٩) تفسير الآية في التبيان (٢/٤٩٢) ط. الحجر في ايران ١٣٦٥ هـ.

(١٠) وكذلك تعدّد تفسيره في تفسير الآية في التبيان ومجمع البيان وتفسير الطبري وابن كثير والدّر المنثور للسيوطي.

ثالثاً ـ خليل الله إبراهيم (ع):

ويتعلّق ببحثنا من أخبار إبراهيم في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالىٰ:

أ ـ في سورة الحج:

﴿وَإذْ بَوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أنْ لاتُشرِكْ بي شَيئاً وَطَهِّرْ بيتيَ للطائفينَ وَالقائمينَ والرُّكَّعِ السُّجودِ* وَأذِّنْ في الناسِ بالحجِّ يأتوكَ رِجالاً وَعلىٰ كُلِّ ضامِرٍ يَأتينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ* لِيَشهدوا منافِعَ لَهُمْ وَيَذكُرُوا اسمَ اللّهِ في أيّامٍ مَعلُوماتٍ عَلىٰ مارَزَقهُم مِنْ بهيمةِ الأنعامِ﴾ (الآيات ٢٦ ـ ٢٨).

ب ـ في سورة البقرة:

﴿وَإذْ جَعلْنا البَيتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وَأمناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبراهيمَ مُصلّىٰ وَعَهِدنا إلىٰ إبراهيمَ وإسماعيلَ أن طَهِّرا بَيتي لِلطّائفينَ وَالعاكفينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ*... وَإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ مِنَ البَيتِ وإسماعِيلُ رَبَّنا تَقبَّلْ مِنّا إنّكَ أنتَ السَميعُ العَليمُ* رَبَّنا وَاجعَلنا مُسلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرّيَّتنا أُمَّةً مُسلِمَةً لَكَ وَأرِنا مَناسكنا وَتُبْ علينا إنَّكَ أنتَ التَوّابُ الرَّحيمُ﴾ (الآيات ١٢٥ ـ ١٢٨).

ج ـ في سورة البقرة:

﴿وقالوا كُونُوا هُوداً أو نَصارىٰ تَهتَدُوا قُل بَل مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وَما كانَ مِنَ المشركينَ* قُولُوا آمَنّا باللهِ وَما أُنزِلَ إلينا وَما أُنزِلَ إلىٰ إبراهيمَ وَإسماعيلَ وإسحاقَ وَيَعقُوبَ والأسباطِ وَما أُوتيَ مُوسىٰ وَعيسىٰ وَما أُوتيَ النَّبيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (الآيتان ١٣٥ ـ ١٣٦).

د ـ في سورة آل عمران:

﴿ما كانَ إبراهيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلٰكِنْ كانَ حَنيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ المشرِكِينَ﴾ (الآية ٦٧).

هـ ـ وفيها أيضاً:

﴿قُل صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ المشركِينَ﴾ (الآية ٩٥).

و ـ في سورة الأنعام:

﴿قُل إنَّني هَداني رَبِّي إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ المشركِينَ﴾ (الآية ١٦١).

ح ـ في سورة النحل:

﴿ثُمَّ أَوْحَينا إلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ المشركِينَ﴾ (الآية ١٢٣).

شرح الكلمات

أ ـ بَوَّأْنا:

بوّأتُ المنزلَ لفلان: هَيَّأتُ المنزل له.

وبوّأته فيه: مكنت له فيه، وبوأته منزلاً: انزلته فيه.

ب ـ أَذَّنَ بالشيء تأذيناً: أعلم به أو أكثر الاعلام ونادى به، والأذان اسم التّأذين كالسلام اسم التسليم.

ج ـ رجالاً:

رَجِلَ يَرجَلُ رَجَلاً: لم يكن له مايركبه فهو رجل وراجل، والجمع رجال.

د ـ البَهيمَة: كلّ ذات أربع قوائم.

هـ ـ ضامِر:

جمل ضامر وناقة ضامر وضامرة: قليل اللحم لطيف الجسم.

و ـ فَجّ:

الفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين، أو في جبل.

ز ـ مَثابَة:

المثـابـة: الموضع الّذي يرجع الناس إليه ﴿وَإذْ جَعَلْنا البَيتَ مَثابةً لِلنّاسِ﴾ أي مرجعاً يرجع إليه الحجّاج أفواجاً بعد أفواج، أو أنَّ المثابة موضع ثواب يُثابون بحجّهِ وآعتماره، وموضع أمنٍ لهم.

ح ـ مَناسِكَنا:

النسك: العبادة، ونسك نَسكاً: تطوّع لله بعبادة، وعمل يتقرب به إلى الله مثـل ذبح الهدي في الحج، ويقال للذبيحة: النسيكة، والمنسك: موضع العبادة، والمناسك: أعمال الحجّ وزمانها، وأماكنها في عرفات، والمشعر، ومنىٰ، وما عداها.

ط ـ السَّعي: المراد من السعي: العمل أو الإستعداد للعمل.

ي ـ مقام إبراهيم (ع):

صخرة على الأرض آتّجاه الكعبة عليها أثر قدمي إبراهيم (ع).

ك ـ حَنِيفاً:

الحَنف: ميل عن الضَّلال الىٰ الاستقامة.

والجنف: ميل عن الاستقامة الىٰ الضَّلال، والحنيف: هو المائل عن الضلالة إلى الاستقامة، والحنيفيّة: شريعة إبراهيم (ع).

ل ـ قِيَماً:

القيم والقيّم: الثابت المستقيم لاعِوَج فيه.

م ـ مِلّة:

المِلّة: الدّين حقّاً كان أو باطلاً، فإذا أضيف إلى الله ورسله والمسلمين قصد به الدين الحقّ.

تفسير الآيات بإيجاز

أُذكر أيّها النّبيُّ إذْ مكّنّا لإبراهيم مكانَ البيت ليبنيه، وإذ كان إبراهيم

وإسماعيل يبنيان البيت ويدعوان ربّهما ويقولان: ربّنا تقبّل مِنّا واجعلنا مسلمين لك ومِن ذريتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسك الحجّ، فتقبّل الله سبحانه وتعالى دعاءَهما، ورأى إبراهيمُ في المنام أنّه يذبح ابنه اسماعيل(ع) في سبيل الله، وما يراه النبيْ في المنام نوع من أنواع الوحي، وكان إسماعيل(ع) قد بلغ سنّ العمل وعمل مع أبيه في بناء البيت. فأخبر إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع) بذلك، فقال: ياأبتِ افعل ما تُؤمَر ستجدني إنْ شاءَ الله من الصابرين. فلمّا أسلما لأمر الله وألقىٰ إبراهيم ابنه إسماعيل (ع) علىٰ جبينه ليضحّي به في سبيل الله ناداه الله: يا إبراهيم قد صدّقت الرُّؤيا، فإنّه بدأ بذبحه وهذا ما رآه في المنام ولم يرَ أنّه ذبحه، وفداه الله بكبش رآه أمامه، فضحّىٰ به في منىٰ.

أمر الله تعالى إبراهيم أن يُعلن الدعوة للحج وأخبر أنّ الناس سيأتون إلى الحجّ مشاة وركباناً من كلّ فجٍ عميق، وأنّ الله قد جعل البيت مكان أمن وتحصيل ثواب للناس،، وأمر أنْ يتخذ الناس من مقام إبراهيم (ع) مصلّىٰ.

وأخبر الله سبحانه وتعالى في آياتٍ أخرى عن ملّة إبراهيم(ع) ودينه وقال: إنّ إبراهيم كان حنيفاً مسلماً، ولم يكن من المشركين ولم يكن يهودياً، ولانصرانياً، كما يزعم ذلك بعض أهل الكتاب[١١]، وأمرنا أن نتّبع ملّة إبراهيم (ع)، وخصّ رسوله (ص) بهذا الأمر، وأوصىٰ اليه بقوله: قل إنني هداني ربّي إلىٰ صراط مستقيم، وهو الدين القيم، وملة إبراهيم الحنيف عن الشرك إلىٰ الإسلام، ومما اتّبع خاتم الأنبياء (ص)، من شريعة جَدِّه إتيان مناسك الحجّ كما أمر به إبراهيم وكذلك فعلت أمّته، وأدّت مناسك الحجّ كما أدّاه خليل الرحمان إبراهيم (ع).

---

(١١) البقرة الآية ١٤٠.

نتيجة البحث

كان يوم الجمعة مباركاً علىٰ آدم ومَنْ كان في عصره، ومباركاً لخاتم الأنبياء، وأُمّته الى أبد الدهر.

وحـجّ البيت آدمُ وإبراهيم وخاتم الأنبياء (ص) ومن تبعهم حتى اليوم وكـذلـك يفعلون الى أبد الدهر، وكذلك شرع لأمّة خاتم الأنبياء من الدين ماوصّىٰ به نوحاً، وكان إبراهيم من شيعة نوح ومتابعيه في الشريعة، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالىٰ خاتم الأنبياء (ص) وأمّته أن يتّبعوا ملّة إبراهيم ودينه القيّم.

ولا اختلاف بين شرايع هؤلاء الأنبياء من لدن آدم إلى النبيّ الخاتم (ص)، وإنّما كانت الشريعة اللّاحقة تجديداً للشريعة السابقة، وأحياناً إكمالاً لها. وقد مرّ بنا أنّ آدم (ع) حجّ، وأنّ إبراهيم جدّد بعض معالم الحجّ ببناء البيت، وأكمله النبيّ الخـاتم بتعيين مواقيت الإحرام واتخاذ مقام إبراهيم (ع) مصلّىٰ، وتبيين سائر معالم الحجّ.

أنزل الله من أحكام الإسلام إلىٰ آدم مايحتاجه الإنسان الذي يعيش في الريف علىٰ الزرع والضرع[١٢].

ولمّا كثر نسل بني آدم، وبنوا القرىٰ في عصر نوح (ع)، وسكنوا المدن الكبيرة احتاجوا إلى تشريع موسّع لانسان حضريٍّ له حاجات متعدّدة في أمر التجارة والاجتماع، ومشاكل مختلفة لسكان المدن الكبيرة، فأنزل الله على نوح من أحكـام الشـرع الإسـلامي مايسـدّ حاجـاتهم مثـل ما أنزل على خاتم الأنبياء (ص) من تلك الأحكام.

وكانت الأمم تنحرف بعد أنبيائها عن التوحيد إلىٰ الشرك كما انتهىٰ إليه

---

(١٢) الضرّع: مدّر اللّبن، يقال: ماله زرع ولا ضرع.

أمر بني آدم في عصر نوح إلىٰ عبادة الأصنام، فيبدأ النبي عندئذ بدعوتهم إلىٰ توحيد الله الخالق، وترك عبادة الأصنام كما كان شأن نوح، وإبراهيم، وسائر الأنبياء إلىٰ خاتم الأنبياء (ص)، الذي كان يتجوّل في أسواق العرب ومضارب الحجيج ويقول: قُولوا لا إلٰهَ إلاّ اللّهُ تُفلِحُوا.

وفي بعض الأُمم يَدّعي طاغيتهم الربوبيّة كما كان شأن الطاغية نمرود الذي حاجّ إبراهيم في رَبِّه.

وشأن الطاغية فرعون الذي تجبّر وقال أنا رِبّكم الأعلىٰ، وفي مثل هذه الحال يبدأ النبيّ بالدعوة الىٰ توحيد الربوبيّة ويقول إبراهيم (ع) ﴿رَبِّيَ الَّذي يُحيِي وَيُميت﴾.

ويقـول موسىٰ (ع): ﴿رَبُّنا الّذي أعطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾ وجاء شرح قول موسىٰ لفرعون في قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعلىٰ:

﴿سَبِّح اَسمَ رَبِّكَ الأعلىٰ* الّذي خَلَقَ فَسوّىٰ* وَالّذي قَدَّرَ فَهَدىٰ* وَالّذي أخرجَ المَرعىٰ* فَجعلهُ غُثاءً أحوىٰ﴾ (الآية ١ ـ ٥).

وقوله تعالى:

﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ﴾ (الأعراف ٥٤).

إذاً فإنّ بعض الأمم تنحرف في أصل العقيدة بالتوحيد.

وينحرف بعض الأُمم عن الإسلام في أعمالها: كما كان شأن قوم لوط، وشعيب.

وإذا درسنا ما جاء في القرآن الكريم، وروايات النبي (ص)، وما بقي من آثار الأنبياء، وما جاء من أخبارهم في مصادر الدراسات الإسلامية، أدركنا أنّ كل رسول لاحق كان يجدّد شريعة الله التي نزلت علىٰ من سبقه من الأنبياء بعد اندراسها، وتحريفها من قبل أمم الأنبياء أنفسهم، ولذلك أمرنا الله أن نقول:

﴿آمنّا بالله وَما أُنزلَ إلينا وما أُنزِلَ إلىٰ إبراهيمَ وإسماعيلَ وَإسحاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالأسباطِ وَما أُوتِيَ مُوسىٰ وَعيسىٰ وَما أُوتِيَ النَّبيّونَ مِنْ رَبِّهم لانُفَرِّقُ بين أَحَدٍ منهم ونَحْنُ لَهُ مُسلِمُون﴾ (البقرة ١٣٦).

وإذا كان أمر شرايع الأنبياء كما أوضحناه فللسائل أن يسأل:

إذاً ما معنىٰ النسخ في شرايع الأنبياء (ع) كما جاء ذكره في قوله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿مانَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أو نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنها أو مِثْلِها أَلَم تَعلَم أَنَّ اللّهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدير﴾ (الآية ١٠٦) ؟

وما معنىٰ التبديل في قوله تعالى في سورة النحل:

﴿وإذا بَدَّلنا آيةً مكانَ آيةٍ واللّهُ أعلمُ بِما يُنزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنتَ مُفْتَرٍ بَل أكثَرُهُمْ لايَعلَمُون﴾ (الآية ١٠١) ؟

ونقول في مقام الجواب: إنّ البحث هنا يدور حول أمرين:

حول مصطلحي النسخ والآية، ومعنى الآيتين مورد البحث كما سندرسهما في ما يأتي بإذنه تعالىٰ وتقدّس:

ـ ٢ ـ

مصطلحا النسخ والآية ومعناهما

أ ـ النسخ في اللّغة: إزالة شيء بشيء يتعقّبه، يقال: نسخت الشمس الظلّ.

وفي المصطلح الإسلامي: نسخ أحكام في شريعةٍ بأحكامٍ في شريعةٍ أخرىٰ، مثل نسخ بعض أحكام الشرايع السابقة بأحكامٍ في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، وكذلك نسخ حكمٍ مؤقتٍ بحكم أبديٍّ في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتآخين من المهاجرين والأنصار في المدينة قبل فتح مكّة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكّة[١٣].

ب ـ آية:

الآية مشتركة في المصطلح الاسلامي بين ثلاثة معان:

١ ـ معجزاتُ الأنبياء كما جاء في قوله سبحانه وتعالى في سورة النمل في خطابه لموسى بن عمران:

﴿وَأَدخِلْ يَدكَ فِي جَيبِكَ تَخرُجْ بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ فِي تِسعِ آياتٍ إلىٰ فِرعَونَ وَقَومِهِ﴾ (الآية ١٢).

٢ ـ جملةٌ من ألفاظ قرآنية مشخّصة بالعدد كما جاء في سورة يوسف،

---

(١٣) راجع تفسير الآيتين الكريمتين: ٧٢ و ٧٥ في سورة الأنفال بتفسير الطبري (١٠/ ٢٦ ـ ٢٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٨، ٢٢١) وتفسير الدر المنثور (٢/ ٢٠٧).

والرعد، ويونس، والنمل ﴿آلر• تلكَ آياتُ الكتاب...﴾.

٣ ـ فصل أو فصول من كتاب الله يُبَيِّنُ حكماً من أحكام شريعة الله كما فصّلنا القول فيه في بحث المصطلحات من الجزء الأوّل من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

وقد لوحظ في تسمية بعض القرآن (آية) مدلوله وهو الحكم المذكور في ذلك البعض من القرآن، وإنّ النسخ يتعلّق بذلك الحكم، وليس بلفظ القرآن الذي دلّ على ذلك الحكم.

ويشخّص المعنى في اللفظ المشترك بالقرينة الدالّة على المقصود في الكلام.

* * *

كان ذلك معنىٰ الآية في المصطلح الاسلامي أما تفسير الآيتين فكالآتي:

أوّلاً ـ آية النسخ:

وردت آية النسخ ضمن آيات (٤٠ ـ ١٥٢) من سورة البقرة، ونورد منها مايخص البحث في مايأتي:

﴿يابَني إسرائيلَ اذكُرُوا نِعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وَأوفُوا بعَهدي أُوفِ بعَهدِكُم وإيّايَ فَارهَبُون• وَآمِنُوا بِما أنزلتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاتَكُونُوا أوّلَ كَافِرٍ به وَلا تَشتَرُوا بآياتي ثَمَناً قليلاً وإيّاي فاتّقُونِ• وَلا تَلبِسُوا الحَقَّ بالباطِلِ وَتَكتُمُوا الحَقَّ وَأنتُم تَعلمُون•... يابَني إسرائيلَ اذكُرُوا نعمتِيَ الّتي أنعَمتُ عَلَيكُمْ وَأنّي فَضَّلتكم عَلىٰ العالَمين• وَاتقُوا يَوماً لاتَجزي نَفسٌ عَن نفْسٍ شَيئاً وَلا يُقبَلُ مِنها شَفاعَةٌ وَلا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ وَلا هُم يُنصَرُون•... وإذ أخذنا مِيثاقَكم وَرَفَعنا فوقكمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيناكم بِقُوّةٍ وإذكُرُوا ما فِيه...•

وَلَقَدْ آتَينا مُوسىٰ الكِتابَ وَقَفَّينا مِنْ بَعدِهِ بالرسلِ وآتَينا عِيسىٰ ابنَ مَريَمَ البَيِّناتِ وَأيَّدناهُ بِرُوحِ القُدُسِ أفَكُلَّما جاءَكُم رَسولٌ بِما لاتَهوىٰ أنفسكم

استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون* وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون* ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين* بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين* وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين* ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون*

... ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون*... ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون*... ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم* ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير*

... ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق*... وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين* بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون*... ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير*

... يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين* واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾.

ثمّ يعيّن مورد النسخ بعد تمهيد مقدّمة أوردنا بعضها في ماسبق في ما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قيام ابراهيم واسماعيل (ع) ببناء الكعبة وقال:

أ ـ ﴿وَإذْ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ منَ البَيتِ وَإسماعيل﴾.

ب ـ ﴿وَإذْ جَعَلْنا البيتَ مَثابةً لِلنّاسِ وَأمناً﴾.

ج ـ ﴿وَعَهِدْنا إلىٰ إبراهيمَ وَإسماعيلَ أن طَهِّرا بيتي للطّائفينَ وَالعاكفينَ وَالرُّكَّعِ السُّجود﴾.

﴿قَد نرىٰ تَقَلُّبَ وَجهِكَ في السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضاها فَوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحرامِ وَحَيثُ ماكُنتُم فَوَلُّوا وجُوهكُم شَطرَهُ وإنَّ الَّذينَ أُوتُوا الكتابَ لَيعلمونَ أنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّهِم وَما اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعملون* وَلَئِن أَتيتَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيةٍ ماتَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أَنتَ بِتابِعٍ قِبلَتَهُم*.... الذينَ آتيناهُمُ الكتابَ يعرِفونهُ كَما يَعرِفُونَ أَبناءَهُم وَإنَّ فَرِيقاً مِنهُم لَيكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلمون﴾.

وأخبر الله قبله عن جدالهم مع المسلمين في تحويل القبلة وقال تعالىٰ:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ ماوَلّاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتي كانُوا عليها قُل لِلّهِ المَشرِقُ والمَغربُ يَهدي مَن يَشاءُ إلىٰ صِراطٍ مستقيمٍ*.... وَما جَعَلنا القِبلَةَ الَّتي كُنتَ عليها إلّا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرسولَ مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيهِ وَإن كانَت لَكَبيرَةً إلّا علىٰ الَّذينَ هَدىٰ اللّهُ وَما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم إنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحيم﴾.

ثانياً ـ آية التبديل:

جاءت آية التبديل ضمن مجموعة آيات سورة النحل[١٤] ونذكر منها مايخصّ

(١٤) راجع تفصيل البحث ومصادره في بحث مصطلحات اسلامية من المجلد الأول من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

البحث في ما يأتي:

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذا بَدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ وَاللّهُ أعلمُ بما يُنَزِّلُ قالوا إنّما أنت مُفْتَرٍ بَل أكثَرهم لايعلمـون* قُل نَزّلَـهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبّك بالحَقّ لِيُثَبّتَ الّذين آمنوا وَهُدىً وبُشرىٰ للمسلمين*.... إنّما يَفْتَري الكَذِبَ الّذِينَ لايُؤمنونَ بآياتِ اللّهِ وَأولئك هُمُ الكاذِبون*.... فَكُلُوا مِمّا رزقكم اللّهُ حَلالاً طَيّباً واشْكُروا نِعْمَةَ اللّهِ إن كنتم إيّاهُ تَعبُدون* إنّما حَرّمَ عليكم المَيتَـةَ وَالدّمَ وَلَحمَ الخِنْزيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيرِ اللّهِ بِهِ فَمَن اَضـطُرَّ غَيرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإنّ اللّهَ غَفورٌ رَحيم* وَلاتَقولوا لِما تَصِفُ أَلسِنَتِكُم الكَذِبَ هٰذا حَلالٌ وَهٰذا حرامٌ لِتَفْتَرُوا علىٰ اللّهِ الكَذِبَ إنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلىٰ اللّهِ الكَـذِبَ لايُفلِحُون* وَعَلىٰ الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا ما قَصَصْنا عَليكَ مِن قَبل ...* ... ثُمّ أوحينا إليك أن اتّبِعْ مِلّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وَما كانَ مِنَ المشركين* إنّما جُعِلَ السَّبْتُ علىٰ الّذينَ اخْتَلَفوا فيه...﴾(الآيات ١٠١ ـ ١٢٤).

والّذي قصّه الله على نبيّه من قبل قوله تعالىٰ:

أ ـ في سورة آل عمران:

﴿كُلُّ الطّعَامِ كَانَ حِلاّ لِبَني إسرائيلَ إلاّ ما حَرّمَ إسرائيلُ عَلىٰ نَفْسِه﴾ (الآية ٩٣).

ب ـ في سورة الأنعام:

﴿وَعَلَى الّذينَ هادُوا حَرّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرّمْنا عَلَيْهِم شُحُومَهُما إلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أو الْحَوايا أَوْ ما اَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهم بِبَغْيِهِم وَإنّا لَصادقون﴾ (الآية ١٤٦).

أوّلاً ـ شرح الكلمات:

أ ـ مُصَدِّقاً لما معكم:

أي إنّ صفات القرآن وصفات الرسول يصدّق لما ورد في التوراة من الأخبار ببعثة الرسول (ص) وانزال القرآن عليه، مثل ما ورد في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ط. رجارد واطس بلندن عام ١٨٣١م والآتي نصّه:

الإصحاح الثالث والثلاثون

فهذه البركة التي بها بارك موسىٰ رجل الله بني اسرائيل قبل موته وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه الوف الأطهار في يمينه سُنّة من نار أحب الشعوب جميع الأطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه موسىٰ أمرنا بسنّة: ميراثا لجماعة يعقوب.

وجاء هذا النص في ط. رجارد واطس بلندن سنة ١٨٣٩ م باللغة الفارسية كالآتي:

١ ـ و اينست دعاى خير كه موسى مرد خدا قبل از مردن بر بنى اسرائيل خواند.

٢ ـ و گفت كه خداوند از سيناى بر آمد و از سعير نمودار گشت و از كوه فاران نور افشان شد و با ده هزار مقرّبان ورود نمود و از دست راستش شريعتى آتشين براى ايشان رسيد.

٣ ـ بلكه قبائل را دوست داشت و همگى مقدساتش در قبضهٔ تو هستند و مقرّبان پاى تو بوده تعليم تو را خواهند پذيرفت.

٤ ـ موسى ما را بشريعة امر كرد كه ميراث جماعت بنى يعقوب باشد.

وترجمة النص الى العربية كالآتي:

(وهذا دعاء الخير الذي تلاه موسى رَجُل الله قبل موته على بني اسرائيل وقال: إنّ الله استعلىٰ من سيناء، وظهر من ساعير ونشر النور من فاران، وجاء مع عشرة آلاف من المقرّبين، وجاءهم من يمينه شريعة ناريّة.

أحبّ القبائل، وجميع مقدّساته في يمينك ومقرّبون الى رجليك ويتقبّلون تعاليمك.

موسىٰ أمرنا بشريعة هي ميراث لجماعة بني يعقوب).

في هذا النص (وجاء مع عشرة الآف من المقرّبين) مع تعيين عدد الأُلوف وفي النص الأول (ومعه الوف الأطهار) مع عدم تعيين عدد الالوف لأنّ الذي ظهر من غار حراء بفاران ثمّ جاء الى أرض فاران مكّة ـ مع عشرة آلاف هو خاتم الأنبياء محمّد (ص)، فبادروا الىٰ تحريف هذا النص في عصرنا الحاضر كي يكتموا ماجاء فيه من بشارات ببعثة خاتم الأنبياء كما شرحنا ذلك في البحث التمهيدي الخامس من الجزء الثاني من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق).

نتيجة البحث في تفسير ﴿مصدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾:

يتّضح بجلاء أنّ هذا الإصحاح ينصّ على أنّ موسى بن عمران (ع) ذكر في وصيّته لبني اسرائيل قبل موته:

أنّ الله الربّ أنزل التوراة في جبل سينا والانجيل في جبل سعير والقرآن في جبل فاران ـ مكّة ـ ثمّ توسّع في ذكر خصوصيات الشريعة الثالثة وقال: وجاء ومعه عشرة آلاف من المقربين وهم عشرة آلاف من الجنود في فتح مكّة، وأنّ شريعة الثالث شريعة القتال، وأنّ أمّته يقبلون تعاليمه، وفي هذا التصريح تعريض بمواقف بني إسرائيل في انحرافاتهم وعبادتهم العجل ومجادلاتهم مع نبيّهم موسى وسائر أنبيائهم والتي جاء ذكرها في القرآن والتوراة.

وكذلك صرّح بأنّ شريعة خاتم الأنبياء (ص)، نزلت لجميع القبائل بينا شريعة موسىٰ بن عمران نزلت لجماعة يعقوب أي لبني إسرائيل.

ويطول بنا البحث إذا أردنا أن نستعرض جميع البشارات ببعثة خاتم الأنبياء والتي بقيت إلى عصرنا الحاضر مع التحريف الذي أجروه عليها في مابقي من الكتب السماوية بأيدينا اليوم، وكانت موجودة بأيدي أهل الكتاب في عصر خاتم الأنبياء (ص)، ولذلك قال سبحانه بعيد هذا في الآية (١٤٦) منها:
﴿الَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعرِفونَه كَما يَعْرِفونَ أبناءَهم وَإنَّ فَريقاً منهم لَيَكتمونَ الحقَّ وَهُمْ يَعلمون﴾.

وبناءً على ذلك فإنّ في بعثة خاتم الأنبياء بالقرآن ومايتّصف به هو وأمّته تصديق لِما عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل، والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

ب ـ لا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِل:

أي لاتخلطوا الحقّ بالباطل لتخفوا الحقّ، أو لاتستروا الحقّ بالباطل لتجعلوه مشكوكاً

ج ـ عَدْل:

عدل: أي فدية.

د ـ قَفَّينا:

قفّىٰ من بعد الشيء بالآخر: أتى بالآخر بعد الأوّل أو جعله يتبعه.

هـ ـ غُلْفٌ:

غلّف الشيء: جعل له غلافاً، وغلف جمع الأغلف و هو الموضوع في الغلاف.

و ـ يَسْتَفْتِحُون:

أي يطلبون النصر على خصومهم في القتال بذكر اسمه ويستشفعون به

إلى الله لينصرهم[١٥].

ز ـ نُنْسِها:

لابدّ أن تكون (ننسها) مخفّفة من (نَنْسَئْها)، ونسأ الشيء أو الأمر وأنساه أخّره. ويكون المعنى ماننسخ من آية ـ من أحكام ـ أو نُؤَجِّلها نأت بخير منها أو مثلها، كما سيأتي بيانها وبيان الحكمة فيها في مايأتي إن شاء الله تعالى.

ولايصحّ أن تكون من (ننسيها)، ويكون المعنى لاننسي الناس قراءة (آية) من القرآن كما فسّروها[١٦]، وذلك:

أوّلاً: لقوله تعالىٰ في سورة الأعلىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾، إذاً فقد ضمن الله حفظ القرآن من النسيان.

وثـانياً: لعـدم وجود مصلحة لإنساء الله الناس قراءة آية أو آيات أنزلها ليقرأها الناس.

ح ـ هادُوا وَهُوداً:

هادَ: دانَ باليهودية فهو هائد وجمعه هوداً، مثل عائذ وعوذاً، ونازل ونزلاً.

ط ـ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ العالَمِين:

أي فضّلهم في عصرهم على العالمين من قوم فرعون بمصر والعمالقة وأمثالهم في الشام.

ي ـ شَطْر:

شطر الشيء: من معانيه جهة الشيء، وهو المقصود هنا.

ك ـ ما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ:

أي ما كان الله ليضيع صلاتكم التي صليتموها مستقبلين بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة.

---

(١٥) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري.

(١٦) راجع رواية القرطبي والطبري عن سعد بن أبي وقّاص في تفسير الآية.

ل ـ بَدَّلْنا:

بدّل الشيء بالشيء وبدّل شيئاً مكانَ شيء آخر: جعل الشيء الثاني مكان الشيء الأوّل.

والفرق بين العوض والبدل: أنّ العوض ما تعقّب به الشيء على جهة المثامنة، تقول: هذا الدرهم عوض من خاتمك، والبدل ما يقام مقامه ويوقع موقعه على جهة التعاقب دون المثامنة[١٧].

م ـ رُوحُ القُدُس:

هو الملك الّذي أنزل الله القرآن وتفسيره وأحكام الاسلام معه إلى الرسول.

ن ـ ذِي ظُفُر:

الظفر في اللغة ظفر الانسان وغيره، والمقصود هنا والله اعلم كلّ حيوان ليس بمنفرج الأصابع كالابل والنعام والأوز والبطّ.

س ـ الحَوايا:

الحوايا: الأمعاء والمباعر.

ع ـ ما اخْتَلَطَ بِعَظْم:

اختلط الشيء بالشيء: امتزج، والمقصود هنا شحم الجنب والألية لأنّه على العصعص وهو عظم.

---

(١٧) مادّة بدل من كتاب التحقيق في مفردات القرآن نقلاً عن الأوائل للعسكري.

ثانياً: تفسير الآيات:

أ ـ آية التبديل التي جاءت ضمن آيات سورة النحل المكّية:

في هذه الآيات قال الله تعالىٰ:

وإذا بدّلنا آية أي بعض أحكام من شرع سابق بأحكام أخرى نزلت في القرآن قالوا للرسول (ص): إنّما أنت مفترٍ.

لا. ليس الأمر كذلك: بل أكثرهم جهّال لايعلمون!

يارسول الله (ص)! قل: نزّل الأحكام في القرآن الملك من عند ربّك بالحقّ كي يثبّت المؤمنين على الإيمان وليكون هدىً وبشرىً للمسلمين، ولست أنت المفتري، وإنّما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ـ أي المشركون أنفسهم ـ وأولئك هم الكاذبون.

ثمّ شرح الله سبحانه بعد هذا مورد النزاع وقال: كُلُوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً مثل لحم الجمل وبعض شحوم الحيوان ونظائرهما ممّا حرّمها على بني إسرائيل، فإنّ الله لم يحرّمها عليكم وإنّما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ بهِ لِغير الله، أي ما هتف عند ذبحه باسم غير الله مثل اللات والعزى ونظائرها، إلاّ لمن اضطرّ إلى اكلها، هذه مما حرّمت عليكم ولاتصفوا الأشياء بألسنتكم بأنّ هذا حلال وذاك حرام، كما أخبر الله عن قول المشركين في الآيات ١٣٨ ـ ١٤٠ من سورة الأنعام، كان ذلكم شأن المشركين. أمّا اليهود فقد حرّم الله عليهم خاصّة ماقصّه على الرسول قبل هذه السورة ـ أيضاً ـ في الآية ١٤٦ من سورة الأنعام، وكان ذلك التحريم لليهود.

أمّا أنت أيّها الرسول فقد أوحينا إليك أن اتَّبِعْ في أمر الحلال والحرام ملّة إبراهيم، وكان من جملة ما في ملّة ابراهيم اتخاذ يوم الجمعة يوم استراحة في الاسبوع. أمّا السبت فقد جعل يومه عطلة علىٰ بني اسرائيل خاصّة تحرّم

عليهم العمل فيه، كما ورد ذكره في الآية ١٦٣ من سورة الاعراف.

وبناءً علىٰ ما أوردناه فإنّ معنىٰ تبديل آية هنا إنّما هو تبديل بعض أحكام جاءت في توراة موسىٰ بن عمران (ع) بأحكام نزلت في القرآن على خاتم الرسل (ص)، وعودة الأمر الى ما كان عليه في شريعة إبراهيم الخليل (ع).

ويؤكّد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَإذا بَدَّلْنـا آيَةً مَكانَ آيةٍ قالَ الَّذينَ كفروا إنّما أنتَ مُفْتَرٍ... قُل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُس﴾.

وإعادة الضمير في (نزّله) إلىٰ معنىٰ (آية) وهو الحكم، ولو كان الجدال حول تبديل الآية التي هي جزء من السورة لكان ينبغي ان يقول سبحانه: (قل نزلها روح القدس) ويعيد الضمير مؤنثاً.

ب ـ الآيات التي وردت في ضمنها آية النسخ في سورة البقرة المدنية:

في هذه الآيات قال الله سبحانه:

يابني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم وأوفوا بعهده حين أنزل لكم التوراة وقال لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه، وفيه البشارة ببعثة خاتم الأنبياء، يوف الله بعهده اليكم، فيغدق نعمه عليكم في الدنيا والآخرة، وآمنوا بما أنزل علىٰ خاتم الأنبياء وهو يصدّق لما معكم من كتب الله، ولا تكتموا الحقّ ولا تلْبسوا الحقّ بالباطل وأنتم تعلمون. ولقد آتىٰ الله موسىٰ الكتاب وقفّىٰ بعده بالرسل ومنهم عيسى بن مريم الذي أيّدَهُ بالأدلّة الواضحة وأيّده بروح القدس. أفكلما جاءكم رسول بأحكام لاتهواها أنفسكم استكبرتم وكذّبتم فريقاً منهم وفريقاً تقتلونهم، وقلتم قلوبنا مغلفة عن دركها، وأخيراً لمّا جاءكم القرآن من عند الله وهـو يصـدّق ماعنـدكم من الأخبار كفرتم به، في حين أنّكم كنتم قبل ذلك تستشفعون في طلب الفتح على الكفّار باسمه، وعندما جاءكم النبيّ وعرفتموه كفرتم به وبما أنزل الله معه من الوحي، بئسما اشتريتم لأنفسكم ان تكفروا بما

أنزل الله، لأنّه أنزله على ذريّة إسماعيل دون ذرية يعقوب فبوءوا بغضب من الله وللكافرين عذاب مهين.

وإذا قيل لليهود آمنوا بما أنزل الله علىٰ خاتم أنبيائه قالوا: نُؤمن بما أُنزل علينا معشر بني إسرائيل، ونكفر بما أُنزل علىٰ غيرنا، وهو حقّ يُصدِّق ما معهم في كتب الأنبياء من الاخبار ببعثته.

قل لهم يارسول الله: إن كنتم تزعمون أنّكم مؤمنين بالله فلم قتلتم أنبياء الله الذين جاءوكم قبل هذا؟! كيف تقولون إنّكم تؤمنون بما أنزل اليكم، ولقد جاءكم موسى بالآيات البيِّنات فعبدتم العجل بدل الإيمان بالله، وكما أنزل الله علىٰ موسىٰ آيات بيّنات أنزل ـ أيضاً ـ آيات بيّنات على خاتم أنبيائه محمّد (ص)، ولايكفر بها إلاّ الفاسقون.

ولو أنّ اليهود آمنوا واتّقوا الله لأثابهم الله، ولكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بمكة لايحبون أن ينزل عليكم ايها المسلمون خير وكتاب من ربّكم في حين أنّ الله يختصّ برحمته من يشاء.

وما ينسخ الله من آية أو ينسها يأتِ بخير منها أو بمثلها، أي ماينسخ الله مِنْ أحكام أو يؤجّلها يأتِ بخير منها أو بمثلها، إنّ الله على كلّ شيء قدير.

أحبّ كثير من أهل الكتاب أن يردّوكم عن إيمانكم بخاتم الأنبياء الى الكفر حسداً أن ينزل الوحي علىٰ غير بني إسرائيل، بعد أن تبيّن لهم أنّه الحق وقالوا لكم لن يدخل الجنّة إلاّ من كان من اليهود أو النصارى، أي إنّكم بإسلامكم لن تدخلوا الجنّة، قل هاتوا برهانكم. بلى من أسلم وعمل الصالحات فله أجره عند ربّه، ولن ترضى عنك اليهود والنصارىٰ حتىٰ تتّبع ملّتهم.

ثمّ خاطب اليهود وقال لهم: يابني إسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وأنّي فضّلتكم على العالمين في عصركم واتّقوا يوم القيامة.

ثمّ ذكر موضع النزاع وسبب الخصومة وكيف وقعا بين الرسول واليهود، وقال

سبحانه: نرى تقلّب وجهك نحو السماء انتظاراً لتحويل القبلة من بيت المقدس فلنولينك قبلة ترضاها اينما كنت انت والمسلمين ولّ وَجهك نحو المسجد الحرام، وإنّ الذين أوتوا الكتاب اليهود منهم الذين يخاصمونك والنصارى لَيعلمون أنّ تحويل القبلة إلى الكعبة حقّ من ربّهم، وإنّك مهما تأتهم بآية لايقبلون قولك ولا يتّبعون قبلتك. وسيقول السفهاء ما ولّاهم عن بيت المقدس قبلتهم السابقة. قل إنّ الأمر لله والمشرق والمغرب له يهدي من يشاء الى صراط مستقيم، وكان جعل القبلة بيت المقدس وتحويلها الى الكعبة لامتحان الناس في مكّة حيث جعل قبلتهم إلىٰ بيت المقدس دون الكعبة، وفي المدينة ـ أيضاً ـ تحويل القبلة الى الكعبة امتحاناً لليهود، في أنّهم هل يتركون العصبية الاسرائيلية ويتركون استقبال بيت المقدس ويستقبلون الكعبة بعد أن عرفوا أنّه الحقّ من ربّهم. إمتحانا لهؤلاء وأولئك ليعلم من يتبع رسول الله (ص) ممّن ينقلب على عقبيه.

أمّا صلاتهم التي استقبلوا بها بيت المقدس قبل ذلك فلا تضيع عند الله.

وهكذا يتبيّن أنّ المقصود من (آية) في ذكر مجادلة قريش في مكة عند تبديلها بآية أُخرى: تبديل الله حكماً بآخر، كماجاء تفصيل ذلك الجدال قبل هذه السورة في سورة الأنعام؛

وأيضاً تبيّن أنّ المقصود من نسخ آية أو تأجيلها في خبر اليهود في المدينة: نسخ حكم في شريعته (ع) أو تأجيل حكم شريعة لحكمة يعلمها الله.

إنّ الراغب قد أصاب في تفسيره آية: (وكلّ جملة دالّة على حكم آية، سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من سورة) أي باعتبار معنى الآية في السورة.

كان ذلكم المقصود من تبديل آية مكان آية أخرى ونسخ آية وإنسائها في الآيتين الكريمتين، وسندرس في ما يأتي شأن النسخ وحكمته في شريعة موسى ابن عمران (ع) بإذنه تعالى.

- ٣ -

شريعة موسىٰ كانت تخصّ بني إسرائيل

إنّ شريعة موسى التي جاءت في التوراة كانت تخصّ بني إسرائيل كما جاء في العدد الرابع من الإصحاح الثالث والثلاثين في سفر التثنية مانصّه: (موسىٰ أمرنا بسنّة ميراثا لجماعة يعقوب).

أي أنّ موسىٰ أمرنا بشريعة تخصّ جماعة يعقوب وهم بنو إسرائيل، وكذلك مرّ في الآيات التي درسناها آنفاً بيان ذلك. وفي ما يأتي ندرس أمر النسخ بتفصيل أوفىٰ باذنه تعالى.

حقيقة النسخ في شريعة موسىٰ عليه السّلام:

نبدأ بذكر أخبار بني إسرائيل في القرآن حسب التسلسل الزمني ثم ندرس أمر النسخ في شريعتهم:

أوّلاً ـ تذكير بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم:

أ ـ في سورة البقرة:

﴿يابَني إسرائيلَ اذكُرُوا نِعمتيَ الّتي أنعمتُ عَليكُم وأنّي فضّلتُكم علىٰ العالَمين* ...وإذْ نَجّيناكُم مِن آل فِرعَونَ يَسُومونَكُمْ سُوءَ العَذابِ يُذَبِّحون أبناءَكُم وَيَستحيُونَ نِساءَكم وفي ذٰلِكُمْ بَلاءٌ مِن رَبِّكم عَظيم* وَإذْ فَرَقنا بِكُمُ البحرَ فأنْجيناكُم وأغرقْنا آلَ فِرعَونَ وَأنتم تَنظرونَ* وَإذْ واعَدْنا مُوسىٰ أربعينَ لَيلةً ثُمّ اتّخذْتُم العِجلَ مِن بَعْده وَأنتُم ظالِمون﴾ (الآيات ٤٧ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١).

ب ـ في سورة الأعراف:

﴿وَجاوَزْنا بِبَني إسرائيلَ البَحرَ فأتَوْا على قوم يَعكِفُونَ علىٰ أصنامٍ لَهُمْ قالوا يامُوسىٰ اجعَل لَنا إلهاً كَما لَهم آلِهةٌ قالَ إنّكم قَوْمٌ تَجْهَلون﴾ (الآية ١٣٨).

ج ـ في سورة طه:

﴿وأضَلَّهُمُ السّامِريّ* ...فَكذٰلكَ ألقىٰ السّامِريّ* فَأخرجَ لَهُم عِجلاً جَسداً له خُوارٌ فقالوا هٰذا إلٰهُكم وإلٰهُ مُوسىٰ...﴾.

﴿ولقَد قالَ لَهُم هارُونُ مِن قَبلُ ياقومِ إنّما فُتِنتُم بِهِ وإنّ رَبَّكُمُ الرّحمٰنُ فَاتّبِعوني وأطيعُوا أمري* قالوا لَن نَبرَحَ عَلَيه عاكفينَ حَتّى يَرجِعَ إلينا مُوسىٰ﴾ (الآيات ٨٥ ـ ٩١).

د ـ في سورة البقرة:

﴿وإذْ قالَ مُوسىٰ لِقَومِهِ ياقومِ إنّكُم ظَلمتُم أنفُسَكم باتّخاذِكُمُ العِجلَ

فَتوبُوا إلىٰ بارِئكُم فَاقتُلوُا أنفُسَكم ذٰلكُم خَيرٌ لَكُم عندَ بارِئكُمْ فتابَ عليكُم إنَّهُ هُوَ التوّابُ ٱلرَّحيم﴾ (الآية ٥٤).

ثانياً ـ التَّوراةُ وَبَعضُ أحكامها:

أ ـ في سورة البقرة:

﴿وَإذْ أخَذْنَا ميثاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الآية ٦٣).

وقريب منه في الآية ٩٣ منها والآية ١٧١ من سورة الأعراف.

ب ـ في سورة الإسراء:

﴿وآتَينا مُوسىٰ الكتابَ وَجَعلناهُ هُدىً لِبَني إسرائيل...﴾ (الآية ٢).

ج ـ في سورة آل عمران:

﴿كُلُّ الطَّعامِ كَانَ حِلاً لِبَني إسرائيلَ إلاّ ما حَرَّمَ اسرائيلُ عَلىٰ نَفسِهِ مِن قَبْلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوراة...﴾ (الآية ٩٣).

د ـ في سورة الأنعام:

﴿وَعَلىٰ الّذينَ هادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقرِ وَٱلغَنَمِ حَرَّمْنَا عليهم شُحُومَهُما إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أوِ الحَوايا أوْ ما اَختَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْناهُم بِبَغْيِهِم وَإنّا لَصادقون﴾ (الآية ١٤٦).

هـ ـ في سورة النحل:

﴿وَعَلىٰ ٱلّذينَ هادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا علَيْك مِن قَبلُ وَما ظَلَمناهُم وَلكِنْ كانُوا أنفُسَهم يَظلِمُون﴾ (الآية ١١٨).

و ـ في سورة النِّساءِ:

﴿يَسألُكَ أهْلُ الكِتابِ أنْ تُنَزِّلَ عليهم كتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَد سَألُوا مُوسىٰ أكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقالُوا أرِنا اللّٰهَ جَهرَةً... فَعفَونا عَن ذٰلِكَ... وَرَفَعْنا فَوقَهُمُ الطُّورَ

بِميثاقِهِم... وقُلنا لَهُم لاتَعْدُوا في السَّبْتِ وَأخَذنا منْهُم ميثاقاً غَليظاً* فَبِما نَقضِهِم ميثاقَهُمْ وكُفرِهِمْ بآياتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأنبياء... وبِكُفرِهم وَقولِهِم عَلىٰ مَرْيَمَ بهتاناً عَظيماً* فَبِظلمٍ مِنَ الّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عليهِمَ طَيِّباتٍ أُحِلّت لهُم وَبِصَدِّهِم عَن سَبيلِ اللّهِ كثيراً* وأخذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عنه وأكلِهِم أموال النّاسِ بالباطِل﴾ (الآيات ١٥٣ ـ ١٦١).

ز ـ في سورة الأعراف:

﴿وسئَلهُم عَنِ اَلقَريَةِ اَلّتي كانَت حاضِرَةَ البَحرِ إذ يَعدُونَ في اَلسَّبتِ إذْ تَأتِيهِم حِيتانُهُم يَومَ سَبْتِهِم شُرَّعاً وَيَومَ لايَسبِتُونَ لا تَأتِيهِم كَذلِكَ نبلُوهُم بِما كانُوا يَفسقونَ﴾ (الآية ١٦٣).

والبقرة (٦٥) والنساء (٤٧ و ١٥٤).

ح ـ وفي سورة النحل:

﴿إنّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلىٰ الّذينَ اختَلفوا فيه...﴾ (الآية ١٢٤).

ثالثاً ـ نعم الله علىٰ بني إسرائيل وطغيانهم وتمرّدهم:

أ ـ في سورة الأعراف:

﴿وَقطَّعنَاهُمُ اَثنَتيْ عَشْرَةَ أسْباطاً أُمَماً وأوحينا إلىٰ مُوسىٰ إذِ اَستَسقاهُ قَومُهُ أنِ اَضْرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنهُ اَثنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشرَبَهُم وَظَلَّلْنا عليْهِم اَلغَمامَ وَأنزَلنا عليهِم المَنَّ وَالسَّلوىٰ كُلُوا مِن طَيِّباتِ مَا رَزَقناكُم وَما ظَلَمُونا وَلٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُون* وَإذْ قِيلَ لَهُمُ اَسكُنُوا هٰذِهِ اَلقَريَةَ وَكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتم وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدخُلوا اَلبابَ سُجَّداً نغفِرْ لكُم خَطِيئَاتِكُم وَسَنَزِيدُ اَلمحسنين* فَبَدّلَ اَلّذينَ ظَلَموا مِنهُم قولاً غَيرَ اَلّذي قِيلَ لَهُم فَأرسَلنا عليهِم رِجزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظلِمُون﴾ (الآيات ١٦٠ ـ ١٦٢).

ب ـ في سورة المائدة:

﴿وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِقَومه ياقَومِ اذْكُرُوا نِعمةَ ٱللهِ علَيكم إِذْ جَعَلَ فِيكُم أنبياءَ وَجعلَكم ملُوكاً وَآتاكُم ما لَمْ يُؤتِ أَحَداً مِنَ العالَمِين* ياقَومِ ادْخُلُوا ٱلأرضَ ٱلمقَدَّسَةَ ٱلَّتي كتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاتَرتَدُّوا عَلىٰ أَدْبارِكُم فَتَنقَلِبُوا خاسِرِين* قالوا ياموسىٰ إِنَّ فِيها قَوماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن ندخُلَها حَتىٰ يَخرُجُوا مِنها فإِن يَخرُجُوا مِنها فَإِنَّا داخِلُون* قَال رَجُلانِ مِنَ ٱلَّذينَ يَخافُونَ أَنعَمَ ٱللَّهُ علَيهِما ادخُلُوا عليهِمُ ٱلبابَ فَإِذا دَخَلتُمُوهُ فَإِنَّكُم غالِبُونَ وَعَلىٰ ٱللَّهِ فتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مؤمِنِينَ* قالوا ياموسىٰ إِنَّا لَن ندخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فقاتِلا إِنَّا هاهُنَا قَاعِدُون* قال رَبِّ إِنِّي لا أَملِكُ إِلاّ نَفسِي وَأَخي فَافْرُق بَينَنا وبَينَ ٱلقَومِ ٱلفاسِقين* قال فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عليهِم أَرْبعينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلأرضِ فَلا تَأسَ عَلىٰ ٱلقَومِ ٱلفاسِقِين﴾ (الآيات ٢٠ ـ ٢٦).

شرح الكلمات

أ ـ إِسْرائِيل:

يعقـوب بن إسحاق بن إبراهيم لقبه إسرائيل وبنو إسرائيل ذريّته من أبنائه الإثني عشر.

ب ـ يَسومُونكم:

سام الإنسان يسومه ذُلّاً أو خَسْفاً أو هواناً: أولاهُ إيّاه وأراده عليه.

ج ـ يَستَحيُون:

استحيا الأسير: تركه حيّاً فلم يقتله.

د ـ يَعكِفون:

عكف في المسجـد عكوفاً: أقام للعبادة، وعكف عليه يعبده: أقبل عليه يعظّمه وواظب على عبادته لايصرف وجهه عنه.

هـ ـ خُوار:

الخُوار: صوت البقر والغنم.

و ـ يَبْرَح:

برح المكان براحاً: فارقه.

ز ـ فتنتم:

الفِتْنةُ من الله لعباده امتحان، ومن النّاس للناسِ: إضلال وايقاع في المكروه.

ح ـ بارئ:

بَرَأ اللّهُ الخلق: خلقهم فهو بارئهم.

ط ـ فَاَقتُلوا أنفسَكُم:

أي يقتل من لم يعبد العِجْلَ منكم الذينَ عبدوا العِجل منكم.

ي ـ أسباطاً:

الأسباط هنا بمعنى القبيلة.

ك ـ فَانْبَجَسَتْ:

بَجَسَ وانبَجَسَ وتَبَجَّسَ: انفجر وتفجّر.

ل ـ المنّ والسّلوىٰ:

١ ـ المنّ: ندى يُشبه العسل جامد ينزل من السماء وقيل غير ذلك.

٢ ـ السّلوىٰ: واحدته سَلَواة: طائر يشبه السّماني، أو هو السّماني، والسماني: طائر صغير من الدجاجيات جسمه ممتلئ يستوطن حوض البحر الأبيض ويهاجر شتاءً الى مصر والسودان[١٨].

م ـ حِطَّة:

حطَّ الله وزره: اي وضع الله عن ظهره ما يحمله من آثام، وحِطَّة مثل مغفرة: أي حطَّ عنّا ذنوبنا.

ن ـ رَفَعْنا:

رفع الشيء فوق الشيء: اعلاه عليه.

س ـ ميثاقكُم:

الميثاق:

العهد ومايشد به العهد ويوثق كأنّه عهد على الالتزام بالعهد.

ع ـ الرِّجْز:

العذاب، ورجز الشيطان وساوسه.

ف ـ يَتيهُون:

تاهَ تَيهاً في الأرض: ضلّ الطريق وتحيّر.

---

(١٨) المعجم الوسيط مادّة (سلوىٰ).

ص ـ لا تأْسَ:

أَسِيَ وآسىٰ عليه أسىً: حزن عليه.

ق ـ تَعْدُوا:

عَدا عدواً وعُدُّواً وعُدواناً وعداءً واعْتدىٰ: ظلم وتجاوز الحقّ.

ر ـ مِيثاقاً غَليظاً:

وَثِقَ به ثِقَةً ومَوثِقاً: ائتمنه وسكن إليه، والموثق: الائتمان والعهد المؤكّد.

ش ـ الحَوايا:

الحَوايا: الأمعاء، واحدتها: حويّة.

ت ـ شُرَّعاً:

شَرَعَ شَرْعاً: دنا وأشرف وظهر فهو شارع وهم شُرَّع.

ث ـ جَعَلَ لهم:

جَعَلَ: شرّع وحكم وقرّر.

تفسير الآيات

خاطب الله بني إسرائيل وقال لهم: أُذكُروا نعمتي عليكم إذ جعلت فيكم الأنبياء والملوك وآتيتكم النعم كالمنّ والسلوى مالم يؤت أحدٌ من العالمين.

وإنـه سبحـانه نجّاهم من ذلّ عبودية فرعون وقتله ابناءَهم واستحيائه نسـاءهم وأغـرَق فرعـونَ وجنودَه وجاوز بهم البحر فأتوا على قوم يعبدون الأصنـام فقـالوا لموسىٰ اجعل لنا صنماً كصنمهمُ نعبده، وإنهم عبدوا العجل عندما ذهب موسى لتسلُّم التوراة من الله في الطور، وأمرهم أن يدخلوا الأرض المقـدَّسة التي قدّرها الله يومذاك لهم، فقالوا: ياموسى إنّ فيها قوماً جبّارين ـ العمالقة ـ وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. قال يشوع ـ اليسع ـ ورجل آخـر منهم: ادخلوا المدينة فإنّكم سـتغلبونهم، فأبـوا ذلك وقالوا: ياموسى اذهب أنتَ وربُّك فقاتلا العمالقة، إنّا هاهنا قاعدون. قال موسى: ربِّ إنّي لا أملِكُ إلاّ نفسي وأخي هارون ففرِّق بيني وبين القوم الفاسقين، قال الله سبحانه: فإنّ الأرض المقدسة محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في هذه المدّة في صحراء سيناء فلا تحزن على الفاسقين.

وأخبر عنهم سبحانه في سورة الأعراف، وقال تعالى: وَقسّمنا بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة وأوحينا إلى موسى عندما استسقى قومه أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكلّ قبيلة من بني إسرائيل عين، وظلّل عليهم الغمام وقاية لحرّ الشمس عنهم وأطعمهم حلاوة كالعسل ولحم الطير، وقيل لهم بعـد طول السفـر اسكنوا مدينة كانت أمامهم، وكلوا مما فيها من رزق، وادخلوا باب المدينة شاكرين لله ساجدين له، وقولوا حطة أي ربّنا اغفر لنا خطايانـا، فبدّل الظالمون قولاً غير ما أمروا بقوله، وقالوا: حنطة، أي نطلب

الحنطة[١٩]، فأنزل الله عليهم العذاب من السماء بسبب عملهم.

وأخبر الله سبحانه عنهم في سورة النساء، وقال تعالى: يسألك - يارسول الله - أهلُ الكتاب أي اليهود أنْ تُنَزِّلَ عليهم كتاباً من السماء، وقد سبق لهم أن سألوا موسى أكبر من ذلك حين قالوا له: أرنا الله جهاراً لنُبْصِرَهُ بعيوننا، فعفونا عن ذنبهم، ورفعنا فوقهم الطور، وإذ أُخذنا الميثاق على العمل بعهدكم في العمل بما جاء في التوراة.

كان أحبَّ الطعام والشراب إلىٰ اسرائيل ألبان الإبل ولحومها وإنّه اشتكىٰ شكوىٰ فعافاه الله منها فحرّم علىٰ نفسه أحبَّ الطعام والشراب إليه لحوم الإبل وألبانها شكراً لله.

وحرّم علىٰ نفسه زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلّا ما كان على الظهر فانّ ذلك كان يقرّب للقربان فتأكله النار[٢٠].

وكان ممّا عاهدوا الله عليه في العقائد: الإيمان بمن بشّر ببعثته موسىٰ بن عمران (ع) من بعثة عيسىٰ (ع) وبعده بعثة خاتم الأنبياء (ص) كما مرّ بنا في ما نقلناه عن سفر التثنية.

وفي الأحكام عاهدوا أن لا يتعدّوا في يوم السبت ولا يعملوا فيه وأخذ الله منهم في ذلك ميثاقاً شديداً أكيداً.

وبسبب نقضهم - أي بني إسرائيل - ميثاقهم مع ربّهم وكفرهم بآيات الله وقولهم في مريم بهتاناً عظيماً ورميهم الطاهرة مريم بهتاناً عظيماً وبظلمهم حرّمنا عليهم - تأديباً لهم - طيّبات أُحلّت لهم كما أنّهم بظلمهم وعبادتهم العجل أُمروا بقتل أنفسهم - أي بقتل من لم يؤمن بالعجل من عبد العجل منهم - وبمنعهم

---

(١٩) هكذا ورد في تفسير الآية في البحار في أخبار موسى وهارون وتفسير المجمع.

(٢٠) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة (٢/ ١٦٨ - ١٦٩) وكان ما ذكرناه في المتن جاء في تفسير الطبري والسيوطي، ونرىٰ أنّ ما جاء في سيرة ابن هشام أصحّ ممّا أثبتناه في المتن.

عن الإيمان بالله وأخذهم الرِّبا في المعاملات وأكلهم الرِّبا مع أنّهم مُنِعُوا عن الرِّبا، حُرِّمت طيِّبات لهم.

وممّا خالفوا ما واثقوا به ربّهم صيدهم يوم السبت الحيتان من البحر؛ لأنّها كانت تدنو منهم يوم السبت وتظهر لهم ولا تأتي الحيتان غير يوم السبت كذلك. وكان ذلك امتحاناً لهم خاصّة،وانّما جعل لهم السبت أي شرّع العطلة يوم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم بنو إسرائيل.

وقال تعالى في سورة النِّساء:

يســألك اليهود من أهْلِ الكتاب أن تُنَزِّلَ عليهم كتاباً مِنَ السَّماء، وقد سألوا نبيَّهم موسىٰ أكبر من ذلك وقالوا: أرِنا الله جهاراً لِنُبصِرَهُ بعيوننا... فعَفَونا عن ذلك ورفعنا فوقهم الطّور، وأخذنا منهم العهود والمواثيق أن يعملوا بما جاء به موسى بن عمران، وكان منه الإيمان بأنبياءِ الله وخاصة عيسى بن مريم (ع) ومحمد بن عبدالله (ص) وَأَفْتَرَوْا عَلىٰ مَرْيَمَ (ع)، والأحكام التي فيها، فكفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء، وصدّوا عن سبيله وأخذوا الربّا وأكلوا أموال النّاسِ ، وبسبب ظلمهم حَرَّمْنَا عليهم طيّباتٍ كانت قبل ذلك حلالاً عليهم، وممّا حرّم الله عليهم صيد الأسماكِ يومَ السّبت لأهلِ القرية التي كانت حيتان البحر تدنو إليهم يوم السبت.

حصيلة البحث

فضّل الله بني إسرائيل على معاصريهم من أقباط مصر وعمالقة الشام وسائر الأمم، وبعث الله فيهم النبيّين كموسىٰ وهارون وعيسىٰ وأوصيائهم، وفي مقدّمتها التوراة، وأخذ منهم العهود والمواثيق ان يعملوا بما أنزل في كتبه وأنعم عليهم بالمنّ والسلوىٰ وإسالة الماء من الحجر وغيرها، وفي مقابل كلّ تلك النّعم جَحَدُوا بآيات الله وعبدوا العجل وأخَذوا الرّبا وأكلوا أموال الناس وعملوا أموراً أمثالها من أنواع التمرّد على الله، فكانوا بحاجة لتربية نفوسهم إلى ما فرض الله عليهم من قتل نفوسهم وترك العمل للدنيا يوم السبت، وقد اختلفوا في ترك العمل يوم السبت كفعل أهل القرية التي كانت علىٰ ساحل البحر[٢١]، وحرّم عليهم ما حرّم إسرائيل على نفسه من أكل الشحم ولحم الجمل وأمثالها ترويضاً لنفوسهم، وبالإضافة الى ذلك كان بنو إسرائيل بحاجة إلى تماسك قبلي بين أسباطها لمقابلة الأمم الطاغية المحيطة بهم من عمالقة واقباط، فشرّع الله لهم استقبال خيمة الإجتماع للعبادة، قبل بناء سليمان المسجد المسمّىٰ بهيكل سليمان، واجراء الطقوس الدينية بإشراف أبناء هارون، وكما أرسل الله إليهم عيسى بن مريم وأمّه مريم من سلالة داودَ من سُبط يهودا من بني إسرائيل: أحَلَّ لهم بعض ما حرّم عليهم كما قال سبحانه علىٰ لسان عيسى (ع) في سورة آل عمران:

﴿وَرسولاً إلىٰ بَني إسرائيلَ أنّي قَدْ جِئتُكُم بِآيَـةٍ مِن رَبِّكُم.. وَمُصَدِّقاً لِما بين يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَلأحِلَّ لكم بَعضَ الَّذي حُرِّمَ عليكم﴾ (الآية ٤٩ ـ ٥٠).

---

(٢١) راجع مادّة السّبت في قاموس الكتاب المقدّس وتفسير الآية في تفسير الطبري وابن كثير والسيوطي.

وبنـاءً علىٰ ما أوردناه تَبَيَّنَ أنَّ الأنبياء من بني إسرائيل من موسى بن عمـران (ع) إلى عيسىٰ بن مريم (ع) أُرسلوا الىٰ بني إسـرائيل، وأنّ بعض الأحكام في شريعة التوراة أنزلت لمصلحة بني إسرائيل. إذاً فإنّ تلك الأحكام من قبيل تحريم ما حَرَّمَ إسرائيل علىٰ نفسه كان أَمَدُها مُوَقّتاً وانتهى أمد بعضها ببعثة عيسى بن مريم (ع)، وأَحَلَّ لهم بعض ما حَرَّم عليهم، وأَمَدُ البَعْض كان الى بعثة خاتم الأنبياء (ص). فجاء خاتم الأنبياء ببيان انتهاء أَمَدِها جميعاً كما أخبر الله سبحانه عن ذلك وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿ٱلَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الـرَّسولَ النَّبيَّ الأُمّيَّ ٱلَّذي يَجدُونهُ مَكتُوباً عندَهُم في التَّـوراةِ والإنجيلِ يَأمـرُهم بالمعـروفِ ويَنهاهُم عن المنكرِ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ وَيُحَـرِّمُ عَليهِم الخَبائثَ وَيَضَعُ عنهُم إصْرَهُم وَٱلأَغلالَ ٱلَّتي كانت عليهم...﴾ (الآية ١٥٧).

إصْرَهُم: أي التكاليفَ الشاقّة عليهم.

* * *

كان ذلكم شأن النسخ في شريعة موسىٰ (ع) بالنسبة الى الشرائع السابقة عليها ونسخ بعض مافي شريعة موسىٰ (ع) في شريعة خاتم الأنبياء (ص).

ونوع آخر من النسخ ما يقع في شريعة نَبيّ واحد كالآتي بيانه:

- ٤ -

معنىٰ النسخ في شريعة نبيٍّ واحد

لمعرفة معنىٰ النَّسخ في شريعة نبيٍّ واحدٍ نذكر مثالاً واحداً منه في شريعة خاتم الأنبياء (ص) كالآتي بيانه:

من أمثلة النسخ في شريعة نبيٍّ واحد نسخ وجوب دَفْع الصَّدقة على من يريد أن يناجي الرسول (ص) كما جاء في قوله تعالى في سورة المجادلة:

﴿يا أيُّها ٱلَّذينَ آمنوا إذا نَاجيتُمُ الرَّسولَ فَقَدِّمُوا بين يَدَي نَجواكُم صَدَقةً ذٰلِكَ خَيرٌ لكم وَأَطهَرُ فإن لم تَجدوا فَإنَّ ٱللّهَ غفورٌ رحيم* أأشفَقتُم أن تُقدِموا بين يَدَي نَجواكُم صَدَقاتٍ فإذ لَم تَفعَلوا وَتابَ ٱللّهُ علَيكُم فَأقيموا ٱلصَّلاةَ وَآتوا ٱلزَّكاةَ وَأطيعوا ٱللّهَ وَرسولَهُ وَٱللّهُ خَبيرٌ بِما تَعمَلُون﴾ (الآيات ١٢ ـ ١٣).

وجاء تفصيل الخبر في التفاسير كالآتي:

إنَّ البعض من أصحاب النبيّ (ص) كانوا يكثرون مناجاة النَّبي (ص)، يظهرون بذلك نوعاً من التقرّب إليه والاختصاص به، وكان من مكارم أخلاق الرسول (ص) أنّه لم يكن يردّ طلب ذي حاجة إليه، وكان ذلك يضايق النبيّ (ص) ويصبر عليه، فنزل حكم أداء الصدقة لمن يريد أن يناجي الرسول (ص)، فترك أولئكم نجوى الرسول وصَرفَ علي بن أبي طالب ديناراً بعشرة دراهم، وتصدّق بها عشر مرّات، وناجىٰ الرسول (ص) في ما كان يهمّه،

ولمّا تحققّت الغاية في تربية أولئك بهذا الحكم، وانتهىٰ أَمَدُ الحكم، رُفِعَ الحُكْمُ[٢٢].

---

(٢٢) راجع تفسير الآية بتفسير الطبري وسائر التفاسير التي تعتمد الروايات في تفسير الآيات.

خلاصة بحث النَّسخ ونتيجته

كان يوم الجمعة يوماً مباركاً ويوم راحة لِبَنِي آدم منذ عصر آدم (ع) إلىٰ عصر أنبياء بني إسرائيل: موسىٰ بن عمران إلىٰ عيسىٰ بن مريم (ع).

وأيضاً أجرىٰ آدم ومن جاء بعده من الأنبياء الى عصر إبراهيم (ع) مناسك الحجّ في عرفات والمشعر ومنى وطافوا سبعاً حول مكان البيت، ثمّ بنىٰ إبراهيم وإسماعيل البيت وطافا بعد ذلك مع من تبعهما في الحجّ حول البيت.

ثمّ جدّد نوح شريعة آدم وجاء بشريعة كشريعة خاتم الأنبياء، وتبعه الأنبياء من بعده لقوله تعالى:

١ ـ ﴿شَرَعَ لكم مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً والنَّبِيِّينَ مِنْ بعدِه﴾.

٢ ـ ﴿وَإنَّ مِن شِيعَتِهِ لإبراهيمَ ﴾ ـ أي من شيعة نوح ـ.

٣ ـ قوله تعالىٰ لخاتم أنبيائه ولأُمّته:

أ ـ ﴿اتَّبِع مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً﴾.

ب ـ ﴿فَاتَّبِعوا مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً﴾.

إذاً فَإنَّ شرايع الأنبياء واحدةٌ منذ اصطفاء الصَّفي آدم (ع) الىٰ اجتباء النَّبيِّ الخاتم (ص)، عدا ما كان من أمر الشَّريعة التي أرسل الله بها أنبياء بني إسرائيل من موسىٰ بن عمران الىٰ عيسىٰ بن مريم حيث لوحظ فيها مصلحة بني إسرائيل لقوله تعالىٰ:

أ ـ ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لبَني إسْرائيلَ إلاّ ما حَرَّمَ إسرائيلُ عَلىٰ نفسِه﴾.

ب ـ ﴿وَعَلىٰ الَّذينَ هادوا حَرَّمنا ماقَصَصْنا عليك﴾. ـ أي علىٰ اليهود ـ.

ج ـ ﴿إنّما جُعِلَ السَّبْتُ علىٰ الَّذينَ اختلفوا فِيه﴾. ـ أي جَعَلَ فرضَ تعطيل يوم السبت علىٰ الذين اختلفوا فيه، وهم بنو إسرائيل ـ.

وكما جاء التصريح بذلك في العدد الرابع من الاصحاح الثالث والثلاثين

من سفـر التثنية: (بناموسٍ أوصانا موسىٰ ميراثاً لجماعة يعقـوب). (موسىٰ أمرنا بسنّة ميراثاً لجماعة يعقوب).

وفي نسخة (بشريعة).

والحكمـة في ذلك أنّ بني إسرائيل كانوا قوماً معاندين لأنبيائهم مشاكسين[٢٣] متابعين لأهواء نفوسهم الأمّارة بالسوء والضعيفة امام اعدائهم يتخذون العجلَ إلٰهاً لهم بعد أن فلق الله البحر لهم ونَجّاهم من ذلّ عبوديّة فرعون وأبوا أن يدخلوا الأرض المقدّسة التي جعلها الله لهم خوفاً وهلعاً من قوم العمالقة الذين كانوا فيها، وكان تهذيب نفوسهم واصلاحها في تشديد الشرع لهم من جانب؛ بأمـر المؤمنين الذين لم يعبدوا العِجْلَ المرتدّين منهم بقتل الذين عبدوا العِجْلَ، وتحريم العمل يوم السبت عليهم وابتلائهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة.

ومن جانب آخر لما كانوا الأُمّة المؤمنة الوحيدة في عصرهم وهي محاطة بأمم كافرة معتدية قويّة من حولهم، احتاجوا الىٰ رباط قويّ يشدّ بعضهم الى بعـض ويكون منهم أُمّة متميزة عن الآخرين، متماسكة فيما بينها، لذلك كله شرع لهم قبلة خاصّة بهم فيها التابوت الذي حوى الواح التوراة الكتاب الذي أنزله الله تشريعاً لهم وتشريعاً يناسب ظروفهم ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَآلُ هارُون﴾ (البقـرة ٢٤٨)، إلىٰ غير ذلـك من التشريعات المناسبة لظروف بني إسرائيل يومذاك.

في عصر عيسىٰ بن مريم (ع) انتهىٰ أَمَدُ بعض تلك التشريعات بانتهاء بعض تلك الظروف، فأَحَلَّ عيسىٰ (ع) بعض تلك المحرّمات بأمر من الله.

وعلىٰ عهد خاتم الأنبياء انتشر بنو اسرائيل في البلاد وحشروا بين الناس، وكان يضيرهم ويضير الأُمم التي يعيشون بينهم أن يشعر بنو إسرائيل أنّهم

---

(٢٣) مشاكسين: سيّئو الخلق عسرو المعاملة، والهلع: الجزع الشديد.

ليسوا من الأمّة التي يعيشون معها، وأنهم جسم غريب عن جيرانهم وأهل بلدهم، وكذلك يكون شعور أهل البلد مع الإسرائيلي بأنّه غريب عنهم، ومبعث قلاقل ومشاكل للمجتمع الواحد الذي يعيش الجميع فيه، ولذلك أصبحت الأحكام التي تفصلهم عن الأمم غِلّا في أعناقهم، مثل تحريم العمل عليهم يوم السبت خلافاً لسائر الأمم التي تتخذُ غير يوم السّبت يومَ راحةٍ عن العمل، وإصراً عليهم، كما ورد شرحها وتفصيلها في سفر التثنية من التوراة، فأحلّ لهم خاتم الأنبياء (ص) وبأمر من الله ما حَرَّمَ الله عليهم في العُصور السابقة، وقال تعالىٰ في سورة الأعراف:

﴿ٱلَّـذينَ يَتَّبِعُـونَ ٱلـرَّسولَ ٱلنَّبيَّ الامِّيَّ الَّذي يجدونه مكتوباً عِنْدَهُم في التَّـوراةِ والإنجيلِ يَأمـرهم بالمعـروفِ وَيَنهاهُم عَن المنكَر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَـرِّمُ علَيهِم الخبائثَ وَيَضَعُ عنهُم إصْرَهُم وَالأغلالَ الّتي كانت علَيهِم...﴾ (الآية ١٥٧).

وهكذا رفع الله عنهم الأحكام التي كانت تصلح لهم في العصور السابقة وأصبحت غِلّا عليهم حين عايشوا الناس كلّ الناس في كلّ مكان، أمّا الأحكام التي وردت في شريعة موسىٰ بلحاظ أنّ بني اسرائيل من الناس فلم ترفع ولم تنسخ مثل حكم القصاص، كما يخبر الله عنه ويقول في سورة المائدة:

﴿إنّا أنزَلنا ٱلتَّوراةُ فيها هُدىً وَنورٌ يَحكمُ بها النَّبيُّونَ ٱلّذينَ أسلَمُوا لِلّذينَ هادُوا... وَكَتَبْنـا علَيْهم فيهـا أنَّ ٱلنَّفسَ بالنَّفسِ وَالعَينَ بالعينِ والأُذُنَ بالأُذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ والجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَن تصَدَّقَ بهِ فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ وَمَن لَم يَحْكُمْ بما أنْزَلَ ٱللّهُ فأُولٰئِكَ هُمُ الظّالمون﴾ (الآيتان ٤٤ ـ ٤٥).

فَإنّ حكم القصاص هذا كان جارياً قبل التوراة وبعدها الىٰ اليوم، وكذلك سائر الأحكام التي شرّعها الله للإنسان بلحاظ كونه إنساناً لم تتغيّر ولم تتبدل في عصر من العصور، وفي شريعة من شرايع الأنبياء.

ولمّا بدّل الله بعض أحكام شريعة موسى بأحكامٍ أخرىٰ في شريعة خاتم الأنبياء، كما شرحناه، اعترضت قريش علىٰ رسول الله كما أخبر الله عنه في سورة النحل وقال (وقالوا له إنّما أنْتَ تفتري علىٰ الله) فردّ الله عليهم قولهم وقـال سبحـانه: ﴿وَإذا بَدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ قالوا: إنّما أنتَ مُفْتَرٍ... إنّما يَفتَري الكَذِبَ الّذينَ لايُؤمنونَ بآياتِ اللّهِ... فَكُلوُا مِمّا رَزقكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيّباً﴾ مثل لحم الجَمل وشحوم لحم الحيوانات فهي غير محرّمة عليكم، إنّما حَـرَّمَ عَليكم الميتَةَ والدَّمَ وَلَحْمَ الخِنزيرِ وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللّهِ عِنْدَ ذَبْحِـه، واللاّتي كان المشركون في مكة يعملون بها مثل تقديمهم القرابين لأصنامهم، ثمّ نهاهم أن يفتروا علىٰ الله ويقولوا هذا حلال وذاك حرام كما شرحه الله في سورة الأنعام وقال سبحانه:

﴿وَقـالوا هٰذِهِ أنعامٌ وَحَرثٌ حِجرٌ لَا يَطعَمُها إلاّ مَن نَشاءُ بِزَعمِهِم وَأَنعامٌ حُرِّمَت ظُهوُرُها وَأنْعامٌ لايَذكُرونَ اَسْمَ اَللّهِ عليها اَفتراءً عليه... وَقالوا ما في بُطونِ هٰذِهِ الأنعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ عَلىٰ أزواجِنا وَإن يكُن مَيتَةً فَهُم فيهِ شُرَكاءُ سَيجزيهِم وَصفَهُم...﴾ (الأنعام ١٣٨ ـ ١٣٩).

وأشار إليها في سورة يونس وقال سبحانه:

﴿قُل أرَأيتُم ما أنزَلَ اَللّهُ لكم مِن رِزقٍ فَجَعَلتُم منه حلالاً وَحَراماً قُل آللّهُ أذِنَ لكم أم عَلىٰ اَللّهِ تفتَرُون﴾ (الآية ٥٩).

وهكذا كانت مسألة التحريم والتحليل مَوْرِدَ جدالٍ بين مشركي قريش ورسول الله (ص) سواءٌ ما كان مِنْها ما هم شرَعُوه وخالفها رسول الله (ص)، أو ما شرّعه الله في شريعة موسىٰ وبدّلها الله بأخرىٰ بحسب المصلحة في شريعة خاتم الأنبياء (ص).

هكذا كانت قريش في مكّة تخاصم رسول الله(ص) في ما أحلّ وحرّم بأمر من الله، مخالفاً للمألوف عندهم في ما اتخذوه ديناً لهم وفي ما عرفوه من شريعة موسى بن عمران، ووقعت نفس الخصومة في المدينة من اليهود مع النبيّ في بعض

الأحكام التي نسخ بها بعض ما جاء في التوراة، كما شرحها الله في سورة البقرة وقال سبحانه مخاطباً لبني اسرائيل:

﴿أَفَكُلَّما جاءَكُم رَسولٌ بِما لاتَهوىٰ أنفسُكُم استَكبَرتُم فَفَريقاً كَذَّبتُم وَفَريقاً تَقتلُون﴾ (الآية ٨٧).

﴿وَإذا قِيلَ لهم آمِنوا بِما أَنْزَلَ ٱللّهُ قالوا نؤمنُ بما أُنْزِلَ علينا ويَكفرونَ بما وَراءَه..﴾ (الآية ٩١).

﴿مانَنْسَخْ مِن آيةٍ أو نُنْسِها نَأتِ بِخَيْرٍ مِنها أو مِثلِها...﴾ (الآية ١٠٦).

﴿ولن تَرضىٰ عنك اليَهُودُ ولا النَّصارىٰ حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم...﴾ (الآية ١٢٠).

وإنّما كانت مجادلة بني إسرائيل مع رسول الله (ص) حول ما نسخ من أحكام التوراة وأهمّها نسخ القبلة إلىٰ البيت الذي أخبر الله عنه في سورة البقرة وقال تعالىٰ ما موجزه:

﴿قد نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجهِكَ في ٱلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضاها﴾ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم أينما كُنْتُم شطر المسجد الحَرام وَإنّ الذين اوتوا الكتاب سواء اليهود منهم أو النصارى يعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأنّ الذين لايتّبعون قبلتك مهما تأتهم بآية من الله لايقبلون منك.

إذاً فإنّ المقصود من نسخ الآية في هذا المورد نسخ هذا الحكم، كما إنّ المقصود من تبديل آية بأخرى في مجادلة قريش بشأنها رسول الله (ص) تبديل بعض أحكام الحلال والحرام بمكّة عند قريش وغير قريش.

وبناءً على هذا تَبَيَّنَ أنَّ المقصود مِنْ (آية) في قوله تعالى ﴿وَإذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آية﴾: واذا بدّلنا حكماً مكان حكم.

وفي قوله تعالى: ﴿مَانَنْسَخْ مِن آيةٍ أو نُنْسِها﴾: مانسخ من أحكام أو نؤجّلها نأتِ بخير منها أو مثلها.

ومثال تأجيل الحكم تأجيل حكم استقبال الكعبة في شريعة موسى وتبديله

بحكم استقبال بيت المقدس الذي كان فيه الخير يومذاك لبني اسرائيل.

ومثال نسخ حكم وتبديله بحكم خير منه نسخ حكم استقبال بيت المقدس في شريعة خاتم الأنبياء بحكم استقبال الكعبة للناس كلّ الناس أبد الدهر.

وكذلك الأمر في تبديل آية مكان آية، المقصود حكم مكان حكم.

وكذلك تبيّن أنّ الأحكام التي يشرّعها الله للناس قد يلاحظ فيها مصلحة الانسان من حيث هو إنسان، فتلك التي لاتبديل فيها كما أخبر الله عنه في قوله تعالى في سورة الروم:

﴿فَأَقِم وَجهَكَ للدّينِ حَنيفاً فِطرَةَ اللّهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عليها لاتَبديلَ لِخَلقِ اللّهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلٰكِنَّ أكثرَ النّاسِ لايَعلمون﴾ (الآية ٣٠).

لاتبديل لما شرّع الله للناس متناسباً مع فطرتهم مثل قوله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿وَالوالِداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حَولَينِ كامِلَينِ لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعة﴾ (الآية ٢٣٣)

سواء كانت الـوالدة حَوّاء زوجة آدم (ع) وترضع ولدها من آدم في ظلّ شجرة أو كهف، أو من نسلت من بعدها من مختلف العصور من سكّان الكهوف أو الخيم أو القصور.

وكـذلك لايتغيّر حكم الصوم لبني آدم والقصاص وحرمة الرّبا كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

أ ـ ﴿يَا أَيُّهـا ٱلّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عليكم الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلىٰ ٱلّذينَ مِن قَبلِكُم﴾ (الآية ١٨٣).

ب ـ ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عليكُم القِصاص..﴾ (الآية ١٧٨).

ج ـ ﴿وَأَحَلَّ ٱللّهُ البَيعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبا...﴾ (الآية ٢٧٥).

إلى غيرها ممّا شرّعه الله للإنسان متناسباً مع فطرته التي فطره عليها. فإنّ

أحكامها لاتَتَبَدَّلُ في شريعة عن شريعة أخرى من شرايع الأنبياء ويعبّر عن تلكم الأحكام في القرآن بلفظ (وصّىٰ الله ويوصيكم وصيّته) و (كتب كتابه).

وما شرّع الله لبعض الاناس متناسباً مع ظروفهم الخاصة بهم فتلك ينتهي أمدها بانتهاء تلك الظروف، مثل ماذكرنا من الأحكام التي شُرِّعَتْ لبني اسرائيل متناسباً مع ظروفهم الخاصّة لهم، وما شرع الله للمهاجرين مع النبيّ من مكّة الى المدينة من التوارث بينهم وبين من تآخىٰ معهم من الأنصار في بدء الهجرة، ثمّ انتهىٰ أمده بعد فتح مكّة، ونسخ الحكم كما أخبر الله عنه في الآيات (٧٢ ـ ٧٥) من سورة الأنفال بقوله تعالىٰ:

﴿إنَّ الَّذينَ آمنوا وهاجروا... ـ من مكّة ـ وَالَّذينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ـ وهم الأنصار في المدينة ـ أولئكَ بَعضُهُم أولياءُ بَعْضٍ ـ ولاية الإرث والنصرة ـ وَالّذينَ آمنوُا وَلم يُهاجرُوا مالَكُم مِن وَلايَتِهم مِن شَيءٍ حَتّى يُهاجِرُوا... وَالّذينَ كَفَروا بَعضُهُم أولياءُ بَعض...﴾.

ثمّ أخبر الله بنسخ هذا الحكم بقوله تعالى:

﴿وَأُولوا الأرحامِ بَعضُهُمْ أولىٰ بِبَعضٍ في كتابِ اللّهِ﴾ أي في ما كتب الله وشرّع للناس كل الناس[٢٤].

وفي سورة آل عمران قال تعالىٰ:

﴿وَقَتلَهُم ٱلأنبياءَ بغَيرِ حَقّ... قُل قَد جاءَكُم رُسُلٌ مِن قَبلي بالبَيِّنات... فَلِمَ قَتَلتُمُوهُم فَإن كَذَّبُوكَ فقد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبلِك﴾ (الآيات ١٨٠ ـ ١٨٤).

لمّا جاء اليهود القرآن من عند الله وكانت صفات القرآن تصدّق الأخبار التي عندهم عن بعثة الرسول الخاتم بالقرآن كفروا به وقالوا نؤمن بالتوراة التي انزلت علينا ويكفرون بغيرها من الإنجيل والقرآن وأخبر الله أنّه أنزل إليه آيات

---

(٢٤) تفسير الآية في مجمع البيان والطبري وسائر التفاسير بالمأثور.

واضحات في القرآن وما أوتي من معجزات وأحكام في القرآن وما يكفر بها إلاّ الفاسقون وقال سبحانه: ما ننسخ من أحكام شريعة مثل نسخ استقبال بيت المقدس أو ننّسها ونؤجّل بيانها نأت بأحكام خير منها للناس أو بمثلها، والله هو مالك السمٰوات والأرض يفعل مايشاء، وإنّ اليهود والنصارىٰ لن ترضىٰ عن رسول الله حتى يترك مانزل عليه من أحكام الشريعة ويتّبع أحكام شريعتهم.

وكرّر الله سبحانه هذا المفهوم بلفظ آخر في سورة الإسراء وقال:

﴿وَآتَينا مُوسىٰ الكتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَني إِسرائيل﴾، ثمّ قال: ﴿إنَّ هٰذا القُرآنَ يَهدي لِلّتي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ممّا في كتاب موسىٰ (ع).

* * *

إلىٰ هنـا ذكـرنا في بحوث الربوبيّة كيف شرّع الله ربّ العالمين للانسان نظامـاً يتناسب وفطرته، ثمّ هداه للعمل بما شرّع له، وفي البحث الآتي ندرس بإذنه تعالى من صفات الربوبية كيف يجزي ربّ العالمين الإنسان بآثار عمله في الدنيا والآخرة.

(١٠)

ربّ العالمين يَجْزِي الإنسان بآثار عمله

أ و ب ـ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ج ـ عند الممات.

د ـ في القبر.

هـ ـ في المحشر.

و ـ في الجنّة والنار.

ز ـ جزاء الصّبر.

ح ـ توارث الأعمال.

ـ ١ ـ

كيف يُجزىٰ الإنسان بآثار عمله في الدنيا

نحن نرىٰ من آثار أعمالنا في الحياة الدنيا أن من زرع قمحاً حصد قمحاً، ومن زرع شعيراً حصد شعيراً، وكذلك يرتزق كلّ انسان ما يعمله.

كان ذلكم مثلاً مما نعلمه من آثار اعمالنا المادية في الحياة الدنيا، وإنّ لأعمالنا في الحياة الدنيا آثاراً معنوية كثيرة مثل مالصلة الرّحم من الآثار، كما أخبر رسول الله (ص) عن ذلك وقال:

«صلة الرّحم تزيد في العمر وتنفي الفقر».

وقال (ص):

«صلة الرّحم تزيد في العمر، وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ، وإنّ قطيعة الرّحم واليمين الكاذبة لتذران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرّحم، وإنّ تثقّل الرّحم انقطاع النسل»[١].

المقصود من تطفئ غضب الربّ: إن الانسان إذا كان قد استحقّ بعمله سخط ربّه في الدنيا، وأن تصيبه لذلك مصيبة في نفسه أو ماله وما شابههما، فإنّ صدقة السرّ تدفع ذلك عنه.

البلاقع جمع البلقع وبلقعة: هي الأرض القفر التي لاشيء بها[٢].

---

(١) مادّة (الرّحم) من سفينة البحار.

(٢) مادّة (بلقع) من نهاية اللغة.

ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع):

«وصلة الرّحم فانها مثراة في المال منسأة في الأجل، وصدقة السرّ فانها تكفّر الخطيئة»[٣].

وقال (ع): «...وصلة الرّحم منماة للعدد»[٤].

ومن ثمّ ندرك أنّ الله شاء بحكمته أن يجعل إدرار الرزق وتكثير النسل في صلة الرّحم، والإعسار وقطع النسل في قطع الرّحم.

ولهذا السبب قد يعرض تاجران نوعاً واحداً من السلعة، فتبور عند أحدهما وتنفق عند الآخر، فيقال للثاني: حسن الحظّ، وللأول سيئ الحظّ، ويكون منشأهما قطع الرّحم عند الأول وصلة الرّحم عند الثاني، جزاءً وفاقاً من الله لعملهما.

ولا يترتّب جزاء الأعمال هذا على الايمان بالله ولا على عدمه، وإنّما جعل الله لعمل الإنسان آثاراً في الحياة الدنيا ـ إذا بدرت منه بادرة في حالة وعي وتنبّه وعن قصد ـ وآثاراً في الحياة الآخرة.

كذلك جعل الله لأعمال الإنسان تجاه الخالق جزاءً وفاقاً وتجاه الخلق جزاءً وفاقاً، إنساناً كان ذلك الخلق أو حيواناً أو نعمةً أنعم الله عليه من متاع الدنيا، جعل الله كلّ ذلك بمشيئته وحكمته، وأخبر أنْ ليس للانسان إلاّ جزاء عمله، وقال:

﴿وأنْ لَيسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعىٰ﴾ (النجم ٣٩).

وكذلك أخبر جلّ ذكره أنّ مَنْ عمل للدنيا أراه الله سبحانه جزاء عمله في الدنيا، ومن عمل للآخرة أراه جزاء عمله في الآخرة، وقال عزّ اسمه:

﴿وَمَن يُرد ثَوابَ الدُّنيا نُؤتِه مِنها وَمَن يُرد ثَوابَ الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنها وَسَنَجزي

---

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٠٨.

(٤) العدد ٢٥٢ من الحكم في نهج البلاغة.

الشّاكرين﴾ (آل عمران ١٤٥).

وقال سبحانه:

﴿مَن كانَ يُرِيدُ الحياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إليهِم أعمالَهُم فِيها وَهُم فِيها لايبخَسون۞ أولٰئكَ الّذينَ لَيسَ لَهُم في الآخِرةِ إلّا النّار...﴾ (هود ١٥ ـ ١٦).

وقال تبارك وتعالى:

﴿مَن كانَ يُرِيدُ العاجِلةَ عَجَّلنا لَه فِيها...۞ ومن أَرادَ الآخِرةَ وَسَعىٰ لَها سَعيَها وَهُو مُؤمِنٌ فَأولئك كانَ سَعيُهم مَشكُورا۞ كُلّاً نُمدُّ هٰؤلاءِ وَهٰؤلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظُوراً﴾ (الإسراء ١٨ ـ ٢٠).

شرح الكلمات

نُوَفِّ إليهم:

وفىٰ إليه: أعطاه حقّه وافياً تامّاً.

لايبخسون:

بخس الكيل والميزان: نقصه، وبخس فلاناً حقّه: لم يوفّه إيّاه.

محظوراً:

حظر الشيء: منعه، ومحظوراً: ممنوعاً.

الجزاء في الدنيا والآخرة:

إذاً فمن الأعمال ما يتلقّىٰ الانسان جزاءَه في الدنيا، ومنها ما ينحصر جزاؤه باليوم الآخر، في مثل الشهيد الذي قاتل في سبيل الله حتى استشهد، فإنّه لايبقىٰ له مجال لتلقّي الجزاء في الدنيا، بل يؤتيه الله جزاءه في الآخرة، كما قال عزّ من قائل:

﴿وَلاتَحسبَنَّ الّذِينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللّهِ أمواتاً بَل أحياءٌ عِند رَبهِّم يُرزَقون۞

فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِن فَضلِه وَيَستَبشِرُون بِالّذينَ لَم يَلحَقوا بِهِم مِن خَلفِهِم ألّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنون* يَستَبشِرون بِنِعمَةٍ مِن اللّهِ وَفَضلٍ وَأَنَّ اللّهَ لايُضيعُ أجرَ المؤمِنين﴾ (آل عمران ١٦٩ ـ ١٧١).

وكذلك شأن الإنسان المتسلّط الذي قتل نفساً مؤمنة ظلماً وعدواناً، فانّه ـ أيضاً ـ ينال جزاءه في الآخرة، كما قال سبحانه:

﴿وَمَن يَقتلْ مؤمناً مُتعمِّداً فَجَزاؤه جَهنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ اللّهُ عليهِ وَلعنَهُ وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾ (النساء ٩٣).

وكذلك الذي يولد مصاباً بعاهة جسمية مثل: العمىٰ والصمم والعرج، وكان مؤمناً بالله واليوم الآخر موالياً لأولياء الله صابراً محتسّباً، فإنّ الله سوف يجزيه في حياة الخلد ما لايُقاس بما أُصيب به من عاهة في الحياة الدنيا، أو ما عاناه وتحمّل من أذىٰ في سبيل الله في الدنيا[٥].

وبناءً على ما ذكرناه فإنّ العدل الإلهي لن يتحقق دون أخذ جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا، وقد جعل الله أخذ جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا في مراحل متعدّدة نذكرها تباعاً في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ، بدءاً بذكر جزاء الأعمال بعد الحياة الدنيا:

---

(٥) راجع ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، باب ثواب من لقي الله مكفوفاً محتسباً، الحديث: ٢١. وراجع معالم المدرستين: الجزء الأول، بحث الشفاعة، خبر الضرير الذي أتىٰ النبي (ص) وطلب منه أن يدعو الله ليعافيه.

- ٢ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله في الحياة الآخرة

إنّ الإنسان يزرع القمح والذُّرة والخضار في الشتاء أو الربيع فيحصده في صيف تلك السنة.

ويغـرس الأعنابَ والتين والزيتون والحمضيات فيجني ثمارها بعد ثلاث سنوات أو أربع من غرسها.

ويغرس النخل والجوز ويجني ثمارها بعد ثماني سنوات من غرسها أو أكثر.

وكذلك يرتزق الإنسان نتيجة عمله الدائب ويرزق منها أهله ومن شاء من الخلق إنساناً أو حيواناً، ومع كلّ ذلك يقول الله سبحانه:

أ - في سورة الذاريات:

﴿إنَّ اللّهَ هُو الرّزاقُ ذُو القوَّةِ المتين﴾ (الآية ٥٨).

ب - في سورة الروم:

﴿أللّهُ الّذي خَلقكُم ثُمَّ رَزَقَكم﴾ (الآية ٤٠).

ج - في سورة الأنعام:

﴿وَلا تَقتلوا أولادَكم مِن إملاقٍ نَحنُ نَرزُقُكم وَإيّاهم﴾ (الآية ١٥١).

د - في سورة العنكبوت:

﴿وَكَأيِّن مِن دابّةٍ لا تَحملُ رِزقَها اللّهُ يَرزُقها وَإيّاكم﴾ (الآية ٦٠).

هـ ـ في سورة النحل:

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعضَكُم عَلىٰ بَعضٍ فِي ٱلرِّزْق...﴾ (الآية ٧١).

إنّ الإنسان يحرث الأرض ويزرع الحبّ ويغرس الشجر ثمّ يسقيها، ثمّ يكـافح الآفات عنها ويربّيها حتى يحصد الحبّ ويجني الثمر ويرتزق منها ويرزق من شاء، ويقـول الله سبحـانـه: ﴿نحنُ نرزقكم وإيّاهم﴾، وصدق الله العـظيم فإنّ الذي جعل من خواصّ الماء والأرض إنبات النبات وعلّمنا كيف نزرع ونغرس هو الذي رزقنا، ومثل ارتزاق الإنسان كذلك مثل ارتزاق الضيف في مطعم (سلف سرويس) إخدم نفسك بنفسك، فإنّ المضيِّف في مثل هذا المطعم يطعم ضيوفـه ويرزقهم من أنـواع الطعام مايختاره الضيف من الطعام لنفسه بكامل حريّته، وإنّ الضيف الذي يدخل هذا النوع من المطعم لايأكل شيئاً إن لم يتّخذ لنفسه ممّا أعدّه المضيِّف ماعوناً وشوكة وملعقة، ثمّ يتقدّم بإنائه الى الموائد المعدّة ويأخذ منها بيده مايشتهي، ومع ذلك فإنّ صاحب المطعم هو الّذي أطعم ضيوفه، وفي مثل هذه الحالة تقع التبعة على الضيف في ما إذا تناول من المآكل ما يضرّه ولاينفعه، وصدق الله العظيم حيث يقول:

أ ـ في سورة إبراهيم:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخرجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزقاً لَكُم وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلفُلكَ لِتَجرِيَ فِي ٱلبَحرِ بِأَمرِهِ وَسَخَّرَ لَكُم ٱلأَنْهَار* وَسَخَّرَ لَكُم ٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ دَآئِبَينِ وَسَخَّرَ لَكُم ٱللَّيلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ (الآيتان ٣٢ و ٣٣).

ب ـ في سورة النحل:

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحيَا بِهِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَسمَعُونَ* وَإِنَّ لَكُم فِي ٱلأَنعَامِ لَعِبرَةً نُسقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَينِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ* وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ

سَكَراً وَرِزقاً حَسناً إنَّ في ذلكَ لآيةً لِقَومٍ يَعقِلون* وَأوحى رَبُّكَ الى ٱلنَّحلِ أنِ ٱتَّخِذي مِنَ ٱلجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ ٱلشَّجرِ وَمِمَّا يَعرِشُون* ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فَٱسلُكي سُبُلَ رَبِّـكِ ذُلُلاً يَخرجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ مُختَلَفٌ ألوانُهُ فيهِ شِفاءٌ للنَّاسِ إنَّ في ذلكَ لآيةً لِقَومٍ يَتَفكَّرون﴾ (الآيات ٦٥ ـ ٦٩).

شرح الكلمات

أ ـ دائبَين:

دأب الشيء: لازمه واعتاده من غير فتور، والدأب: العادة المستمرّة والشأن، ودائبين: دأبهما وشأنهما السير باستمرار.

ب ـ فرث:

الفرث ما في الكرش.

ج ـ يعرشون:

عَرَش الكرم: رفع أغصانه على الخشب، ويقال: لسقف يتخذ على نخلات العرش.

عود على بدء

إنّ الربّ الرّزّاق علّم بوساطة الأنبياء والأوصياء والعلماء ضيفه الإنسان في هذا العالم كيف يتناول من النعم التي أعدّها الله: ما ينفعه ولايضرّه، عاجلاً في هذه الدنيا وآجلاً في الآخرة، قال سبحانه:

أ ـ في سورة البقرة:

﴿يا أيُّها الّذينَ آمنوا كُلوا مِن طيِّباتِ ما رزقنَاكُم وآشكُروا لِلّه﴾ (الآية ١٧٢).

ب ـ في سورة المائدة:

﴿يَسألونكَ ماذا أُحِلَّ لَهُم قُل أُحلَّ لَكُم ٱلطَّيِّبات﴾ (الآية ٤).

ج ـ في سورة الأعراف في وصف خاتم أنبيائه(ص):

﴿وَيُحلُّ لَهم ٱلطَّيِّباتِ وَيحرِّمُ عَلَيهِم ٱلخَبائث﴾ (الآية ١٥٧).

إذاً فإنّ الربّ خلقنا وسَخَّرَ لنا ما خلق من حولنا وَرَزَقَنا في الدنيا من الطيِّبات نتيجة زرعنا وغرسنا.

وكذلك يرزقنا نتيجة أعمالنا آجلاً في الآخرة، كما قال سبحانه:

أ ـ في سورة الحجّ:

﴿وَٱلّذينَ هاجَرُوا في سَبيلِ ٱللّهِ ثُمَّ قُتِلوا أو ماتوا ليرزقَنّهم الله رِزقاً حَسناً﴾ (الآية ٥٨).

ب ـ في سورة مريم:

﴿إلاّ مَن تابَ وَآمنَ وَعَمِلَ صالحاً فَأولئكَ يَدخُلونَ ٱلجنَّةَ وَلا يُظلَمونَ شَيئاً* جَنّاتِ عَدْنٍ ٱلّتي وَعَدَ ٱلرَّحمانُ عبادَهُ بالغَيبِ إنَّهُ كانَ وَعدُهُ مَأتيّاً* لايَسمَعونَ فيها لَغواً إلاّ سَلاماً وَلَهُم رِزقُهُم فيها بُكرةً وَعَشِيّاً﴾ (الآيات ٦٠ ـ ٦٣).

إذاً فإنّ الـربّ الحكيم يجزي الانسان بعمله عاجلاً في الدنيا وآجلاً في

الآخرة، كما أخبر سبحانه عن ذلك في عدّة سور، منها قوله تعالىٰ:

أ ـ في سورة الزلزلة:

﴿فَمَن يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه * وَمَن يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الآيتان ٧ و ٨).

ب ـ في سورة يس:

﴿فَاليَومَ لاتُظلَمُ نَفسٌ شَيئاً وَلاتُجزَونَ إلاّ ما كُنتُم تَعملـون﴾ (الآية ٥٤).

أجـل إنّ الانسان الذي يزرع الحنظل في الدنيا يجني الحنظل، والذي يغرسُ الأشجار المثمرة يجني أطايب الثمر، كما قال سبحانه في سورة النجم:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إلاّ مَاسَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (الآيتان ٤٠ و ٤١).

ولايقتصـر تلقّي الإنسان جزاء عمله بالحياة الدنيا، بل يتلقّىٰ جزاءه في عوالم خمسة وهي:

أ ـ عند المات.

ب ـ في القبر.

ج ـ في المحشر.

د ـ في الجنّة والنّار.

هـ ـ يورث جزاء عمله لخلفه في الدنيا.

* * *

لقد ذكرنا مثالاً من تلقّي الإنسان جزاء عمله في الدنيا، وفي ما يأتي ندرس بإذنه تعالىٰ كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله عند المات.

- ٣ -

كيف يُجزى الإنسان بآثار عمله عند المهات

إنّ اوّل مرحلة من مراحل الآخرة هو الموت، وقد قال سبحانه في وصفه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَاكُنْتَ مِنه تَحيد﴾ (ق/ ١٩).

أي جاءت غشية الموت وشدّته التي تغلب على عقل الإنسان، ذلك الموت الذي كنت تهرب منه.

وقال تعالى:

﴿قُل يَتَوَفَّاكُم ملَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذي وُكِّلَ بِكُم ثُمَّ إلىٰ رَبِّكُم تُرجَعون﴾ (السجدة/ ١١).

ولا منافاة بين قوله تعالىٰ هذا وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتوفَّىٰ ٱلأَنفُس﴾ (الزمر ٤٢)، وقوله تعالىٰ: ﴿تَتَوفَّاهُم الملائكة﴾ (النحل ٢٨ و٣٢)، و ﴿تَوفَّتهُ رُسُلنا﴾ (الأنعام ٦١).

فإنّ الملائكة هم رسل الله وهم أعوان ملك الموت في قبض الأرواح، وكلّهم يقبضون الروح بأمر الله. إذاً فإنّ الله هو يتوفّى الأنفس حين يأمر الملائكة بذلك[٦].

إبتداءاً من هذه المرحلة من مراحل الآخرة ينتهي تمكن الإنسان من العمل الذي كان ميسّراً له في الحياة الدنيا ويبدأ بتلقّي جزاء عمله، وممّا يجزي

---

(٦) سورة محمّد (ص)، آية ٢٧.

في بدء هذه المرحلة ما رواه الصدوق بسنده عن رسول الله (ص) أنّه قال: «صوم رجب يهوّن سكرات الموت»[7].

وتنقسم حال الإنسان في هذه المرحلة بحسب عمله إلى صنفين، كما أخبر سبحانه وقال:

﴿فأمّا إن كانَ مِنَ ٱلمقرّبين* فروحٌ وريحانٌ وجَنّتُ نعيم* وأمّا إن كانَ مِن أصحابِ ٱليمين* فسَلامٌ لك مِن أصحابِ ٱليمين* وأمّا إن كانَ مِنَ ٱلمُكذّبينَ ٱلضّالّينَ* فنُزُلٌ مِن حَميم* وتَصليَةُ جَحيم﴾ (الواقعة ٨٨ ـ ٩٤).

وأخبر تعالىٰ عمّا يتلقّاه الصنف الأوّل وقال:

﴿يا أيّتها ٱلنّفسُ ٱلمطمئنّة* ٱرْجعي إلىٰ ربّكِ راضِيةً مرضِيّة* فٱدْخُلي في عِبادي* وٱدخُلي جنّتي﴾ (الفجر ٢٧ ـ ٣٠).

وأخبر عن الصنف الثاني وهم الذين ظلموا أنفسهم في الحياة الدنيا وقال تبارك وتعالى:

﴿حَتّى إذا جاءَ أحدَهُمُ ٱلموتُ قالَ رَبِّ ٱرْجعونِ* لَعلّي أعملُ صالحاً فيما تَركتُ كَلّا إنّها كلمةٌ هوَ قائِلها وَمِن وَرائهم بَرزخٌ إلىٰ يَوم يُبعثُون﴾ (المؤمنون ٩٩ ـ ١٠٠).

شرح الكلمات

أ ـ يتوفّىٰ:

وفّاه حقّه: أعطاه إيّاه كاملاً، وتوفّاه: أخذه كاملاً، وتوفّىٰ الله أو ملك الموت الانسانَ إذا قبض روحه بإماتته، وتوفّاه الله وقت النوم بسلبه تمييزه وبعض

(٧) ثواب الأعمال، باب ثواب صوم رجب الحديث/ ٣٣٤.

حواسّه فكأنّما يتوفّىٰ روحه.

ب ـ حميم:

الحميم: الماء الشديد الحرارة.

ج ـ تصلية:

صَلىٰ الشيء: ألقاه في النار، وصلاه النار: أحرقه وأصلاه النار وصلّاه بها وفيها وعليها: شواه بالنار، وتصلية جحيم أي إحراق بالحميم.

د ـ برزخ:

البرزخ: الحاجز والحدّ بين الشيئين.

* * *

يدرك الإنسان من هذه المرحلة مافيها نهاية الحياة الدنيا وهو موت جميع أعضاء الإنسان، وليست له وسيلة لفهم ما بعد ذلك إلّا بما أخبرت به الأنبياء، فإن كان ممّن صدّق الأنبياء وآمن بهم في ما أخبروا به عن صفات الله وما جاءوا به من شريعة إلهيّة، آمن بما أخبروا به عن عالم الآخرة مرحلة بعد أخرىٰ، ولايمكن قياس ما أخبرت به الأنبياء عن الآخرة بما رآه وعرفه في الحياة الدنيا، فإنّ ما وهبه الله من وسائل المعرفة خاصّة بهذه الحياة، ولامجال لعملها في ما أخبرت عنه الأنبياء عن الآخرة وكما ذكرناه سابقاً، ومن الأحاديث التي وردت عن آثار الأعمال عند الممات ما ورد عن رسول الله(ص) أنّه قال:

«صوم رجب يهوّن سكرات الموت»[٨].

وعن أبي عبدالله الصادق أنّه قال:

«من مات ولم يحجّ حجّة الاسلام دونها مانع يمنعه فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانيّاً»[٩].

---

(٨) ثواب الأعمال للصدوق (١٣١ ـ ١٣٢).

(٩) ثواب الأعمال (٥٣٧).

ـ ٤ ـ
كيف يُجزىٰ الإنسان بآثار عمله في القبر ؟

قد حفلت كتب الحديث بما يلقاه الميّت في قبره من سؤال الملكين عن عقائده[١٠] وما يتلقّاه من آثار سوء خلقه وحسن خلقه وسائر أعماله، وأنّ القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النار[١١].

وأنّه يعذّب من كان يمشي بالنميمة ولايستتر عن البول[١٢].

ويثاب من حسنت أخلاقه بدءاً من القبر حتى سائر مراحل يوم القيامة[١٣].

ومن أتمّ ركوعه لم يدخله وحشة في قبره[١٤].

---

(١٠) راجع مادّة نكر من سفينة البحار.

(١١) راجع مادّة قبر من سفينة البحار.

(١٢) ثواب الأعمال: ص٥١٥، الحديث ١، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب الإتّقاء من البول (١/١٨٨)، وسنن ابي داود: كتاب الطهارة، باب الإستبراء من البول (١/٣٤ ـ ٣٥)، وسنن إبن ماجة: كتاب الطهارة، باب التشديد في البول ١/١٢٤ ـ ١٢٥، ومسند أحمد (١/٢٢٥، ٥/٢٦٦، ٤١٧، ٤١٩)، وصحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لايستتر من بوله (١/٦٤)، وكتاب الادب، باب الغيبة (٨/٢٠)، وباب النميمة من الكبائر منه (٨/٢١).

(١٣) ثواب الأعمال (/٣٣٤)، باب ثواب ادخال السرور على الأخ المؤمن.

(١٤) سفينة البحار (١/٥٢٤)، مادّة ركع.

ـ ٥ ـ

كيف يُجزىٰ الإنسان بآثار عمله في المحشر

أ ـ عند نفخ الصور:

يبدأ يوم المحْشر بنفخ الصُور للحشر للحساب، والصُور في اللغة العربية شيء كالقرن يُنْفَخُ فيه فيكون له صوت، قال سبحانه:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمٰوات وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلاّ مَن شاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرىٰ فَإِذا هُم قِيامٌ يَنظُرون﴾ (الزمر/ ٦٨).

الصعق هنا صوت أثْره الموت، وجاء في الحديث ما موجزه: انّ النفخ مرّتان: الأُولىٰ: ينفخ الملك إسرافيل في الصور، فيموت جميع من في السمٰوات والأرض إلّا من شاء الله وهم حملة العرش وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، فيقول الله لملك الموت: من بقي؟ وهو أعلم! فيقول: ياربِّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل! فيقول عزّ اسمه: قل لجبرائيل وميكائيل: فليموتا، فيقبض روحيهما فيقول الله لملك الموت: من بقي؟ وهو أعلم! فيقول: ياربِّ! لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش! فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا فيقبض أرواحهم فيقول له: ياملك الموت من بقي؟ فيقول: لم يبق إلّا ملك الموت، فيقول: مت ياملك الموت! فيموت ثمّ ينادي الجليل: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: لله الواحد الأحد. ثم ينفخ حين يشاء في الصور ثانية كما قال سبحانه: ثم نفخ

فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون[١٥].

وقال سبحانه عن النفخة الثانية:

أ ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّور فَجَمَعناهم جَمعاً﴾ (الكهف/ ٩٩).

ب ـ ﴿وَيومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمٰواتِ وَمَن فِي الأرضِ إلاّ مَن شاءَ ٱللّهُ وَكُلٌّ أتَوْهُ داخِرين﴾ (النحل/ ٨٧).

ج ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإذا هُم مِنَ الأجداثِ إلىٰ رَبِّهِم يَنسِلون* قالوا يا وَيلَنا مَن بَعَثنا مِن مَرقَدِنا هٰذا ما وَعَدَ الرَّحمٰنُ وَصَدَقَ المرسَلون* إن كانَت إلاّ صَيحةً واحدةً فإذا هُم جَميعٌ لَدينا مُحضَرون* فَاليوم لاتُظلَمُ نفسٌ شيئاً ولا تُجزَوْنَ إلاّ ما كُنتُم تَعمَلون﴾ (يس/ ٥١ ـ ٥٤).

أتوه داخرين: أي أذلّاء. والأجداث: القبور. وينسلون: ينفصلون، يجمعهم ويحشرهم جميعاً كما قال سبحانه:

أ ـ ﴿وَحَشَرناهُم فَلم نُغادِر مِنهُم أحَداً﴾ (الكهف/ ٤٧).

ب ـ ﴿يَومَ يُنفَخُ فِي الصّورِ وَنَحشرُ المُجرمينَ يَومَئِذٍ زُرقاً﴾ (طه/ ١٠٢).

ج ـ ﴿يَومَ نَحشرُ المتَّقينَ إلى الرَّحمٰنِ وَفداً﴾ (مريم/ ٨٥).

شرح الكلمات

زُرْقاً:

زَرُقَ لونه: صار إلىٰ لون بين السواد والبياض فهو أزرق وجمعه: زرق. والمعنىٰ هنا: زرق الأبدان بمكابدة الشدائد أو عمياً أو عطاشاً.

وفداً:

وفد وفداً علىٰ الملك ونحوه: قدم عليه قاصداً اعطاءه، أو في طلب حاجة

---

(١٥) تفسير الآية في الدر المنثور (٥/٣٣٦ ـ ٣٣٧)، والبحار نقلاً عن الكافي وغيره (٦/٣٢٦ ـ ٣٢٧) وقد أوردنا موجز الروايات.

فهو وافد، والجمع: وفد ووفود.

ب ـ مشاهد يوم القيامة:

أخبر الله سبحانه عن مَشاهد يوم القيامة وقال تعالى:

أ ـ في سورة المطفّفين:

﴿...مَبعوثون* لِيوم ٍ عَظيم* يَومَ يَقومُ النّاسُ لِرَبِّ العَالمين﴾ (الآيات ٤ ـ ٦).

ب ـ في سورة النبأ:

﴿يَومَ يَقومُ الرّوحُ وَالملائكةُ صَفاً لايَتَكلَّمونَ إلاَّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ وَقالَ صَواباً﴾ (الآية ٣٨).

ج ـ في سورة الجاثية:

﴿وَخَلَقَ ٱللّهُ السَّمٰواتِ وَالأرضَ بالحَقِّ وَلِتُجزىٰ كُلُّ نَفس ٍ بِما كَسَبتْ وَهُم لايُظلَمون﴾ (الآية ٢٢).

د ـ في سورة الإسراء:

﴿وَكُـلَّ إنسانٍ ألزَمناهُ طائرَهُ في عُنقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنشوراً* اَقرَأ كِتابكَ كَفىٰ بِنفسكَ اليَومَ عليكَ حَسيباً﴾ (الآيتان ١٣ و ١٤).

هـ ـ في سورة الجاثية:

﴿...كُلُّ أُمَّةٍ تُدعىٰ إلىٰ كِتَابِها ألْيَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلون* هٰذا كِتَابُنَا يَنـطِقُ عَلَيكُم بِالحقِّ إنّـا كُنّـا نَستَنسِخُ ما كُنتُم تَعمَلون* ...وَبَدا لَهم سَيِّئاتُ ماعَمِلوا وَحاقَ بهم ماكانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئون* وَقيلَ ٱليومَ نَنساكُم كَما نَسِيتم لِقاءَ يَومِكم هٰذَا وَمَأواكُمُ ٱلنّارُ وَما لَكُم مِن نّاصِرين* ذٰلِكُم بِأنَّكُمُ ٱتَّخَذتُم آياتِ ٱللّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَاةُ الدُّنيا فاليَومَ لايُخرَجونَ مِنها وَلاهم يُستَعتَبون﴾ (الآيات ٢٨ ـ ٢٩ و٣٣ ـ ٣٥).

و ـ في سورة الحاقّة:

﴿فَأمّا مَن أُوتيَ كِتابَهُ بيَمينهِ فيقولُ هاؤُمُ اقْرَأوا كِتابِيَه* ...* وأمّا مَن أُوتيَ كِتابَه بِشمالِه فَيَقولُ ياليتَني لَم أُوتَ كِتابِيه* وَلَم أدرِ ماحِسابِيَه﴾ (الآيات ١٩ ـ ٢٦).

ز ـ في سورة الإنشقاق:

﴿فَأمّا مَن أُوتيَ كِتابَهُ بيَمينِه* فَسوفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً* ...* وَأمّا مَن أُوتيَ كِتابَه وَراءَ ظَهرِه* فَسَوفَ يَدعو ثُبوراً﴾ (الآيات ٧ ـ ١١).

ح ـ في سورة آل عمران:

﴿وَلا يَحسبَنَّ الَّذينَ يَبخَلون بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِ هُو خَيراً لَهُم بَل هُوَ شَرٌّ لَهُم سَيُطَوَّقُونَ مابَخِلوا بهِ يَومَ القيامَة﴾ (الآية ١٨٠).

ط ـ في سورة غافر:

﴿وَيَومَ يَقومُ الأشهاد...﴾ (الآية ٥١).

ي ـ في سورة النحل:

﴿وَيَومَ نَبعثُ في كلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيهِم مِن أنفسِهِم وَجِئنا بِكَ شَهيداً علىٰ هؤلاء﴾ (الآية ٨٩).

ك ـ في سورة فصلت:

﴿...حَتّىٰ إذا ما جاءوها شَهِدَ عَلَيهِم سَمعُهُم وَأبصارهم وَجُلودُهم بِما كانوا يَعْمَلونَ* وَقـالـوا لجِلودِهم لِمَ شَهِـدتم عَلينا قالوا أنطَقَنا اللَّهُ الَّذي أنطقَ كُلَّ شَيء...﴾ (الآيتان ٢٠ ـ ٢١)).

شرح الكلمات

أ ـ طائِرُهُ: كناية عن عمله من خير أو شرّ.

ب ـ ثبوراً:

ثبر فلان: هلك، ودعوةالثبور: ما ينادي به الواقع في شدة ويطلب الموت ويقول: واثبوراه!

ج ـ سَيُطَوَّقون:

طوّقه: جعل في عنقه طوقاً من ذهب وما شابهه، ويطوقون ما بخلوا به معناه: تجسيد لبخله في أداء الحقوق في المال على صورة حيّة في رقبته كما في مفردات الراغب.

د ـ الشهيد والأشهاد:

شهد علىٰ كذا: أخبر به خبراً قاطعاً فهو شهيد، والأشهاد جمع الشاهد مثل الأصحاب جمع الصاحب، وهم الأنبياء ومن معهم حين يشهدون على أممهم وكلٌّ مايشهد بما صدر من الإنسان من عمل.

وورد في الآثار عن آثار الأعمال في يوم القيامة:

أ ـ عن الرسول (ص):

«أطولكم قنوتاً في دار الدُّنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف»[١٦].

ب ـ عن الوصيّ أنّه قال:

«إذا سجد أحدكم فليباشر بكفيه الأرض لعلّ يصرف عنه الغلّ يوم القيامة»[١٧].

---

(١٦) ثواب الأعمال ص ٥٥.

(١٧) ثواب الأعمال ص ٥٥ ـ ٥٦.

ج ـ عن الرسول (ص):

«من بغىٰ على فقير أو تطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذرة على صورة رجل يدخل النار»[١٨].

د ـ عن أبي عبدالله (ع):

«إنّ المتكبرين يجعلون في صورة الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب»[١٩].

الذر: صغار النمل وواحده: الذرّة.

---

(١٨) ثواب الأعمال، ص ٦٥٥.

(١٩) ثواب الأعمال، ص ٥٠٢، ح: ١٠.

- ٦ -
كيف يُجزىٰ الإنسان بآثار عمله في الجنّة والنار

إنّ الله يجزي الإنسان في الآخرة حسب عمله بالنعيم، ويجازيه كذلك بالعذاب بتجسيد أعماله التي صدرت منه في الحياة الدنيا، وأخبر الله عن ذلك في قوله تعالى:

أ ـ في سورة الحجّ:

﴿إنَّ اللّهَ يُدخِلُ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ جنّاتٍ تجري مِن تَحتِها الأنهارُ...﴾ (الآية ٢٣).

ب ـ في سورة غافر:

﴿...وَمَنْ عَمِلَ صالحاً مِن ذَكَرٍ أو أُنثى وَهُو مُؤمنٌ فَأُولٰئك يَدخُلُونَ الجنّةَ يُرزَقونَ فيها بِغيرِ حساب﴾ (الآية ٤٠).

ج ـ في سورة النساء:

﴿...مَن يَعملْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجدْ لَه مِن دُونِ اَللّهِ وَلِيّاً وَلا نَصيراً* وَمَن يَعمَل مِنَ الصّالِحاتِ مِن ذَكَرٍ أو أُنثىٰ وَهُو مُؤمنٌ فَأُولٰئكَ يَدخُلون الجنّةَ وَلا يُظلمونَ نَقيراً﴾ (الآيتان ١٢٣ ـ ١٢٤).

د ـ في سورة الزمر:

﴿وَيَومَ القيامَةِ ترىٰ اَلّذينَ كَذَبُوا عَلىٰ اَللّهِ وُجوهُهم مُسوَدّةٌ أَلَيسَ فِي جَهنَّمَ مَثوىً لِلمُتكبِّرين* ...* وَوُفِّيَت كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَت...* وَسيقَ الّذينَ اَتّقَوا

رَبَّهُم إلى الجَنَّة زُمَراً...﴾ (الآيات ٦٠ و ٧٠ ـ ٧٣).

هـ ـ في سورة الزخرف:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنا وَكَانوا مُسْلِمِين* اُدْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُم تُحْبَرُون﴾ (الآيتان ٦٩ ـ ٧٠).

﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتي أورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون* ...إنَّ المُجْرِمِين فِي عَذَابِ جَهَنَّم خَالِدُونَ* ..وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِين﴾ (الآيات ٧٢ و ٧٤ و ٧٦).

و ـ في سورة التوبة:

﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا في سَبيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيم* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُم هٰذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُون﴾ (الآيتان ٣٤ ـ ٣٥).

روى الصدوق بسنده عن رسول الله (ص)، أنّه قال:

أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى ينادون بالويل والثبور:

رجل عليه تابوت من حجر فانّه مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولامخلصاً.

ورجل يجرّ أمعاءه، فانّه كان لايبالي أين أصاب البول جسده.

ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، فإنّه كان يحاكي فينظر كلّ كلمة خبيثة فيفسد بها ويحاكي بها.

ورجل يأكل لحمه، فإنّه كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة[٢٠].

وأخبر الله سبحانه أنّ لكلّ من الجنّة وجهنم أبواباً وقال سبحانه:

أ ـ في سورة (ص):

---

(٢٠) عقاب الأعمال ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

﴿...وإنّ للمتّقينَ لحسنَ مآب* جنّاتِ عدنٍ مفتّحةً لهُمُ الأبواب﴾ (الآيتان ٤٩ و ٥٠).

ب ـ في سورة الحجر مخاطباً إبليس ـ لعنهُ الله ـ:

﴿إنَّ عِبادي لَيسَ لَك عَلَيهم سُلطانٌ إلاّ مَنِ اتَّبعَكَ مِنَ الغاوين* ...* لَها سَبعةُ أبوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنهم جُزءٌ مَقسوم﴾ (الآيتان ٤٢ ـ ٤٤).

شرح الكلمات

أ ـ نقيراً:

النقير: النقطة التي في وسط ظهر نواة التمر ومنها تنبت النخلة، ويضرب بها المثل في الشيء الذي لا قيمة له.

ب ـ مَثْوىٰ:

ثوى ثواءاً، الثواء: الإقامة مع الإستقرار، ومثوىٰ: اسم مكان من الثواء.

ج ـ زُمَراً:

الزمرة: الفوج والجماعة، والجمع: الزُّمَر.

د ـ مآب:

آب إليه أوباً ومآباً: رجع رجوعاً.

هـ ـ جنات عدن:

عدن بمكان كذا: استقر، وجنّات عدن: أي جنات استقرار وثبات.

تفسير الآيات بالروايات

ورد في تفسير الآية ان رسول الله (ص) قال:

«للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض»[21].

وعن الإمام علي (ع) أنّه قال:

أتدرون كيف أبواب جهنّم؟ قلنا كنحو هذه الأبواب، قال: لا ولكنّها هكذا: ووضع يده فوق يده وبسط يده فوق يده. وفي تفسير القرطبي بعده: بعضها فوق بعض وروىٰ عن رسول الله: «أهل كل طبقة فيها»[22].

وعن رسول الله (ص)، أنّه قال في تفسير جزء مقسوم:

«لكلّ باب منهم ـ من أهل النار ـ جزء مقسوم يعذّب كلّ جزء علىٰ قدر أعمالهم»[23].

وفي الختام نذكر بعض الأحاديث التي تشرح الآيات السابقة وتبيّن آثار الأعمال جملة وتفصيلاً:

أ ـ في أصول الكافي بسنده عن الإمام جعفر الصادق (ع)، أنّه قال:

«من أدخل علىٰ مؤمن سروراً خلق الله عزّوجلّ من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته، فيقول له: أبشِرْ ياوليَّ الله بكرامة من الله ورضوان، ثمّ لايزال معه حتى يُدخله قبره [يلقاه]، فيقول له مثل ذلك، فإذا بُعِثَ يلقاه فيقول له مثل ذلك، ثم لايزال معه عند كلّ هول يبشّره ويقول له مثل ذلك، فيقول له: من أنت رحمك الله؟ فيقول: أنا السرورُ الذي أدخلتَهُ علىٰ فلان»[24].

---

(٢١) تفسير السيوطي (٤/٩٩/١٠٠).

(٢٢) تفسير الآية في تفسير مجمع البيان والقرطبي والسيوطي.

(٢٣) راجع المصدر رقم ٢١.

(٢٤) أصول الكافي (٢/١٩١ ـ ١٩٢)، الحديث ١٢.

ب ـ في البحار نقلاً عن معاني الأخبار للصدوق، بسنده عن أبي عبدالله الصادق، أنّه قال:

«من نَفَّسَ عن مؤمن كربة نَفَّسَ اللّهُ عنه كرَبَ الآخرة وخرج من قبرهِ وهو ثَلِجَ الفؤادِ، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»[٢٥].

ج ـ في أصول الكافي عن الإمام أبي الحسن(ع)، أنّه قال:

«إنّ للّهِ عباداً في الأرض يَسعَون في حوائج الناسِ، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرَّحَ الله قلبه يوم القيامة»[٢٦].

د ـ في أصول الكافي بسنده عن أبي عبدالله الصادق (ع)، أنّه قال:

«ماقضىٰ مسلمٌ لمسلمٍ حاجة إلاّ ناداه الله تبارك وتعالىٰ: عليَّ ثوابُكَ، ولاأرضىٰ لكَ بدونِ الجنَّة»[٢٧].

هـ ـ في ثواب الأعمال ماموجزه:

عن الإمام جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص):

«وفي ثواب الأعمال، عن معروف بن خرَّبوذ، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: مامن مؤمن يصاب بمصيبة في الدُّنيا فيسترجع عند مصيبته حين تفجأه المصيبة، إلاّ غفر الله له مامضىٰ من ذنوبه إلاّ الكبائر الّتي أوجب الله عليها النار، قال: وكلّما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها وحمد الله، غفر الله له كلّ ذنب اكتسبه فيما بين الإسترجاع الأوّل إلى

(٢٥) البحار (٣٥٥/٦).
(٢٦) أصول الكافي (١٩٧/٢)، الحديث ٢.
(٢٧) أصول الكافي (١٩٤/٢)، الحديث ٧.

الاسترجاع الثاني إلاّ الكبائر من الذنوب»[28].

استرجع: قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون.

وفي البحار عن الإمام أبي عبدالله (ع)، قال:

«قال رسولُ الله (ص): قال الله تعالى: ما من عبدٍ أُريدُ أن أُدخله الجنّة إلاّ ابتليتهُ في جسده، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ سلّطتُ عليه سلطاناً، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ ضيّقتُ عليه في رزقه، فإن كانَ ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ شدّدت عليه عندَ الموتِ حتى يأتيني ولا ذنبَ لهُ حتى أُدخِلَهُ الجنة...» الحديث[29].

وفي صحيح البخاري أنّ رسول الله (ص) قال:

«ما من مسلم يصيبه أذىً إلاّ حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر»[30].

وفي رواية أخرىٰ:

«ما من مصيبة تصيب المسلم إلاّ كفّر الله بها عنه حتىٰ الشوكة يشاكها»[31].

وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم، قال رسول الله (ص):

«ما من مسلم يصيبه أذىٰ شوكة فما فوقها إلاّ كفّر الله بها سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها»[32].

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد، قال رسول الله (ص):

---

(٢٨) البحار (٨٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، عن ثواب الأعمال ص ١٧٩.

(٢٩) البحار (٦/ ١٧٢)، عن كتاب التمحيص.

(٣٠) صحيح البخاري (٣/٢ ـ ٣)، كتاب المرضىٰ باب شدّة المرض.

(٣١) صحيح البخاري: كتاب المرضي باب ماجاء في كفّارة المرض.

(٣٢) صحيح البخاري (٣/٣)، كتاب المرضى، باب شدّة المرض، صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة والأدب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه.

«ما يصيب المسلم من نَصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلّا كفّر الله بها من خطاياه»[٣٣].

---

(٣٣) صحيح البخاري (٢/٣)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفّارة المرض، ومسند أحمد ١٨٠/٣.

- ٧ -

جزاء الصّبر

كما إنّ الله جعل لكلّ عمل يصدر من الإنسان جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، كذلك جعل الله لصبر الإنسان على المكاره والمصائب جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، وقد أخبر الرسول (ص) أنّ الصبر يكون على ثلاثة أنواع، كما روىٰ ذلك عنه وصيّه الإمام علي، وقال:

قال رسول الله (ص): «الصّبرُ ثلاثةٌ: صَبرٌ عِندَ المصيبةِ، وَصَبرٌ علىٰ الطّاعةِ، وَصَبرٌ عَنِ ٱلمعصيةِ»[٣٤].

وقد أخبر الله في سورة الأعراف أنّه جزىٰ بني إسرائيل بما صبروا في الحياة الدنيا، وقال تعالى:

﴿وَأورَثْنا ٱلقَومَ ٱلّذينَ كانوا يُستَضعَفونَ مَشارِقَ ٱلأرضِ وَمَغارِبَها ٱلّتي بارَكْنا فيها وَتَمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلحُسنىٰ علىٰ بَني إسرائيلَ بِما صَبروا وَدَمَّرنا ما كانَ يَصنَعُ فِرعَونُ وَقَومهُ وَما كانوا يَعرِشُون﴾ (الآية ١٣٧).

وأخبر عن جزاء الأنواع الثلاثة من الصبر في سورة البقرة، وقال:

أ - ﴿ولَنَبلوَنّكم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ وَالجوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفسِ وَالثّمَرات وَبَشرِ الصّابِرين* الّذينَ إذا أصابَتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا للّهِ وإنّا إليهِ

(٣٤) البحار (١٣٩/٨٢) نقلاً عن سكن الفؤاد، وراجع ص ١٣٦ منه.

راجِعون﴾ أُولٰئِكَ عَلَيهِم صَلواتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمةٌ وَأُولٰئكَ هُم المهتدون﴾ (الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧).

ب ـ ﴿ليسَ ٱلبرَّ أن تُوَلّوا وُجوهَكُم قِبَلَ ٱلمشرقِ وَٱلمغربِ وَلٰكِنَّ ٱلبِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ وَٱليومِ ٱلآخِرِ وَٱلملائِكَةِ وَٱلكِتابِ وَٱلنَّبِيّينَ وَآتَىٰ ٱلمالَ علىٰ حُبِّهِ ذَوي ٱلقُربىٰ وَٱليَتامىٰ وَٱلمساكِينَ وَٱبنَ ٱلسَّبيلِ وَٱلسَّائِلينَ وَفي ٱلرِّقابِ وَأقامَ ٱلصَّلاةَ وَآتَىٰ ٱلزَّكاةَ وَٱلموفونَ بِعَهدِهِم إذا عاهَدُوا وَٱلصَّابِرِينَ في ٱلبأساءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلبَأسِ أُولٰئكَ ٱلَّذينَ صَدَقوا وَأُولٰئكَ هُم ٱلمُتَّقون﴾ (الآية ١٧٧).

في هاتين الآيتين من سورة البقرة: إنَّ المتقين هم الذين يعملون الصالحات ويتّصفون بالأنواع الثلاثة من الصبر.

ومن أنواع الصبر على الطاعة والمصيبة صبر المؤمنين على الأذىٰ والسخرية لإيمانهم بالله، كما أخبر الله تعالى عنه وقال:

أ ـ في سورة المؤمنون:

﴿إِنَّهُ كانَ فَريقٌ مِن عِبادِي يَقُولونَ رَبَّنا آمَنّا فَٱغفِر لَنا وَٱرحَمنا وَأنت خَيرُ ٱلرَّاحِمِين * فَٱتَّخَذتُمُوهم سِخرِيّاً حَتّىٰ أنسَوكُم ذِكرِي وَكُنتم مِنهُمْ تَضحَكون * إنّي جَزَيْتُهمُ ٱليَوْمَ بِما صَبَروا أنَّهم هُم ٱلفائزون﴾ (الآيات ١٠٩ ـ ١١١).

ب ـ في سورة القصص:

﴿ٱلَّذِينَ آتَيناهُمُ ٱلكِتابَ مِن قَبلِهِ هُم بِهِ يُؤمِنُون * وَإذا يُتلىٰ عَلَيهِم قالُوا آمَنّا بِهِ إنَّهُ ٱلحَقُّ مِن رَبِّنا إنّا كُنّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِين * أُولٰئِكَ يُؤتَونَ أجرَهُم مَرَّتَينِ بِما صَبَروا وَيَدرَأُونَ بِالحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقون * وَإذا سَمِعوا ٱللَّغوَ أعرَضوا عَنه وَقالوا لَنا أعمالُنا وَلَكُم أعمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيكُم لانبتغي الجاهلين﴾ (الآيات ٥٢ ـ ٥٥).

وفي سورة الرعد بشرَّ الذين صبروا وأقاموا الصلاة وقال سبحانه:

﴿وَٱلَّذينَ صَبَروا ٱبتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأقاموا ٱلصَّلاةَ وَأنفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرّاً

وَعَلانِيَةً وَيَدرأونَ بالحسَنةِ السَّيِّئةَ أُولَئِكَ لَهُم عُقبىٰ الدَّار* جنَّاتُ عَدنٍ يَدخُلُونها وَمَن صَلَحَ مِن آبائِهِمْ وَأزواجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَالمَلائِكةُ يَدخُلونَ عليهم مِن كُلِّ باب* سَلامٌ عليكم بما صبرتُم فنِعمَ عُقبىٰ الدار﴾ (الآيات ٢٢ ـ ٢٤).

شرح الكلمات

أ ـ يعرشون:

المعنىٰ هنا مايدعمون به ملكهم.

ب ـ البأس والبأساء: الشدّة والمكروه والحرب، والمقصود من البأساء هنا الشدّة والمكروه، ومن البأس ساعة الحرب.

ج ـ يَدرَأُون:

دَرَأ: دفع، ودرأ عنه الشر: دفعه.

أجر الصابرين وجزاؤهم في الروايات:

في البحار بسنده عن الصّادق عليه السلام، قال: قال رسول الله(ص): إذا نُشِرَت الدّواوين، ونُصِبَت الموازين، لم يُنْصَبْ لأهل البلاء ميزان، ولم يُنْشَرْ لهم ديوان، وتلا هذه الآية ﴿إنّما يُوَفَّىٰ الصّابرون أجرهم بغيرِ حساب﴾[٣٥].

وفي البحار بسنده عن الإمام زين العابدين (ع)، قال:

«إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ينادي منادٍ أين الصّابرون ليدخلوا الجنّة جميعاً بغير حساب، قال: فيقوم عنق من الناس فتتلقّاهم الملائكة فيقولون: إلى أين يابني آدم؟ فيقولون إلى الجنّة، فيقولون: وقبل الحساب؟ فقالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصّابرون، قالوا: وماكان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله،

---

(٣٥) في البحار (١٤٥/٨٢).

وصبرنا عن معصية الله، حتّى توفّانا الله عزّوجلّ، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنّة، فنعم أجر العاملين»[٣٦].

وفي ثواب الأعمال بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع)، أنّه قال:

«من لَقِيَ الله مكفوفاً محتسباً موالياً لآل محمّد (ص) لَقِيَ الله ولا حساب عليه»[٣٧].

مكفوفاً: كَفَّ بصره وكُفَّ: ذهب فهو مكفوف.

* * *

كان ذلكم أمثلة ممّا يتلقّاه الإنسان جزاءً لعمله أو لصبره على المكاره. وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالى توارث جزاء الأعمال.

---

(٣٦) في البحار (١٣٨/٨٢).

(٣٧) ثواب الأعمال ص٩٢ وص٤٦٤، واللفظ في الصفحة السابقة.

- ٨ -

توارث جزاء العمل

أخبر الله سبحانه عن توريث الانسان جزاء عمله لعقبه، وقال سبحانه:

أ - في سورة النساء:

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِن خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافوا عَلَيهِم فَليَتَّقوا ٱللَّهَ وَليَقـولـوا قَولاً سَديداً* إنَّ الَّذِينَ يَأكُلونَ أموالَ ٱليتامىٰ ظُلماً إنَّما يأكلونَ في بُطونِهِم ناراً وَسَيَصلَوْنَ سَعيراً﴾ (الآيتان ٩ و ١٠).

ب - في سورة الكهف:

﴿فَانطَلَقا حَتّىٰ إذا أَتَيا أَهلَ قَريةٍ ٱستَطعَما أَهلَها فَأَبَوا أَن يُضَيِّفوهُما فَوَجَدا فيها جداراً يُريدُ أَنْ يَنقضَّ فَأَقامهُ قالَ لَو شِئتَ لَتَّخَذتَ عَلَيه أَجراً* ...* وَأَمَّا ٱلجِدارُ فَكانَ لِغلامينِ يَتيمَينِ في المدينةِ وَكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَن يَبلُغا أَشُدَّهُما وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمةً مِن رَبِّك...﴾ (الآيتان ٧٧ - ٨٢).

شرح الكلمات

أ - سديداً:

سدّ سداداً، السّداد: الصواب من القول، وقولاً سديداً أي صواباً موافقاً للعدل والشرع.

ب ـ سعيراً:

سَعَّرَ النار والحرب: أوقدهما وهيّجها، ونار سعير: موقدة مهيجة، والمراد بالسعير جهنم.

ج ـ ينقضّ:

نقض البناءَ: هدمه، ويريد أن ينقض: يريد أن ينهدم.

د ـ أشدّهما:

شدّ: قوي، ويبلغا أشدّهما أي يبلغا قوّتها.

أعمال يبقىٰ أثرها بَعدَ حياة المتوفّىٰ:

من الأعمال ما يبقىٰ أثرها للإنسان المتوفّىٰ ويلحقه ضررها أو نفعها بعد حياته، كما جاء في الخصال عن الإمام أبي عبدالله الصادق (ع)، أنّه قال:

«ليس يَتبعُ الرجل بعد موتِهِ من الأجرِ إلاّ ثلاثُ خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موتِهِ إلى يوم القيامة، صدقةٌ موقوفةٌ لا تُورَثُ، أو سُنَّةُ هدىً سَنَّها وكانَ يَـ . لُ بها وعَمِلَ بِها مِن بَعدِهِ غيره، أو ولدٌ صالحٌ يَستغفرُ له».

وشرحه في حديث آخر، وقال (ع):

«ستُّ خصالٍ ينتَفعُ بها المؤمنُ من بعد موته: وَلَدٌ صالح يستغفرُ لَهُ ومصحف يقرأُ فيه، وقليبٌ يحفرُهُ، وغرسٌ يغرسُهُ، وصدقةُ ماءٍ يجريهِ، وسنّةٌ حسنةٌ يؤخذُ بها بعده»[٣٨].

* * *

ذكرنا آثار العمل في الدنيا والآخرة وتوارث آثار العمل، ومن آثار العمل منح ربّ العالمين لعبده حقّ الشفاعة كما سندرسه في البحث الآتي بحوله تعالىٰ.

---

(٣٨) الخصال للصدوق (١/٧٣ و١٥٧)، كما نقله المجلسي في البحار (٦/٢٩٣) عنه.

(١١)

استحقاق الشفاعة جزاءً لبعض الأعمال

شَفَعَ الشيء شَفْعاً: ضمّ مثله إليه، وشفع له عند آخر شفاعةً: طلب التجاوز عن سَيِّئته كأنّه ضمّ نفسه إليه معيناً له فهو شافع وشفيع، والشفاعة أيضاً كلام الشفيع في هذا المقام، وقد قال الله سبحانه:

أ ـ في سورة طه:

﴿يَومَ يُنفخُ في الصُّور...* ...* يَومئذٍ لاتَنفعُ الشَّفاعَةُ إلاّ مَن أذِنَ لَه الرَّحمٰنُ وَرضي له قولاً﴾ (الآيتان ١٠٢ و ١٠٩).

ب ـ في سورة مريم:

﴿لايَملِكون الشَّفاعةَ إلاّ مَن اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمٰنِ عَهداً﴾ (الآية ٨٧).

ج ـ في سورة الإسراء:

﴿...عَسىٰ أن يَبعثكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحمُوداً﴾ (الآية ٧٩).

د ـ في سورة الأنبياء:

﴿...وَلا يَشفَعونَ إلاّ لِمَن ارتَضىٰ...﴾ (الآية ٢٨).

هـ ـ في سورة الأعراف:

﴿اَلّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهواً وَلَعِباً وَغَرَّتهُم الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم كما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هٰذا...* ...* ... يَومَ يَأتي تَأويلُهُ يَقولُ اَلّذينَ نَسُوهُ مِن قبلُ قَد جاءَت رُسلُ رَبِّنا بِالحقِّ فَهَل لنا مِن شفَعاءَ فَيَشفعوا لنا...﴾ (الآيات ٥١ و ٥٣).

تفسير الآيات

يوم ينفخ في الصور لاتنفع شفاعة أحد إلاّ من أذن الله له في أن يشفع ورضي قولـه من عبـاده الصالحين، وإنه لايملك الشفاعة إلاّ من اتّخذ عند الرحمن عهداً من الأنبياءٰ والأوصياء ومَنْ دونهم من عباد الله الصالحين، وإنّ الشفاعة هي المقام المحمود الذي وعد الله خاتم أنبيائه (ص).

وإنّ الأنبياء لايشفعون إلاّ لمن اَرتضى الله أن يشفعوا له، وفي ذلك اليوم يقول الذين غرّتهم الحياة الدنيا: ﴿فَهَل لنا مِن شُفَعاءَ فَيَشفَعوا لنا﴾ وليس لهم من شفيع.

الشفاعة في الرّوايات:

في البحار نقلاً عن عيون الأخبار للصدوق: أنّ الإمام الرضا (ع) روىٰ عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، أنّه قال: «قال رسول الله (ص): من لم يؤمن بحـوضي ـ الحـوض: الكـوثر ـ فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي...» الحديث.

وفي آخره سأل الراوي الإمام الرضا (ع) وقال: يا اَبن رسول الله (ص) فما معنىٰ قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولايشفعون إلاّ لِمَنْ اَرتضىٰ﴾؟ قال: «لايشفعون إلاّ لمن اَرتضىٰ الله دينه»[1].

إنّ رسول الله قال (ص):

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني[2] فيه، ويقول القرآن: منعته النوم باللّيل

---

(١) البحار (٨/٣٤).

(٢) مسند أحمد ١٧٤/٢، وما جاء في النص فيشفعني خطأ.

فشفّعني فيه، قال: فيشفعان» .

وروىٰ عن الإمام علي (ع) ـ أيضاً ـ أنّه قال:

«قال رسول الله (ص): ثلاثة يشفعون الى الله عزّ وجلّ فيشفّعون: الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء»[3].

وفي سنن ابن ماجة، قال رسول الله (ص):

«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العُلماء ثمّ الشهداء»[4].

وروي عن الإمام أبي عبدالله الصادق (ع) حديث عن شفاعة رسول الله(ص) يوم القيامة، جاء في آخره:

«...أنّ رسول الله يومئذ يخرُّ ساجداً فيمكث ماشاء الله، فيقول الله عزّ وجلّ: إرفع رأسك وٱشفع تُشفَّع، وسَلْ تُعطَ. وذلك قوله تعالىٰ:

﴿عَسىٰ أن يَبعثك ربُّكَ مقاماً مَحموداً﴾ »[5].

وجاء تفصيل الخبر في تفسير ابن كثير وتفسير الطبري وغيرهما بلفظ آخر[6].

وروىٰ الترمذي، عن الإمام الصادق (ع) أنّ رسول الله (ص) قال:

«شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[7].

---

(٣) البحار (٨/٣٤).

(٤) سنن ابن ماجة في باب ذكر الشفاعة، الحديث (٤٣١٣).

(٥) البحار (٨/٣٦).

(٦) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري (١٥/ ٩٧ ـ ٩٩)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٩ ـ ٣١٢)، وابن كثير (٣/ ٥٥ ـ ٥٨)، والبخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، باب قوله: ﴿عَسَىٰ أنْ يَبعثكَ رَبّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾، (٣/ ١٠٢).

وفي سنن ابن ماجة: الحديث (٤٣١٢)، وسنن الترمذي (٩/٢٦٧)، كتاب صفة القيامة، باب (في الشفاعة).

(٧) كتاب صفة يوم القيامة.

نتيجة البحث

يفهم من مجموع الآيات والأحاديث في شأن الشّفاعة أنّ الشفاعة يوم القيامة ليست لمن شاء كما شاء، بل تجري وفق مشيئة الله الحكيم جزاءً لأعمال جعلها الله أسباباً للشفاعة، مثل أن يُقَصِّرَ العبدُ المسلم في فريضة من فرائض الله، وفي مقابل ذلك كان في حياته قد والىٰ الرسول(ص) وأهل بيته وأخلص لهم الودّ في قلبه لأنّهم أولياء الله، أو كان قد أكرم عالماً لعلمه بالاسلام، أو أحسن الى مؤمن صالحٍ إستشهد بعد ذلك، فيجازيه بعمل قلبه في الحالة الاولى، وبعمل جوارحه في الحالة الثانية،بما يكافأ به نقص عمله في أداء تلك الفريضة.

ومن آثار الأعمال السيئة حبط أجر الأعمال الحسنة كما سندرسها في البحث الآتي بحوله تعالىٰ.

(١٢)

حبط الأعمال جزاءً لبعض الأعمال

حَبطَ العمل أو الصنع يحبَط: بطل ولم يحقّق ثمرته، ويحبط عمل الإنسان في الآخرة للأسباب الآتية:

أ ـ أن يصدر العمل من الانسان بقصد النفع الدنيوي فهو عندئذ يأخذ جزاء عمله في الدنيا كما أراد.

ومن هذا الصنف من لايؤمن بالله والحياة الآخرة كما أخبر الله عنهم وقال سبحانه:

أ ـ في سورة الأعراف:

﴿وَٱلّذينَ كَذّبُوا بآياتِنَا وَلِقاءِ الآخرةِ حَبِطت أعمالُهم هَل يُجزَونَ إلاّ ما كانوا يَعمَلون﴾ (الآية ١٤٧).

ب ـ في سورة التوبة:

﴿ما كانَ لِلمشركينَ أن يَعمُروا مَساجِدَ ٱللّهِ شاهِدينَ علىٰ أنفسِهم بِالكُفرِ أُولئِكَ حَبِطت أعمالهم وَفي النّارِ هُم خالِدون* إنّما يَعمُرُ مَساجدَ ٱللّهِ مَن آمنَ بِاللّهِ وَٱليومِ ٱلآخرِ وَأقامَ الصَّلاةَ وَآتىٰ ٱلزكاةَ وَلَم يَخشَ إلاّ الله فَعَسىٰ أولئك أن يكونوا مِن المُهتَدين﴾ (الآيتان ١٧ و١٨).

ج ـ في سورة البقرة:

﴿...وَمَن يَرتَدِدْ مِنكُم عَن دِينهِ فَيَمُتْ وَهُو كافِرٌ فَأولٰئكَ حَبِطت أعمالُهُم في الدُّنيا وَٱلآخرةِ وأولٰئكَ أصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدون﴾ (الآية ٢١٧).

د ـ في سورة محمّد (ص):

﴿إنَّ ٱلّذينَ كَفَروا وَصَدّوا عَن سَبيلَ ٱللّهِ وَشاقّوا ٱلرَّسولَ مِن بَعدِ ما تَبيَّنَ

لَهُم ٱلهدىٰ لَن يَضرّوا ٱللّهَ شيئاً وَسَيُحبِطُ أعمالَهم* يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا أطيعوا ٱللّهَ وَأطيعُوا ٱلرَّسولَ وَلا تُبطِلُوا أعمالَكُم﴾ (الآيتان ٣٢ و ٣٣).

ولايقتصر حبط الاعمال على الكافرين بل يشمل المسلمين ـ أيضاً ـ للأسباب التي ذكرها الله وقال سبحانه:

أ ـ في سورة الحجرات:

﴿يا أيُّها ٱلَّذينَ آمنوا لاتَرفَعوا أصواتَكم فوقَ صَوتِ ٱلنَّبيِّ وَلا تَجهَروا لَهُ بالقَولِ كَجَهرِ بَعضِكُم لِبَعضٍ أن تَحبَطَ أعمالكم وَأنتم لاتَشعُرون﴾ (الآية ٢).

ب ـ في سورة البقرة:

﴿يا أيُّها ٱلَّذينَ آمَنوا لاتُبطِلوا صَدَقاتكم بِالمَنِّ وَالأذىٰ كالَّذي يُنفقُ مالَه رِئاءَ النَّاس...﴾ (الآية ٢٦٤).

وجاء في الأحاديث ذكر كثير من أسباب حبط الأعمال، مثل ما رواه الصدوق في ثواب الأعمال عن رسول الله (ص)، أنّه قال:

«مَنْ قالَ: (سُبْحانَ اللّهِ) غَرَس الله لَهُ بها شَجَرَةً في الجَنَّة، وَمَنْ قالَ: (الحَمْدُ للّهِ) غَرَسَ اللّهُ لَهُ بها شَجَرَةً في الجَنَّةِ، وَمَنْ قالَ: (لاإلهَ إلاّ اللّهُ) غَرَسَ الله لَهُ بها شَجَرَةً في الجَنَّةِ، وَمَنْ قال: (اللّهُ أكْبَر) غَرَسَ اللّهُ لَهُ بها شَجَرَةً في الجَنَّةِ، فَقالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيش: يارَسُولَ اللّهِ إنَّ شَجَرَنا في الجَنَّةِ لَكَثيرٌ، قالَ: نَعَمْ، وَلٰكِنْ إيّاكُمْ أنْ تُرسِلُوا عَلَيها نيراناً فَتُحْرِقُوها، وَذٰلِكَ أنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿ياأيُّها الَّذين آمَنوا أطيعوا اللّهَ وأطِيعوا الرَّسولَ وَلا تُبطِلُوا أعمالَكُم﴾ »[1].

وروىٰ مسلم وغيره واللّفظ لمسلم عن رسول الله (ص)، أنّه قال:

أ ـ «إنَّ فرطكم عليّ الحوض، من ورد شَرِبَ، ومن شَرِبَ لم يظمأ بعد،

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) ط. طهران، ترجمة غفاري ص٣٢، والآية ٣٣ من سورة (محمد).

وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم».

وفي رواية فيقول ـ الرسول ـ: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لاتدري ما عملوا بعدك».

وفي رواية أخرىٰ أنّه قال:

«ليردَنّ عليّ الحوض رجال ممنّ صاحبني حتّىٰ إذا رأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولَن أي ربّ أصحابي أصحابي، فيقالنّ لي: إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

وفي حديث رسول الله (ص):

«إنّ المُرائي يُدعىٰ به يوم القيامة بأربعة أسماء: ياكافر! يافاجر! ياغادر! ياخاسر! حَبط عملك، وبطل أجرك ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك مِمَّنْ كنت تعمل له»[٣].

الخلاق: الحظ والنصيب من الخير.

* * *

خلاصة البحث:

ذكرنا إلىٰ هنا أمثلة ممّا يجزي ربّ العالمين صنف الإنسان من الخلق بآثار عمله. وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالىٰ مشاركة الجنّ للإنس في ما يتلقّاه من ربّ العالمين في جزاء عمله.

---

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الحديث ٢٦ و٢٧ و٢٨ و٣٢ و٤٠.

(٣) البحار (٧٢/ ٢٩٥) عن أمالي الصدوق ٣٤٦.

(١٣)

مشاركة الجنّ للإنس في جزاء الأعمال يوم القيامة

الجنّ

قد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عمّا جزىٰ الشيطان بتمرّده علىٰ أمره وعدم سجوده لآدم في الدنيا، وأخبرنا عن مآل أمرهم يوم القيامة:

أ ـ في سورة الأنعام بقوله تعالى:

﴿وَيَومَ يَحشُرُهُم جَميعاً يامَعشرَ الجنّ قَدِ استَكثَرتُم مِنَ الإنس ...﴾.

﴿يامَعشــرَ الجنّ والإنسِ ألم يأتِكُم رُســلٌ مِنكم يَقصُّــونَ عَليكم آياتي وَيُنذِرونَكم لِقاءَ يَومِكم هٰذا قالوا شَهِدنَا علىٰ أنفُسِنا وَغَرَّتهُم الحَياةُ الدُّنيا وَشَهِدوا عَلىٰ أنفسهِم أنّهم كانوا كافرين﴾ (الآيات ١٢٨ ـ ١٣٠).

ب ـ في سورة الجنّ في حكاية وصف الجنّ لقومهم، بقوله تعالىٰ:

﴿وَأنّا مِنّا المُسلمونَ وَمِنّا القاسِطونَ فَمَن أسلَمَ فَأولئكَ تَحرّوا رَشَداً* وأمّا القاسِطونَ فكانوا لِجَهنّمَ حَطباً﴾ (الآيتان ١٤ و ١٥).

ج ـ في سورة الأعراف بقوله تعالىٰ:

﴿قالَ ادخُلُوا في أُمَمٍ قَد خَلَت مِن قَبلِكم مِنَ الجِنّ وَالإنسِ في النّارِ كُلّما دَخَلت أُمّةٌ لَعَنت أُختَها حَتّىٰ إذا ادّارَكوا فِيها جَميعاً قالت أُخراهُم لأولاهُم رَبّنا هؤُلاءِ أضلّونا فآتِهِم عَذاباً ضِعفاً مِنَ النّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعفٌ وَلٰكِن لاتَعلَمون* وَقالت أولاهُم لأخرَاهم فَما كانَ لَكُم عَلَينا مِن فَضلٍ فَذُوقوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكسِبُون﴾ (الآيتان ٣٨ و ٣٩).

د ـ في سورة هود:

﴿...وَتَمّت كَلِمةُ رَبّكَ لأملأنّ جهنّمَ مِنَ الجِنّةِ وَالنّاسِ أجمعين﴾ (الآية ١١٩).

كان ذلكم ماجاء في القرآن الكريم من أمر مجازاة الله للجنّ بأعمالهم في الدنيا والآخرة، ولم يأتِ تفصيل شأنهم يوم القيامة كما جاء شأن الإنس يوم الجزاء.

خلاصة البحث:

كما أنّ الإنسان يحصد ما عمله في زرع القمح والشعير وسائر الحبوبات والخضروات بعد شهور، ويجني ثمر عمله في غرس أنواع الأشجار بعد سنوات ثمّ يتناول رزقه من نتائج أعماله تلك مع ذلك بقوله تعالى:

أ ـ ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّه...﴾ (المائدة ٨٨، والنحل ١١٤).

ب ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا اللَّه...﴾ (البقرة ٧٢).

ج ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾ (الإسراء ٣١).

وذلك لأنّ مثل الإنسان في ذلك كلّه مثل إنسان يدخل مطعم (سلف سرويس) إخدم نفسك بنفسك، فإنّ المضيف في مثل هذا المطعم يطعم ضيفه ويرزقه من أنواع الطعام ما يختاره الضيف لنفسه بكامل حرّيته وانّ الضيف لايأكل شيئاً ما لم يتّخذ لنفسه ممّا أعدّه المضيف من الأواني والملاعق ولم يتقدّم بنفسه إلى الموائد ولم يأخذ منها ما يشتهيه وتقع التبعة عليه إذا أضرّ نفسه بالإسراف في الأكل أو أكل ما يضرّه، وكذلك شأن الإنسان في ما يجتنيه من آثار عمله المعنوية، فإنّه يستوفي آثار عمله عاجلاً في الحياة الدنيا دون الآخرة: مثل آثار صلة الرّحم للإنسان الكافر، أو آجلاً بعد الموت: مثل آثار الإستشهاد للمؤمن، أو يستوفيها عاجلاً وآجلاً معاً: مثل آثار عمل صلة الرّحم التي يستوفي الإنسان المؤمن آثارها في الدنيا والآخرة.

وبناء علىٰ ما ذكرنا يستوفي الإنسان قيمة عمله الحسن المعنوي كما يستوفي قيمة عمله الحسن المادّي عاجلاً أو آجلاً أو عاجلاً وآجلاً معاً، وكذلك الشأن في أخذ الإنسان قيمة عمله السيّئ.

وإن استحقاق بعض الاناسي للشفاعة يوم القيامة، وإذن الربّ لآخرين بالشفاعة - أيضاً - تحصّلات لكلّ منهما نتيجة لعمل قام به كل منهما في الدنيا.

وكذلك حبط بعض أعمال الاناسي يوم القيامة تكون نتيجة لبعض أعمالهم في الدنيا وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلاّ مَا سَعَىٰ﴾.

وقد أخبر القرآن أنّ صنف الجن - أيضاً - كالإُنس يستوفون جزاء عملهم في الحياة الآخرة.

وإنّ كلّ ما ذكرناه يجري وفق تقدير حكيم لربّ العالمين، وهي جميعاً بعض صفات ربّ العالمين، وسندرس بحوله تعالىٰ صفات أُخرىٰ لربّ العالمين.

(١٤)
من صفات ربّ العالمين وأسمائه

أوّلاً ـ ذو العرش وربُّ العرش.

ثانياً ـ الرّحمٰن.

ثالثاً ـ الرّحيم.

رابعاً ـ الإسم.

صِفاتُ ربِّ العالمين وأسماؤه

في القرآنِ الكريم صفات خاصّة بالله مِنها ماتظهر آثارها في الدنيا، ومنها ما تظهر آثارها في الآخرة، ومنها ما تظهر آثارها فيهما معاً، وندرس منها في ما يأتي: رَبِّ العرشِ = ذو العرش والرّحمن والرّحيم بِإذنِهِ تعالى ونقول:

أوّلاً ـ ذو العَرشِ ورَبُّ العرش:

ممّا جاء فيه ذكر عرش الله في القرآن الكريم المواضع التالية:

أ ـ في سورة هود:

﴿وَهُوَ الَّذي خلق السّمٰواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيامٍ وكانَ عرشُهُ علىٰ ٱلماءِ لِيَبلُوَكُم أيُّكُم أحسَنُ عَملاً...﴾ (الآية ٧).

ب ـ في سورة يونس:

﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذي خَلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيّامٍ ثُمَّ استَوى علىٰ العَرشِ يُدَبِّرُ الأمرَ...﴾ (الآية ٣).

ج ـ في سورة الفرقان:

﴿الذي خلق السّمٰواتِ والأرضَ وَما بينهما في سِتّةِ أيّامٍ ثُمَّ استَوىٰ عَلىٰ العَرشِ الرَّحمانُ فَسْئَلْ بِهِ خَبيراً﴾[1] (الآية ٥٩).

---

(١) ورد نظيرها في سورة الأعراف (٥٤) والحديد (٤) والسجدة (٥).

د ـ في سورة غافر:

﴿...ٱلَّـذينَ يَحملونَ العَرشَ ومَن حَولهُ يُسبحونَ بحَمْدِ رَبِّهم وَيُؤمنونَ بِهِ ويَستغفرونَ لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رحمَةً وعِلْماً فَٱغفِرْ لِلَّذينَ تابُوا وٱتَّبَعوا سَبيلكَ وقِهِم عَذابَ الجَحِيم﴾ (الآية ٧).

هـ ـ في سورة الزمر:

﴿وتَـرىٰ المَلائِكَةَ حافِّينَ مِن حَولِ العَرشِ يُسبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهم وقُضِيَ بَينَهُم بِالحقِّ وقِيلَ الحَمْدُ للّهِ رَبِّ العالمين﴾ (الآية ٧٥).

و ـ في سورة الحاقّة:

﴿ويَحْمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فوقهم يَومئذٍ ثَمانِية﴾ (الآية ١٧)

ثانياً ـ الرّحمٰن:

قال سبحانه:

أ ـ في سورة طه:

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحمٰنُ﴾ (الآية ٩٠).

ب ـ في سورة الأنبياء:

﴿وَرَبُّنا الرَّحمٰن﴾ (الآية ١١٢).

ج ـ في سورة النبأ:

﴿رَبُّ السمٰواتِ والأرض وَما بينهما الرَّحمٰن﴾ (الآية ٣٧).

ثالثاً ـ الرّحيم:

أ ـ قال سبحانه في سورة (يس):

﴿سَلامٌ قولاً مِنْ ربٍّ رَحيم﴾ (الآية ٥٨).

ب ـ في سورة الشعراء:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيم﴾ (الآيات ٩ و ٦٨ و ١٠٤ و ١٢٢ و ١٤٠ و ١٥٩ و ١٧٥ و ١٩١).

ج ـ وجاء الإسمان كلاهما جميعاً في سورة الفاتحة في قوله تعالى:

﴿... ربِّ العالَمِينَ * الرَّحمٰنِ الرَّحِيم﴾ (الآيتان ٢ و ٣).

شرح الكلمات

أ ـ العَرْش:

العرش، في اللّغة شيء مُسَقَّف، وجمعه عروش، وسمّي مجلس السلطان: عَرشاً، اعتباراً بعلوّه، وكُنّي به عن العِزّ، والسُّلطانِ، والمملكة، في لسان العرب: ثلّ اللّهُ عَرْشَهُمْ أيْ هَدَمَ مُلْكَهُمْ[٢].

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثُلَّتْ عروشهم وأودتْ كما أودت إيادٌ وحِمْيَرَ

أراد إذا مابنو مروان هلك ملكهم وبادوا[٣].

ب ـ استوىٰ:

جاء في مادّة (سوىٰ) بكلّ من:

أ) كتاب (التحقيق في كلمات القرآن)[٤]:

الإستواء يختلف باختلاف المواضع، ففي كل موضع بحسبه وعلىٰ ما يقتضيه.

---

(٢) مادة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط ومادة ثَلّ من لسان العرب.

(٣) البحار (٧/٥٨).

(٤) كتاب التحقيق في كلمات القرآن: تأليف الأُستاذ حسن المصطفوي، ط. طهران ١٤٠٠هـ.

ب) مفردات الراغب:

استوىٰ فلان علىٰ عمالته، واستوى أمر فلان، ومتىٰ عُدِّيَ بعلىٰ اقتضىٰ معنىٰ الاستيلاء كقوله:

﴿الرحمٰنُ عَلىٰ العَرْشِ استَوىٰ﴾ (طه/٥).

ج) المعجم الوسيط:

يقال استوىٰ على سرير المُلك، أو على العرش: تولّىٰ المُلك.

كما قال الأخطل في مدح بشر بن مروان الأموي:

قد استـوىٰ بِشـرٌ علىٰ العراق   من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق[٥]

---

(٥) بشر بن مروان، أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وواليه على العراق سنة: ٧٤ هجرية، توفّي في البصرة.

راجع ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر.

وذكر شعره:

القاضي عبدالجبار في كتاب: تنزيه القرآن، ط. القاهرة ١٣٢٩هـ ص: ١٥٧ و١٥٩.

وعبدالرحمن الأيجي (ت: ٧٥٦هـ) في كتابه: المواقف، ط. القاهرة ١٣٥٧هـ ص: ٢٩٧، وفيه ورد: عمرو بدل بشر.

ثانياً وثالثاً ـ الرّحمٰن الرّحيم

جاء في معاجم اللغة: رَحِمَهُ رَحْماً ورُحْماً ورحمةً ومَرحَمةً: رقّ له قلبه.

قال الراغب ما موجزه:

الـرّحمة: رقّة تقتضي الإحسان الىٰ المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرقّة المجرّدة وَتارةً في الإحسان المجرّد عن الرقّة نحو رحم الله فلاناً. واذا وصف به الباري فليس يراد به إلاّ الإحسان المجرّد دون الرقّة، وعلىٰ هذا رُوي أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقّة وتعطّف... والرّحمٰن والرّحيم مثل ندمان ونديم.

ولايطلق الرحمٰن إلاّ علىٰ الله تعالىٰ من حيث إنّ معناه لايَصحُّ إلاّ له، إذ هو الذي وسع كلّ شيءٍ رحمةً.

والرّحيم يستعمل فيه وفي غيره، وهو الذي كثرت رَحمتُه، قال تعالى: ﴿إنّ الله غَفُورٌ رحيم﴾، وقال في صفة النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم في سورة التوبة:

﴿لَـقَــدْ جاءَكُم رَسُــولٌ مِنْ أنفُسِكُم عَزيزٌ عليه ماعَنِتُّم حَريصٌ عليكُم بِالمؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحيم﴾ (الآية ١٢٨).

وقيل إنّ الله تعالىٰ هو رَحمٰنُ الدُّنيا ورَحيمُ الآخرة، وذلك أنّ إحسانَهُ في الدُّنيا يَعمّ المؤمنينَ والكافِرينَ، وفي الآخرةِ يختصّ بالمؤمنين، وعلىٰ هذا قال في سورة الأعراف:

﴿ورَحمَتي وسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأكتُبُها للّذينَ يَتّقون...﴾ (الآية ١٥٦).

تنبيهاً أنّها في الدُّنيا للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين.

وفي تاج العروس ما موجزه:

الرّحمن اسم خاصّ بالله لايسمّى به غيره، لأنّ رحمته تشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرِّزق والنّفع، والرّحيم اسم عام لجميع من اتّصف بالرّحمة. قال: (وهذا معنىٰ قول جعفر الصادق(ع): الرّحمٰن اسمٌ خاصٌّ لصفةٍ عامّةٍ، والرّحيمُ اسمٌ عامٌّ لصفةٍ خاصّةٍ) وَيؤيّدٌ ما ذَكروامجيء الرّحيم في القرآن الكَريم قَريناً بالغَفورِ وبالبرِّ والرؤوف والوَدود والتوّاب في سبعةٍ وأربعينَ مورداً[٦].

وجـاء الرّحمنُ في سورة الرّحمن اِسماً وصفة لمن أنعم علىٰ الإنسان بعد خلقه وتعليمه البيان بنعمةِ الهدايةِ بالقرآن، وخلق الأرض لمنفعته مع مافيها من فاكهة ونخل وحبّ وريحان ثم قال مخاطباً الثقلين: ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ﴾، وبعد الإشارة إلى بعض آلائه في الدنيا ذكر بعض آلائه في الآخرة بقوله: ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتان﴾ الىٰ آخر السورة حيث ختم السورة بقوله تعالى: ﴿تَبارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذي الجَلالِ والإكرام﴾

تفسير الآيات

بعد أن عرفنا أنّ (العرش) كنّي به في لغة العرب عن السلطان والمملكة وأنّ (استوى) متى عُدّيَ بعلىٰ اقتضىٰ معنىٰ الاستيلاء، وأنّه يقال: استوىٰ علىٰ سرير الملك أو علىٰ العرش تولّىٰ الملك، وراجعنا الموارد السبعة التي جاء فيها ذكر الاستواء على العرش عُدّي جميعها بعلىٰ وانّه جاء في سورة يونس الآية (٣): ﴿استوى على العرش يدبّر الأمر﴾، وفي سورة السجدة الآية ٤ و٥ ﴿ثُمَّ استَوىٰ عَلىٰ العَرْشِ ... * يُدَبِّرُ الأمرَ﴾، وفي سورة الرعد الآية (٢) ﴿ثُمَّ استَوىٰ

---

(٦) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادّة (رحم).

عَلىٰ العَرْشِ ... يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ حيث جاء التصريح فيها بأنّه استوى على العرش يدبّر الأمر في ملكه، وفي سورة الأعراف الآية (٥٤) ذكر فعل التدبير في قوله تعالى: ﴿استَوىٰ عَلىٰ العَرشِ يُغشي اللَّيْلَ النَّهارَ﴾، وفي سورة الحديد الآية (٤) كنّىٰ عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿استَوىٰ على العرشِ يَعلمُ مايَلِجُ في الأَرضِ ...﴾ فهو عالم بكلّ مايجري في ملكه.

ومن هنا نعرف أنَّ معنى قوله تعالى في سورة الفرقان الآية (٥٩) ﴿ثمّ استَوىٰ علىٰ العَرْشِ الرحمٰن﴾ أنّه يعامِلُ مَنْ في ملكه بما تقتضيه رحمته، واكّد ذلك في قوله تعالى في سورة طه الآية (٥): ﴿الرَّحمٰنُ علىٰ العَرْشِ استَوىٰ﴾.

وبناءً على ذلك يكون معنى قوله تعالى في سورة هود الآية (٧) ﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ في سَبعَةِ أيّامٍ وَكانَ عَرشُهُ علىٰ الماءِ﴾ أنّه لم يكن في ملكه قبل خلق السمٰوات والأرض غير الماء الذي هو أعلم بحقيقته.

ويكون المقصود من قوله تعالى ﴿الَّذينَ يَحملونَ العَرشَ﴾ في سورة غافر الآية (٧) الملائكة الذين جعل منهم رسلاً[٧] وجعل منهم من يمدّ بهم الأنبياء، ومن ينزلون بالعذاب على من استحقوا العذاب من الأمم[٨]، مثل قوم لوط، ومنهم من يتوفّون الأنفس، الى غير ذلك من أعمال تقتضيها ربوبية الله تعالىٰ في عالمنا هذا.

ويكـون المقصود مِنْ قوله تعالى في سورة الحاقة الآية (١٧): ﴿وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فوقهم يَومئذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ أنّ الملائكة الذين يُنَفِّذُونَ أوامر الربوبية يوم القيامة ثمانية أصناف.

---

(٧) راجع سورة الحج الآية (٧٥) وسورة فاطر الآية (١).

(٨) راجع سورة الأنفال (٩) وينزل معهم العذاب على الكافرين.

رابعاً ـ الإسم:

جاء الإسم في هذا الباب بمعنى صفات الشيء وخواصّه المبيِّنة لحقيقته.

وبناءً على ذلك فإن قوله تعالى: ﴿علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها﴾ أي علّمه خواصّ الأشياء كلّها والعلوم كلّها ما عدا علم الغيب الذي لايشارك الله فيه أحدٌ إلاّ مَنْ خصّه الله بتعليمه ماشاء من أنباء الغيب.

ومعنى: ﴿وَهُوَ الذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتأكُلُوا مِنهُ لحماً طَرِيّاً وتَستَخرِجوا مِنهُ حِلْيَةً تلبَسُونَها وتَرىٰ الفُلْكَ مَواخِرَ فيه﴾ (النحل ١٤) أنه سخر البحر لنا لننتفع منه وهو من مواضع تعليم آدم(ع)، كما أنّ معنىٰ ماذكره الله قبل هذه وقال:

﴿والأنعام خلقها لَكُم فيها دفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنها تأكُلونَ * وَلَكُم فيها جَمالٌ حينَ تُريحونَ وَحينَ تَسْرَحونَ * وَتَحْمِلُ أثقالَكُم إلىٰ بَلَدٍ لَم تَكونُوا بالِغيهِ إلاّ بِشِقِّ الأنْفُس إنَّ رَبَّكم لَرَؤوفٌ رَحيم * والخَيلَ والبِغالَ والحَميرَ لِتَركَبوها وَزِينَةً...﴾ (الآيات ٥ ـ ٨).

أنّه سخّرها لنا وعلّمنا كيف ننتفع منها للأكل والدفء والركوب وحمل الأثقال.

وقال في سورة الزخرف:

﴿والّذي خلق الأزواجَ كُلَّها وجعل لَكُم مِنَ الفُلْكِ وَالأنعامِ ماتَركَبون* لِتَستَووا عَلىٰ ظُهورِه ثُمَّ تَذكروا نِعمةَ رَبِّكم إذا آستَويتُم عليه وتَقُولوا سُبحانَ الذي سَخَّر لَنا هذا وما كُنّا لَهُ مُقرنِين﴾ (الآيتان ١٢ـ١٣).

فكما أنّه هو الذي علّمنا أن ننتفع ممّا ذكره في هذه الآيات وسخّرهُ لنا بمقتضىٰ ربو بيته، كذلك فانّه هو الذي أوحىٰ الىٰ النحل ـ أي ألهمها ـ أن تتّخذ من الجبال بيوتاً وتجرس من الزهر النّور وتعمل العسل، وهو الذي سخّر البحر للاسماك وعلّمها غريزياً كيف تنتفع منه، وهكذا سخّر برحمته الواسعة لكلّ

واحـد من خلقـه ما يحتاج من سائر ما خلق، وعلَّمه خواصَّ الأشياء التي يحتـاجهـا. وبعبارة أُخرى علَّم النحل أسماء ما يحتاجه لإدامة حياته، وعلَّم الحيتان أسماء ما تحتاجه لإدامة حياتها وسخَّرهُ لها.

أمّـا الإنسان الذي قال الله تعالىٰ عنه عنـدما أتمّ خلقـه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ فقد علَّمه الأسماء كلَّها وقال تعالى في سورة الجاثية:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ جَميعا﴾ (الآية ١٣).

وقال في سورة لقمان:

﴿أَلَم تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ما في السَمٰواتِ وما في الأرض﴾ (الآية ٢٠).

وبنـاءً علىٰ ذلـك فإنّ الربَّ الرحمٰن قد هدى كل صنف من خلقه إلىٰ الانتفاع بما يحتاجه من سائر الخلق، وجعل الخلق الذي يحتاجه هذا الصنف سخريّاً له وذلك بتعليمه تكوينيّاً بما وهبه من عقل خواصَّ جميع الأشياء إذا سعىٰ وجاهد في تعلُّمها، وسخَّر له جميع المخلوقات ليتّخذها سخريّاً له. فإذا سعىٰ جاهداً لتعلُّم خواصّ الذرّة، تعلَّم خواصَّها، ولمّا كانت ممّا سُخِّر للإنسان فقد استطاع أن يفلقها ويستعملها في تحقيق أهدافه. كما علَّمه خواصَّ النارِ والكهـرباء وغيرهما من العلوم الفيزيائية والكيميائية، وسخَّرها له ليصنع من أصناف الفلزّات سفينةً فضائيّةً يمتطيها من جانب من الارض إلى جانب آخر.

ولمّا كان هذا الإنسان بحاجةٍ إلىٰ من يهديه كيف ينتفع بما سخَّر له من الخلق ولايستعمل ما علّمه وما سخّره له في ما يضرُّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل فقد أرسل الربُّ الرحمٰنُ الأنبياءَ كي يهدوه كيف يعمل في ما علَّمه وسخّره له.

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ من آثار رحمة الربِّ الرّحمان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس، وجاء بيان ذلك في سورةالرحمٰن مع تفسير لفظ الرحمٰن

وجملة: ﴿الرحمٰنُ علىٰ العَرشِ استَوىٰ﴾ حيث قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الرحمٰن:

﴿الرَّحمٰنُ* عَلَّمَ القُرآن﴾.

﴿خَلَقَ الإِنْسانَ* علَّمَهُ البَيان﴾.

إذاً فإن من آثار رحمة الرحمٰن للإنسان تعليمه القرآن خاصّة والبيان عامة.

﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السَمٰواتِ والأرضِ إلاّ آتي الرحمٰنِ عَبْداً﴾ (مريم ٩٣).

﴿الشَمْسُ وَالقمرُ بِحُسبان* وَالنجمُ والشجَرُ يَسجُدان﴾.

﴿والسماءَ رَفَعَها ـ الربُّ الرحمٰنُ ـ ووضع الميزان﴾.

﴿... وَالأرضَ وَضعها لِلأنام﴾. للانسان.

﴿فيها فاكِهَةٌ والنَخلُ ذاتُ الأكمام* والحَبُّ ذو العَصفِ والرّيحان* فَبأيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان﴾ إلىٰ قوله في آخر السورةَ ﴿تَبارَكَ اَسْمُ رَبِّكَ ذي الجَلالِ والإِكْرام﴾.

وإنّ الربَّ هو الذي:

﴿يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ ويَقْدِر﴾ (سبأ ٣٦ و ٣٩).

وكـلّ ما ذكر من آثار رحمة الرب في الدنيا تعمُّ الناس أجمعين مؤمنين وكافرين. وبناءً علىٰ ما ذكرناه فالرحمٰن من صفات الربِّ في الدنيا، وهي تعمُّ الخلائق أجمعين، ثمّ الناس مؤمنين وكافرين.

ولمّا كان الربُّ يهدي الناس بوسيلة الوحي الى الرسل فإنّ القرآن يسند الوحي إلى الربّ ويقول:

﴿... ذلكَ مّمَا أوحىٰ إليك رَبُّكَ مِنَ الحِكمَة﴾ (الإسراء ٣٩).

﴿إتَّبِعْ ما أُوحِيَ إليك مِنْ رَبِّك﴾ (الأنعام ١٠٦).

وكـذلـك يسنـد إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الرب، كما أخبر عن

هود (ع) أنه قال لقومه:

﴿ياقَوْمِ لَيْسَ بي سَفاهَةٌ وَلٰكنّي رَسُول مِنْ رَبِّ العالَمينَ* أُبَلِّغُكُم رِسالاتِ رَبّي...﴾ (الأعراف ٦٧ ـ ٦٨).

وعن نوح أنّه قال لقومه:

﴿ياقوم لَيسَ بي ضَلالةٌ وَلٰكنّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالمينَ* أُبَلِّغُكم رِسالاتِ رَبّي...﴾ (الأعراف ٦٠ ـ ٦١).

وعن موسىٰ (ع) أنّه قال لفرعون:

﴿يافِرعَونُ إنّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالَمينَ﴾ (الأعراف ١٠٤).

وفي إنزال الكتب يقول:

﴿واَتلُ ما أُوحِيَ إليك مِنْ كِتابِ رَبِّك﴾ (الكهف ٢٧).

﴿تَنزيلُ الكِتاب لا رَيبَ فيهِ مِنْ رَبِّ العالَمين﴾ (السجدة ٢).

﴿إنَّهُ لَقُرآنٌ كَريمٌ* ...تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمين﴾ (الواقعة ٧٧ و ٨٠).

ويسند الأمر إلى الربّ، قال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسطِ، وَأَقيموا وُجوهَكم عند كُلِّ مَسجِد﴾ (الأعراف ٢٩).

ومن ثمّ تكون الطاعة لأوامر الرب.

كما أخبر الله تعالى عن خاتم الأنبياء والمؤمنين وقال:

﴿آمَنَ الرسولُ بِما أُنزِلَ إليه مِنْ رَبِّهِ والمؤمِنون... قالُوا سَمِعْنا وَأطعنا غُفرانَكَ رَبَّنا...﴾ (البقرة ٢٨٥).

ولمّا كانت الرسل هي التي تبلّغ أوامر الربّ فقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتهم وقال:

﴿أطيعوا الرَّسُولَ ولا تُبْطِلُوا أعْمالَكُم﴾ (محمّد ٣٣).

وكذلك تكون المعصية معصيةً لأوامر الربّ كما قال سبحانه:

﴿فَسَجدوا إلاّ إبليسَ كانَ مِنَ الجنّ ففسق عن أمرِ رَبِّه﴾ (الكهف ٥٠).

وقال عزّ من قائل:

﴿فَعَقَروا الناقَةَ وَعَتَوا عَن أمرِ رَبِّهم﴾ (الأعراف ٧٧).

وأحيانا يسقط لفظ الأمر كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّه فَغَوىٰ﴾ (طه ١٢١).

ولمّا كانت الرسل تبلّغ أوامر الرب فإنّ معصيتهم تعتبر معصية للرب كما أخبر الله عن فرعون وقومه ومن كان قبلهم، وقال:

﴿فَعَصَوا رَسولَ رَبِّهم﴾ (الحاقة ١٠).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر رَبَّه فيتوب عليه كما أخبر عن ذلك سبحانه وقال:

﴿الَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا آمنّا فاَغفِر لَنا ذُنوبَنا﴾ (آل عمران ١٦)

﴿وَما كانَ قَولَهُم إلاّ أنْ قالُوا رَبَّنا اَغفِرْ لَنا ذُنوبَنا﴾ (آل عمران ١٤٧).

﴿رَبَّنا اَغفِر لَنا ذُنوبَنا وَكَفِّر عَنّا سَيِّئاتِنا﴾ (آل عمران ١٩٣).

وقال في سورة القصص يحكي عن موسىٰ أنه قال:

﴿... رَبِّ إنّي ظَلَمتُ نَفسي فاَغفِر لي فَغَفَرَ لَه﴾ (الآية ١٦).

ومن ثمّ فإنّ من صفات الربّ: ألغفور والغفار كما قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف:

﴿وَالَّذينَ عَمِلوا السيِّئاتِ ثُمّ تابوا مِنْ بَعدِها وَآمَنوا إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها لَغَفورٌ رَحيم﴾ (الآية ١٥٣).

وحكىٰ في سورة نوح (ع) أنّه قال لقومه:

﴿فَقُلتُ أستَغفِروا رَبَّكم إنَّه كانَ غَفّارا﴾ (الآية ١٠).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

﴿فَتلقّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كلماتٍ فَتابَ عليه إنَّهُ هُوَ التَوّابُ الرَّحيم﴾ (الآية ٣٧).

أمّا من لم يستدرك المعصية بالتوبة فإنّ الربَّ سيجازيه على عمله كما قال

سبحانه وتعالى في سورة البيِّنة:

﴿إنَّ الّـذينَ كَفَروا... في نارِ جَهنَّم... إنَّ الّذينَ آمنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ... جَزاؤهُم عند رَبِّهم جَنّاتُ عَدْنٍ... ذٰلِكَ لِمَن خَشيَ رَبَّه﴾ (الآيات ٦ ـ ٨).

وجزاء الربّ للأعمال قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون في كليهما، ويسند القرآن جميعها إلى الرب، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ:

﴿لَقَدْ كانَ لِسَبَأٍ في مَسْكَنِهِم آيةٌ جَنّتانِ عن يَمينٍ وشِمالٍ كُلوا مِنْ رِزقِ رَبِّكُم واشكُروا لَهُ بَلدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غفورٌ* فَأعرَضوا فَأرسَلنا عليهِم سَيلَ العَرِم وَبَدَّلناهُم بِجَنّتيهِم جنّتينِ ذَواتَي أُكُلٍ خَمطٍ وَأثْلٍ وَشَيءٍ مِن سِدْرٍ قَليل* ذٰلِكَ جَزَيناهُم بِما كَفَروا وَهَل نُجازي إلاّ الكَفور﴾ (الآيات ١٥ ـ ١٧).

وأمّا الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب الى الربّ ويقول في سورة الحجر:

﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحشرهُم﴾ (الآية ٢٥).

وقال سبحانه في سورة الأنعام:

﴿ما فرَّطْنا في الكِتابِ مِنِ شَيءٍ ثُمَّ إلىٰ رَبِّهِم يُحشَرون﴾ (الآية ٣٨).

وقال سبحانه وتعالىٰ في سورة الشعراء:

﴿إنْ حِسابُهُم إلاّ عَلىٰ رَبّي لَو تَشعُرون﴾ (الآية ١١٣).

وبعد الحساب إمّا ان يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله، كما قال سبحانه وتعالى في سورة مريم:

﴿يَومَ نَحشُرُ المُتَّقينَ إلىٰ الرَّحمٰنِ وَفْدا﴾ (الآية ٨٥).

وتختص رحمة الربّ يومئذٍ بالمؤمنين ولذلك يسمّىٰ: (الرّحيم) ويأتي (الرّحيم) في الذّكر بعد (الرّحمٰن) كما قال سبحانه:

﴿الحَمدُ للّهِ رَبِّ العالَمين* الرَّحمٰنِ الرَّحيم﴾ (الفاتحة ٢ ـ ٣).

لأنّ فعل الرحمٰن يعمُّ مَنْ في هذا العالم وما فيه وفعل الرحيم يخصُّ المؤمنين يوم القيامة. وإن لم يكن من المؤمنين وحقّت عليه كلمة العذاب يوم القيامة؛ فقد اخبر الله سبحانه عن امره في سورة النبأ فقال:

﴿إنَّ جَهنَّمَ كانَت مِرصاداً* للطاغِينَ مَآباً*... جَزاءً وِفاقاً*... إنَّ لِلمتّقِينَ مَفازاً* حدائِقَ وَأعناباً*... جَزاءً من رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾ (الآيات ٢١ ـ ٣٦).

ومن ثَمّ يسمّىٰ الربُّ: (مالِكِ يوم الدِّين) كما قال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة:

﴿الحَمدُ للّهِ رَبِّ العالَمِينَ* الرّحمنِ الرّحيم* مالِكِ يَومِ الدّين﴾ (الآيات ٢ ـ ٤).

وبناءً على ما ذكرنا فإن الربَّ هو الرحمٰن وهو الرحيم وهو التوّاب وهو الغفّار وهو الرزّاق.

نتيجة البحث:

في سورة الأعلىٰ بيّن القرآن انّ ربَّ الخلق هو الذي خلقهم ثمّ سوّاهم أي هيّأهم لقبول الهداية ثمّ قدّر حياة كل واحد من الخلق ثمّ هداهم، وأخيراً ضرب مثلاً بمرعى الحيوان ممّا خلق وقال ما معناه أنّ الربَّ هو الذي أخرج مرعى الحيوانات وربّاه حتىٰ بلغ درجة كماله حيث جعله غثاء أحوىٰ نباتاً يابساً بعد أن كان شديد الخضرة، وفي سورة الرّحمٰن التي جاءت آياتها كلّها في وصف الربوبيّة بدأ بذكر جانب من صفة الربوبيّة مع صنف الانسان، حيث قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيَان﴾ أي هيّأه لقبول الهداية بوسيلة البيان.

في سورة العلق بيّن جانباً من صفات الربوبيّة مع صنف الإنسان، حيث قال: خلق الإنسان وعلّمه بالقلم أي هيّأه لقبول الهداية بوسيلة القلم.

وكلتاهما شرح لكلمة (فسوّىٰ) في سورة الأعلىٰ.

وفي سورة الشورىٰ والنساء وآل عمران فصل كيفيّة هداية الربّ للإنسان، وقال شرّع للإنسان الدِّين وأوحىٰ به في كتبه إلىٰ أنبيائه.

وفي سورة يونس والأعراف قال انّ ربكم هو الله الذي خلق السماوات والأرض وهداهما تسخيريّاً.

وفي سورة الأنعام بعد ذكره أنواع الخلق في الآيات: (٩٥ ـ ١٠١) قال في آية (١٠٢): ﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُم لا إله إلاّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شيءٍ فاعبُدوه...﴾.

صفات الربّ وأفعاله

للربّ في المصطلح القرآني صفات خاصّة به، ومنها ما تظهر آياتها في الدنيا ومنها ما تظهر آثارها في الآخرة، ومنها ما تظهر آثارها في الدنيا والآخرة، ومن تلكم الصّفات: الرّحمٰن، قال الله تعالىٰ في سورة طه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمٰنُ...﴾.

والرّحمٰن مشتقّ من الرحمة.

وقد وصف الله آثاره في الدنيا وقال في سورة طه:

﴿... خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمٰوٰاتِ العُلَىٰ* الرَّحمٰنُ على العَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ (الآيتان ٤ ـ ٥).

وقال تعالىٰ في سورة الفرقان:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ﴾ (الآية ٥٩).

إذاً فإنّ الرّحمٰن هو الذي استولىٰ على عرش القدرة يربّ العالمين أجمعين

إذاً فإنّ الرّحمٰن هو الذي استولىٰ على عرش القدرة يربّ العالمين أجمعين
برحمته الواسعة، ومن آثار رحمته هداية الخلق أجمعين إلى ما يبلغهم إلىٰ درجة الكمال في وجودهم تسخيرياً أو إلهامياً للحيوان وبواسطة العقل والوحي إلي الأنبياء وبيانه بحاجة إلى دراسة موسّعة لمعنىٰ (الإسم) و (التسخير) في ما جاء منها في القرآن الكريم.

سخّره يسخّره تسخيراً: فهو مسخّر.

سخّره: ذلّله وأخضعه وساقه إلىٰ غرض معيّن قهراً، والسُّخري: الذي يقهر فيتسخّر.

ب ـ الإسم:

جاء الإسم في هذا الباب بمعنىٰ صفات الشيء وخواصّه المبيّنة لحقيقته.

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ قوله تعالىٰ علّم آدم الأسماء كلّها أي علّمه خواص الأشياء كلّها والعلوم كلّها ما عدا علم الغيب الذي لايشارك الله فيها أحد إلاّ من خصّه الله بتعليمه ما شاء من أنباء الغيب.

ومعنىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ (النحل ١٤)، أي سخّر البحر لنا لننتفع منه وهو من مواضع تعليم آدم(ع) كما أنّ ما ذكره الله قبل هذه وقال: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُون* وَلَكُمْ فِيها جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُم إِلىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشَقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيم* وَالْخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَة...﴾ (الآيات ٥ ـ ٩)، أي سخّرها لنا وعلّمنا كيف ننتفع منها للأكل والدّفء والرّكوب وحمل الأثقال.

وقال في سورة الزخرف الآيتان/ ١٢ و١٣:

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّها وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ والأَنْعامِ مَا تَرْكَبُونَ* لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين﴾.

وكما علمنا أن ننتفع ممّا ذكرها في هذه الآيات وسخّرها لنا بمقتضىٰ ربوبيّته كذلك ربّنا هو الذي أوحىٰ إلى النحل ـ ألهمها ـ أن تتّخذ من الجبال بيوتاً وتجرس من الزهر النّوْر وتعمل العسل، وكذلك سخّر الربّ الرحمٰن البحر للأسماك وعلّمها غريزياً كيف تنتفع، وهكذا سخّر برحمته الواسعة لكل واحد من خلقه ما يحتاج من سائر ما خلق وعلمه خواص الأشياء التي يحتاجها، وبعبارة أُخرىٰ علّم النحل أسماء ما يحتاجه لإدامة حياته وعلّم الحيتان أسماء ما تحتاجها لإدامة حياتها وسخّرها لها.

أمّا الإنسان الذي قال تعالىٰ عندما أتمّ خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين

فقد علّمه الأسماء كلّها، وقال تعالىٰ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (الجاثية ١٣).

﴿أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (لقمان ٢٠).

وبناءً علىٰ ذلك فإنَّ الربَّ الرَّحمٰن هَدىٰ كل صنف من خلقه إلى الإنتفاع ممّا يحتاجه من سائر الخلق وجعل الخلق الذي يحتاجه هذا الصنف سخريّاً له.

أمّا الإنسان فقد علّمه تكوينيّاً بما وهبه من عقل، خواصّ جميع الأشياء إذا سعىٰ وجاهد في تعلّمها وسخّر له جميع الخلق ليتّخذها سخريّاً له فإذا سعىٰ جاهداً لتعلّم خواصّ الذرّة تعلّم خواصّها ولمّا كانت ممّا سخّرها للإنسان إستطاع أن يغلّتها ويستعملها في تحقيق أهدافه كما علّمه خواص النّار والكهرباء وغيرها من العلوم الفيزيائية والكيميائية وسخّرها له ليصنع من أصناف الفلزّات سفينة فضائية يمتطيها من جانب من الأرض إلىٰ جانب آخر ولما كان هذا الانسان بحاجة إلىٰ من يهديه كيف ينتفع ممّا سخّر الله له من الخلق ولا يستعمل ما علّمه وما سخّره له في ما يضرّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل، أرسل الربّ الرّحمٰن الأنبياء كي يهدوه كيف يعمل في ما علّمه وسخّره له.

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ من آثار رحمة الربّ الرّحمٰن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس، وورد بيان ذلك في سورة الرّحمٰن مع تفسير لفظ الرّحمٰن:

﴿الرَّحمٰن عَلى العَرْشِ اَسْتَوَىٰ﴾ و﴿الرَّحمٰن* عَلَّمَ القُرآنَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾، إذاً فإنّ من آثار رحمة الرّحمٰن للإنسان تعليمه القرآن خاصّة والبيان عامّة وخلق ما ينتفع به كما قال بعده:

﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ* وَالنَّجْمُ وَالشَجَرُ يَسْجُدانِ* والسَّماءَ رَفَعَها ـ الربّ الرّحمٰن ـ وَوَضَعَ الميزان... والأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ـ للإنسان ـ فِيها فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ* وَالحَبُّ ذُو العَصْفِ وَالرَّيْحَانُ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ* ـ إلىٰ آخر قوله في آخر السورة ـ تَبَارَكَ اَسْمُ رَبِّكَ ذُو اَلجَلاَلِ

وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

إنّ الربّ هو الذي ﴿يَبْسطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرِ﴾ (سبأ ٣٦ و ٣٩).

وكـل ما ذكر من آثار رحمة الربّ في الدنيا تعمّ الناس أجمعين مؤمنين وكافرين، وبناءً علىٰ ما ذكرناه فالرّحمٰن من صفات الربّ في الدنيا، وهي تعمّ الخلائق أجمعين ثمّ الناس مؤمنين وكافرين. ولما كان الربّ يهدي الناس بوسيلة الوحي إلىٰ الرسل فإنّ القرآن أسند الوحي إلى الربّ ويقول:

﴿... ذٰلِكَ مِمَّا أوحىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَة...﴾ (الإسراء ٣٩).

﴿... اتَّبع ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك...﴾ (الأنعام١٠٦).

وكذلك يسند إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الربّ كما أخبر في سورة الأعراف عن نوح أنّه قال لقومه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَة ولٰكنّي رَسُولٌ رَبِّ العَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتُ رَبِّي﴾ (الآيتان ٦٧ و٦٨).

وعن موسىٰ (ع) أنّه قال لفرعون:

﴿قالَ مُوسىٰ يا فِرْعَوْن إِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العَالَمِين﴾ (الآية ١٠٤).

وفي إنزال الكتب يقول:

في سورة الكهف:

﴿وَٱتلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّك﴾ (الآية ٢٧).

وفي سورة السجدة:

﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيه مِن رَبِّ العَالَمِين﴾ (الآية ٢).

وفي سورة الواقعة:

﴿إنّه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ... تَنْزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِين﴾ (الآية ٧٧ و ٨٠).

وأسند الأمر إلى الربّ وقال تعالىٰ:

﴿ قُل أَمَرَ رَبِّي بالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد﴾ (الأعراف ٢٩).

ومن ثمّ تكون الطاعة لأوامر الربّ.

كما أخبر الله سبحانه في سورة البقرة/ ٢٨٤ عن خاتم الأنبياء، والمؤمنين وقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤمِنُونَ... قالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنا...﴾.

ولمّا كانت الرسل هي التي تبلّغ أوامر الربّ أمر الله بطاعتهم وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ (محمّد ٣٣).

وكذلك تكون المعصية معصية لأوامر الربّ، قال سبحانه:

﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾ (الكهف ٥٠).

وقال عزّ من قائل:

﴿فَعَقَرُوا النَاقَةَ وَعَتَوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ (الأعراف ٧٧).

وأحياناً يسقط لفظ الأمر، كما قال سبحانه:

﴿وَعَصَىٰ آدَمَ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طه ١٢١).

ولمّا كانت الرسل تبلّغ أوامر الربّ تكون معصيتهم معصية الربّ كما أخبر الله عن فرعون وقومه ومن كان قبلهم وقال في سورة الحاقّة:

﴿فَعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِمْ...﴾ (الآية ٦٩).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر ربّه فيتوب عليه، كما أخبر عن ذلك سبحانه وقال:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاّ أن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

﴿رَبَّنَا اغْفِر لَنَا ذُنُوبَنا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئاتِنا﴾ (آل عمران ١٦ و١٤٧ و١٩٣).

وقال في سورة القصص حكىٰ عن موسىٰ (ع) أنّه قال:

﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (الآية ١١٦).

ومن ثمّ فإنّ من صفات الربّ الغفور والغفّار كما قال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِن بَعْدِها وَآمَنُوا إنّ رَبَّكَ بَعْدَها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف ١٥٣).

وحكىٰ في سورة نوح (ع) إنّه قال لقومه:

﴿فَقلت اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إنّه كَانَ غَفّارا﴾ (الآية ١٠).

وقال في سورة البقرة:

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إنّهُ هُوَ التوّاب الرّحيم﴾ (الآية ٣٧).

أمّا من لَم يستدرك المعصية بالتوبة فإنّ الربّ سيجازيه على عمله كما قال سبحانه:

﴿إنّ الّذينَ كَفَرُوا... في نَارِ جَهَنَّم... إنّ الّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات... جَزَاؤهُم عِنْدَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدْنٍ... ذٰلك لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه﴾ (البيّنة ٦ ـ ٨).

وجزاء الربّ للأعمال قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة وقد يكون في كليهما، ويسند القرآن جميعها إلى الربّ كما قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة سبأ (١٥ ـ ١٧):

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبأٍ في مَسَاكِنِهم آيَةٌ جَنَّتانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلوا من رِزْقِ رَبِّكُم وَاشْكُروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأعْرَضُوا فَأرْسَلْنا عَلَيْهِم سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيل * ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي إلاّ الكَفُور﴾.

وأمّا الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب إلى الربّ ويقول:

﴿وَإنّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (الحجر ٢٥).

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ ثُمّ إلىٰ رَبِّهِم يُحْشَرُون﴾ (الأنعام ٣٨).

ويقول:

﴿إنْ حِسَابُهم إلاّ علىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُون﴾ (الشعراء ١١٣).

وبعد الحساب إمّا أن يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله كما قال سبحانه وتعالىٰ في سورة مريم:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمٰنِ وَفْداً﴾ (الآية ٨٥).

وتختص رحمة الرب يومئذ بالمؤمنين، ولذلك يسمّىٰ (الرّحيم)، ويأتي الرّحيم في الذكر بعد الرّحمٰن، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمٰنِ الرَّحيم﴾ لأنّ فعل الرّحمٰن يعمّ مَن في هذا العالم وما فيه، وفعل الرّحيم يخصّ المؤمنين يوم القيامة، وإن لم يكن من المؤمنين، وحقّت عليه كلمة العذاب يوم القيامة، فقد أخبر الله عن أمره وقال سبحانه في سورة النبأ (٢١ ـ ٣٧):

﴿إنّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً* لِلطَّاغِينَ مآباً... جَزَاءً وِفَاقاً... إنّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً* حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً... جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً* رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، ومن ثمّ يسمّىٰ الربّ (مالِك يَوْم الدِّين) كما قال سبحانه في سورة الحمد ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ* الرَّحْمٰنِ الرَّحيم* مالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾.

وبناءً علىٰ ما ذكرنا فإنّ الربّ هو الرّحمٰن وهو الرّازق وهو الرّحيم وهو التوّاب وهو الغفور، إلىٰ غيرها من الأسماء الحسنىٰ.

* * *

كلّ ما ذكرناه إلىٰ هنا في بحوث الأُلوهيّة من صفات الإِلٰه وأفعاله، وفي بحوث الربوبية من صفات الربّ وأسمائه، من صفات الله وأسمائه، كما سنذكره بالإضافة إلىٰ أسماءٍ أُخرىٰ لله في بحث (ولله الأسماء الحسنىٰ) الآتي إن شاء الله تعالىٰ.

(١٥)
ولِلّهِ الأسماءُ الحُسنىٰ

١ ـ الله:

قال اللّغويون إنّ لفظ (الله) مشتق من الإله.

وفي المصطلح الاسلامي اسم خاص لجميع صفات الكمال كما قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَلِلّهِ الأسماءُ الحُسنىٰ﴾ (الأعراف ١٨٠).

وقال جلّ اسمه:

﴿أللّهُ لا إلٰهَ إلاّ هُوَ لَهُ الأسماءُ الحُسنىٰ﴾ (طه ٨).

وعلى هذا فان معنى: لا إله إلاّ الله: لا خالق ولا مؤثّر في الوجود ولا معبود غير الله الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، والذي له جميع الأسماء الحسنى ومن الأسماء الحسنى، القَيّوم أي:

القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وذلك هو المعنى المذكور في قوله تعالى:

﴿الذي أعطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾.

وبناءً علىٰ ما ذكرنا فإنّ الله هو الربُّ، وهو الرحمٰن، وهو الرزّاق، وهو التوّاب، وهو الغفّار، وهو الرَّحيم، وهو مالك يوم الدين، إلىٰ غير ذلك من الأسماء الحسنىٰ. ولذلك فإنّ لفظ (الله) قد يأتي في القرآن الكريم في مورد ينبغي فيه ذكر آسم الـربّ، ويوصف بصفات الربّ، أي: الرزّاق والتوّاب والغفور والرحيم، والذي يعطي الإنسان جزاء عمله كما جاء أمثال ذلك في قوله تعالىٰ:

أ ـ ﴿أللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِر﴾ (الرعد ٢٦).

ب ـ ﴿إنَّ اللّهَ هُوَ التَوّابُ الرَّحيم﴾ (التوبة ١٠٤).

ج ـ ﴿إنَّ اللّهَ غَفورٌ رَحيم﴾ (البقرة ١٨٢).

د ـ ﴿لِيَجزِيَهُم اللّهُ أحسَنَ ماكانوا يَعملون﴾ (التوبة ١٢١).

ومئات المواضع الأُخر أمثالها.

وهناك صفات ـ أسماء ـ تأتي صفة لله خاصّة مثل قوله تعالىٰ:

﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في والأرض من ذا الّذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء وسع كرسيّه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم﴾.

كلّ هذه الصفات والأسماء خاصّة بالله وليست من صفات الإله الخالق ولا الربّ المربّي للعالمين.

و ـ أيضاً ـ من صفاته الخاصّة:

العزيز، الحكيم، القدير، السميع، البصير الخبير، غنيّ حميد، ذو الفضل العظيم، واسع عليم، يفعل ما يشاء و... وبناء علىٰ ما ذكرنا فانّ (الله) اسم لكلّ تلكم الصفات وحقيقته تلك الصفات وتلكم الأسماء الحسنىٰ ويقابل لفظ الله (يهوه) في اللغة العبريّة. كما يقابل لفظ الإله (الوهيم) في العبرية.

ومن صفات اَلله الرَّب أنّه وسع كرسيُّه السمٰوات والأرض. فما معنىٰ الكرسيّ؟

٢ ـ الكرسيّ:

الكرسيُّ في اللّغة: السرير والعِلم.

روى الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس واللّفظ من الطبري بإيجاز انّه قال كرسيّه عِلْمُهُ.

قال الطبري: كما أخبر عن ملائكته أنّهم قالوا في دعائهم: رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فأخبر تعالىٰ ذِكْرُه أنَّ علمه وسع كل شيء، فكذلك قوله وسع كرسيّه السمٰوات والأرض، قال: وأصل الكرسي العِلْمُ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوبَ: كراسة.

ومنه يقال للعلماء الكراسي.

ومنه قول الرّاجز: (حتّى اذا ما احتازها انكرّسا) يعني: علم.

ومنه قول الشاعر:

تحف بهم بيض الوجـوه وعصبة   كراسيّ بالأحداث حين تنـوب

يعني بذلك علماء بحوادث الأُمور ـ انتهىٰ مانقلناه عن الطبري.

ونضيف الى ماقاله الطبري ونقول بحوله تعالىٰ:

وحكىٰ الله عن إبراهيم (ع) انّه قال لقومه:

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شيءٍ عِلْماً أفلا تَتَذَكَّرون﴾ (الأنعام ٨٠).

وعن شعيب (ع) انه قال لقومه:

﴿وَسِعَ ربُّنا كُلَّ شيءٍ عِلماً﴾ (الأعراف ٨٩).

وعن موسى (ع) انّه قال للسّامري:

﴿إنَّما إلٰهُكُمُ اللّهُ الذي لا إلٰهَ إلاّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلماً﴾ (طه ٩٨).

وقال الامام الصادق (ع) السادس من أوصياء الرسول (ص) في جواب من سأله عن قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السمٰواتِ والأرض﴾ (البقرة ٢٥٥).

قال: علمه[1].

---

(١) توحيد الصدوق، ص٣٢٧، باب معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وسع كرسيّه السمٰوات والأرض﴾.

وانّ الكرسيّ جاء في مكان واحد في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ:

﴿يَعلمُ مابَـينَ أيديهم وَما خلفهم وَلاَ يُحيطُونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِه إلاّ بِما شاءَ وَسِعَ كُرسِيّهُ السّمٰواتِ والأرض...﴾ (البقرة ٢٥٥).

ومجيئه في هذه الجملة بعد علمه يدلّ علىٰ أنّ المقصود من كرسيّه، علمه تعالىٰ. ويكون معنى الجملة عندئذ يعلم ما بَينَ أيديهم وما خَلْفَهُم ولا يحيطون بِشَيءٍ مِن عِلْمِهِ إلاّ بِما شَاءَ وَسِعَ عِلْمُهُ السّمٰواتِ والأرْض.

وعلىٰ هذا فإنّ معنىٰ بعض الروايات انّ (كلّ شيءٍ في الكُرسي) أي إنّ كل شيءٍ في علم الله.

* * *

ويتّصل ببحث الأسماء الحسنىٰ ـ أيضاً ـ ببحث العبودية الذي ندرسه في مايأتي بحوله تعالىٰ.

العبد والعبادة:

عبد عبادة وعبودية: أطاع .

والعبودية: الخضوع وإظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها لأنّها الغاية في التذلّل.

والعبودية: الطاعة.

وفي هذا المعنىٰ جاء في سورة الحمد ﴿إيّاكَ نَعبُدُ﴾ بعد ان سبقه ذكر ﴿رَبِّ العالَمين﴾.

وبهذا المعنىٰ (العبودية والطاعة) جاء في حديث الامام الصادق (ع) حيث قال: (مَنْ أطاعَ رَجُلاً في مَعصيةٍ فقد عبده)[٢].

وقول الإمام الرضا (ع):

(مَنْ أصْغَىٰ إلىٰ ناطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإنْ كَانَ الناطِقُ عَنِ ٱللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللّهَ، وَإنْ كَانَ الناطِقُ عَنْ إبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إبْلِيس)[٣].

والعبادة تكون بالاختيار لذوي النطق، وبالتسخير لغيرهم، مثل قوله تعالىٰ:

﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السمٰواتِ والأرضِ إلاّ آتي ٱلرَّحمٰنِ عَبداً﴾ (مريم ٩٣).

وهذا مثل قوله تعالىٰ:

﴿وَللّهِ يَسجدُ مَنْ في السّمٰواتِ وَالأرضِ طَوعاً وَكَرهاً وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصال﴾ (الرعد ١٥).

وللعبد أربعة معانٍ:

---

(٢) أصول الكافي ٢/٣٩٨.

(٣) عيون أخبار الرضا ١/ ٣٠٣، ح ٦٣، وسائل الشيعة ١٨/٩٢ ج١٣.

١ ـ العبد بالرقّ مثل قوله تعالىٰ:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبداً مَملوكاً لايَقدِرُ عَلىٰ شَيءٍ﴾ (النحل ٧٥).

وجمعه العبيد مثل قول رسول الله (ص) من خرج الينا من العبيد فهو حرٌّ.[٤]

٢ ـ العبد بالإيجاد. وأوضح مثل له ـ أيضاً ـ قوله تعالىٰ:

﴿إنْ كلُّ مَنْ في السمٰواتِ والأَرض إلاّ آتي ٱلرَّحمٰن عَبداً﴾ (مريم ٩٣).

ويجمع ـ أيضاً ـ على العبيد مثل قوله تعالىٰ:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِظَلّامٍ لِلعَبيد﴾ (الأنفال ٥١).

٣ و ٤ ـ العبد بالعبادة والخدمة ويقال له العابد ابلغ وينقسم الى قسمين:

أ ـ عبدٌ للّهِ مخلصاً وحقيقةً وجمعه: العُبّاد مثل قوله تعالىٰ في ماحكاه عن موسىٰ وفتاه:

﴿فَوَجَدا عَبداً مِنْ عِبادِنا آتَيناهُ رَحمَةً مِن عِندِنا﴾ (الكهف ٦٥).

ب ـ عبد للدنيا يَعكف على طلب الدنيا ويجمع علىٰ العبيد مثل قول النبي (ص): (تَعِسَ عَبْد الدرْهَم وَعَبْد الدينار).

ومثل قوله (ص): (مَنْ خَرَجَ إلَيْنا مِنَ العَبيدِ فَهُوَ حُرّ).

ولمّا كان الرَّبُّ تصدر منه الأوامر والنواهي لهداية الناس يقال لمن اطاعه عَبَدَ الربّ يعبده عبادةً وهو عابدٌ، أي أطاعه ويطيعه وهو مطيعٌ للربّ، ولمّا كان الإله بمعنى المعبود، وتُجرىٰ له الطقوس الدينيّة يقال: عبد فلان الإله يعبده عبادةً فهو عابد أي أجرىٰ الطقوس للإله...[٥].

---

(٤) مسند أحمد، ١/ ٢٤٨.

(٥) ذكرنا موجز ما ورد في مادّة عبد من كتاب الصحاح للجوهري، ومفردات القرآن للراغب، وقاموس اللّغة للفيروزآبادي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم للهيئة المصرية العامّة للتأليف، وأدمجنا عباراتهم وذكرناها سياقاً واحداً.

* * *

كلّ ما ذكرناه في بحوث الالوهية منن صفات الإله وفي بحوث الربوبية من صفات الربّ من صَفات الله ربّ العالمين ومن صفات ربّ العالمين، أنّ كلّ شيء يجري بمشيئته كما سنشرحها في البحث الآتي بإذنه تعالىٰ:

ونقلنا حديث الرسول الأوّل من سنن ابن ماجة ص ١٣٨٦، كتاب الزهد، باب في المكثرين، والحديث الثاني في مسند أحمد (٢٤٨/١)، وقد قاله يوم الطائف، وما ذكرناه من المجموع هو الأغلب، وقد يأتي خلافه في القرآن والحديث مجازاً.

(١٦)
مشيئة الله ربّ العالمين

أ ـ معنى المشيئة

ب ـ مشيئة الله في الرزق

ج ـ مشيئة الله في الهداية

د ـ مشيئة الله في الرّحمة والعذاب.

من صفات الله ربّ العالمين مشيئته في الهداية والرزق والعذاب والرحمة، كما يأتي بيانها في أربعة بحوث:

أوّلاً ـ المشيئة في اللّغة والقرآن الكريم:

أ ـ المشيئة في اللّغة.

في لغة العرب. شاء يشاء مشيئةً: أراد إرادة، وبهذا المعنىٰ أسندت المشيئة الى الناس في قوله تعالىٰ:

﴿إنَّ هٰذه تَذكِرةٌ فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلىٰ رَبِّه سَبيلاً﴾ (المزمّل ١٩) و (الإنسان ٢٩).

أي إن الانسان إذا أراد أن يتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً فإنّه قادر علىٰ أنْ يفعل ذلك بكامل حرّيته ومحض اختياره، وورد نظيره ـ أيضاً ـ في: سورة المدثّر (٥٥) وسورة عبس (١٢) والتكوير (٢٨) والكهف (٢٩) وغيرها من الموارد في القرآن الكريم.

وبالمعنىٰ اللّغوي ـ أيضاً ـ أُسندت المشيئة الى الله سبحانه وتعالىٰ في قوله:

١ ـ في سورة الفرقان:

﴿أَلَمْ تَرَ إلىٰ رَبِّك كَيفَ مَدّ الظلَّ وَلَو شاءَ لَجَعَلهُ ساكِناً﴾ (الآية ٤٥).

٢ ـ في سورة هود:

﴿فَأَمّا الّذينَ شَقوا فَفي النارِ لَهُم فيها زَفيرٌ وَشَهيق * خالدينَ فيها مادامَتِ السّمٰواتُ والأرضُ إلاّ ماشاءَ رَبُّك إنّ رَبَّكَ فعّالٌ لِما يُريدُ * وأمّا الّذينَ سُعِدوا فَفي الجنّـة خالِـدينَ فيهـا مادامَتِ السّمٰـواتُ والأرضُ إلاّ ماشـاءَ رَبُّكَ عَطاءً غيرَ

مَجْذوذ﴾ (الآيات ١٠٦ ـ ١٠٨).

وجاء نظيرها ـ أيضاً ـ في سورة الإسراء (٨٦) والفرقان (٥١).

المعنىٰ في الآيات الماضية:

١ ـ في المورد الأوّل قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿ألم تَرَ إلىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ شيئاً فشيئاً بعد الظهيرة من المغرب الى المشرق حسب اقتراب الشمس من الأُفق، حتى اذا غربت كانت في نهاية الامتداد في الليل ولو شاء لجعل الظلّ ساكناً دائماً، أي ان تمدُّد الظّلّ وتحرّكه يجري بقدرة الله ووفق إرادته وليس خارجاً عن ارادته.

٢ ـ في المورد الثاني قال سبحانه وتعالىٰ:

إنَّ أَهْلَ النارِ خالدونَ في النارِ أبداً، وأهلُ الجَنَّةِ خالدون في الجنّةِ أَبَداً وَإنَّ ذلكَ كائن بقدرة الله وارادته وليس خارجاً عن إرادته وقدرته.

كان ذلكم من موارد اسناد المشيئة الىٰ الله والىٰ الناس بمعناه اللّغوي.

ب ـ مشيئة الله في الاصطلاح القرآني:

اذا اسندت المشيئة في القرآن الكريم إلىٰ الله بعد مادة: الرزق والهداية والعذاب والرحمة أُريد بها جريان الرزق والهداية وأمثالها للإنسان وفق سننٍ قررها لها الله وفق حكمته وانّ سنّة الله في ذلكم الأمر لن تتبدّل وهي إذاً من مصاديق قوله تعالىٰ في سورتي الأحزاب (٣٨) و(٦٢) والفتح (٢٣):

﴿سُنَّةُ اللَّهِ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبديلاً﴾.

وقوله تعالىٰ في سورة فاطر:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبديلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحويلاً﴾ (الآية ٤٣).

كما يأتي بيانها بحوله تعالى.

ثانياً ـ مشيئة الله في الرزق:

جاء ذكر مشيئة الله في أمر الرزق في قوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة الشَورىٰ:

﴿لَهُ مقَالِيدُ السَّمٰوٰاتِ وٱلأرضِ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقْدِرُ إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم﴾ (الآية ١٢).

ونظيره في سورة الرعد (٢٦).

٢ ـ في سورة العنكبوت:

﴿وَكَأَيِن مِن دابَّةٍ لاتَحْملُ رِزقَها اللّهُ يَرزُقُها وإيّاكُم وَهُوَ السَّميعُ العَلِيم* وَلَئِن سَأَلتَهُم مَّن خلق السَّمٰوٰاتِ والأرضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقمر لَيَقُولُنَّ ٱللّهُ فَأَنَّىٰ يُؤفَكُون* ٱللّهُ يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَيَقدِرُ لَهُ إنَّ اللّهَ بِكُلِّ شيءٍ عَليم* وَلَئِن سَأَلتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماَءً فَأَحيا بِهِ الأرضَ مِن بَعدِ مَوتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُل الحَمدُ للّهِ بَلْ أكثرُهُم لايَعقِلُون﴾ (الآيات ٦٠ ـ ٦٣).

٣ ـ في سورة سبأ:

﴿قُل إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أنفَقتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرازِقِين﴾ (الآية ٣٩).

٤ ـ في سورة الإسراء:

﴿وَلاَ تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إلىٰ عُنُقِكَ وَلاتَبسُطها كُلَّ البَسْطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً محسوراً* إنَّ رَبَّك يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبيراً بَصِيراً* وَلاتَقتلُوا أولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نحنُ نَرزُقُهُم وَإيّاكُم إنَّ قَتلَهُم كَانَ خِطئاً كَبِيراً*.... ولاتَقرَبُوا مالَ اليَتيمِ إلاّ بالَّتي هِيَ أحسَنُ حتىٰ يَبلُغَ أشُدَّهُ وَأوْفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهدَ كانَ مَسؤولاً* وَأَوْفُوا ٱلكَيْلَ إذَا كِلتُم وَزِنُوا بِالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ ذٰلكَ خَيرٌ وَأحسَنُ تَأوِيلاً﴾ (الآيات ٢٩ ـ ٣١ و ٣٤ ـ ٣٥).

٥ ـ في سورة آل عمران:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الأيتان ٢٦ ـ ٢٧).

ما هي مشيئة الله في أمر الرزق؟

لقد مرّ بنا في بحث «جزاء الأعمال» أنّ الله سبحانه وتعالى جعل توسعة الرّزق في صلة الرَّحم، وجعل الولد يرث أثر صلاح أبيه، كما مرّ بنا في خبر موسى والعبد الصّالح عندما بنى جداراً يريد ان ينقضّ ليبقىٰ الكنز المدفون لليتيمين لأنَّ أباهما كان صالحاً وليستخرجاه عندما يبلغان أشدّهما، وهذان مثالان لمشيئة الله في أمر الرزق وإنّها تجري وفق سنن لاتتبدلّ.

ثالثا ـ مشيئة الله في الهداية:

يأتي ذكر هداية الإنسان في القرآن بمعنيين:

١ ـ بمعنى تعليم الإنسان عقائد الاسلام وأحكامه:

ويسنده القرآن غالباً الى الأنبياء الذين بعثهم الله لتبليغ الانسان عقائد الإسلام وأحكامه.

وأحيانا يسنده الى الله جلّ اسمه لانّه الذي أرسل الأنبياء بدين الإسلام.

٢ ـ بمعنى توفيق الله الإنسان الى الإيمان بعقائد الاسلام والعمل بأحكامه. وهذا مايسنده القرآن إلىٰ الله وحده، تارة مع وصف أنّ هذه الهداية من مشيئة الله، وأخرى بدون ذكر مشيئة الله.

وفي مايأتي أمثلة من مواردها في القرآن الكريم:

وقد اشترط الله لهذا النوع من الهداية أن يرضاها الناس ويختاروها ويباشروا العمل من أجل الوصول إليها كما يأتي بيانها في ثلاثة بحوث بحوله تعالىٰ.

أ ـ الهداية بمعنىٰ التعليم:

أسند القرآن هداية الناس بمعنىٰ تبليغ الاسلام الى الأنبياء في مَوارِد منها الآيات الآتية:

١ ـ في سورة الشورىٰ:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهدي الى صِراطٍ مستَقيم * صِراطِ اللّهِ الذي لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرض ألا إلىٰ اللّهِ تَصيرُ ٱلأمُور﴾ (الآيتان ٥٢ ـ ٥٣).

وأحياناً يأتي اسناد عن الأنبياء في الهداية الىٰ الله تعالىٰ كما قال سبحانه:

١ ـ في سورة الأنبياء:

﴿وَجَعَلناهُم أئمَّةً يَهدونَ بِأمرِنا...﴾ (الآية ٧٣).

٢ ـ في سورة الفتح:

﴿هُوَ الذي أرسَلَ رَسولَهُ بالهدىٰ وَدينِ الحَقِّ﴾ (الآية ٢٨).

وبهذا المعنىٰ ـ أيضاً ـ اسندت الهداية الىٰ الكتب السماوية مثل قوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة البقرة:

﴿شَهرُ رَمَضانَ الّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآن هُدىً للناسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الهُدىٰ وَالفُرقان﴾ (الآية ١٨٥).

٢ ـ في سورة آل عمران:

﴿وَأنْزَلَ التَوراةَ والإنجيلَ* مِنْ قَبلُ هُدىً لِلناس﴾ (الآيتان ٣ـ٤).

وقد يأتي في القرآن اسناد الهداية التعليمية إلى الله جلّ اسمه مثل قوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة البلد في وصف الانسان:

﴿ألَم نَجعَل لَهُ عَينَين* وَلِساناً وَشَفَتَين* وَهَدَيناهُ النَّجدَين﴾ (الآيتان ٨ـ ١٠).

٢ ـ في سورة فصّلت:

﴿وَأمّا ثَمودُ فَهَدَيناهُم فَاسْتَحَبُّوا العَمىٰ عَلىٰ الهُدىٰ﴾ (الآية ١٧).

إذاً فإنّ الله تبارك وتعالىٰ يسند الهداية بمعنىٰ تعليم الإسلام إلىٰ أنبيائه وكتبه تارة، وإلىٰ نفسه تبارك وتعالىٰ تارةً أُخرىٰ؛ لأنّه الذي أرسل الرُّسُل بتلك الكتب لتعليم الناس، ثم يأتي بعد ذلك دَوْرُ الإنسان في قبول الهداية أو رفضها كالآتي بيانه بحوله تعالىٰ.

ب ـ اختيار الإنسان الهداية أو الضلالة وآثارها:

بعدَ ارسال الله الأنبياء بالكتب الى الناس فإنّ الناسَ ينقسمون الى

فريقين: فريق يختارون الهداية على الضّلالة، وفريق يختارون الضلالة على الهداية كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في الآيات الآتية وقال عزّ اسمه:

١ ـ في سورة النمل:

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرآنَ فَمَنِ اهتَدىٰ فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُل إِنَّما أَنا مِنَ الْمُنذِرِين﴾ (الآية ٩٢).

٢ ـ في سورة يونس:

﴿قُل ياأَيُّها الناسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن اْهتَدىٰ فَإِنَّما يَهتَدي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عليها وَما أَنا عليكم بِوَكِيل﴾ (الآية ١٠٨).

ونظيرها في سورة الإسراء (١٥).

ويأتي بعد ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى للمهتدي، كما أخبر الله عزّ اسمه وقال:

١ ـ في سورة مريم:

﴿وَيزيدُ اللّهُ الّذينَ اهتَدَوا هُدىً﴾ (الآية ٧٦).

٢ ـ في سورة محمّد:

﴿والّذينَ اْهتدَوا زادَهُم هُدىً وَآتاهُمْ تَقواهُم﴾ (الآية ١٧).

إنَّ الّـذين اختـاروا الهداية بعد ارسال الرسل، وجاهدوا في سبيل الله، استحقـوا توفيق الله لهم، والذين كذّبوا الرّسول واتّبعوا هوى النفس حقّت عليهم الضلالة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهما وقال:

١ ـ في سورة العنكبوت:

﴿وَالذينَ جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ المحسِنين﴾ (الآية ٦٩).

٢ ـ في سورة النحل:

﴿ولقد بَعَثنا في كُلِّ أُمّةٍ رَسولاً أَنِ اْعبُدوا اللّهَ وَاْجتَنِبوا الطّاغُوتَ فَمِنْهُم مَن هَدىٰ اللّهُ وَمِنهُم مَن حَقَّت عليهِ الضَّلالَةُ فَسيروا في الأرضِ فانظُروا كَيفَ كانَ

عاقبةُ المكَذِّبين* إنْ تَحْرِص عَلىٰ هُداهُم فإنّ اللّهَ لايَهدي مَنْ يُضِلُّ وَمالَهم مِن ناصِرين* وأقسَموا بِاللّهِ جَهدَ أيمانِهِم لايَبعَثُ اللّهُ مَن يَموت...﴾ (الآيات ٣٦ ـ ٤٢).

٣ ـ في سورة الأعراف:

﴿فَريقاً هَدىٰ وَفَريقاً حَقَّ عليهم الضَّلالَةُ إنَّهُمُ اتَّخذوا الشَّياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللّهِ وَيَحسَبونَ أنَّهُم مُهتَدون﴾ (الآية ٣٠).

وهذا النوع من الهداية هي التي تأتي بمشيئة الله، كما يأتي بيانه بحوله تعالىٰ.

ج ـ الهداية بمعنىٰ توفيق الايمانِ والعمل مسندةٌ الىٰ مَشيئة الله

جاء ذكر الهداية بِمعنىٰ توفيق الايمان والعمل مسندة الىٰ مشيئة الله في قوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة البقرة:

﴿وَاللّهُ يَهدي مَن يَشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُستَقيم﴾ (البقرة ١٤٢ و٢١٣) و(النور ٤٦) و(يونس ٢٥).

٢ ـ في سورة الأنعام:

﴿... مَنْ يَشأ اللّهُ يُضْلِلهُ وَمَنْ يَشأ يَجْعَلْه عَلىٰ صِراطٍ مُستَقيم﴾ (الآية ٣٩).

٣ ـ في سورة القصص:

﴿إنَّكَ لاتَهدي من أحببتَ وَلٰكِنَّ الله يَهدي مَن يشاءُ، وَهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدين﴾ (الآية ٥٦).

شرح الكلمات

صراط مستقيم:

الصراط من السبيل الواضح والمستقيم بلا التواء فيه.

والصراط المستقيم من أمر الدين ما شرحه الله تعالىٰ في سورة الفاتحة وقال:

﴿صِراطَ الّذينَ أنعَمتَ عَليهم غَيرِ المَغضُوبِ عليهم ولاالضَّالِّين﴾ (الآية ٧).

وقد بيّن الله تعالىٰ مَنْ أنعمَ عليهم في سورة مريمَ وقال بَعْدَ ذكره خبر زكريّا ويحيىٰ ومـريم وعيسىٰ (ع): واذكـر في الكتـاب إبراهيم... وآذكر في الكتاب موسىٰ.. و..إسماعيل و..إدريس) ثمّ قال تعالىٰ:

﴿أُوْلئك الذين أنعَمَ اللَّهُ عليهم مِنَ النَّبِيِّين... وَمِمَّنْ هَدَينا وآجتبينا﴾ (مريم ١ و ٦٣).

وصراطهم هو دين الإسلام الذي كانوا يدعون إليه، وسيرتهم في عملهم بالإسلام.

والمغضوب عليهم هم اليهود خاصّة كما وصفهم الله تبارك وتعالىٰ في سورة البقرة وقال عزّ آسمه:

﴿وضُرِبَت عليهِمُ الذلّةُ والمسكَنَةُ وَباءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنّهم كانوا يَكفرونَ بآياتِ اللهِ وَيَقتُلونَ النَّبِيِّينَ بِغَيرِ الحَقّ ذلكَ بِما عَصَوا وَكانوا يَعتَدون﴾ (الآية ٦١).

وكذلك في سورة آل عمران الآية (١١٢).

و ﴿و لا الضَّالّين﴾ الضّالّون هم الذين لايتّخذون الإسلام ديناً كافّة كما صرّح بذلك تبارك وتعالىٰ في سورة آل عمران وقال عزّ من قائل:

﴿وَمَن يَبتَـغِ غَيرَ الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ... وَأُولئكَ هُمُ الضّالّون﴾ (الآيات ٨٥ ـ ٩٠).

يهدي: راجع شرحه في بحث هداية ربّ العالمين للأصناف الأربعة من الخلق.

رابعاً ـ مشيئة الله في العذاب والرحمة:

قد جاء ذكر مشيئة الله في العذاب والرحمة في موارد من القرآن الكريم منها الآيات الآتية:

أ ـ في سورة الأعراف حكاية قول كليم الله موسىٰ (ع):

﴿وَٱكْتُبْ لَنا في هٰذِهِ الدُّنيا حَسنَةً وَفي الآخِرَةِ إنَّا هُدنا إليكَ قالَ عَذابي أُصيبُ به مَنْ أشاءُ وَرَحمَتي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ فَسأَكتُبُها لِلَّذينَ يَتَّقونَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ والَّذينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنُون* الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرسُولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكتُوباً عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجيلِ يأمُرُهُم بالمعرُوفِ وَيَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عليهِمُ الخَبائثَ وَيَضَعُ عَنهُم إصرَهُم والأغلالَ ٱلَّتي كَانَت عَلَيهم فَالَّذِينَ آمنوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصرُوهُ وَٱتَّبَعُوا النُّورَ ٱلَّذي أُنزِلَ مَعَهُ أُولٰئكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (الآيتان ١٥٦ ـ ١٥٧).

ب ـ في سورة الأنبياء:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ في غَفلَةٍ معرِضُونَ* مَا يَأتِيهم مِّن ذِكْرٍ مِنْ ربِّهم مُحدَثٍ إلَّا ٱستَمَعُوهُ وَهُم يَلعَبُون* لاهِيَةً قُلُوبُهُم وَأسَرُّوا النَّجوَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذا إلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُم أفَتَأتُونَ السِّحرَ وَأنتُم تُبصِرُون* قَالَ رَبِّي يَعلَمُ القَولَ في السَّماءِ والأرضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ* بَل قَالُوا أضغاثُ أحلامٍ بَلِ ٱفتَرَاهُ بَل هُوَ شَاعِرٌ فَليَأتِنا بآيَةٍ كَما أُرسِلَ الأوَّلُونَ* مَاآمَنت قبلَهُم مِنْ قَريَةٍ أهلَكنَاها أفَهُم يُؤمِنُون* وما أرسَلنا قبلَكَ إلَّا رجالاً نُوحي إلَيهم فَسئَلُوا أهلَ الذِّكرِ إنْ كُنتُم لاتَعلَمُون* وَما جَعَلناهُم جَسَداً لايَأكُلُونَ الطَّعَامَ وَما كانُوا خالِدينَ* ثُمَّ

صَدَقناهُم الوَعْدَ فَأَنجيناهُم وَمَن نَشاءُ وَأَهلَكنا المُسرِفِين* لقد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُم أَفَلا تَعقِلُون﴾ (الآيات ١ ـ ١٠).

ج ـ في سورة الإسراء:

﴿مَن كانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فِيها مانَشاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنا لَهُ جَهَنَّم يَصلاها مَذمُوماً مَدحُوراً* وَمَن أَرادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعىٰ لها سَعيَها وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولٰئِكَ كانَ سَعيُهُم مَشكُوراً* كُلّاً نُمِدُّ هٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظُوراً﴾ (الآيات ١٨ ـ ٢٠).

د ـ في سورة الإنسان:

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُم يَوماً ثَقِيلاً* إِنَّ هٰذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شاءَ ٱتَّخَذَ إِلى رَبِّـهِ سَبِيلاً* وَما تَشاءُونَ إِلّا أَن يَشاءَ ٱللّٰهُ إِنَّ ٱللّٰهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً* يُدخِلُ مَن يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُم عَذاباً أَلِيماً﴾(الآيات ٢٧ ـ ٣١).

* * *

كان ذلك معنىٰ مشيئة الله ربّ العالمين، وَمِن صفات الله تعالىٰ أنّه يقضي ويقدر كما يأتي معناه في البحث الآتي بإذنه تعالىٰ.

(١٧)
البَـداء
أو
يَمْحو اللّهُ مايشاءُ وَيُثْبِت

أ ـ معنى البداء.

ب ـ البداء في مصطلحات علماء العقائد الإسلاميّة.

ج ـ البداء في القرآن.

د ـ روايات مدرسة الخلفاء في البداء.

هـ ـ روايات أئمة أهل البيت (ع) في البداء.

أوّلاً ـ البداء في اللّغة

للبداء في اللّغة معنيان:

أ ـ بدا الأمر بُدُوّاً وبَداءً: ظهر ظهوراً بيِّنا.

ب ـ بدا له في الأمر كذا: جدّ له فيه رأي، نشأ له فيه رأي.

ثانياً ـ البداء في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

بدا لله في أمرٍ بَداءً أي ظهر له في ذلك الأمر ما كان خافياً علىٰ العباد.

وأخطأ من ظَنّ أن المقصود من بدا لله في أمر بداءً جَدَّ له في ذلك الأمر غير الأمر الذي كان له قبل البداء، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

ثالثاً ـ البداء في القرآن:

أ ـ قال الله تعالىٰ في سورة الرعد:

﴿وَيَقولُ الّذينَ كَفَرُوا لَولا أُنزِلَ عَليهِ آيةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الآيتان ٧ و ٢٧).

ثمّ قال تعالىٰ:

﴿وَما كانَ لِرَسولٍ أنْ يأتِيَ بآيةٍ إلاّ بإذنِ اللّهِ لِكُلِّ أجَلٍ كتاب* يَمحو اللّهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ وعنده أُمُّ الكِتابِ* وَإنْ ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الّذي نَعِدُهُم أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإنَّما عليكَ البَلاغُ وعلينا الحِساب﴾ (الآيات ٣٨ ـ ٤٠).

شرح الكلمات

١ ـ آية:

الآية في اللّغة: العلامة الظاهرة كما قال الشاعر:

وفي كلّ شيءٍ له آية تدلّ على أنّه واحد

وسُمّيت معجزات الأنبياء آيةً لأنّها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله الّذي مكّنهم من الإتيان بتلك المعجزة، مثل عصا موسىٰ وناقة صالح، كما جاءت في الآية (٦٧) من سورة الشعراء والآية (٧٣) من سورة الأعراف.

وكذلك سمّىٰ القرآن أنواع العذاب الذي أنزله الله علىٰ الأُمم الكافرة بالآية والآيات، كقوله تعالىٰ في سورة الشعراء عن قوم نوح:

﴿ثُمَّ أغرَقنا بَعدُ الباقينَ* إنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً﴾ (الآيتان ١٢٠ ـ ١٢١).

وعن قوم هود:

﴿فَكَذَّبوهُ فَأَهْلَكْناهُم إنَّ في ذٰلكَ لآيَةً﴾ (الآية ١٣٩).

وعن قوم فرعون في سورة الأعراف:

﴿فَأَرسَلنَا عليهِمُ الطّوفانَ وَالجَرادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾ (الآية ١٣٣).

٢ ـ أجل:

الأجل: مدّة الشيء والوقت الذي يحدّد لحلول أمْرٍ وانتهائه، يقال: جاء أجله اذا حان موته، وضربت له أجلاً: أي وقتاً محدّداً لعمله.

٣ ـ كتاب:

للكتاب معانٍ مُتَعَدِّدةٌ، والمقصود منها هنا: مقدار مكتوب أو مقدّر، ويكون معنى (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتاب): لوقت إتيان الرسول بآية زمان مقدّر معيّن.

٤ ـ يمحو:

محاه في اللّغة: أزاله وأبطله، أو أزال أثره مثل قوله تعالى:

أ ـ في سورة الإسراء:

﴿فَمَحَونا آيَةَ اللّيلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النّهارِ مُبصِرَةً﴾ (الآية ١٢).

وآية اللّيل هي اللّيل، ومحو اللّيل: إزالته.

ب ـ في سورة الشورىٰ:

﴿وَيَمْحُ اللّهُ الباطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِماتِه﴾ (الآية ٢٤).

أي يذهب بآثار الباطل.

تفسير الآيات

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآيات أن كفار قريش طلبوا من رسول الله(ص) ان يأتيهم بآيات، كما بيّن طلبهم ذلك في قوله تعالىٰ في سورة الإسراء:

﴿وَقـالوا لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تفْجرَ لَنا مِنَ الأرضِ يَنبُوعاً* ...أوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أو تأْتيَ بِاللّهِ وَالمَلائكَةِ قَبيلاً﴾ (الآيتان ٩٠ و٩٢).

وقال في الآية (٣٨) من سورة الرعد: ﴿وَما كانَ لِرَسولٍ أن يَأتيَ بِآيَةٍ﴾ مقترحةٍ عليه ﴿إلاّ بِإذْنِ اَللّهِ﴾ وأنّ لكل أمرٍ وقتاً مُحدّداً سجّل في كتاب.

واستثنىٰ منه في الآية بعدها وقال: ﴿يَمحو اللّهُ ما يَشاء﴾ من ذلك الكتاب ماكان مكتوباً فيه من رزق وأجَل وسعادة وشقاءٍ وغيرها ﴿وَيُثْبِتُ مايَشاء﴾ ممّا لم يكن مكتوباً في ذلك الكتاب ﴿وَعنده أُمُّ الكتاب﴾ أي أصل الكتاب وهو اللّوح المحفوظ الذي لايتغيّر مافيه ولايبدل.

وبنـاءً علىٰ ذلـك قال بعدها: ﴿وَإن ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الّذي نَعِدُهُم﴾ من العذاب في حياتك ﴿أوْ نَتَوفَّيَنَّك﴾ قبل ذلك ﴿فَإنّما عليكَ البَلاغ﴾ فحسب...

ويدلّ على ماذكرناه مارواه الطبري والقرطبي وابن كثير في تفسير الآية وقالوا ما موجزه:

إنّ الخليفة عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللّهمّ إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة وَالذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ماتشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب.

وروي عن الصحابي ابن مسعود أنّه كان يقول:

اللّهمّ إن كنت كتبتني في السعـداء فأثبتني فيهم، وإن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء وآكتبني في السعداء، فإنّك تمحو ماتشاء وتثبت،

وعندك أُمُّ الكتاب.

وروي عن أبي وائل أنّه كان يكثر أن يدعو: اللّهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامح واْكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنّك تمحو ماتشاء وتثبت وعِنْدَكَ أُمُّ الكتاب[1].

وفي البحـار: وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السّعداء، فإنّك قلت في كتابك المنزّل، علىٰ نبيّك صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُو ٱللَّهُ ما يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدهُ أُمُّ الكِتَاب﴾ »[2].

واستـدلّ القـرطبي ـ أيضـاً ـ على هذا التأويل بما روىٰ عن صحيحي البخاري ومسلم انّ رسول الله (ص) قال:

(مَن سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رزقِهِ وَيُنْسأَ لَهُ في أثَرِهِ ـ أَجَلِه ـ فَلْيصلْ رَحِمَه).

وفي رواية: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللّهُ في عُمُرِهِ وَيبْسُطَ لَهُ رِزْقَهُ فَلْيَتّقِ اللّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَه)[3].

ونقل عن ابن عبّاس أنّه قال في جواب من سأله وقال: كيف يزاد في العمر والأجل؟

قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه﴾ فالأجل الأوّل أجل العبد من حين ولادته إلىٰ حين موته، والأجل الثاني ـ يعني المسمّىٰ عنده ـ من حين وفاته إلىٰ يوم يلقاه في البرزخ لايعلمه إلاّ الله، فإذا اتّقى العبـد ربّه ووصل رَحِمَه، زاده الله في أجل عمره الأوّل من أجل

---

(١) أخرج الأحاديث الثلاثة الطبري بتفسير الآية. وأبو وائل شفيق بن سلمة الأسدي الكوفي. قال في ترجمته بتهذيب التهذيب: ثقة مخضرم، أدرك عهد الصحابة والتابعين، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وله مائة سنة، أخرج له جميع أصحاب الصّحاح والسنن (١٠/ ٣٥٤).

(٢) البحار (٩٨/ ١٦٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٤/٣) كتاب الأدب، باب ١٢ و ١٣، وصحيح مسلم ص ١٩٨٢ الحديث ٢٠ و ٢١ من باب صلة الرحم، ومسند أحمد ١٥٦/٣ و٢٤٧ و٢٦٦ و ٧٦/٥.

البرزخ ما شاء، وإذا عصىٰ وقطع رَحِمَه، نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده من أجل البرزخ... الحديث[٤].

وأضاف ابن كثير على هذا الإستدلال وقال ما موجزه:

وقد يستأنس لهذا القول ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجة عن النبي (ص) انه قال:

(إنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنبِ يُصيبُهُ وَلايَرِدُّ القدر إلّا الدُّعاءُ ولايَزيدُ في العُمْرِ إلّا البِرّ)[٥].

وقال: وفي حديث آخر:

(إنَّ الدُّعاءَ وَالقَضاءَ لَيَعْتَلِجان بينَ السَّماءِ والأرض)[٦].

كان ما ذكرناه وجهاً واحداً مما ذكروه في تأويل هذه الآية وذكروا معها وجوها أُخر في تأويل الآية مثل قولهم:

إنّ المراد محو حكم وإثبات آخر، أي نسخ الأحكام، والصواب في القول، انّه يعمّ الجميع وهذا ما أختاره القرطبي ـ أيضاً ـ وقال:

(..الآية عامّة في جميع الأشياء وهو الا ظهر والله أعلم)[٧].

وروىٰ الطبري والسيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللّهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ وعنده أُمُّ الكِتابِ﴾ قال: يُقَدِّرُ اللّهُ أمر السَّنَةِ في لَيلةِ القَدرِ إلّا السعادَةَ والشَقاء[٨].

يمحو الله مايشاء ويثبت قال: من أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله من

---

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

(٥) والرواية في سنن ابن ماجة، المقدّمة، باب ١٠، الحديث ٩٠.

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٩).

(٧) تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٩).

(٨) تفسير الطبري (١٣/ ١١١) والسيوطي واللفظ للطبري.

احدهما ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب أي حملة الكتاب[٩].

ب ـ قال سبحانه وتعالىٰ في سورة يونس:

﴿فَلولا كانَت قَريةٌ آمَنَتْ فَنفعَها إيمانُها إلاّ قَومَ يُونسَ لمّا آمَنوا كَشَفنا عَنهم عَذابَ الخِزي في الحَياةِ الدُّنيا وَمَتَّعناهُم إلىٰ حِين﴾ (الآية ٩٨).

شرح الكلمات

أ ـ كَشَفْنَا:

كشف عنه الغمّ: أزاله، وكشف العذاب: أزاله.

ب ـ الخِزْيُ:

خَزيَ خِزْياً: هان وافتضح.

ج ـ حين:

الحين: الوقت والمدّة من غير تحديد في معناه بِقِلّةٍ أو كَثْرَة.

تفسير الآية

قصة يونس بايجاز كما في تفسير الآية بتفسير الطبري والقرطبي ومجمع البيان[١٠]: أنّ قوم يونس كانوا بنينوىٰ من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلىٰ الإسلام وترك ماهم عليه فأبوا، وتبعه منهم عابد وشيخ من بقية علمائهم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم والعالم ينهاه ويقول له: لاتدعُ عليهم فانّ الله يستجيب لك ولايحبّ هلاك عباده. فقبل يونس قول العابد فأخبر الله تعالىٰ أنّه يأتيهم العذاب في شهر كذا

---

(٩) تفسير السيوطي (٤/ ٦٥) عن ابن جرير الطبري والحاكم قال وصحّحه.

(١٠) مجمع البيان (٣/١٣٥)، القرطبي (٨/ ٣٨٤)، الطبري (١١/١١٨)، والدرّ المنثور (٣/٣١٧).

في يوم كذا فاخبرهم يونس بذلك فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم وقال قومه:

لم نجرّب ـ يونس ـ عليه كذبا فانظروا فإنْ باتَ فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فَاعلموا أنّ العذاب مصبحكم فلما كان في جوف اللّيل خرج يونس من بين اظهرهم ولما علموا ذلك ورأوا آثار العذاب وأيقنوا بالهلاك ذهبوا الى العالم فقال لهم: افزعوا الى الله فانه يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فاخرجوا الى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد وبين سائر الحيوان وأولادها ثمّ ابكوا وادعوا، ففعلوا. خرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وأخلصوا النيّة وفرّقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام، فحنّ بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وتضرّعوا الى الله عزّ وجلّ وقالوا آمنّا بما جاء به يونس، فرحمهم ربّهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلهم، بعد أن بلغ من توبتهم الى الله، رَدّوا المظالم بينهم حتى أن كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده وكذلك محا الله العذاب عن قوم يونس بعد ان تابوا وكذلك يَمحُو اللّهُ ما يشاءُ وَيُثْبِتُ وعنده أُمّ الكِتابِ.

ج ـ قال سبحانه وتعالىٰ في سورة الأعراف:

﴿وَواعَدْنا موسىٰ ثَلاثِينَ لَيلَةً وَأتْمَمْناها بِعَشرٍ فَتَمّ ميقاتُ رَبِّهِ أربَعينَ ليلة﴾ (الآية ١٤٢).

وقال في سورة البقرة:

﴿وَإذْ واعَدْنا موسىٰ أربعينَ لَيلَةً ثُمّ اتَّخَذتُم العِجْلَ مِنْ بَعدِهِ وَأنْتمُ ظالِمون﴾ (الآية ٥١).

رابعاً ـ البداء في روايات مدرسة الخلفاء:

روىٰ الطيالسي وأحمد وابن سعد والترمذي واللفظ للطيالسي بايجاز.

قال قال رسول الله (ص):

إنَّ اللَّهَ أَرىٰ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ فَرأىٰ رَجُلًا أَزْهَرَ ساطِعاً نُورُه.

قالَ: يارَبِّ مَنْ هذا؟

قالَ: هذا ٱبنُكَ داود!

قالَ: يارَبِّ فما عُمْرُه؟

قالَ: ستّونَ سَنَة!

قالَ: يارَبِّ زِدْ في عُمرِه!

قالَ: لا إلّا أَنْ تَزيدَهُ مِنْ عُمرِك!

قالَ: وما عُمْرِي؟

قالَ: أَلْفُ سَنَة!

قالَ آدم: فَقَدْ وَهَبتُ لَهُ أَربَعينَ سَنَةً مِن عُمري.

..... فَلَمّا حَضَرَهُ المَوتُ وَجاءَتهُ المَلائكةُ قالَ: قَدْ بَقيَ مِنْ عُمري أَربَعون سَنَة.

قالوا: إنَّكَ قَدْ وَهَبتَها لِداود..[11].

هذه الـرواية بالاضـافـة الى ماسبق إيراده من أخبار آثار صلة الرحم ونظائرها بمدرسة الخلفاء من مصاديق ﴿يَمحو اللَّهُ مايشاءُ وَيُثْبِتُ وعنده أُمُّ

---

(11) الطيالسي ص ٣٥٠، الحديث ٢٦٩٢، ومسند أحمد (١/ ٢٥١ و ٢٩٨ و ٣٧١)، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا(ج١/ ق١/ ٧ ـ ٩)، وسنن الترمذي (١١/ ١٩٦ ـ ١٩٧) بتفسير سورة الأعراف.

وفي البحار (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣) عن الإمام الباقر (ع) باختلاف يسير في اللفظ.

الكتاب﴾.

وقد سمّى أئمة أهل البيت (ع) المَحْوَ والاثبات بالبداء كما سندرسه إن شاء الله تعالىٰ في مايأتي.

خامساً ـ البَداءُ في روايات أئمّةِ أهلِ البيت (ع):

في البحار عن أبي عبدالله (الإمام الصادق) (ع) قال: (مابَعَثَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبيّاً حتّىٰ يأخُذَ عليه ثَلاثَ خِصالٍ: الإقرارَ بِالعُبوديّةِ، وَخَلْعَ الأَندادِ، وَأنَّ اللّهَ يُقَدِّمُ مايَشاءُ وَيُؤخِّرُ مايَشاء)[١٢].

وفي رواية أُخرىٰ وصف الإمام الصادق (ع) هذا الأمر بالمحو والاثبات وقال: (مابَعَثَ نَبيّاً قَطُّ حَتّىٰ يَأْخُذَ عليه ثَلاثاً: الإقرارَ للّهِ بالعُبوديّةِ وَخَلْعَ الأندادِ، وأنَّ اللّهَ يَمْحو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يَشاء)[١٣].

وفي رواية ثالثة سمّى المحو والإثبات بالبداء، وقال ماموجزه: (ماتَنَبَّأَ نَبيٌّ قَطُّ حتّىٰ يُقِرَّ للّهِ تَعالىٰ... بِالبَداء) الحديث[١٤].

وعن الإمام الرضا (ع) انّه قال: (مابَعَثَ نَبيّاً قَطُّ إلاّ بِتَحريمِ الخَمْرِ، وَأَنْ يُقِرَّ له بالبداء)[١٥].

وفي رواية أخرى أخبر الإمام الصادق (ع) عن زمان المحو والاثبات وقال: (إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكةُ والروحُ والكتبةُ إلىٰ سَماءِ الدنيا فيكتبون مايكونُ من قَضاءِ اللّهِ تعالىٰ في تِلك السنةِ فإذا أراد اللّهُ أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقصَ شيئاً أمرَ الملكَ أنْ يمحو ما يشاءُ ثمّ أثبتَ الذي أراد)[١٦].

---

(١٢) البحار (٤/ ١٠٨) نقلاً عن توحيد الصدوق.
(١٣) البحار (٤/ ١٠٨) نقلاً عن المحاسن.
(١٤) البحار (٤/ ١٠٨) نقلاً عن توحيد الصدوق.
(١٥) المصدر السابق نقلاً عن توحيد الصدوق.
(١٦) البحار (٤/ ٩٩) عن تفسير عليّ بن إبراهيم.

وأخبر الإمام الباقر (ع) عن ذلك وقال ما موجزه: (تنزل فيها الملائكةُ والكَتَبَةُ إلىٰ سماءِ الدنيا فيكتبون ماهو كائنٌ في أمرِ السّنةِ وما يصيبُ العِبادَ فيها. قال: وأمرٌ موقوفٌ لله تعالى فيه المشيئة يقدّمُ منه ما يشاءُ ويؤخِرّ مايشاءُ، وهو قَوْله تعالىٰ: يَمحو اللّهُ مايشاءُ ويثبتُ وعِندَهُ أمُّ الكِتاب)[17].

وفي حديث آخر له قال: (في قول الله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفساً إذا جاءَ أجَلُها﴾.

إنّ عند الله كتباً موقوتة يقدّمُ منها ما يشاءُ ويؤخّرُ فإذا كان ليلةَ القدر أنزلَ الله فيها كلّ شيء يكون إلىٰ ليلة مثلها، وذلك قوله: ﴿لَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إذا جاءَ أجَلُها﴾ إذا أنزِلَ، وكتبهُ كتّاب السمواتِ وهو الذي لايُؤخّره)[18].

وروىٰ المجلسي في هذا الباب خبر هبة آدم (ع) أربعين سنة من عمره لداود (ع) الذي أوردناه آنفاً في روايات مدرسة الخلفاء[19].

هذاهو البداء في أخبار أئمة أهل البيت (ع) وأمّا البداء بمعنىٰ أنّ الله جدّ له رأي في الأمر لم يكن يعلمه - معاذ الله - فقد قال أئمة أهل البيت (ع) فيه مارواه المجلسي عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال: (مَن زَعَمَ أنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبدو له في شيءٍ لم يعلمهُ أمسِ فابرؤوا مِنْهُ)[20].

أثر الإعتقاد بالبداء

لو اعتقد الإنسان أنّ مِنَ الناس من كتب في السعداء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في الاشقياء، ومنهم من كتب في الاشقياء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في

---

(١٧) البحار (٤/ ١٠٢) نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد.

(١٨) البحار (٤/ ١٠٢) نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

(١٩) البحار (٤/ ١٠٢) عن علل الشرايع.

(٢٠) البحار (٤/ ١١١) نقلاً عن اكمال الدين.

السعداء، وجف القلم بما جرى لكل إنسان، عندئذ لايتوب العاصي من معصيته بل يستمرّ في ماهو عليه لاعتقاده بأن الشقاء قد كتب عليه ولن تتغير حاله، ومن الجائز ان يوسوس الشيطان الى العبد المنيب انّه من السعداء ولن يكتب في الاشقياء وتؤدي به الوسوسة الى التساهل في الطاعة والعبادة ، وعدم استيعاب بعض المسلمين معاني الآيات والروايات المذكورة في المشيئة، اعتقد بعضهم أنّ الإنسان مجبور على ما يصدر منه وآخرون على أنّ الأمر كلّه مفوّض للإنسان، كما سندرسه في البحث الآتي لنعرف الحق في ذلك بإذنه تعالىٰ.

(١٨)
الجبر والتفويض

معنىٰ الجبر والتفويض والإختيار

الجبر والتفويض والإختيار:

أ ـ الجبر في اللغة:

جَبَرَهُ على الأمر وأجْبَرَهُ: قَهَرَهُ عليه، وأكْرَهَهُ على الإتيان به.

ب ـ الجَبْرُ في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

الجَبْرُ: إجبارُ الله تعالىٰ عبادَه علىٰ ما يفعلون، خيرا كان او شراً، حسناً كان أو قبيحاً، دون ان يكون للعبد إرادةٌ واختيار الرفض والإمتناع، ويرىٰ الجبرية الجبر مذهباً يرىٰ أصحابُهَ انّ كلّ ما يحدث للانسان قدر عليه أزَلاً، فهو مسيّر لا مخيّر وهو قول الأشاعرة[1].

ج ـ التفويض في اللّغة:

فَوَّضَ إليه الأمرَ تفويضاً: جَعَلَ له التَّصَرُّفَ فيه.

د ـ التفويض في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

هو أنّ الله تعالىٰ فوّض أفعال العباد إليهم، يفعلون ما يشاؤون، على وجه الإستقلال، دون ان يكون لله سلطان علىٰ أفعالهم، (هو قول المعتزلة)[2].

---

(١) راجع تعريف الأشاعرة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ١١٩ ـ ١٥٣).

(٢) راجع تعريف المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٥٥ ـ ٥٧).

هـ ـ الإختيار في اللّغة:

خيّره: فوّض إليه الاختيار بين أمرين أو شيئين أو أكثر.

و ـ الإختيار في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

إنّ الله سبحانه كلّف عباده بواسطة الأنبياء والرسل ببعض الأفعال ونهاهم عن بعض آخر، وأمرهم بطاعته في ما أمَرَ به ونهىٰ عنه بعد أن منحهم القوّة والإرادة على الفعل والترك وجعل لهم الاختيار في مايفعلون دون أن يجبر أحداً على الفعل، وسيأتي الاستدلال عليه بحوله تعالى.

(١٩)
القَضاء والقَدَر

أ ـ معاني القضاء والقدر.
ب ـ روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر.
ج ـ أسئلة وأجوبة.

\- ١ -

معاني القضاء والقدر

تستعمل مادّتا القضاء والقدر لعدّة معان منها: في ما يخص البحث من مادّة القضاء.

أ ـ قضىٰ أو يقضي بين المتخاصمين كقوله تعالىٰ:

﴿إنَّ رَبَّكَ يَقضي بَينهم يَومَ القيامَةِ في ما كانوا فيهِ يَختَلِفون﴾ (يونس ٩٣) و (الجاثية ١٧).

ب ـ قضى الله الأمر: أنبَأه بِهِ كقوله تعالىٰ في ما أخبر به لوطاً عن مصير قومه في سورة الحجر/ ٦٦: ﴿وَقَضَيْنا إليه ذٰلِكَ الأَمرَ أَنَّ دابِرَ هٰؤلاءِ مَقطوعٌ مُصبِحين﴾ أي أنبأناه.

ج ـ قضىٰ الله الشيء، وبه: أوجبه، أمر به كقوله تعالىٰ في سورة الإسراء/٢٣: ﴿وَقَضىٰ رَبُّكَ ألاّ تَعْبُدوا إلاّ إيّاه﴾.

أي أمر ربّك وأوجب عليكم الاّ تعبدو إلاّ إيّاه.

د ـ قضى الله الأمر أو الشيء: تعلّقت إرادته به، قدّره كقوله تعالى في سورة البقرة/ ١١٧: ﴿وَإذا قَضىٰ أمراً فَانَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيَكون﴾.

أي إذا أراد أمراً.

وقوله تعالىٰ في سورة الأنعام/ ٢: ﴿هُوَ الّذي خَلَقكُم مِن طينٍ ثُمَّ قَضىٰ أجَلاً﴾.

أي قدّر لكل انسان مدّة يحيا فيها.

ومن مادّة القدر:

أ ـ قدر علىٰ الشّيء أو العمل: استطاع أن يفعله، يتغلّب عليه فهو قادر، والقدير: ذو القوّة كقوله تعالىٰ:

١ ـ في سورة يس:

﴿أوَلَيسَ الذي خَلَقَ السموٰاتِ والأرضَ بِقادِرٍ علىٰ أنْ يَخْلُقَ مِثلَهُم﴾ (الآية ٨١).

٢ ـ في سورة البقرة:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم إِنَّ اللَّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٍ﴾ (الآية ٢٠).

أيْ ذو القدرة علىٰ فعل كل شيء على قدر ماتقتضي الحكمة.

ب ـ قَدَرَ:

١ ـ قَدَرَ الرّزق عليه ويَقْدِر: ضيّقه كقوله تعالى في سورة سبأ:

﴿قُلْ إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقْدِر﴾ (الآية ٣٦).

٢ ـ قدر الله الأمر بقدره: دبّره او اراد وقوعه، كقوله تعالى في سورة المرسلات:

﴿فَقَدَرْنا فَنِعمَ القادِرون﴾ (الآية ٢٣).

ج ـ قدّر:

١ ـ قدّر الله الأمر: قضىٰ به أو حكم بأنْ يكون، كقوله تعالى في شأن زوجة لوط، في سورة النمل/ ٥٧ : ﴿فأنجيناهُ وَأهلَهُ إلاّ امرَأتَهُ قدَّرْناها مِنَ الغابِرين﴾.

أي حكمنا، أو قضينا عليها بأن تكون من الهالكين.

٢ ـ قَدَّرَ في الأمْر: تَمهَّلَ وتروّىٰ في إنجازه كقوله تعالى في سورة سبأ/ ١١ مخاطباً داود (ع): ﴿وقَدِّرْ في السَّرْد﴾.

أيْ تمهّلْ وتروَّ في صُنعه كي تحكم عمله.

د ـ القَدَر:

١ ـ القَدَر: المقدار والكميّة، كقوله تعالى في سورة الحجر/٢١ ﴿وَإنْ مِن شَيءٍ إلاّ عِندَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلوم﴾.

أيْ بمقدار وكميّةٍ معلومة.

٢ ـ قَدَرُ الشيءِ: زمانه أو مكانه، كقوله تعالى في سورة المرسلات/ ٢٠ ـ ٢٢: ﴿أَلَمْ نَخلُقكُم مِنْ ماءٍ مَهينٍ* فَجَعَلناهُ في قَرارٍ مَكينٍ* إلىٰ قَدَرٍ مَعْلوم﴾.

أيْ إلىٰ زمانٍ محدّد معلوم.

٣ ـ قَدَرُ اللّهِ: قضاؤهُ المحكم، أو حكمهُ المُبرَم على خلقه، كقوله تعالى في سورة الأحزاب/ ٣٨: ﴿سُنَّةَ اللّهِ في الّذينَ خَلَوا مِنْ قَبلُ وَكانَ أمرُ اللّهِ قَدَراً مَقدوراً﴾ أي قضاءً محكماً، وَحُكماً مُبْرَماً.

لَعلَّ تعدّدَ معاني مايُنْسَبُ إلىٰ الله من مادّتَي القضاء والقدر، قد أدّىٰ الىٰ لبسِ معنىٰ ماورد منها في القرآن والحديث واعتقاد بعض المسلمين بأنَّ الإنسان يسير في حياته، في كل ما يعمل من خير أو شرّ وفق ماقضىٰ الله عليه وقدَّرَ قبل أنْ يخلقَ. ويطلق في الأخبار لفظ القدري علىٰ الجبريّ والتّفويضي كليهما[1]. وعليه فإنّ القَدَرَ اسمٌ للشيءِ وضِدّه كالقُرْء، اسمٌ للحيضِ والطُّهرِ معاً. ولانُطيل البحثَ بإيراد أقوال المعتقدين بذلك، والإجابة عليها، وانّما نكتفي بإيراد الأحاديث التي نجد فيها جواباً لتلكم الأقوال توضيحاً وبياناً للأمر بحوله تعالىٰ.

---

(١) البحار (٥/٥).

ـ ٢ ـ

روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر

أوّلاً: عن أوّل أئمّة أهل البيت عليّ بن أبي طالب (ع) روي في توحيد الصدوق بسنده الىٰ الإمام الحسن (ع)، وفي تاريخ ابن عساكر بسنده الىٰ ابن عبّاس واللفظ للأوّل قال:

دخل رجل من أهل العراق علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: أخبِرنا عَنْ خروجنا إلىٰ أهل الشام أبقضاءٍ من اللّهِ وقدر؟ فقال له أميرُ المؤمنين (ع): أجَلْ ياشيخ، فواللّهِ ماعَلَوتُم تَلعةً ولا هبطتم بطنَ وادٍ إلّا بقضاءٍ من اللّهِ وقدرٍ فقال الشيخ: عند اللّه أحتسبُ عنائي[٢] يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً ياشَيخُ، لعلّكَ تظنُّ قضاءً حتماً وَقَدَراً لازماً[٣] لَوْ كانَ كذلِك لبطلَ الثّوابُ والعِقابُ والأمرُ والنَهيُ والزّجرُ، ولَسَقَطَ معنىٰ الوعيد والوعد، ولم يكنْ علىٰ مُسيءٍ لائمَةٌ وَلا لُمحسنٍ مَحمَدَةٌ، ولَكانَ المحسِنُ أولىٰ باللّائمَةِ من المذنبِ وَالمذْنب أولىٰ بالإحسانِ من المُحسنِ[٤] تلكَ مقالةُ عبدَةِ الأوثانِ وخُصَماءِ

---

(٢) أي ان كان خروجنا وجهادنا بقضائه تعالى وقدره لم نستحق أجراً فرجائي أن يكون عنائي عند الله محسوباً في عداد أعمال من يتفضل عليهم بفضله يوم القيامة.

(٣) بالمعنىٰ الذي زعمته الجبرية.

(٤) لأنّها في أصل الفعل سيان، اذ ليس بقدرتها وارادتها مع أن المحسن يمدحه الناس وهو يرى ذلك حقاً له وليس كذلك فليستحق اللائمة دون المذنب، والمذنب يذمه الناس وهو يرى ذلك حقاً عليه وليس كذلك فليستحق الإحسان كي ينجبر تحمّله لأذى ذم الناس دون المحسن.

الرَّحمٰن وقدريّة هٰذه الأُمّةِ ومجوسها. ياشيخُ إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ كلّفَ تخييراً، وَنَهىٰ تَحذيراً، وأعطىٰ علىٰ القليل كثيراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ مُكرَهاً، ولم يَخلُق السمٰواتِ والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظَنُّ الّذين كفروا فويلٌ للّذين كفروا من النّار[٥].

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

«أنت الإمـامُ الّذي نَرْجو بطاعته ... يوم النّجـاة من الرَّحمٰنِ غُفراناً»

«أوضَحْتَ منْ ديننـا ما كان مُلْتَبسـاً ... جزاك ربّـك عنّـا فيه إحسـانـاً»

«فَلَيْسَ مَعْـذِرَةٌ في فِعْـل فاحِشَـةٍ ... قَدْ كُنْتُ راكبهـا فسقـاً وَعِصْيانـاً»[٦]

ثانياً: عن السادس من أئمة أهل البيت (ع)، الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع): إنَّ الناسَ في القَدَرِ عَلىٰ ثلاثةِ اَوجهٍ: رَجلٌ يزعمُ أنَّ اللّهَ عَزَّ وَجلَّ أجبَرَ الناسَ على المعاصي فهٰذا قد ظلَمَ اللّهَ في حُكمِه فهو كافر.

ورجلٌ يزعمُ أنّ الأمْرَ مفوّضٌ إليهم فهذا قد أوهنَ اللّهَ في سلطانِهِ فهو كافر.

ورجل يزعمُ انَّ اللّهَ كَلّفَ العِبادَ مايطيقون ولم يكلِّفهُم مالا يُطيقونَ وإذا أحسنَ حَمِدَ الله وإذا أساءَ استغفرَ اللّهَ فهذا مسلمٌ بالغ[٧].

ثالثاً: وعن الثامن من أئمة أهلِ البيت الامام أبي الحسن الرضا (ع) قال:

أ ـ إنَّ اللّهَ عزَّ وجـلَّ لم يُطَعْ بإكراهٍ، ولم يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَم يُهْمِل العبادَ في مُلكه، هو المالِكُ لما ملّكهم والقادرُ علىٰ ما أقدرَهم عليه فإن ائتمَرَ العبادُ بطاعته

---

(٥) كما في سورة ص: ٢٧.

(٦) توحيد الصدوق (٣٨٠) وترجمة الإمام علي (ع) في تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٣١) تحقيق الشيخ المحمودي.

(٧) توحيد الصدوق ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

لم يكن الله منها صادّاً، ولا منها مانعاً، وان ائتمروا بمعصيته فشاءَ أنْ يحولَ بينهم وبين ذلك فَعَلَ وإنْ لم يَحُلْ وفعلوه فليسَ هو الذي أدخلهم فيه[٨].

يعني أن الانسان الّذي اطاع الله لم يكن مجبراً على الطاعة، والانسان الذي عصاه لم يغلب مشيئة الله بل الله شاء أنْ يكون العبد مختاراً في فعله.

ب ـ قال:

قال الله تبارك وتعالىٰ:

يا ابنَ آدمَ أبمشيئتي كنتَ أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاءُ، وبقوّتي أدّيتَ إليَّ فرائضي، وبنعمتي قويتَ علىٰ معصيتي، جعلتُك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنةٍ فمِنَ اللّهِ وما أصابك من سَيِّئةٍ فمنْ نفسك[٩].

وفي رواية عملت بالمعاصي بقوتي التي جعلتها فيك[١٠].

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق(ع) قال:

أ ـ لا جبرَ ولا تفويض ولٰكن أمرٌ بين أمْرَين قال: قلت: وما أمر بين أمْرَين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته علىٰ معصية فنهيته فَلَم ينْتَهِ فتركتَه ففعلَ تلك المعصيَة، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية[١١].

ب ـ ما استطعت أنْ تلوم العبد عليه فهو منه ومالم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله.

يقول الله للعبد لِمَ عَصَيْتَ؟ لِمَ فَسَقْتَ؟ لم شَربتَ الخَمر؟ لِمَ زنيت؟ فهذا فعْل العَبدِ. ولا يقول له لِمَ مَرِضْتَ؟، لِمَ قَصُرْتَ؟ لِمَ ابيَضَضْتَ؟ لِمَ اسودَدْت؟ لأنّه من

---

(٨) توحيد الصدوق ٣٦١.

(٩) توحيد الصدوق ٣٢٨/ ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٦٢ والكافي ١/ ١٦٠.

(١٠) التوحيد ص ٣٦٢.

(١١) الكافي ١/ ١٦٠ والتوحيد ص ٣٦٢.

فعلِ الله تعالى[١٢].

شرح الروايات

إنّ للجبر والتفويض جانبين:

أ ـ ما كان منهما من صفات الله.

ب ـ ما كان منهما من صفات الإنسان.

فما كان منهما من صفات الله فينبغي أخذه منه بوساطة الأنبياء، وأوصياء الأنبياء عن الأنبياء، ومـا كان من صفات الانسان فان قولنا: افعل هذا او لا افعله دليل على أنّا نَفْعَل ما نفعله باختيارنا، وقد عرفنا مِمّا سبقَ أنّ سَير الانسان في حياتـه لايشابه سير الذرّة والكواكب والمجّرات المسخّرات بأمر الله في كلّ حركاتها وما يصدر منها من آثار.

ولم يفوض الله إليه أمر نفسه وكلّ ما سخّر له ليفعل ما يشاء كما يُحبُّ، وكما تهوىٰ نفسه، بل إنّ الله أرشده بوساطة أنبيائه كيف يؤمن بقلبه بالحقّ، وهداه الى الصالح النافع في ما يفعله بجوارحه، والضّارُّ منه، فاذا اتبع هدىٰ الله، وسار على الطريق المستقيم خطوة أخذ الله بيده وسار به عشر خطوات ثُمَّ جزاه بآثار عمله في الـدنيا والآخرة سبعمائة مرّة اضعاف عمله والله يضاعف لمن يشاء بحكمته ووفق سُنّته.

وقلنـا في المثل الذي ضربناه في ما سبق، بانّ الله أدْخَلَ الانسانَ المؤمن والكـافر في هذا العالم في مطعم له من نوع (سلف سرويس) كما قال سبحانه في سورة الإسراء/٢٠: ﴿كُلّاً نُمِدُّ هٰؤلاءِ وَهٰؤلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَما كان عَطاءُ رَبِّكَ مَحظوراً﴾.

---

(١٢) الطرائف.

فلولا إمداد الله عبيده بكل ما يملكون من طاقات فكرية وجسديّة، وما سَخَّرَ لهم في هذا العـالم لما استطاع المؤمن أن يعمل عملاً صالحاً، ولا الضالّ الكافر أن يعمل عملاً ضارّاً فاسداً، ولو سلبهم لحظة واحدة اي جزء مّما منحهم من الـرؤية والعقـل وَالصحّـة و... و... لما استـطاعوا أن يفعلوا شيئاً، إذاً فإنّ الإنسـان يفعل ما يفعل بما منحه الله بمحض اختياره، وبناءً علىٰ ما بيّنّاهُ، أنّ الإنسان لم يفوّض إليه الأمر في هذا العالم، ولم يجبر على فعلٍ بل هو أمر بين الأمرين، وهذه هي مشيئة الله وسنّته في أمر أفعال العباد، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

ـ ٣ ـ

أسئلة وأجوبة

وفي هذا المقام ترد الأسئلة الأربعة الآتية:

السؤال الأوّل والثـاني: كيف يكـون الانسان مختاراً في مايصدر منه من فعل، مع تسلّط الشيطان عليه من حيث لايراه، واغوائه بما يوسوس إلى قلبه ويدعوه الى فعل الشرّ!؟

وكذلك شأن الإنسان الذي يعيش في المحيط الفاسد الّذي لايرىٰ فيه غير الشرّ والفساد أمراً!؟

السؤال الثالث: ماذا يستطيع أن يفعل الإنسان الّذي لم تبلغه دعوة الأنبياء في بعض الغابات؟

السؤال الرابع: ما ذنب ولد الزّنا، وما جُبل عليه من حبّ فعل الشّرّ بسبب فعل والدَيه!؟

ونجد الجواب عن السؤالين الأوّل، والثاني في ما أوردناه في بحث الميثاق باوّل الكتـاب، بأنّ الله تبارك وتعالىٰ أتَمّ الحجّة علىٰ الإنسان بما اودع فيهِ مِنْ غريزَةِ البحث عن سبب وجـود كلٍّ ما رآه والّتي توصله الىٰ معـرفـة مُسَبِّب الأسباب، ولذلك قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف/١٧٢: ﴿أَنْ تَقولوا يَوْمَ القيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلين﴾. فكما أنّ الإنسان لن يغفل عن غريزة الجوع في حال من الأحوال حتى يملأ جوفه بالطعام كذلك لن يغفل عن غريزة طلب

المعرفة حتى يعرف مُسَبِّبَ الأسباب وفي الجواب عن السؤال الثالث نقول: قال الله سبحانه: ﴿لايُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾ (البقرة ٢٨٦).

أمّا السؤال الرابع، فجوابه: إنّ ولد الزّنا ـ أيضاً ـ ليس مجبوراً علىٰ فعل الشرّ، وكلّ ما في الأمر أنّ الحالة النفسيّة للوالدين في حال ارتكابها الزّنا وما يريان من نفسهما بأنّهما باشرا بفعلها خيانة المجتمع وان المجتمع يتقذّر من فعلها ويحتقرهما ويعاديهما لو اطّلع علىٰ فعلهما وأنّها عند ارتكابها الرذيلة في حالة معاداة للنزيهين من تلك الفعلة في المجتمع والذين هم أبرار المجتمع وأخياره والمتمسّكون بفضائل الأخلاق والمعروفون بكل ذلك في المجتمع؛ وعليه فإنّ تلك الحالة النفسيّة العدائيّة منها للمجتمع وأبراره تؤثّر على النطفة حين انعقادها وتنتقل بالوراثة إلى ما يتكوّن من تلك النطفة، فإنّه يجبل علىٰ حبّ الشرّ والعداء للخيّرين والمعروفين بالفضيلة في المجتمع، ومن الأمثلة علىٰ ذلك زياد بن أبيه وولده ابن زياد في ما ارتكباه زمان امارتها في العراق[١٣]، وخاصّة ما فعله ابن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)، مع جسده الشريف وأجساد المستشهدين معه من آل الرسول (ص) وأنصارهم من التمثيل بهم وحمله رؤوسهم من بلد إلىٰ بلد وسوقه بنات الرسول (ص) سبايا إلى الكوفة وسائر ما عاملهم بها في حين انّه لم يبق بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) أيّ مقاوم لحكمهم ولم يكن أي مبرّر له عندئذ في كل ما فعل من ظلم واستهانة بمقامهم في المجتمع عدا حبّه في كسر شوكة أشرف بيت في العرب وأفضله وتوهينهم وحبّه للشرّ وعدائه الجبلّي الفطري للأكرمين في المجتمع.

وبناءً علىٰ ذلك يكون حبّ الشرّ والرغبة في إيذاء الخيّرين والمعروفين

---

(١٣) راجع بحث استلحاق زياد في المجلّد الأوّل من كتاب عبدالله بن سبأ للمؤلّف، وبحث استشهاد الإمام الحسين (ع) في المجلّد الثالث من معالم المدرستين.

بالفضيلة في المجتمع فطريّ في ولد الزّنا علىٰ عكس ولد الزواج الحلال والذي ليس من فطرته حبّ الشرّ والرغبة في إيذاء الخيِّرين في المجتمع ولكنّهما مع كلّ ذلك ليسا مجبورين على القيام بكلّ ما يفعلانه ويتركانه من خير وشرّ وإنّما مثلهما في ما جُبِلا عليه مثل شابّ مكتمل الرجولة في الجسد وما يتمتّع به من حيويّة دافقة وشهوة عارمة للجنس مع شيخ هرم ناف على التسعين وتهدّمت قواه، يعاني الفتور وفقدان القوى الجسديّة، منصرف عن الشهوة الجنسية وفي عدم تمكّن الأخير من ارتكاب الزّنا وتوفّر القوى الجنسيّة في الأوّل؛ فإنّ الشابّ القويّ مكتمل الرجولة ـ أيضاً ـ غير مجبور على ارتكاب الزّنا في ما إذا ارتكب ذلك ليكون معذوراً في ارتكابه الرذيلة، وأمّا إذا تيسّر له ارتكاب الزّنا وخاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ فإنّ الجنّة هي المأوىٰ[١٤] على عكس الشيخ الهرم فإنّه لا يُثاب علىٰ تركه الزّنا لأنّه لم يترك الزّنا مع قدرته عليه.

وهكذا كلّما تعمّقنا في دراسة أي جانب من جوانب حياة الانسان، وجدناه مختاراً في ما يصدر منه من فعـل، عدا ما يصدر منه عن غفلة وعدم تنبّه.

* * *

إلىٰ هنـا كان محـور البحـوث في بيان عقائد الإسلام من آيات القرآن الكريم، وفي ما يأتي ندرس بإذنه تعالىٰ سيرة المبلّغين عن الله من القرآن الكريم أوّلاً، وممّا نجد فيه شرحاً وبياناً للآيات الكريمة في التوراة والإنجيل وكتب السيرة.

---

(١٤) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة النازعات/ ٤٠: ﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوىٰ فإنّ الجنّة هِيَ المَأوىٰ﴾.

الملاحق

الملحق رقم (١)

بدء الخلق وبعض صفات المخلوقين في الروايات

أوّلاً ـ روىٰ أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذي بسندهم عن رسول الله قال:

(إنّ الله تعالىٰ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فَجاءَ بنو آدم علىٰ قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك...) الحديث[١].

وروىٰ ابن سعد عن رسول الله (ص) ما موجزه:

(لمّا ركب آدم الخطيئة بدت له عورته فكان لايراها قبل ذلك)[٢].

ثانياً ـ ورد عن الإمام عليّ في بدء الخلق:

أ ـ ما رواه المسعودي بسنده عن الإمام علي (ع) في كلام اوجز فيه بدء الخلق وقال (ع):

(...فسطح الأرضَ على ظهر الماء، وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء،

---

(١) سنن الترمذي (١١/ ١٦) ج١ من تفسير سورة البقرة وسنن أبي داود كتاب السنّة باب ١٦ ومسند أحمد (٤/ ٤٠٠ و ٤٠٠٦) وطبقات ابن سعد ط.اروبا (١ ق١/ ٥، ٦) واللفظ للترمذي.

(٢) طبقات ابن سعد ط. اروبا ج١/ ق١/ ١٠.

ثم استجلبها الى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبـدعهـا، وأرواح اخترعها، وقَرَنَ بتوحيده نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلما خلق الله آدم أبَانَ فضله للملائكة، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عَرَّفَه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعـل الله آدم محـرابـاً وكعبـة وبـابـاً وقبلة أسجـد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه، بعدما سماه إماماً عند الملائكة)[٣].

ب ـ وذكر لك الخلق مفصلاً في الخطبة الأولىٰ من نهج البلاغة وقال:

(... أنشَأ الخَلْقَ إنشاءً، وابتدأَهُ ابتداءً، بِلا رَوِيَّةٍ أجالَها وَلا تَجربةٍ استفادَها، وَلا حَرَكـة أحدثَها، ولا هَمامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فيها أحالَ الأشياءَ لأوقاتها وَلاَّمَ بينَ مُختلِفاتِها وَغَرَّزَ غرائزَها، وألزَمَها أشباحَها عالِماً بها قَبْلَ ابتِدائها، مُحيطاً بحُدُودِها وانتِهائها عَارِفاً بقرائِنِها وأحنائها. ثُمَّ أنشأَ سُبحانَهُ فَتْقَ الأجواءِ وَشَقَّ الأرجاءِ، وَسَكائكَ الهواء فأجرىٰ فيها ماءً مُتلاطِماً تَيَّارُهُ مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ علىٰ مَتْنِ الريحِ العاصِفَةِ، والزَّعْزَعِ القاصِفَةِ. فأمَرَها بِرَدِّهِ وَسَلَّطَها علىٰ شَدِّهِ، وَقَـرَنَهـا إلىٰ حَدِّه. الهواءُ مِنْ تَحتِها فَتيقٌ والماءُ من فَوْقِها دَفيقٌ. ثُمَّ أنشأَ سُبحانَهُ ريحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّها وأدامَ مُرَبَّها، وأعصَفَ مَجراها، وأبعَدَ مَنشأَها، فأمَرَهَا بِتَصفيقِ الماءِ الزخَّار وإثارةِ مَوجِ البِحارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفاً بالفضاءِ تَرُدُّ أَوَّلَهُ إلىٰ آخِرِهِ وَساجيهُ الى مائرِهِ. حتى عَبَّ عُبابه. ورمىٰ بالزَّبَدِ

---

(٣) مروج الذهب (١/ ٤٣).

رُكامَهُ، فَرَفَعَهُ في هَواءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَّىٰ مِنهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ جَعَلَ سُفلاهُنَّ مَوْجاً مَكفوفاً وَعُلياهُنَّ سَقْفاً مَحْفوظاً وَسَمْكاً مرفوعاً بِغَيرِ عَمْدٍ يدعمها، ولا دِسارٍ يَنظُمُها ثُمَّ زَيَّنَها بِزينَةِ الكَواكِبِ، وَضياءِ الثَّواقِبِ وأَجرىٰ فيها سِراجاً مُستَطيراً وَقَمَراً مُنيراً: في فَلَكٍ دائرٍ، وَسَقْفٍ سائرٍ، وَرَقيمٍ مائرٍ ثُمَّ فَتَقَ ما بينَ السمٰواتِ العُلا، فملأَهُنَّ أَطواراً مِن ملائكتِهِ منهم سُجودٌ لايركعون، وَرُكُوعٌ لايَنْتَصِبُونَ، وصافُّونَ لايتزايَلونَ، وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمونَ. لايغشاهُم نومُ العَينِ، وَلا سهوُ العقُولِ، وَلافَتْرَةُ الأبدانِ، وَلاغَفْلَةُ النِّسيانِ. وَمِنْهُمْ أُمَناءُ عَلىٰ وَحيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إلىٰ رُسُلِهِ، وَمختلفونَ بِقَضائهِ وَأَمرِهِ، وَمِنْهُمُ الحَفَظَةُ لِعبادِهِ، والسَّدَنَةُ لأبوابِ جنانِهِ. ومنهمُ الثّابِتَةُ في الأَرَضينَ السُّفلىٰ أَقدامُهُم، والمارِقَةُ مِنَ السَّماءِ العُليا أَعْناقُهُم، والخارِجَةُ مِنَ الأقطارِ أَرْكانُهُم، والمُناسِبَةُ لِقَوائمِ العَرْشِ أَكتافُهُم. ناكِسَةٌ دُونَهُ أَبصارُهُم مُتَلَفِّعُونَ تحتَهُ بأَجنحَتِهِم، مَضْرُوبَةٌ بَينَهُم وبينَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ العِزَّةِ، وأَستارُ القُدْرَةِ. لايَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُم بِالتصويرِ، ولايُجرونَ عَليهِ صِفاتِ المَصنُوعينَ، ولايَحِدّونَهُ بالأماكِنِ، ولايُشيرونَ إليه بالنظائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مِن حَزْنِ الأَرْضِ وسَهلِها، وَعَذْبِها وَسَبَخِها تُرْبَةً سَنَّها بالماءِ حتّىٰ خَلَصَتْ. وَلاطَها بالبَلَّةِ حَتّىٰ لَزَبَتْ فَجَعَلَ مِنْها صُورَةً ذاتَ أَحناءٍ وَوُصولٍ وأعضاءٍ وَفصولٍ: أَجْمَدَها حَتّىٰ استَمْسَكت واصلَدَها حتى صَلْصَلَت لوقتٍ معـدودٍ، وأَمـدٍ معلومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فيها مِنْ روحِهِ فَمَثُلَت إنساناً ذا أَذهانٍ يُجيلُها، وَفِكرٍ يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها، وأَدواتٍ يُقَلِّبُها، وَمَعْرِفَةٍ يفْرُقُ بها بَينَ الحَقِّ وَالباطِلِ والأذواقِ وَالمشامِّ، والألوانِ وَالأَجْناسِ، معجوناً بِطينَةِ الألوانِ المُختَلِفَة وَالأشباهِ المؤتلِفةِ، والأضدادِ المتعادِيَةِ والأخلاطِ المُتباينةِ، من

الحَرَّ وَالبَرد، والبَلَّةِ وَالجُمُودِ، وَاستَأدىٰ الله سُبْحانَهُ الملائكَةَ وديعتَهُ لديهم وعهدَ وَصِيَّتِه إليهم، في الإذعـانِ بالسُّجودِ لَهُ، والخُشُوعِ لتَكرِمَتِه، فَقَالَ سُبْحانَهُ: (اُسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إلاَّ إبليسَ اعتَرَتْهُ الحَمِيَّةُ وغلبت عليهِ الشِّقوةُ وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاستهونَ خَلقَ الصَّلصالِ، فأعطَاهُ الله النَّظْرَةَ استِحقاقاً للسُّخطَةِ .....الخطبة.

ج ـ روىٰ المجلسي في البحـار في انّـه (ع) ذكـر تفصيل خلق الملائكة وقال (ع): وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتـك ولايغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب ولم تضمّهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشـأتهم إنشاء فأسكنتهم سماواتك وأكرمتهم بجوارك وائتمنتهم على وحيك، وجَنَّبتَهم الآفات، ووقيتهم البليّات وطهّرتهم من الذنوب، ولولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا، أما إنّهم علىٰ مكانتهم منك وطواعيتهم إيّاك ومنزلتهم عندك وقلّة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ما خفي عنهم منـك لاحتقروا أعمالهم، ولأزروا علىٰ أنفسهم، ولعلموا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، سبحانك خالقا ومعبوداً ما أحسن بلاءك عند خلقك[٤].

(٤) البحار (٥٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦) نقلاً عن تفسير القمّي (٥٨٣

شرح الكلمات

أ ـ الرَوِيَّة:

النظر والتفكير.

ب ـ هَمامة النفس:

أَهَمَّهُ الأمر اذا اقلقه وأحزَنَهُ.

ج ـ أحالَها:

حوّلها من العدم الى الوجود في اوقاتها.

د ـ لأَمَ:

لأَمَ بين الشيئين: جمع بينهما ووافق كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادّي في الإنسان.

هـ ـ غَرَّزَ الغَرائزَ:

الغرائز جمع الغريزة: الطبيعة وغرّز الغرائز: اودع في كل مخلوق طبيعته.

و ـ أَلْزَمَها أَشْباحَها:

شَبَحَ الشيء: بدا غير جليّ والشبح ما بدا لك شخصه غير جليّ من بعد وشَبَح الشَيءِ: ظلّه وخياله، يقال: هم اشباح بلا ارواح.

والـزم الغـرائـز أشبـاحها أي ألزم صاحب الطبيعة طبيعته فهي تلازمه ولايكون الشجاع مثلا: جبانا.

ز ـ عارِفاً بقرائنها وأحنائها:

القرائن جمع القرين المصاحب والأحناء جمع الحنو: الجانب وما اعوّج من كل شيء، جسداً كان او غير جسد والحِنو عندئذ كناية عما خفي من الشيء وأحناء الأمور: مشتبهاتها ويكون المعنى عارفاً بجميع مايقترن بالخلق ويخفى فيهم من طبائع وصفات.

ح ـ انشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الارجاء وسكاسك الهواء فتق الشيء: شَقُّه.

والأرجاء: جمع رَجاً: الجانب.

وَسَكائك جمع سُكاكة مثل ذَوائب: الهواء الملاقي عنان السماء والمعنى: خلق الفضاء المنبسط والهواء الذي علا الفضاء في جميع جوانب هذا الكون.

ط ـ فاجرى منها ماءً متلاطماً، تيارُه متراكما زخّاره.

والزخّار: شديد الجري والامتداد والارتفاع، والمعنىٰ أجرىٰ في الفضاء ماء يضرب بعض موجه بَعْضاً الآخر راكباً بعضهُ، فوقَ بعض الآخر الشديد الجري.

ي ـ حَمَلَهُ على مَتْنِ الـرِّيحِ العاصِفَةِ والزَّعْزَعِ : زَعْزَعَهُ: حَرّكه بشدةٍ والزَعزَع: من الريح: الشَديدة والقاصِفَةِ، قصف الرعد: اشتدّ صوته.

ك ـ فَأمرَها بردِّهِ، وسلّطها على شَدِّهِ وقرنَها الى حدِّه: أي أمر الريح بردّ الماء من الهبوط وسلط الريح على شد وثاقه كأنّه سبحانه اوثق الماء بالريح وقرنها الى حدّه اي جعل الماء مماسّاً لسطح الريح.

ل ـ الهواء من تحته فتيق، والماء من فوقها دفيق فتق الشيء: شقه فهو فتيق ودفق الماء: صبّه فهو دقيق والمعنى: الهواء تحت الماء منبسط والماء فوق الهواء مصبوب.

م ـ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مَهَبَّها وَأدامَ مِرَبَّها وأعصفَ مجراها وَأبْعَدَ مَنْشأها.

اعتقم: الريح العقيم التي لاتلقح سحاباً وَلا شجراً أي جعل هبوب الريح لتحريك الماء حسب.

ومِرّبها: أَرَبَّت الريح: دامت اي ادام هبوبها بلا توقف.

وَأعْصَفَ: عصفت الريح اشتد هبوبها والمعنى جعل سبحانه جريان الريح شديداً.

س ـ فأمرها بتصفيق الزخّار واثارة موج البحار:

صَفَقَ الشيءَ: ضربه ضرباً يسمع له صوت وصفّقة مبالغة في الضرب والاثارة. اثارهُ إثارةً: هيَّجه ونشره فمحصه محص السقاء للماء.

ع ـ وعصفت بها عصفا بالفضاء تَرُدُّ أوّلَهُ إلى آخره وساجيه الى مائره حَتّىٰ عبَّ عبابه ورمى بالزبد ركامه:

محض السقاء التي فيها اللبن حركه تحريكاً شديداً ليخرج الربد من اللبن.

ساجيهِ: الساجي، الساكن والمائر الذي يذهب ويجيء او المتحرك وعبَّ عبابه: ارتفع اعلاه، وركامه ماتراكم مِنْهُ بَعْضُهُ على بعض المعنىٰ عصفت الريح الماء بالفضاء ومخضته كما يُمْخَضُ اللبن بالسقاء ورمته بالفضاء تَرُدُّ أوّلَهُ إلى آخره وساكنه الى متحركه حتى ارتفع اعلاه ورمى بالزبد ما تراكم منه.

ف ـ فرفعه في هواء منفتق وجوّ منفهق فسوّى منهن سبع سموات.

منفهق: مفتوح واسع والمعنى: رفع زَبَدَ الماء في هواءٍ مفتوقٍ وجوٍ واسعٍ وسوى سبحانه من ذلك الركام سبع سماوات.

ص ـ جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهنّ سقفا محفوظاً وسمكا مرفوعاً بغير عمد يدعمها ولا دِسارٍ ينظمها.

المكفوف: الممنوع من السيلان، والسَّمْك: السّقف المرتفع والدّسار جمع الدُسر: المسامير أو الخيوط تشد بها الواح السفينة من ليف ونحوه والمعنى جعل الله سبحانه سماء الدنيا من أوّل أمره موجاً ممنوعاً من السيلان وعليا السموات: سقفاً محفوظاً عالياً بلا عمد ولامسامير يشد بعضها الى بعض.

ق ـ ثمّ زيَّنَها بِزينَةِ الكَواكبِ وَضياءِ الثّواقبِ وأجرىٰ فيها سِراجاً مُستَطيراً وَقَمراً منيراً.

الثواقب: جمع الثاقب المنير المشرق والمستطير منتشر الضياء والمقصود

منه الشمس.

ر ـ في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر:

الرقيم: المرقوم: المكتوب والمائر: المتحرك أَسْمَىٰ مدار الكواكب ومنطقة سيرها من السماء فَلَكاً والمعنى: جعل الشمس سراجا منيراً في فلكها أيْ مدارها في الجو والقمر كوكباً منيراً في فلكه اي مداره في الجوّ وسقف سائر ولعلّ المعنى، ان الشمس والقمر مع فلكيهما في سقف سائر اي في المجرّة التي تحويهما وتسير بهما في مجراها.

الملحق رقم (٢)

مُقْتبس من مَقـال لحافظ محمّـد سليم في مجلّة الثقـافة الباكستانية إصدار سفارة جمهورية باكستان الإسلامية في دمشق، العدد: ٢٦ شباط ـ آذار/ ١٩٩١م.

أصل الكون
في القرآن الكريم

الكون كلمة تعبِّر عمّا هو موجود خارجاً عبر الظواهر الطبيعية بما في ذلك كافّة الخلق والنجوم والكواكب وتوابعها وما إلىٰ ذلك من ظواهر أُخرىٰ. ويتألّف الكون، حسب ما هو مبيّن في موسوعة ماكميلان (Macmillan Encyclopedia)، من كل الأجسام التي يمكن التعرّف عليها كالأرض والشمس وأجسام المجموعة الشمسية والمجرّات وما بينها من أشياء.

كما يضم الكون الصخور والمعادن والغازات والتراب والحيوانات والكائنات الإنسانية وما إلىٰ ذلك من أجسام ثابتة ومتحرّكة. ويلجأ الفلكيّون إلىٰ استعمال كلمة «الكون» للإشارة إلى الفضاء وكل ما يحويه من أجرام سماوية. أمّا فيما يتعلّق باتّساع وفساحة الكون فإنّ الأرض والشمس والكواكب ما هي سوىٰ نقاط بالغة الصغر، والشمس هي نجم منفرد ضمن مجرّاتٍ تضمّ ما يُقارب المائة ألف مليون نجم.

أمّا الأرض والكواكب الأُخرى التي تدور حول الشمس فتشكّل أبعاداً دنيويّةً منتظمة تبدو في منظارنا البشري ضخمة هائلة.

فالأرض تبعد عن الشمس بما يُقارب ثلاثة وتسعين مليون ميلاً، وهذا الرقم في منظار البشر يشكّل مسافة هائلة؛ إلّا أنّه صغير جدّاً إذا ما قورنَ بالمسافة التي تفصل الشمس عن أبعد الكواكب ضمن المجموعة الشمسية. فعلىٰ سبيل المثال تقدّر المسافة بين بلوتو والأرض بأربعة أضعاف المسافة بين الأرض والشمس أي

ما يُقارب ٣٫٦٧٢ مليون ميلًا. إنّ مسافة كهذه إذا ما ضوعفت فإنّها تمثّل الأبعاد الأكثر ضخامة لنظامنا الشمسي.

هناك نظريات عديدة معلنة حول أصل الكون غير أنّ أحدثها هي التي تُعرف بنظريّة بغ بانغ (Big Bang Theory)، التي تقدّم بها جورج لاميتر عام ١٩٢٠م والتي تنصّ علىٰ أنّ كل المادّة والإشعاعات في الكون جاءت نتيجة إنفجار هائل تشكّل الكون بعده بصورته الفسيحة وما زالت تلك العملية في حالة إستمرار. وحسب هذه النظرية فإنّ الانفجار حدث قبل حوالي ١٠ ـ ٢٠ ألف مليون سنة. ونظراً إلىٰ أنّ درجة الحرارة الأوّلية العالية للهيدروجين والهيليوم كانت كافية لتشكيل الوفرة الكونية الملحوظة من الهيليوم، فإنّ ذلك يتوافق بشكل حسن مع القيمة التنبّوية. وفي نهاية الأمر حدث تفاعل لهذه المادّة ممّا أدّىٰ إلىٰ تشكّل المجرّات. وقد كانت تلك الكتلة الضخمة موجودة في الكون في الماضي السحيق، ثمّ لسبب ما انفجرت تلك المادّة، قاذفةً المواد المتفجرّة نحو الخارج كما يحدث عند انفجار القنبلة. وكان ذلك الانفجار أصل الخلق بالنسبة للكون.

وهناك اكتشاف مدهش آخر لافت للنظر حول الكون يُدعىٰ قانون هوبل حول توسيع الكون (Hubble's Law of Expanding Universe). وحسب هذه النظرية فإنّ توسّع الكون عملية مستمرّة وأنّ هذا التوسّع موحّد الخواص أي أنّ خصائصه متساوية في كل الإتجاهات.

وتبيّن هذه النظرية أنّ الضوء القادم من المجرّات البعيدة خاضع لما يُعرف بالنقلة الحمراء (Red Shift)، أي الانزياح الشامل نحو أطوال موجات أكثر سعة لخطوط الطّيف المتعلّقة بالأجسام السماوية. وينجم ذلك عن ارتداد المجرّات عنّا.

وقد ظهر مؤخّراً أنّ العلماء كشفوا النّقاب عن مجرّات عملاقة تبدو أكبر حجماً بكثير من المجرّة التي تُعرف باسم درب اللّبّانة (Milky Way). وتبعد تلك

المجرّات عن أرضنا عشر بلايين من السنين الضوئية. وقد تمّ التعرّف علىٰ هذه المجرّات للمرّة الأولىٰ، وربّما ساعدت العلماء علىٰ تحديد فيما إذا كان الكون في حالة من التوسّع اللاّنهائي أو أنّه محتوم عليه أن يتداعىٰ نحو الداخل.

أمّا القرآن الكريم ـ وهو خاتمة الرّسالات من جانب الخالق ـ فإنّه يكشف بوضوح كامل عن حقائق أساسية حول خلق الكون، وهو يشرح أنّ كل ما في الكون ناجم عن عملية الخلق التي قام بها الخالق عزّ وجلّ.

وقد خلق الله الشمس والقمر والسمٰوات والأرض وما بين ذلك بتقدير وتناسب. وحول ذلك يبيّن القرآن الكريم بقوله:

﴿بَديعُ السّمٰواتِ والأرْضِ وإذا قَضَىٰ أمْراً فإنّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾.

(البقرة/ ١١٧)

وتشير هذه الآية الكريمة إلىٰ أنّ الله هو خالق السمٰوات والأرض.

وكلمة بديع تدلّ علىٰ وجود شيء من العدم. وفي كتابه «المفردات» يبيّن العلاّمة راغب بأنّ كلمة بدع تعني تكوين شيء ما دون الحاجة إلىٰ مادّة أو نموذج. وعندما تستخدم كلمة بديع كصفة من صفات الله الحُسنىٰ فإنّها تعني أنّ الله عزّ وجلّ هو الذي خلق الأشياء من العدم. والقرآن الكريم يقول في موضع آخر:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ السّمٰواتِ والأرْضَ بالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُون﴾.

(الأنعام/ ٧٣)

ويقول العلاّمة راغب أنّ كلمة الحق تستعمل للإشارة إلىٰ شيءٍ جديدٍ لا مثال له. لكنّها عندما ترتبط بوصف الخالق فإنّها تعني خلق شيءٍ جديدٍ من العدم: ﴿هُوَ ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسّمٰواتِ والأرْضَ﴾ كذلك يشير القرآن الكريم إلىٰ خلق الظواهر الكونيّة والفيزيائية بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذي خَلَقَ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمَر﴾ وفي موضع آخر: ﴿هُوَ ٱلَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلحِسَاب ما خَلَقَ ذٰلكَ إلاّ بالحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾ (يونس/ ٥).

كما يبيّن الله عظمة خلقه بقوله:

﴿أوَلَمْ يَرَوا أنَّ اللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ والأرضَ ولَمْ يَعْيَ بخلقهنَّ بقادرٍ علىٰ أن يُحيي الموتَىٰ﴾.

(الأحقاف/ ٣٣)

إنّ الآيات الكريمة التي تمّ ذكرها توضّح أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا العالم المحسوس بتقدير وميزان وهو قادر علىٰ أن يعيد خلقه، وأنّ أمره هو الأصل في خلق المادّة والطّاقة وكل القوانين الفيزيائية والقوىٰ التي تتحكّم بحركتها.

طريقة الخلق:

شرح القرآن الكريم طريقة خلق الكون في مواضع مختلفة.

غير أنّ الآيات الآتية يمكن أن تقدّم تلخيصاً موجزاً للظواهر التي تشمل الطريقة الأساسية لخلق الكون.

﴿أوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ السَّمٰوَاتِ والأرضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُما وَجَعَلْنا مِنَ ٱلمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حيٍّ﴾.

(الأنبياء/ ٣٠)

وتتحـدّث الآية الثانية عن تشكّل السّمٰوات بعد خلق الأرض وتعكس عملية التتالي في عملية الخلق:

﴿ثُمَّ ٱستوىٰ إلى السَّماءِ وهي دُخان فقالَ لَها وللأرضِ ائتيا طوعاً أو كرهاً قالَتا أتينا طائعين﴾.

(فصّلت/ ١١)

تكشف الآية الأُولى الحقائق التالية:

١ ـ أنّ المادّة التي دخلت في خلق الكون كانت ذات كينونة واحدة.

٢ ـ أنّ الكون بأكمله كان مترابطاً كقطعة واحدة.

الحقائق قبل ١٤٠٠ سنة، في الوقت الذي لم يكن فيه أي أثر لأيّة بحوثٍ علمية.

كما يكشف القرآن الكريم أيضاً عن الحقائق المذكورة في نظرية هوبل حول توسّع الكون، في الآية الكريمة التي تقول: ﴿والسَّماءَ بنيناها بأيدٍ وإنَّا لَموسِعُون﴾ (الذاريات/ ٤٧).

وعندما نحاول فهم التوسّع الكوني علىٰ ضوء المعرفة الحديثة، نعرف أنّ الهيدروجين الموجود في الشّمس في حالة تحوّل مستمر إلىٰ عنصر الهيليوم بفعل الانصهار النّووي، وأنّ الغبار النجمي (Stardust) والذي هو عبارة عن كتل من النجوم تبدو بالغة الصِّغر وكأنّها ذرّات غبار، ما هو إلاّ وقوداً نووياً عالي الدرجة.

وهكذا فإنّ الكون بأكمله مؤلّف أو مبنيّ من قدرة أو طاقة محمّلة وهي في حالة توسّع مستمر. وترتكز هذه النتائج على الافتراض الذي يقول بأنّ الانتقال أو التحوّل الأحمر (Red Shift) ناتج عن تأثير دوبلر على الضوء من الأجسام المتراجعة مع إمكانية قياس سرعة التراجع.

وحول رحابة وتوسّع الكون نجد في القرآن الكريم كلمة علىٰ جانب كبير من الأهمية في هذا المجال وهي كلمة «العالمين» التي تظهر عشرات المرّات في القرآن الكريم كما في الآيات التالية:

﴿ولكنَّ اللّهَ ذو فضلٍ على العَالَمين﴾.

(البقرة/ ٢٥١)

﴿قُلْ إنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيايَ وَمَماتي لِلّهِ رَبِّ العَالَمين﴾.

(الأنعام/ ١٦٣)

﴿ألا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ العَالَمين﴾.

(الأعراف/ ٥٤)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعَالَمِين﴾.

(الأنبياء/ ١٠٧)

٣ ـ أنّ الانفصال حدث بشكل منتظم كي ينتج عنه القوانين الفيزيائية وترتيب المادّة. وليس الأمر مرتبطاً بالنظام الذي يميّز مجموعتنا الشمسية والكواكب الداخلة في مجرّتنا فحسب، بل أنّ المجرّات هي جزء في نظام أعلىٰ. وبدلاً من تناثر المجرّات بصورة عشوائية في أرجاء الكون، فإنّها مرتّبة علىٰ شكل مجموعات، وضمن تلك المجموعات تدور المجرّات حول كتلها المركزية المشتركة.

وقد نقل ابن كثير بعض التفسيرات المبكّرة للآية، حيث ورد أنّ السّماء كانت قطعة واحدة متكاملة، وقام الله عزّ وجلّ بتقسيمها إلىٰ سبع سمٰوات، وأنّ الأرض كانت كذلك قطعة واحدة وأنّ الله عزّ وجلّ قسمها إلىٰ سبعة أراضي. بينما أوضح بعضهم أنّ الأرض والسّماء كانتا كلّاً واحداً وأنّهما انفصلا عن بعضهما بواسطة الغلاف الجوّي.

وقد تبنّىٰ الدكتور موريس بوكيل في الآونة الأخيرة موقفاً قريباً جدّاً من موقف العلماء المسلمين حول تفسير تشكّل الكون علىٰ ضوء الآيات القرآنية الكريمة. فهو يشير إلى «فكرة تفكّك الكل إلىٰ أجزاء عديدة بمعنىٰ أنّ عملية الانفصال من كتلة أحادية رئيسية التحمت عناصرها في بداية الأمر (كانت رتقاً). وكلمة فتق تعني الانفصال أو التفكّك والانتشار، بينما تعني كلمة (رتق) الارتباط والالتحام من أجل تكوين كل متجانس».

وطبقاً للنظرية العلمية المعاصرة فإنّ مايعرف بالانفجار الكوني (Big Bang) كان قد وقع نتيجة حدث تحفيزي واحد في وقت واحد وفي درجة حرارة عالية بشكل استثنائي. ويفترض بأنّه في تلك الأثناء من الانفجار كان الكون بأكمله عبارة عن جزءٍ واحد في نقطة واحدة حدث فيها الانقسام. غير أنّ القوانين الفيزيائية لم تحدث نتيجة ذلك الانفجار. وهنا نجد أنّ هذه النظرية مشابهة من حيث معلوماتها للمعلومات الواردة في القرآن الكريم.

وممّا يدعو إلى الدهشة والغرابة أن نجد بأنّ القرآن الكريم كشف عن هذه

﴿إِنِّي أنا اللَّهُ رَبُّ العَالَمِين﴾.

(القصص / ٢٨)

إنّ الآيات الآنفة الذكر تشير إلىٰ أنّ الله هو السيِّد والخالق والحافظ والمنظِّم للعالم بمعناه الواسع. فكلمة العالمين تضيف مفهوم التعدّد للكون.

وهناك بلايين من المجموعات الكواكبيّة وأنّ كل مجموعة من تلك المجرّات تضمّ بلايين النجوم والكواكب. ولو أنّ نجماً واحداً من بين ١٠٠٫٠٠٠ من المائة ألف مليون نجم الموجودة في ما يعرف بدرب اللُّبّانة كان يضمّ كوكباً مثل كوكبنا الأرضي، فسيعني ذلك وجود مليون كوكب يمكنه الاتّصال مع الأرض. وعلىٰ ضوء علم الكون الحديث يمكن التوقّع بحدوث اتّصالات ناشطة مع الكواكب الأُخرىٰ في المستقبل المنظور.

لقد قدّم الدكتور موريس بوكيل معلومات علمية تتعلّق بضخامة الكون وسعته. فعلىٰ سبيل المثال تحتاج أشعة الشمس كي تصل إلىٰ بلوتو ما يُقارب الست ساعات رغم أنّ السرعة في تلك الرحلة تزيد علىٰ ١٨٦٫٠٠٠ ميلاً في الثانية. وبناءً علىٰ ذلك فإنّ الضوء القادم من النجوم التي تقع في نطاق عالمنا السماوي قد يستغرق بلايين السنين كي يصل إلينا.

إنّ هذا التحليل الموجز لعالم الطبيعة ربّما يساعدنا علىٰ فهم معنىٰ الآية الكريمة: ﴿والسَّماء بَنَيْناها بأيْدٍ وإنّا لَموسِعُون﴾ (الذاريات/ ٤٧).

وفي الحديث عن الرّماد والدُّخان في بداية تاريخ الكون، يكشف القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ أستوىٰ إلى السَّماء وهي دُخان﴾.

إنّ وجود «الدُّخان» في بداية الكون يشير إلى الحالة الغازيّة للمادّة المكوّنة له. وفي العلم الحديث يطرح الباحثون فكرة الغيمة السديميّة (Nebula) التي كان عليها الكون في مراحله الأُولىٰ.

وعندما نقرأ الآيتين الكريمتين: ﴿وَجَعَلْنا في الأَرْض رَوَاسِيَ أن تَمِيدَ بِهِم وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُم يَهْتَدُون﴾ و ﴿ثُمَّ أستوى إلى ٱلسَّماءِ وهِيَ دُخان﴾،

ندرك بأنّ عملية تشكّل الكون جاءت نتيجة تكاثف الغيوم السديميّة الأوّلية ثم انفصالها. وهذا ما يكشف عنه القرآن بوضوح عندما يشير إلى العمليات التي أحدثت الالتحام ثمّ الانفصال الذي كان في الأساس «دُخاناً» سماوياً. وهذا ما يحاول العلم الحديث شرحه حول أصل الكون.

ترجمة: فاروق مشهور

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

استدراك وتصويب

١ - وقعت في صف حروف الكتاب بعض الاخطاء المطبعية راجين تصحيحها كما أضيفت الى الكتاب بعض الايضاحات استدراكا لما فات في طبع الكتاب.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٧	بعضاً	بعضاً الاخر
٦٦	١٧	الملك	المُـلْـك
٦٩	١٢	وموت	وموت ورادة وعقل
٧٣	١	الحد	الجو
١٠٦	٧	نصيبني	نصيبين)()
١٠٦	بعد الاخير	-	()تفسيرالدرالمنثور ٢٧٠/٦
١٢٩	ماقبل الاخير	ما تفسره	ماتفسيره
١٤٩	٦	وموت	وموت وارادة وعقل
	٨	وموت	وموت وارادة وعقل
	١٠	وموت	وموت وارادة
	١٢	حياة	حياة وارادة
١٧٧	٤	من الادراك	من الحياة والادراك
١٨٨	٤	ذمهم	ذمّهم
١٩٣	٢	وتناسب	تناسب
٢١٤	الهامش ٤	في ب	في نسخة
٢١٦	الهامش ٦	في ب	في نسخة
٢١٧	٢	(اثبات الوصية)	(اثبات الوصيه)()
	بعد الاخير	—	() فصلنا القول في نسبة الكتاب في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فصل: عصر الفترة، بـاب :أبـوا النبي(ص)
٢٣٥	٢	لُهم	لَـهُـم
٢٨١	١٩	فدره	قدرة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨٦	٢١	الصحابة	الصابئة
٣٢٢	١٧	ومن الناس	ومن ابليس والناس
	١٨	المكروه	المكروه، فمن ابليس للناس كما قال الله تعالى :(يابني آدم لا يـــفتنكم الشــيطان) الاعراف/٢٧. ومـن النـاس للـــناس، كــما قــال ســبحانه وتــعالى : (ان الذيـن فـتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) البروج / ١٠.
٣٣٧	٢١	أحكام	حكم
٣٥٥	الاخير	للّه	اللّه
٣٩٧	٢	في هذا الباب	في المصطلح القرآني
٤٠٢	٩	خَمَطٍ	خَمْطٍ
٤٠٥	٢	آياتها	آثارها
٤٠٥	١٣		يحذف السطر لتكراره
٤٢٠	٢	منن	من
٤٣٢	١٤	يقضي ويقدر	يمحو مايشاء ويثبت
٤٥٧	٧	أبمشيئتي	بمشيئتي
٤٦٦	٨	ب - وذكرلك الخلق	ذكر خلق الخلق
٤٦٦	٣	فمحصه محص	فمخضه مخض
٤٧١	٦	محص	مخض

٢ - وردت في متن الكتاب نصوص من التوراة قد صفت بالحروف وتجدون أدناه صورة النصوص كما وردت في مصادرها الاصلية.

أ - صورة النص ص ٢١٨.

فَكَلَّمَ مُوسَى ٱلرَّبَّ قَائِلًا. ١٦ لِيُوَكِّلِ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ ٱلْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ ١٧ يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ ٱلرَّبِّ كَٱلْغَنَمِ ٱلَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا. ١٨ فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونَ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ ١٩ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. ٢٠ وَٱجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٢١ فَيَقِفَ أَمَامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ ٱلْأُورِيمِ أَمَامَ ٱلرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ. ٢٢ فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ ٱلرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ ٢٣ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى

ب – صورة النص ص ٢١٩.

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّانِي

١ وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ٱبْنَهُ قَائِلًا ٢ أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. ٣ اِحْفَظْ شَعَائِرَ ٱلرَّبِّ إِلٰهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.

ج – صورة النص ص ٣٠٨ في التوراة العربية.

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ فهذه البركة التي بها بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته
٢ *وقال جآ الرب من سينا واشرق لنا من ساعير استعلن من جبل
٣ فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه سُنّة من نار *احب الشعوب
جميع الاطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه
٥ *موسى امرنا بسنّة : ميراثا لجماعة يعقوب

د - صورة النص ص ٣٠٨ في التوراة باللغة الفارسية.

باب سي و سيوم

١ واينست دعاي خيركه موسى مرد خدا قبل از مردن بر بني اسرائيل خواند

٢ وكفت كه خداوند ازسيناي برآمد وازسعير نمودار كشت واز كوه فاران نور افشان شد وبا ده هزار مقربان ورود نمود واز دست راستش شريعتي آتشين براي ايشان رسيد

٣ بلكه قبائلرا دوست داشت وهمكي مقدساتش در قبضه تو هستند ومقربان پاي توبوده تعليم ترا خواهند پذيرفت

٤ موسى مارا بشريعتي امر كرد كه ميراث جماعت بني يعقوب باشد

هـ - امتازت طبعة جامعة اكسفورد باضافة اللون الاحمر مع الاسود وسميت بـ RED LETTER EDITION وطبعت دون تاريخ وتجد أدناه صورة النص ص ٣٠٨ فيها.

CHAPTER 33

AND this *is* the blessing, wherewith Moses the man of God blessed the children of Israel before his death.

2 And he said, The LORD came from Sinai, and rose up from Seir unto them; he shined forth 'from mount Paran, and 'he came with ten thousands of saints: from his right hand *went* 'a fiery law for them.

3 Yea, 'he loved the people; all his saints *are* in thy hand: and they 'sat down at thy feet; *every one* shall 'receive of thy words.

4 'Moses commanded us a law, '*even* the inheritance of the congregation of Jacob.

٣ - يضاف في ص ٤١٤ السطر ٢ مايلي :-

وأخطأ من علماء اللغة العربية من زعم أنّ (الله) أصله (اله) الذي هو اسم جنس للالهة ودخلت عليها الالف واللاّم للتعريف وصار (الاله) ثمّ خذفت الالف وأُدغم اللاّمان فصار (الله). وعندئذ يكون (اله) و(الله) مثل (رجل) و (الرجل) الاوّلان منهما اسما جنس لكلّ الالهة ولكلّ الرجّال، والثانيان منهما عُرّفا بالالف واللاّم وبهما شُخّص الرّجل المقصود والاله المقصود. وعليه فانّ معنى (لا اله الا الله) يكون: لا اله الاّ الاله الذي أقصده وأعنيه.

لقد أخطأ القائلون بهذا القول. فانّ لفظ (الله) علم مرتجل باصطلاح النحويين سمّي به الذات الذي صفاته جميع الاسماء الحسنى، ولا يشاركه في التسمية غيره، كما لا يشاركه غيره في الأُلوهيّة والرُّبوبيّة.